دليل الخليج

القسم التاريخي

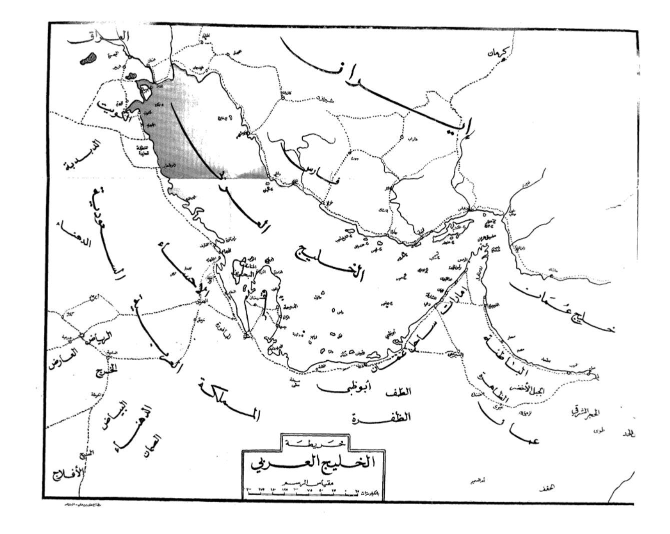
الجزء الأول

تأليف : ج . ج لوريمر

طبعة جديدة معدلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر




العراق
الكويت
الدبدبة
إيران
كرمان
فارس
الخليج
الدهناء
الرياض
العارض
الخرج
المملكة
أبوظبي
الطف
الظفرة
ساحل عمان
إمارات
الباطنة
الظاهرة
الجبل الأخضر
عمان
خليج عمان
الحجر الشرقي
البياض
الدهناء
الصمان
الأفلاج
الحقف
خريطة
الخليج العربي
مقياس الرسم



القسم التاريخي

الجزء الأول

تأليف: ج. ج لوريمر

طبعة جديدة معدّلة ومنقحة
أعدها قسم الترجمة
بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر

طبع على نفقة
الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

مقدمة

لقد أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، عناية عظيمة لرعاية التراث الثقافي والمحافظة عليه والمساعدة على نشره ، ودأب على تشجيع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية مؤكداً في توجيهاته السامية على الموضوعية والدقة والأمانة العلمية ، ومن هنا كانت تعليماته باعادة ترجمة « دليل الخليج » الذي يعتبر من اضخم المؤلفات واهمها عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها.

ويسر الذين اضطلعوا باعادة الترجمة ان يغتنموا هذه المناسبة للاعراب عن عظيم عرفانهم وعميق تقديرهم للرعاية الكريمة التي شمل بها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى هذا المشروع العلمي ، سائلين الله سبحانه ان يمد في عمر سموه وأن يسدد خطاه لما فيه خير البلاد والعباد .

مكتب حضرة صاحب السمو
أمير دولة قطر

« ملاحظـــة »

لقد وضع هذا الكتاب حوالى نهاية القرن المـاضى وتضـمن ملاحظات وآراء وتعابير تحمل راى المؤلف وحده ، وهى بذلـك لا تقيد حكومة قطر بحال من الاحوال ، ولا تعبر عن وجهـات نظرها •

مقدمة ناشر الطبعة الانجليزية

يتكون دليل الخليج وعمان ووسط الجزيرة العربية من قسمين :

القسم الاول : ويتضمن تاريخ منطقة الخليج وما حولها من الاقطار .

القسم الثاني : وهو معجم جغرافي للمنطقة .

ولقد تم نشر القسم الثاني في عام ١٩٠٨ – أما القسم الأول فقد كاد مؤلفه لوريمر ينهي إعداده للمطبعة عندما عاجلته المنية في أوائل سنة ١٩١٤–حين لم يكن قد بقي من الكتاب سوى المقدمة والفهرس اللتين أنجزهما موقع هذا التقديم ل. بيرد وود . ولقد وضعت مذكرة مستقلة لشرح النهج الذي اتبعه المؤلف في وضع حروف انجليزية نظيرة للحروف العربية والمشار اليها في آخر فقرات تقديم القسم الثاني ، وجعلت تسهيلا لتجليد الكتاب ملحقاً رقم (اس) يظهر على الصفحة ٢٧٣٧ من النص الانجليزي للقسم الثاني .

وقد اعد لوريمر شرحاً كاملا لاقسام الجزء الثاني ومحتوياته جعله في المقدمة ولم يبق غير عمل نفس الشرح والتبويب للجزء الأول .

ولقد تم تقسيم القسم الاول الى اثني عشر باباً على أسس جغرافية يتناول الباب الاول منها منطقة الخليج بعامة ، ثم تشرح الأبواب اللاحقة أجزاء المنطقة على التوالي ابتداء بعمان ثم ولايات الساحل الغربي للخليج – ووسط الجزيرة العربية – والعراق التركي ثم مناطق الساحل الشرقي للخليج ، وتنتهي بالباب الخاص باقليم مكران .

وقد قسم كل باب من الابواب الاثنى عشر المشار اليها الى فترات زمنية قد يستغرق بعضها عصر شاه او سلطان او حاكم او نائب ملك ممن حكموا المنطقة – وفي بعض الحالات كان لا بد من جعل التقسيمات على أساس أحداث بارزة في تاريخ المنطقة .

وقد جعلت موضوعات كل فترة من تلك الفترات متشابهة في تناولها ابرز تطورات تلك الموضوعات البارزة اياها خلال الفترة موضوع البحث.

وينتج بالضرورة من هذه الطريقة التي نهجناها ان موضوعاً بارزاً خلال عهد أحد الحكام قد لا يكون له تكملة او ملحقات في العهد الذي يليه مباشرة ، ولو أنه كثيراً ما يحدث ان تكون له ذيول هامة وملحقات واضحة بعد في باب لاحق .

وقد أعطيت الفترات المختلفة في كل باب ارقاماً خاصة — كما قسمت كل فترة بدورها الى رؤوس موضوعات — وكل موضوع اشير اليه بحرف خاص .

وعند استئناف الكتابة عن موضوع معين في فترة من الفترات التالية يضاف مباشرة لهذه الغاية بحروف مائلة تحت عنوان الموضوع رقم الفترة والرمز الخاص بعنوان الموضوع الذي ترد فيه التكملة . وعلى أية حال فيجب ان نذكر انه بالرغم من أن النظام المطبق هنا قد أمكن الاعتماد عليه في أغلب الابواب والفترات الا ان بعض الوقائع الخاصة خلال القسم الاول — وعلى الاخص السياسة البريطانية والعلاقات الخاصة بها — ترد متشابكة ومتداخلة في التاريخ العام للولاية بحيث لا يمكن تحديد أو تقسيم فتراتها الى موضوعات مستقلة ، وفي مثل هذه الحالات يكون تتبع موضوع ما بالمطالعة العامة للكتاب .

وبالاضافة الى الاثني عشر بابا المشار اليها أعلاه — يشتمل القسم الاول على عدد من الملاحق — كتبها المستر لوريمر — وهي تشمل عموماً موضوعات لها أهميتها الخاصة بمنطقة الخليج كما تشتمل على مجموعة من شجرات الانساب للاسر الحاكمة في دول المنطقة .

ويوجد كذلك جدول للابواب والفصول والملاحق وشجرات الانساب في الصفحة (٥) والجدول المفصل لمحتويات الكتاب في

الصفحة «٩» (١) .

ولتسهيل ربط القسم الاول بالقسم الثاني ـ فقد تم تقسيم القسم الاول الى ثلاثة أقسام : القسم الاول ويشتمل على الابواب التسعة الاولى أي أنه يشمل التاريخ العام لمنطقة الخليج وتواريخ منطقة عمان والولايات العربية على الشاطيء الغربي للخليج ووسط الجزيرة العربية والعراق التركي ـ وهو ما يسمى حقاً الجزء العربي من الكتاب .

أما القسم الثاني فيشتمل على بابين أي أنه يشتمل على تواريخ الساحل الفارسي والجزر ـ وتاريخ مكران وبعبارة أخرى يشتمل على الجزء الايراني من الكتاب .

وتسهيلا لعمل مراجعي النسخة الانجليزية وضع في مقدمة المجلدين الاول والثاني قائمة تفصيلية بالمحتوى والفصول المختلفة .

أما المجلد الثالث فيشتمل على الجداول التفصيلية وشجرات الانساب والخرائط ..... الخ .

ل. بيرد وود

سملا في ١٠ أكتوبر ١٩١٤

---

(١) الاشارة هنا تتعلق بالاصل الانجليزى من الكتاب .

دليل تاريخي للخليج(١) وعمان ووسط الجزيرة

الفصل الاول

التاريخ العام لمنطقــة الخليج

« تاريخ الخليج منذ ظهور البرتغاليين فيه سنة ١٥٠٧ حتى تأسيس الشركة الانجليزية للهند الشرقية سنة ١٦٠٠ » .

عرفت الدول الاوروبية الخليج للمرة الاولى خلال المحاولات التي بذلها البرتغاليون في القرن السادس عشر للخلاص من احتكار العرب (في منطقة البحر المتوسط والشرق الاوسط) الوساطة في التجارة بين آسيا واوروبا .

سيطرة العرب على الطرق التجارية بين آسيا واوروبا حتى سنة١٤٩٨ :

وقد كانت التجارة بين الشرق والغرب منذ أقدم العصور تسلك طريقين رئيسين هما : طريق البحر الاحمر ومصر ، وطريق الخليج والشام ، وكلاهما كانا تحت سيطرة العرب ،وكانت المشكلات والخلافات السياسية احياناً تغلق احدهما او كليهما ، وحين كان الطريقان يغلقان في وقت واحد فان مدد البضائع الشرقية كان ينقطع عن اوروبا الا بالقدر الذي كان يمكن فيه سلوك طريق وعر غير مأمون عبر آسيا الوسطى . وكانت الدول الاوروبية التي لها أعظم نصيب من تجارة المشرق في مطلع القرن الخامس عشر هي جنوا والبندقية ، لكن جنوا فقدت مكانتها في عالم التجارة الشرقية نتيجة سقوط القسطنطينية في ايدي الاتراك سنة ١٤٥٣ ، ولم يمض الا قليل وقت قبل ان تؤدي الشحناء بين مماليك مصر والبندقية الى تجريد الاخيرة مما كان قد بقي لها من مزايا ، وكان واضحاً ان اكتشاف طريق غير مطروق يصل الى الهند

---

(١) معجم جغرافى : Gazetteer
وهو المعنى الحرفى للعبارة الاجنبية والذى اصطلح على تبديله بكلمة دليل لزيادة الملاءمة .

أمر سيعود بثروة ومكانة عظيمتين على الدول التي تستطيع الافادة منه ، وكان البلد الذي كرس نفسه تكريساً مخلصاً في البحث عن مثل ذلك الطريق هو البرتغال .

استكشافات البرتغاليين التدريجية تؤدي الى طريق رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٩٨ :

وقد تحولت انظار البرتغاليين نحو المشرق منذ زمن بعيد ، وربما كان دون هنريك (١٣٩٤ — ١٤٦٠) « المعروف بهنري الملاح » والذي كان يجري في عروقه الدم الانجليزي هو أول من فكر في الوصول الى الهند عن طريق الطواف بحراً حول افريقيا ، لكن هذه الفكرة إن صحت نسبتها اليه ، ظلت مجرد فكرة ، الى ما بعد موته .

بعثة دون بيدرو ١٤١٦ :

وفي سنة ١٤١٦ ، وقبل أن تقفل الطريق البرية المألوفة نتيجة فتوحات الاتراك ، قصد دون بيدرو ، وهو شقيق دون هنريك وواحد من أبناء دون جوا الاول الذين يجري في عروقهم الدم الانجليزي ، الى بلاط « السلطان العثماني العظيم » والى « سلطان بابل العظيم » حيث استقبل هناك أحسن استقبال .

حملات وبعثات دي دياز ، ورابي — ابراهام ، ودي كوافيلو ١٤٨٦ — ١٤٨٧ :

على أن اندفاع البرتغاليين بنجاح ناحيتي الشرق والغرب لم يتم الا في عهد الفونسو الخامس ١٤٤٣ — ١٤٨١ ، ودون جوا الثاني ١٤٨١ — ١٤٩٥ ، وكان جوا الثاني متلهفاً لعقد تحالف مع « برسترجون » وهو عاهل مسيحي من الشرق كان البعض يظن ان وجوده مجرد خرافة بينما هو في الحقيقة حاكم الحبشة وهي بلاد لم تكن بعد معروفة في اوروبا وكان هذا الرجل متشوقاً لنشر المسيحية وتوسيع رقعتها ، وكان يطمع في ارتياد طريق تجاري جديد في الهند ، واكتشاف الارض التي يجلبون

منها الفلفل والقرفه وشتى التوابل.ولهذه الاعتبارات جميعاً ارسل ملك البرتغال العديد من البعثات والحملات . وفي سنة١٤٨٦ طاف « بارثلميو دي دياز» حول رأس الرجاء الصالح ، دون ان يدرك انه قد استدار حول أقصى الجنوب من افريقيا ، وفي سنة ١٨٤٧ خرج « جوا بيرس دي كوافيلوا والفونسو دي بيف » للبحث عن بلاد التوابل .

فصل كوافيلوا عن اصدقائه من عدن متخذاً طريقه الى جزر الكنار وكلكتا وجوا وهرمز على الخليج وسافالا ، ثم عاد فاتجه غرباً حتى بلغ القاهرة ، وفيها ترافق مع الاب « ابراهام » من بيجا والذي كان قد خرج تحت رعاية ملك البرتغال الى بغداد وفارس مع جوزف (من لاميجو) الذي كان قد اعد تقريراً عن جزيرة هرمز . ورجع كوافيلو ورابي بعدها الى هرمز ، ثم وصل الاول بمفرده الى عدن ... وفي النهاية وعندما لقي « برستر جون » في بلاد الحبشة استقر نهائياً في تلك البلاد .

رحلة فاسكو دي جاما الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ١٤٩٧ – ١٤٩٩ :

وفي أغسطس سنة ١٤٩٨ وصل فاسكو دي جاما الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وكان قد ابحر من البرتغال في ١٤٩٧ وانتهت رحلته التي تعتبر من أخطر الرحلات في التاريخ – الى لشبونه في سبتمبر ١٤٩٩ ، وكانت النتيجة السريعة والمحققة لهذه الرحلة ثورة في تجارة اوروبا ومجداً عظيماً للبرتغال فأصبح ملوكه منذ ذلك الحين فصاعداً ينعتون أنفسهم بأنهم « سادة الفتح والملاحة والتجارة في الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس » وسرعان ما صدق البابا على هذا اللقب.

حكومة الميدا فى الهند وفزع الاتراك والعرب ١٥٠٥ ـ ١٥٠٩

في سنة ١٥٠٥ قرر عمانويل الاول ملك البرتغال ، وأول من حمل

ذلك اللقب الكبير الذي ألمعنا اليه أن يقضي على تفوق الدول العربية التجاري مرة واحدة عن طريق احتلال عدن وهرمز وملقا ، ولهذا المخطط ارسل عمانويل فرانسيسكو دي الميدا الى الهند حاكماً للمستعمرات البرتغالية في الشرق ، فاتخذ هذا من كوشن مقراً رئيسياً له . وفي ١٥٠٦ وصل اسطول تركي عربي الى ساحل الهند لنجدة امير مسلم وتخليصه من غزو البرتغاليين ، لكن البرتغاليين هزموا هذا الاسطول مؤكدين لاول مرة تفوقهم البحري على المشارقة .

دى البوكيرك وأعماله فى منطقة الخليج ١٥٠٧ ـ ١٥٠٨

في غضون ذلك ، وفي نفس السنة ١٥٠٦ كان الفونسو دي البوكيرك قد ابحر الى المشرق ومعه رسالة ملكية بتعيينه نائباً للملك وحاكماً لمستعمرات البرتغال في الهند ، وقد أبقى هذه الرسالة سراً في البداية ، لكن الملك أعطاها له كي تمكنه من ان يرئس دي الميدا ، وكان اهتمامه الاول — على أية حال — منصباً على احتلال قواعد ممتازة في البحار غربي الهند ، ولهذا الهدف احتل جزيرة سقطرى ، لكنه وجدها بلا جدوى فتركها وقام بحملة على هرمز .

دي البوكيرك في ساحل عمان :

وبعد ان دمر كل مركب وطني التقى به في طريقه وصل دي البوكيرك أخيراً الى قلهات ، على ساحل عمان حيث استقبل استقبالا حسناً ، وفي ٢٢ أغسطس ١٥٠٧ خرج من قلهات الى قريات فاحتلها عنوة ولم يجد معارضة في مسقط حين بلغها ، لكن قوات كبيرة بدأت في التجمع على الساحل ، وكانت نواياها العدائية واضحة ، فنزل دي البوكيرك الى البر وهزمها واشعل النار في المدينة وميناءها واستسلمت له

صحار دون مقاومة رغم وجود قلعة ضخمة فيها ، ثم نزل في خور فكان حيث كان اتجاه الاهالي مناوئاً له فاوقع بهم عقاباً شديداً . واخيراً وصل الى هرمز «الى الملك» او الشيخ الذي كانت كل تلك القرى بساحل عمان التي مر بها خاضعة له وتدفع له الجزية ، وكان اسمه سيف الدين. رفض الشيخ ان يستسلم فبادر البوكيرك بالهجوم باسطوله الصغير على اسطول ضخم كان يتولى الدفاع عن الجزيرة بعض سفنه هندية ، واستطاع البوكيرك ان يحرز نصراً سهلا وتاماً ، وفي سبتمبر ١٥٠٧ وقع معاهدة مع الشيخ سيف الدين أصبح هذا بمقتضاها تابعاً للتاج البرتغالي ، بل انه أيضاً وبعد شهر واحد رفع على قصره علماً عليه شارة الصليب ، وبدأ البرتغاليون ينشئون قوة لهم اطلقوا عليها « جيش النصر » وفيما بعد رفض الشيخ سيف الدين رسالة من الشاه اسماعيل ملك فارس تطالبه بالولاء انصياعاً لأمر البوكيرك الذي ارسل بدوره مع جواب سيف الدين رسالة مفعمة بالعجرفة لتسليمها الى الشاه .

سوء فعل ضباط البوكيرك وجلاء البرتغاليين عن هرمز :

وفي اوائل ١٥٠٨ والاسطول البرتغالي ما يزال في هرمز ــ التقت كلمة معظم قادة السفن على تحديد سلطة البوكيرك ، ورغم أن هذا استطاع أن يقصف بالمدفعية المدينة التي اعتصم بها بعض الضباط المنشقين عليه ، الا أن اقامته في هرمز أصبحت متعذرة فاقلع في نوفمبر من نفس السنة متجهاً الى الهند ، لكن دي الميدا الذي كان يستنكر ما فعله البوكيرك في هرمز رفض ان يسلم اليه الحكم ورفع الخلاف بينهما الى البرتغال كي يسوى هناك . وأصبح البوكيرك في نوفمبر ١٥٠٩ نائباً لملك البرتغال في الهند وبعدها استقبل بعثة ارسلها اليه شاه ايران وشيخ هرمز في عاصمته جوا ، وفي خلال فترة نيابته للملك احبط الكثير من هجمات الاتراك على املاك البرتغال في الهند كما شن عليهم هجمات عديدة ، ذلك ان البوكيرك كان يرى ان استعادة هرمز التي فقدها أهم من السيطرة على عدن .

تعيين البوكيرك نائبا لملك البرتغال فى الهند
١٥٠٩ ـ ١٥١٥

البرتغاليون يستعيدون جزيرة هرمز ١٥١٥ :

وفي فبراير ١٥١٥ ابحر الى هرمز اسطول برتغالي يقل ١٥٠٠ برتغالي و ٦٠٠ مالا باري و ٣٠٠ عبد على رأسه البوكيرك نفسه ، ويقال إن حاكم هرمز كان في ذلك الوقت مواطناً من ايران وصل الى الحكم بعد ان قتل سلفه الحاكم ، وكان مهدداً بنفس المصير على يدي ابناء اخوته ، وكانت الجزيرة في حالة من الثورة والاضطراب بحيث لم تتطلب استعادتها اي عمل بحري او عسكري ، وفي اول ابريل كانت القوات البرتغالية قد اعادت احتلال الجزيرة .

المفاوضات البرتغالية الايرانية وموت البوكيرك ـ ١٥١٥ :

وبعدها وصل سفير للشاه اسماعيل من ايران يحمل عدة مطالب أجيب الى بعضها ، فقد اقترح ضمن اقتراحات كثيرة ـ ان تقدم البرتغال بعض سفنها لايران كي تمكنها من غزو البحرين والقطيف ، وأن يساعد البرتغاليون الشاه على قمع تمرد ضده في مكران بأن يحتلوا جوادر ، وأن يقوم تحالف ضد تركيا بين ايران والبرتغال وفي ٢٠ أكتوبر عين البوكيرك ،الذي كان قد مرض مرضاً خطيراً، ابن أخيه بيرو قائداً لمرفأ هرمز ، ثم انه ابحر الى الهند ، ومات على سفينته في جوا قبل أن ينزل الى البر .

علاقة البرتغاليين بالقوى المحلية وحروبهم ضد الاتراك فى الخليج ١٥١٥ ـ ١٦٠٠

ثورات الوطنيين ضد البرتغاليين وعداء الاتراك والايرانيين :

بعد موت البوكيرك تجددت الاضطرابات في مراكز البرتغاليين

في ايران والجزيرة العربية ، كما ان الاخطار التي تتهددهم من الاتراك ، الذين راحت قوتهم البحرية تتزايد في المحيط الهندي بدلا من ان تتناقص ، شرعت تمتد الى الخليج .

وفي ١٥٢٢ ، أدى تعيين موظفين برتغاليين للمراكز الجمركية في هرمز والبحرين ، وصحار والقريات الى اثارة سخط الاهالي مما أغرى شيخ هرمز على تنظيم هجوم بري وبحري في وقت واحد على سائر تلك المواقع ظاناً بأن الفرصة قد واتته لخلع نير البرتغاليين . وقد خسر البرتغاليون ارواحاً كثيرة لان هذا الهجوم الموحد كان مفاجأة لهم ، وعاد شيخ هرمز نفسه – بعد أن أشعل النار في المدينة – الى قشم ، لكن بعض رجاله قتلوه هناك ، وسرعان ما وصل اسطول برتغالي من الهند يقوده دي ينيزيس فدمر صحار تدميراً تاماً ، ثم تقدم الى هرمز التي كان يحكمها عندئذ كوتنهو ، فاستعادها مرة أخرى ، وابرمت معاهدة في ميناب في ٢٣ يوليو سنة ١٥٢٣ فرضها القائد البرتغالي على شيخ هرمز الجديد ، وبموجبها لم تصبح هرمز تحت حماية البرتغال فحسب ، ولكنها باتت تخضع لاشراف دقيق منهم .

حوادث ١٥٢٦ – ١٥٢٩ :

وفي ١٥٢٦ ، حدثت ثورات جديدة من جانب الاهالي في مسقط وقلهات نتيجة العنف الزائد من جانب دي ميللر الذي كان يحكم هرمز ، ومن جراء مكائد الرئيس شرف الدين الذي يبدو انه كان المستشار الاول لشيخ هرمز . وقام لوبوفاز بقمع هذه الثورات باسطول استقدمه من الهند ، كما انه في الوقت نفسه حصّل متأخرات الجزية المستحقةعلى حاكم هرمز . وفي سنة ١٥٢٩ قام مونو دي كونوا – حاكم المستعمرات البرتغالية في الهند بزيارة لهرمز فنفى الرئيس شرف الدين الى البرتغال بناء على اوامر ملك البرتغال وثارت البحرين على شيخ هرمز فارسلت حملة برتغالية لقمع الثورة ، لكنها فشلت نتيجة نقص استعداداتها .

الحملة البرتغالية الاولى على البصرة حوالي سنة ١٥٢٩ :

وفي هذا الوقت تقريباً بدأ أسم تركيا يتردد في الخليج فقد تعهد حاكم البصرة ، والأغلب انه كان عربياً ، بأن يحول بين الاتراك والتجارة هناك اذا عاونه البرتغاليون ضد شيخ من جواره في العراق كان عدواً له وفعلا قام ملشبور تافرز دى سوزا بحملة لمساعدة الشيخ الذي لم يف بوعوده بتعطيل التجارة التركية ، فانتقم دي سوزا بأن أحرق مدينتين في طريق عودته .

الاتراك على ساحل الهند ١٥٣٨ :

وجهز الاتراك اسطولا ضخماً يقوده سليمان باشا والي مصر ربما كان بمثابه رد على الحملات التي كانت ترسلها الحكومة البرتغالية في الهند بين حين وآخر الى البحر الاحمر والخليج ، ووصل الاسطول التركي الى شاطيء الهند في ١٥٣٨ ، وبذل جهوداً يائسة استمرت شهراً بأكمله للاستيلاء على ديو من البرتغاليين ، لكنه فشل . وكانت الفترة التالية فترة صراع دائب بين البرتغاليين والاتراك في الخليج .

نزاع بين البرتغاليين وشيخ هرمز ١٥٤٢ :

ولم تكن علاقة البرتغاليين بواليهم شيخ هرمز مرضية على الاطلاق وقد عجز هذا الشيخ او اهمل دفع المتأخرات عليه من الضرائب الامر الذي جعل البرتغاليين يتولون بأنفسهم الاشراف المباشر على المراكز الجمركية وبذلك حصلوا على كل ما كانوا يطالبون به .

طرد الاتراك من القطيف . حملة البرتغال الثانية على البصرة . حملة بيريك التأديبية في ١٥٥٠ :

لقد بدأ الصراع السافر بين البرتغاليين والاتراك في الخليج حوالي سنة ١٥٥٠ ، حين أعلن أهالي القطيف أنهم لا يدينون بالولاء لهرمز ، وانهم يضعون أنفسهم تحت حماية الاتراك الذين كانوا قد احتلوا

البصرة منذ عهد قريب ، فاغتم شيخ هرمز غماً شديداً لضياع القطيف ، كما تقدم آخر حكام هذه المنطقة الذي كان الاهالي قد طردوه منها الى البرتغاليين يطلب عونهم . ومن جراء ذلك خرجت حملة برتغالية من الهند على ١٩ سفينة تقل ١٢١٠ رجال تحت قيادة دون انطونيو دي نورنها الى القطيف واستطاعت الحملة بمؤازرة الموالين لشيخ هرمز ان تطرد الاتراك من القطيف بسرعة وقد زارت الحملة البصرة ايضاً ، لكن قائدها خشي الخيانة فلم يطل مكثه بها ولم يقم فيها بأية عملية .

ورد الاتراك على هذا الهجوم البرتغالي بأن ارسلوا قرصاناً (١) يدعى بيريك الى جولة في الخليج على رأس اسطول كبير قام بتظاهرة أمام مسقط وأجلى عنها الحامية البرتغالية واجرى مظاهرة أمام هرمز نفسها وأعمل السلب والنهب في مدينة قشم .

حملة مراد بك ضد البرتغاليين ١٥٥١ :

وفي عام ١٥٥١ اعدم بيريك في القسطنطينية لانه جاوز التعليمات الصادرة اليه وخلفه مراد بك الذي فشل من قبل في الصمود في القطيف أمام البرتغاليين ، لكنه الآن قام بجهد يائس وفاشل لانقاذ سمعته بالاشتباك مع الاسطول البرتغالي في عرض الخليج .

هزيمة الاتراك بقيادة علي شلبي في مسقط على ايدي البرتغاليين ١٥٥٣ :

وفي ١٥٥٣ عهد بقيادة الاسطول التركي في الخليج — بدلا من مراد بك — الى علي شلبي ، وهو قرصان متبجح ، وفي ٢٥ أغسطس التقى به اسطول فرناندو دي نورنها في البحر قرب مسقط واستطاع هذا ان يأسر ٦ سفن من الاسطول التركي ويطرد الباقي ليحاصره في صورات.

---

(١) سوف يكثر المؤلف من ذكر كلمة « قرصان » أو « قراصنة » عندما يتحدث عن العرب والمسلمين — أما عندما يتحدث عن مجرمي أوروبا ، الذين جاءوا لحرق المدن وقتل المواطنين ، فكثيرا ما يستعمل تعبير « القواد الشجعان » (المراجع)

حملة برتغالية ثالثة على البصرة :

وفي ١٥٥٦ طلب شيخ هرمز عون البرتغاليين على الاتراك فارسل دون الفارو دي سيلفيرا لنجدته، لكن الاسطول البرتغالي شلت حركته من جراء عاصفة عاتية هبت عليه بعد وصوله الى البصرة فعاد الى قواعده دون ان يحقق شيئاً .

غزو الاتراك للبحرين ثم طردهم منها على يد البرتغاليين ١٥٥٩ :

وبعدها بسنوات ثلاث تقدم اسطول تركي مكون من سفينتين كبيرتين و ٧٠ مركباً شراعياً – على ظهره ١٢٠٠ تركي وانكشاري الى البحرين ، وطلب الرأس مراد الذي كان حاكماً هناك باسم شيخ هرمز – النجدة من الشيخ ومن البرتغاليين وسرعان ما تحرك اسطول برتغالي الى مكان الاحداث ، وباشر الهجوم على الاتراك بمساعدة الرأس مراد وثلاثمائة فارس مسلحين تسليحاً جيداً ، وكان الاتراك عندئذ يحاصرون القلعة الرئيسية ، فاستدرجوا البرتغاليين الى كمين والحقوا بهم خسائر فادحة حيث بلغ قتلاهم ٧٠ رجلا . لكن الحلفاء فيما بعد وصلتهم الامدادات من هرمز فاستطاعوا ان يرغموا القوات التركية على الانسحاب من البحرين ، وسمحوا لهم بالانسحاب بعد تسليم اسراهم وسلاحهم وخيلهم ودفع مبلغ عشرة آلاف دوكة . « الدوكة عملة مدينة البندقية » .

ضم البرتغال الى اسبانيا سنة ١٥٨٠ :

وفي سنة ١٥٨٠ ضمت البرتغال الى اسبانيا ولم يتحقق لها الاستقلال مرة أخرى الا في سنة ١٦٤٠ .

الاتراك يحتلون مسقط احتلالا موقتاً ١٥٨١ :

وفي سنة ١٥٨١ خرجت حملة تركية الى مسقط يقودها مغامر تركي بحري يدعى علي بك وكانت تضم ثلاث سفن كبيرة واستطاعت ان تفاجيء الحامية البرتغالية من البر والبحر فلم يسعها الاالانسحاب الموقت

الى الداخل ، ثم ارسلت من هرمز حملة لتأديب علي بك ، لكنها بدل ذلك دمرت موانيء جوادروتيس على ساحل مكران .

الايرانيون في لار يقومون بتمرد ضد شيخ هرمز ١٥٨٢ :

وفي ١٥٨٢ قام خانلار – الذي كانت عائلته تحكم هذه الولاية فترة ما ، لكنها الآن أصبحت من اتباع شيخ هرمز – باحتلال اقليم شامل ، ومحاصرة جزيرة هرمز ، لكن شيخ هرمز والبرتغاليين انزلوا حملة اعادت احتلال قلعة شامل وطردت قوات اللاريين بعد ان أوقعت بهم مذبحة كبرى .

رحلة اربعة انجليز في الفرات ودجلة الى الخليج ١٥٨٣ : (١)

وتميزت سنة ١٥٨٣ برحلة قام بها اربعة من المغامرين الانجليز : رالف فيتش ، جون نيوبري ، وهما تاجران . ووليام ديدز تاجـــر المجوهرات ، والرسام جيمس ستوري ، وقد بدأوا رحلتهم من طرابلس الشام ، ثم نزلوا في الفرات الى الفالوجة ثم الى بغداد فدجلة والبصرة ومنها الى الخليج وهرمز حيث قبضت عليهم السلطات البرتغالية لاشتباهها في أن يكونوا جواسيس او متآمرين ، ومن هرمز ارسلوا الى سجن جوا حيث بقوا فترة من الزمن ، وكان نيوبري قد سبق له ان قام برحلة من حلب الى البصرة من قبل في سنة ١٥٨١ .

كارثة البرتغاليين في نخيلوه ١٥٨٥ :

وفي ١٥٨٥ أصابت البرتغاليين نكسة خطيرة في نخيلوه، على ساحل الخليج ذلك أنهم ارادوا تأديب هذه المنطقة لانها كانت تعوق الامدادات المتجهة الى هرمز ، لكنهم اخذوا على غرة بعد نزولهم الارض ففروا الى سفنهم بعد ان قتل منهم حوالي ٢٥٠ قتيلا ، ربما كان بينهم بعض أتباعهم من الاهالي .

البرتغاليون ينشئون قلعة كبرى في مسقط ١٥٨٦ :

وفي العام التالي وعلى ضوء المستفاد من تجاربهم انشأ البرتغاليون قلعة كبرى في مسقط .

---

(١) أنظر التذييل الاول للفصل التاسع . ففي الرواية الاصلية للرحلة الواردة هنا دليل على الثبات العجيب لنمط الحياة والاسفار فى الشرق .

ملحوظة : مصادر المعلومات فيما يتعلق بتاريخ الخليج من سنة ١٦٠٠ الى سنة ١٧٢٢ ــ والجزء الاخير من هذه الفترة هى التى كان فيها الصفويون يحكمون ايران ــ مصادر متعددة وكثيرة ، لكننا سنقتصر على سرد الهام منها فقط .

والمصادرر الآتية تتناول الاحداث من وجهة النظر الانجليزية ، والرسمية الى حد ما وهى :

« رسائل (فوستر) التى كانت شركة الهند الشرقية تتلقاها من موظفيها فى المشرق » فى ستة مجلدات ١٨٩٦ ــ ١٩٠٢ ، وهى تتناول أيضا الفترة من ١٦٠٢ ــ ١٦١٧ .

« تقويم أوراق الدولة ، لجزر الهند الشرقية » : من ١٥١٣ الى ١٦١٦ ، من ١٦١٧ الى ١٦٢١ ، من ١٦٢٢ الى ١٦٢٤ ، من ١٦٢٥ الى ١٦٢٩ ــ فى أربعة مجلدات ، كذلك أيضا « جزر الهند الشرقية وايران من ١٦٣٠ الى ١٦٣٤ » . فى مجلد واحد . كتاب « بروس جوليات شركة الهند الشرقية المعظمة » فى ثلاثة مجلدات ، طبعة ١٨١٠ ، وتغطى الفترة من ١٦٠٠ الى ١٧٠٨ ، كذلك « مختارات مستر ج. سالدانا من أوراق الدولة في بومبادىعن شركة الهند الشرقية وعلاقتها بالخليج ، مع تلخيص للاحداث من ١٦٠٠ الى ١٨٠٠ » ، طبع سنة ١٩٠٥ ، وفيه تسجيل لهذا الحشد الهائل من سجلات بومبى التى أخذت منها المختارات .

وفى كتاب « تاريخ البحرية الهندية » ــ ١٨٧٤ ، من تاليف الضابط البحرى س.ر.لو ، وصف كامل لكل العمليات العسكرية والبحرية التى قام بها الانجليز فى الخليج طوال هذه الفترة . والكتب التالية لمؤلفين خاصين أو شبه رسميين فيها معلومات ذات فائدة وقيمة بالنسبة لاحداث معنية . منها كتاب الاخوة الثلاثة المجهولون ــ طبعة

١٨٢٥ ـ الذى يتناول أعمال سيرا • وسير ر• شيرلى من ١٥٩٩ ـ ١٦٢٨ ومؤلف مسترو • فوستر « سفارة سير توماس رو » طبعة ١٨٩٩ ـ للفترة من ١٦١٥ ـ ١٦١٩ و « صفقة الحج » • المجلد العاشر (أعيد طبعه عن طبعة ١٩٠٥) نقلا عن جورنال مونوكس ١٦٢١ ـ ١٦٢٢ ، وكتاب هوبرت « بعض أعوام الترحال » ويتناول سفارة سير د• كوتن الى ايران فى ١٦٢٧ ـ ١٦٢٨ ، ومؤلف فرير « وصف جديد لجزر الهند الشرقية وايران » ، ١٦٩٨ ، ويتناول السنوات ١٦٧٧، ١٦٧٨ ، وكتاب هاملتون « وصف جديد لجزر الهند الشرقية » ، ١٧٣٩ ، الذى يعتمد على الخبرة الشخصية فى الفترة من ١٦٨٨ الى ١٧٢٣ ، وفى كتابات بعض الرحالة الاوروبيين غير الانجليز ما يلقى الضوء على احداث ومواقف خاصة ، من ذلك ، اسفار بيدروتكسيرا ، الترجمة الانجليزية ١٩٠٢ ، وتتناول ١٦٠٤ ، ورحلات بيترو ديلا فالى ـ الترجمة الانجليزية سنة ١٦٦٥ ، وتتناول السنوات ١٦٢٣ ـ ١٦٢٥، وملاحظات واسفار ماندلسولو سنة ١٧٢٧ ، وتتناول سنة ١٦٣٨ ، واسفار تافرنير ، الترجمة الانجليزية سنة ١٦٨٤ ، وتتناول سنة ١٦٥٢ •

وبالنسبة للسياسة البرتغالية ، فأهم المراجع هى : « سجل لاسيا البرتغالية على عهد فارياكس سوسا ترجمه الى الانجليزية ستيفنس سنة ١٦٩٥ ، ويصل بالاحداث الى سنة ١٦٤٠ ، ومؤلف الكولونيل س•ب• مايلز « البرتغال فى شرق جزيرة العرب » ، وهو ضمن تقرير مفوضية الخليج الادارى لسنة ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ ، ويصل بالاحداث الى ١٦٥١ ، ومؤلف مسترف •س• دانفوز (البرتغاليون فى الهند) سنة ١٨٩٤ ، ويغطى الفترة كلها •

أما كتاب مالكولم « عن تاريخ ايران » سنة ١٨١٥ ، المجلد الاول ، كذلـــك مؤلف الاستاذ أ•س • كريزى عن « تاريخ الاتراك العثمانيين » ، سنة ١٨٥٦ فهما مفيدان بشكل خاص لربط احداث الخليج بالمجرى العام للاحداث فى ايران وتركيا •

الموقف العام في سنة ١٦٠٠

الآن نستطيع – في كلمات قليلة – ان نصف الموقف العام في الخليج في نهاية القرن السادس عشر .

مكانة البرتغاليين وخضوعهم لاسبانيا في ذلك الوقت :

كانت البرتغال ما تزال هي الامة الاوروبية الوحيدة المتواجدة في الخليج ، حيث كما رأينا تأسس وجودها سنة ١٥٠٧ حين كان العلم البرتغالي متفوقاً في البحار ، وكان للبرتغال قلاعها المحصنة في جزر هرمز والبحرين وفي قشم ومسقط ، وربما في مناطق أخرى من ساحل عمان ، كما كانت هرمز هي المقر الاداري الذي ظل لسنين طويلة السوق الرئيسية للتجارة مع جزء كبير من العالم .

لكن قوى البرتغال ، على أية حال ، بدأت تظهر عليها أعراض الوهن ، ويفسر البعض هذه الحقيقة « بستين عاماً من الاستسلام لاسبانيا» ويقصدون تلك الفترة التي بدأت كما اشرنا في سنة ١٥٨٠ ولم تنته إلاّ في ١٦٤٠ ، فالحكومة الاسبانية التي كانت قائمة في تلك الايام ، والتي كانت تسيطر على السياسة البرتغالية الخارجية ، كانت حكومة مركزية ومتحيزة وغير رشيدة ، وكانت على حد تعبير النظريات الاقتصادية السائدة في ذلك العصر – تنزع الى التضحية بكل شيء في سبيل تكديس التوابل والبهار .

مكانة الهولنديين :

ولم يكن الهولنديون – في سنة ١٦٠٠ – قد ظهروا بعد على مسرح الاحداث في الخليج ، لكن نجاحهم في نضالهم الطويل من أجل الاستقلال عن اسبانيا أخذ يشجعهم على صرف انتباههم الى جزر الهند الشرقية ، ووضعت اسس الشركة الهولندية للهند الشرقية ، التي لم

تؤسس رسمياً الا سنة ١٦٠٢ ، في امستردام سنة ١٥٩٥ ، وفي ١٥٩٦ و ١٥٩٧ وفدت الى الهند بوادر النقمة التي حاقت بكبرياء البرتغاليين وجشعهم في صورة سفينتين من سفن الهولنديين .

مكانة الانجليز وتأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية :

أما انجلترا ، التي حققت امنها القومي بانتصارها على اسطول الارمادا الاسباني في سنة ١٥٨٨ ، والتي أصبحت الآن أعظم دولة بروتستنتية حرة في اوربا ، فقد بدأت مرحلة من المغامرات والنشاط التجاري ، ففي آخر يوم من أيام سنة ١٦٠٠ تأسست شركة الهند الشرقية الانجليزية بمرسوم ملكي باسم «رئيس واعضاء شركة لندن للتجار المتاجرين في جزر الهند الشرقية » ، وكان عدد المساهمين الاصليين ٢١٧ مساهماً ورأس المال المدفوع ٦٨,٨٧٣ جنيهاً انجليزياً . وكان بعض الافراد من التجار قد اكتشفوا وعرفوا حقيقة الوضع التجاري في الشرق ومن بين هؤلاء نيوبري وفتش ورفاقهما ممن عرضنا من قبل لرحلتهم في سنة ١٥٨٣ .

تاريخ الخليج من تكوين شركة الهند الشرقية الانجليزية سنة ١٦٠٠ الى طرد البرتغاليين من هرمز فى١٦٢٢م

« الاحداث السابقة لتأسيس أول وكالة تجارية فى الخليج من ١٦٠٠ ـ ١٦١٦ »

كذلك كان الموقف العام سنة ١٦٠٠ والآن نستطيع ان نعرض باختصار مجرى الاحداث التي انتهت بانشاء وكالة تجارية في الخليج سنة ١٦١٦م .

رحلة سير انطوني شيرلي الى ايران ثم بعثته الى اوربا ـ١٥٩٩ـ١٦٠١ :

لعب الاخوان شيرلي دوراً هاماً في التمهيد للنفوذ الانجليزي في ايران ،

وهما اخوان مغامران من اسرة طيبة في سوسكس ، لم يكن ولاؤهما لوطنهما ، أو على الاقل لملكهما ، يخلو من الشبهة لكن جهدهما كان عظيما . وقد اسفر في النهاية عن فوائد جمة لسمعة انجلترا في المشرق .

في سنة ١٥٩٩ بدأ سير انطوني شيرلي ، وكان قد حصل على لقب فارس في سنة ١٥٩٧ ، رحلته بتوجيه من ايرل ايسكس ولكن دون تعليمات رسمية ، الى بلاط الشاه عباس الاول شاه ايران ، مستهدفاً قبل كل شيء محاولة اقناع الشاه بالاستعانة باوربا المسيحية ضد الاتراك من ناحية ، وتنظيم انشاء تجارة انجليزية على اسس مرضية في الشرق من ناحية أخرى ، وصحبه في رحلته هذه أخوه الاصغر روبرت وغيره آخرون سافروا الى ايران براً عن طريق بغداد واستقبله الشاه اولا في قزوين ، ويبدو أن اول نتيجة لمساعي سير روبرت كانت صرف الشاه عباس سفيراً تركياً كان قد قدم ليتفاوض في اقرار السلم بين تركيا وايران ، بجواب غير ودي . ثم أصدر الشاه نفسه فرماناً بفتح ابواب ايران أمام التجار المسيحيين من كل الدول مستثنياً اياهم من الاجراءات القضائية التي يخضع لها المواطن الايراني مع ضمانة صيانة املاكهم والتحفظ عليها في حالة الوفاة (١) ، وعاد سير انطوني بعدها الى اوربا في مهمة عامة — لعله هو الذي اقترحها بنفسه — مندوباً عن الشاه الى جميع امراء الدول المسيحية وزار لهذه المهمة روسيا والمانيا وايطاليا واسبانيا لكنه لم يزر انجلترا ، وعلى أية حال فلم تكن لمهمته هذه نتائج تذكر ، وقد سبب شخص ايراني كان الشاه عباس قد ارسله مرافقاً لسير انطوني كثيراً من المتاعب لإصراره على أنه هو السفير الفعلي ، لكن الشاه امر باعدام

---

(١) يظن ان هذا الفرمان قد صدر فى سنة ١٥٩٩ ، ولكن اذا كان سير انطونى شيرلي هو الذى حصل عليه ، فالارجح أن يكون تاريخه ١٦٠٠ ، أنظر تقويم أوراق الدولة (جزر الهند الشرقية، ١٥١٤ — ١٦١٦ ص ١٠٣) لكن جوهر هذا الترخيص موجود بتفصيل أكثر فى كتاب مالكولم عن تاريخ ايران ، المجلد الثانى صفحات : ٥٣٥ — ٥٣٦ .

هذا الرجل بمجرد عودته لايران من روما ، وقد اتخذ سير انطوني ، الذي يبدو ان الحكومة الانجليزية ارتابت في ولائه لها ، من اسبانيا مكاناً لاستقراره بعد انتهاء مهمته متجاهلا امراً من حكومته بالعودة لبلاده ، حيث ظل مقيماً باسبانيا حتى مات في سنة ١٦٣٠ .

أعمال روبرت شيرلي في ايران وبعثته لاوربا :

وبقي روبرت شيرلي في بلاط الشاه بعد رحيل شقيقه الاكبر الى اوربا ضيفاً على الشاه في ظاهر الامر ، لكن الشاه بعد مرور فترة لم يتلق فيها أية أنباء عن سفارة سير أنطوني — أعرض عن روبرت شيرلي ولم يعره الاهتمام الذي بدأت به علاقته معه ، لكن هذا الرجل الانجليزي استطاع بما قدمه من خدمات هامة للشاه ضد تركيا ان يستعيد مكانته عنده ، كما استطاع ان يضمن ايقاع القصاص كما ذكرنا انفاً ، على المندوب الايراني الذي صحب شقيقه الى اوربا ، واخيراً في سنة ١٦٠٨ أو ١٦٠٩ ارسل الشاه عباس روبرت شيرلي نفسه الى اوربا ، كما ارسل شقيقه من قبل لهدف تكوين وتعزيز روابط الصداقة بين ايران والدول الاوربية ، وليعلن لهذه البلدان عزم الشاه على تدمير الاتراك ، وتقديم حدوده الى حيث تجاور حدود الدول المسيحية . وبعد ان زار روبرت شيرلي بولندا والمانيا سنة ١٦٠٩ وايطاليا سنة ١٦١٠ ، قصد اسبانيا حيث راح يشرح خطة لتحويل تجارة الحرير الايراني عن طريق البر الذي تفيد منه تركيا الى ميناء هرمز او أي ميناء قريب منه على الخليج ، لكن هذا الاقتراح قوبل بفتور في البلاط الاسباني ، ثم توجه الى انجلترا واستطاع ان يحظى بلقاء الملك جيمس في قصر هامتون في ١٢ أكتوبر ١٦١١ حيث عرض على جلالته مهمته ، وقدم اليه خطابات موقعة من الشاه يبدي فيها اخلاصه ومحبته ورغبته العميقة في اقامة علاقات المودة مع ملك بريطانيا العظمى . مع عرض صريح بحرية التجارة « لكل رعايا صاحب الجلالة في جميع انحاء الارض الايرانية .. الخ » وخلال اقامة روبرت شيرلي في انجلترا وضعت زوجته تريزا — وهي سيدة جركسية

منحها له الشاه عباس ليتزوجها – طفلا أصبحت ملكة انجلترا أُما له بالعماد والامير هنري ابا ، لكن مفاوضاته السياسية فشلت ، فقد كان ثمة شك حول سمعة بعثته هذه ومدى صلاحيتها ، كما ان تجار الهند الشرقية عارضوا مشروعاته لتخوفهم من أنها قد تفضي الى اضطراب التجارة مع تركيا ، وفي النهاية ترك شيرلي – الذي أصبح سير روبرت شرلي – انجلترا دون ان يحقق شيئاً . وكان سير توماس رو الذي لعب فيما بعد دوراً هاماً في تنمية تجارة انجلترا مع الشرق شاهداً لمناورات شيرلي هذه وقد أصبح رايه فيه انه « ليس مخلصاً فحسب ولكنه ماكر أيضاً » وأخيراً في يناير سية ١٦١٣ أبحر شيرلي من دوفر الى ايران يصحبه سير توماس باول – الذي كان يتولى منصباً عسكرياً تحت امرة الشاه عباس – على ظهر سفينة الشركة الهندية « اكسبدشن » بأمر من الملك جيمس . ويبدو انه كان يحمل خطابات مجاملة ملكية للشاه عباس ، وتمت الرحلة في جو عاصف جعلها تقطع المسافة من دوفر الى الساحل الجنوبي للجزيرة العربية في ٢٨ يوماً . وحالت هذه الظروف دون ان ترسو السفينة في مدخل الخليج كما كان مقدراً لها وكادت تنجح خطة حاكم جوادر – الذي كان متمرداً على الشاه عباس – في الاستيلاء على السفينة . لكن شيرلي استطاع اخيراً في سبتمبر ١٦١٣ ان يهبط على ساحل السند . وبعد زيارة قام بها لامبراطور المغول جاهنجير في أجمير عاد براً الى عاصمة الشاه .

شركة الهند الشرقية الانجليزية تؤسس مركزاً لها في الهند ١٦٠٠ – ١٦١٣ :

في نفس الوقت ، بدأت شركة الهند الشرقية في تثبيت اقدامها في الهند ، فبين سنتي ١٦٠٠ ، ١٦١٢ خرج ١٢ اسطولا تجارياً بأموال المساهمين في هذه الشركة ، وفي سنة ١٦٠٨ وصلت اول سفينة انجليزية الى سورات ، وكان قبطانها ويليام هوكنز يحمل خطاب توصية من الملك جيمس ، فاحسن امبراطور المغول استقباله في البداية لكنه

سرعان ما طرده من البلاد نتيجة مؤامرات البرتغاليين ، وفي نفس السنة لم يستطع سير هنري ميدلتون – قائد الرحلة السادسة ان يحصل على تصريح بالتجارة في سورات ، فأخذ معه هوكنز وانتقم لنفسه من تجار سورات في البحر الاحمر ، وفي سنة ١٦١٢ استطاع توماس بست – الذي وصل يقود اسطولا آخر ان يحصل على اتفاقية تجارية من السلطات المحلية في سورات وعززت بفرمان صادر عن امبراطور المغول وبعدها بقليل ، في يناير ١٦١٣ انشئت وكالة تجارية انجليزية في سورات تحت اشراف توماس اولدورث .

بعثة ستيل وكروثر الى ايران – ١٦١٥–١٦١٦ :

ولم يكن استهلاك السوق المحلي في الهند كافياً ليخلص وكالة سورات من كميات الجوخ الكبيرة التي استوردتها من انجلترا واضطر اولدورث للبحث عن اسواق أخرى ، فوجه اهتمامه نحو البحرين وايران ، وكان مرشده الاول في ذلك ريتشارد ستيل وهو تاجر في ايران جاء الى الهند يطارد مديناً فر منه ، وربما يكون اولدورث قد تأثر ايضاً في ذلك بروبرت شيرلي الذي قال لكيردج – احد العاملين في الشركة – انه « سيستقدم الهولنديين الى ايران اذا لم يأت اليها الانجليز » لذلك قام ستيل بنفسه سنة ١٦١٥ ، ومعه وكيل يسمى جون كروثر سير روبرت شيرلي ، بالسفر الى اصفهان براً عن طريق أجمير وذلك بهدفين : اولا جمع مزيد من المعلومات عن التجارة الايرانية ، ثم التماس استصدار فرمان من الشاه « بتأمين مرور رجالنا وسفننا وبضائعنا في كل الموانىء التي تصل اليها » .

وكان واضحاً ان القصد هو طلب ترتيبات خاصة للمتاجرة مع ميناء جاشك . ولقد نجح رائدا التجارة الانجليزية هذان في مهمتهما فاستصدرا فرماناً من الشاه عباس وصلت نسخة منه الى اجمير في ١٠ فبراير ١٦١٦ تأمر حكام الموانىء والمدن الساحلية في ايران باستقبال ومعونة كل سفينة انجليزية تصل الى احدها ، وظل هذان مقيمين في ايران يراسلان الشركة

خلال قسم على الاقل من سنة ١٦١٦ .

سفارة سير توماس رو الى الهند — ١٦١٥ — ١٦١٨ :

وحين كانت هذه البعثة التمهيدية تمضي في طريقها اتخذت شركة الهند الشرقية في لندن خطوة ذات طابع آخر ، فقد تعلم المسؤولون عنها من خبرتهم ان مصالحهم التجارية في الهند انما تخدم ولا شك باقامة ممثل دبلوماسي للملك انجلترا في بلاط امبراطور المغول ، فالتمسوا ان يكون سير توماس رو ، وهو رجل ذو قدرة فائقة ، وعلى بعض الخبرة بالاسفار وبلاطات الملوك ، سفيراً للملك انجلترا في بلاط امبراطور المغول ، وقد اجيبوا الى طلبهم هذا فوراً ووصل السير توماس رو الى اجمير في ديسمبر ١٦١٥ ، وبالنظر لعدم وجود وكيل للشركة هناك فقد تولى هو فتح نسخة فرمان الشاه عباس المذكورة آنفاً والرسائل المرفقة بالفرمان من ستيل وكروثر .

حالة البرتغاليين والاسبان ١٦٠٠ — ١٦١٦ :

في هذه الاثناء كانت هيبة وقوة البرتغاليين في الشرق — وهم كانوا يمثلون اسبانيا والبرتغال معاً كما أشرنا — أخذة في التناقص والاضمحلال . وفي سنة ١٦٠٤ — حين قام تكسير برحلته مصعداً في الخليج — كان البرتغاليين في وضع سيء على طول الساحل الفارسي من الخليج نتيجة الغارات المتكررة التي كانت تقوم بها سفنهم ، كما ان سفنهم التجارية كانت أعجز من ان تحمل لهم الامدادات الكافية هناك وكانت نخيلوه وريق بالذات من المناطق المعادية لهم بلا ريب ، لكنه كان باقياً لهم مع ذلك بعض النفوذ بحيث كان على قوارب الاهالي المتوجهة من بوشهر الى ريق الحصول على اذن من البرتغاليين .

وفي ١٦١٢ ، ١٦١٥ هزم الانجليز اساطيلهم حين التقوا بها تجاه ساحل سورات ، وبدأت الشكوك تساور حكومة المغول في قدرة

البرتغاليين ، ومدى سيطرتهم على البحر ، كما ان سمعتهم البحرية في الخليج ايضاً كانت اخذة في الاضمحلال فحوالي سنة ١٦٠٢ طردهم شاه ايران من البحرين ، وحوالي سنة ١٦٠٨ حاصرت قوات الشاه مراكزهم في هرمز وتعرضوا بعدها لعسر شديد .

وفي سنة ١٦١٣ حاول خان لار ان يستعيد بندر (١) عباس التي كان البرتغاليون يسيطرون عليها فيما مضى ويعززونها كوقاء ضد محاصرة هرمز من البر وبدأت قواتهم في مهاجمة قوات الخان ، لكن السفينة التي كانت تقل قائدهم اشتعلت فيها النار فانفجرت، غير ان خلفه في القيادة واصل هذه العمليات حتى هزم اعداءه . وقد اعتذر الشاه لنائب ملك البرتغال في الهند عن عمل خان لار الذي أكد أنه عمل غير مسئول . لكن البرتغاليين لم يحتفظوا ببندر عباس الا الى سنة ١٦١٥ حين طردهم منها الايرانيون بعد حصار دام بعض الوقت .

وفي مارس ١٦١٦ هاجم البرتغاليون بمساعدة احدى القبائل المجاورة موقع صحار على ساحل عمان واستولوا عليه ، وكان هدفهم من ذلك تحطيم الميناء الذي ينافس هرمز ومسقط ، وبالتالي يقلل عائداتهم من الضرائب ، وقد قتل الشيخ محمد حاكم صحار في المعركة واسر اخوه ثم أعدم ، كما أخل البرتغاليون أيضاً بشروط الاستسلام ، بقتلهم حامية المدينة أثناء جلائهم عنها .

---

(١) بندر عباس ينسب اسمها الى الشاه عباس الاول ، الذى انشأها فى ذلك الوقت ، ربما لمنافسة هرمز ، أما الاوربيون فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فقد كانوا يعرفونها باسم جمبرون أو كوموران ٠٠ الخ ، وهذه التسمية ـ كما يقول هاميلتون ـ (انظر : وصف جديد لجزر الهند الشرقية ، المجلد الاول ص ٩٢) اطلقت عليها للمرة الاولى على سبيل السخرية من جانب البرتغاليين ، فهى تعنى فى لغتهم « برغوث البحر أو الجمبرى » وثمة تفسير آخر يربط هذا الاسم بالكلمة الفارسية « جميوك » التى تعنى ضرائب جمركية ٠

وفيما كانت المعارك مستمرة في الخليج بين البرتغاليين والايرانيين لم تنقطع السفارات بين بلاط أصفهان ومدريد . ففي سنة ١٦١٣ عاد الى الشرق دانش بك سفير ايران في اسبانيا فاستقبلته السلطات البرتغالية في جوا وفي كل مكان آخر في طريقه الى ايران بالتكريم والتعظيم ، ولكن نتيجة مهمته كان لا بد لها ان تكون مخيبة لامال الشاه ، لانه امر باعدام الرجل فور وصوله ، وكان ثمة أسقف اسباني صحب دانش بك في عودته للشرق كي يبشر بالمسيحية في ايران ، لكنه حين احس بالنتائج السيئة التي ترتبت على فشل السفير الايراني التزم الحكمة وبقي في هرمز .

وبعدها بقليل ، وضح ان الشاه عباس متلهف الى التوصل الى ترتيب ما مع احدى الدول الاوروبية بشأن تجارة الحرير ، فاقترح ان يرسل اليه الاسبان رجلا ذا قيمة يتفاوض معه بدل هؤلاء الكهنة الذين يرسلون اليه « لانه اقدر على التفاهم مع مثل هذا الرجل بما يرضي جلالته ويرضي الله أكثر من هؤلاء الكهنة » .. فعنده ان « رجل الدين متى خرج من صومعته أصبح كالسمكة التي اخرجت من الماء ... » واستجابت اسبانيا لدعوته وارسلت دون جارسيا دي سيلفا فجيورا محملا بهدايا قيمة ومصحوباً بحاشية ضخمة . على ان هذا السفير لم يتمكن من جراء الاعمال العدائية التي كان الشاه عباس يقوم بها ضد البرتغاليين في الخليج خاصة بعد طردهم من بندر عباس سنة ١٦١٥ ، من التقدم الى ابعد من جوا إلا في السنة التالية على ما يستفاد من احسن المصادر .

العلاقات بين ايران وتركيا :

كان الاتراك خلال الفترة الاولى من حكم الشاه عباس السابقة على سنة ١٦٠٠ ، يسيطرون على جزء كبير من ارض ايران يشمل تفليس وتبريز بل ونهاوند ايضاً شرقي كرمنشاه ، وبعد سنة ١٦٠٠ اعد الشاه عدته بنجاح لاستخلاص هذه الارض الضائعة فحرر نهاوند في سنة

١٦٠٢ ، ثم طرد الاتراك من تبريز في ١٦٠٣ وكانوا يحتلونها منذ ١٧ عاماً ، ثم حاصر بغداد واريفان في ١٦٠٥ ، وفي نفس السنة دبر الشاه انسحاب قواته من اقليم بغداد ليوقع الهزيمة بالجيوش العثمانية في معركة هائلة اصيب فيها سير روبرت شيرلي الذي كان يحارب في صفوف الايرانيين بثلاثة جروح ، وفي ذلك الوقت كانت أصفهان عاصمة ايران ، وكانت للشاه حامية في بو شهر على الخليج .

تأسيس أولى الوكالات التجارية الانجليزية فى ايران سنة ١٦١٦ ـ ١٦١٧

أثار وصول الفرمان الذي حصل عليه ستيل وكروثر مناقشات فورية عما اذا كان يجب ، وما هي الطريقة التي يجب بها الانتفاع من الامتيازات التجارية التي كفلها الشاه لحساب شركة الهند الشرقية .

سياسة سير توماس رو الحذرة ـ ١٦١٥ ـ ١٦١٦ :

فقبل وصول هذا الفرمان ، وبعد ان بدأت تناقش قضية فتح باب المتاجرة مع ايران ، سلك سير توماس رو مسلكاً حذراً فاقترح اجراء دراسة مستفيضة للتجارة في ايران ، واقترح ايضاً ان يسافر كمبعوث للملك جيمس الى اصفهان كي يباشر بنفسه هذه الامور ولم يغير وصول الفرمان من رأيه شيئاً لانه كان يراه ضئيل النفع ما دام لم ينص على انشاء ميناء محصن للانجليز في الخليج ، ولانه لم يحو اي تأييد بتحويل التجارة الى ميناء جاشك او غيره من الموانىء التي يستطيع الانجليز استخدامها وكان ايضاً يرى ان الوقت غير ملائم للقيام بمغامرة في ايران طالما ان السير روبرت شيرلي قد ترك ايران موخراً كسفير للشاه لدى ملك اسبانيا ومعه تعليمات بأن يرتب الامور مع البرتغاليين والاسبان بحيث يسمح لهم باحتلال وتعزيز بندر عباس وغيره من الاماكن على الساحل ،

وأن يقوموا بشراء كل المعد للتصدير من البضائع الايرانية ، وان يسيروا كل سنة اسطولا تجارياً للخليج يحمل التوابل والبهار والكتان الهندي ، ولم يكن احد يستطيع التنبوء بنتيجة سفارة سير شيرلي ، فهي لو نجحت لكان ذلك يعني حبوط عمل الشركة كله ، في تلك الظروف .

لقد حاول رو ان يقنع الوكالات بالعدول عن اتخاذ أية خطوة حاسمة في مثل تلك الظروف لكنه في نفس الوقت نشط لاحباط خطط سير شيرلي فكتب الى الشاه يشكره على الفرمان الذي منحه لستيل وكروثر مبيناً ان مفاوضاته مع الاسبان لا تتفق ونصوص الفرمان ، الذي يكفل حرية التجارة لسائر المسيحيين كما لمح الى ان منح الشاه لدولة أخرى احتكار التجارة قد يضطر الانجليز لاستخدام القوة ، وفي هذا ما يهدد الامن في الخليج .

قرار وعمل الوكالات خلافاً لاراء سير توماس رو ١٦١٦ :

على ان الوكالات التجارية في سورات ، وهي كانت ترى الامر كله مشكلة تجارية لا تقع في اختصاص سير توماس رو ، كانت لها وجهة نظر أخرى .

كانت ترى الفرصة سانحة بسبب غياب شيرلي في ايران لانه كان في تقديرها لا يعدو كونه اما عدوا كثير الشغب ، أو صديقاً باهظ النفقات ، كذلك فانها رأت ان استمرار الحرب بين ايران وتركيا وما نجم عنها من تشويش لسير الاتصال باوروبا ، لا بد ان يوءدي بالضرورة الى توفير الحرير في ايران وجاشك ، وندرة المنسوجات فيهما ايضاً .

وبرغم انهم كانوا يدركون ضآلة أهمية هذين المكانين الا انهما كانا يوفران فرصة لا بأس بها لتصريف الفائض المتراكم من الاقمشة في سورات ، دون ان يكلف ذلك أية نفقات اضافية تتحملها الشركة .

ورفضت الوكالات رأي سير رو المعارض لها ، مع ملاحظة تقول :

« اننا نحترم ا راء سيادته في أشياء اخرى ، لكننا بالنسبة للتجارة وشؤون التجار نرى ان رأي سيادته قد جانبه الصواب الى ابعد الحدود ، كما انه لم يكن على أقل من ذلك المستوى من الخطأ فيما يتعلق بالاستثمار في ايران » ..

وبدأت الوكالات بالتالي تستبق موافقة الشركة الرسمية باجراءات من عندها ، فعينت ادوارد كنوك مشرفاً على بعثة تجارية لايران تقوم بدورها بانشاء وكالة او وكالات تجارية فرعية في هذ هالبلاد ، وكانت تعليماتها اليه تقضي بالنزول في جاشك ، على ان يجري نقل الحمولة التي تنزل هناك مباشرة الى مكان آخر يكون أكثر اماناً في وجه البرتغاليين ، وكان على كنوك نفسه ، ومعه خطاب من الملك جيمس الى جانب الهدايا المناسبة ، ان يسافر باقصى سرعة يستطيعها الى الشاه في أصفهان ، وهناك يبذل كل جهده في الحصول منه على الامتيازات ، وقد اتخذت الوكالات في سورات هذا القرار الخطير في اكتوبر ١٦١٦ ، ولم تضيع لحظة واحدة في تنفيذه .

سفر البعثة على السفينة جيمس الى جاشك . نوفمبر ١٦١٦ :

وفي ٨ نوفمبر ١٦١٦ ابحرت السفينة جيمس يقودها القبطان الكسندر تشيلد من سورات متجهة الى جاشك ، وعلى ظهرها حمولة طيبة من البضائع وهيئة بعثة الشركة الى ايران وهم على وجه التحديد : ادوارد كنوك رئيس البعثة ، توماس باركر نائب الرئيس ثم جورج بلاي وادوارد بيترز ووليام بل ووليام ترايس ومانيو بيول وكلاء . والقت السفينة مراسيها في جاشك في ٤ ديسمبر ١٦١٦ وواصلت البعثة سيرها الى ميناب حيث عرض أفراد البعثة فرمانهم على ذو الفقار خان ، الحاكم الايراني المحلي ، ونقلت البضائع الراسية في جاشك براً الى ميناب على ظهور الجمال التي قدمها الحاكم ، وتولى حمايتها من البرتغاليين . وفي ٢٠ يناير ١٦١٧ ، عادت السفينة جيمس مبحرة الى

سورات ، وبقي افراد البعثة في ايران لتنفيذ مشروعاتهم . وكان رأس المال الذي حملوه معهم الى جاشك بقيمة ٦٣٣٣ جنيهاً انجليزياً و ١٥ شلناً و ١١ بنساً ، منها مبلغ ٥٥٠ جنيهاً نقداً .

عمل سير توماس رو ١٦١٦ – ١٦١٧ :

وبذل سير توماس رو – والحق يقال – كل ما في وسعه لانجاح مسعى الشركة رغم انه لم يكن موافقاً على ما ارتآه وكلاؤها ورغم أنه لم يخف رأيه هذا . ولهذا السبب التقى في ٣ يناير ١٦١٧ بالسفير الايراني في بلاط المغول ، وشرح له وضع التجارة .. والمطالب التي يرجى تحقيقها والبضائع المهداة الى سيده ، ووفاء الانجليز بالتزامهم بهذه السفينة التي جاءت الى اياسكس حسب فرمان الشاه ، كما انه اقنع السفير بوجوب تنبيه الشاه الى الخطر الذي قد ينجم عن توقيعه اتفاقية شاملة مع اسبانيا ، وبعدها بعدة ايام كتب الى مراسله في أصفهان ، وهو صائغ انجليزي يسمى ويليام روبنس يطلب منه ان يشرح للشاه ان هدف البعثة الى جاشك لم يكن تأسيس مستوطنة هناك ، بل كان الافصاح عن استعداد الشركة لخدمة تجارة ايران ، وان يعتذر للشاه عن ضآلة الحمولة المقدمة ويوضح له ان مطالب الانجليز هي :

١ – ميناء مفتوح لهم وحدهم او لكل الدول دون تمييز ، ليستطيعوا ان ينزلوا فيه بضائعهم في ظل الامتيازات التي تمنح في مثل هذه الحالات .

٢ – بعض الاجراءات لتثبيت أسعار الصادرات والواردات التي يمكن تبادلها هناك .

٣ – اقامة سوق رئيسي على الساحل او قريباً منه ، ينقل اليه حرير الشاه لاعتبارات تجارية .

وقبل ان تقلع السفينة جيمس من سورات ، كتب سير توماس الى المسؤولين في انجلترا ينبئهم بالسياسة التي ينوي انتهاجها ، واقترح

توجيه انذار لاسبانيا مؤداه ان اية محاولة من جانبها لاستبعاد الدول الاخرى من التجارة في الخليج ستعتبر من جانب انجلترا عملا مبرراً لاشهار الحرب .

وحوالي شهر اكتوبر سنة ١٦١٧ ، تلقى سير رو تعليمات من الشركة في لندن ترسم له سياسة حريصة وحذرة تقارب الخط الذي كان انتهجه هو نفسه ، كما تلقى خطاباً من الملك جيمس يقره فيه على جهوده لفتح باب المتاجرة مع الشاه ، ويخوله فيه صلاحيات اتمام وعقد معاهدة تجارية بين الشاه وبينه « لخير ايران وخيرنا وللمصلحة المتبادلة بين رعايا الدولتين وبلديهما دون ان تنتظر بالنسبة لهذه الاتفاقيةتعليمات أكثر من التصديق عليها ... فانت تستطيع اتمامها جميعاً باسمنا » .

رحلة البعثة الى شيراز . يناير — ابريل ١٦١٧ :

وبعد اقلاع السفينة جيمس ، تعطلت البعثة زمناً في ميناب بسبب حاكمها المرتشي ، الذي يبدو انه — بعد ان تلقى هدايا البعثة — قد قبل رشاوي من جانب البرتغاليين ليعطل تقدمها ابعد من ذلك ، لكن كنوك مضى الى شيراز ليقابل كبار المسؤولين ، واخيراً سمح للبعثة بالتحرك فوصلت الى لار في ١١ مارس ، وفي الثاني من ابريل وصلت الى شيراز حيث استقبلها الحاكم استقبالا حسناً ، لكن كنوك تركها في ذات الوقت منطلقاً الى اصفهان سعياً لمقابلة الشاه .

اقامة وكالة في شيراز والشقاق بين اعضاء البعثة . ابريل—مايو١٦١٧:

وبدا أن شيراز مكان مناسب لاقامة وكالة ، ووفق ما كان وارداً في تعليمات البعثة ، تولى باركر الوكالة مع بيل ورأى ان يعتبر نفسه في المستقبل مستقلا عن سلطة كنوك ، ومن ذلك الوقت فصاعداً بدا يحدث شقاق خطير بين المسؤولين الاولين عن البعثة من جهة ، وباركر من الاخرى . وكان مفروضاً في باركر ان يقف الى جوار كنوك ، لكنه بخلاف ذلك بدأ يقيم العراقيل في وجه رئيس البعثة بكل وسيلة يستطيعها ،

لكن أغلب الوكلاء على أية حال ــ ظلوا على ولائهم لكنوك .

تأسيس وكالة في أصفهان ــ ورحلة كنوك الى مقر الشاه . يونيو أغسطس ١٦١٧ :

وفي الايام الاولى من يونيو ١٦١٧ ، وصل كنوك الى أصفهان يصحبه ثلاثة من أعضاء بعثته ، حيث افتتح وكالة ثانية ، وفي نهاية الشهر نفسه كان كنوك يتهيأ لمغادرة أصفهان الى معسكر الشاه ، لكنه لم يستطع ان يمثل امامه الا في اوائل أغسطس حيث لحق به في مكان ما على الحدود التركية يبعد عن أصفهان مسيرة ٢٥ يوماً ... ولم يكن في صحبة كنوك اذ ذاك سوى الصائغ روبنز الانجليزي . ثم تبعه تراس ومعه الهدايا للشاه . لكن خطاب الملك جيمس الى الشاه ، وان كان حقيقياً ، كان مكتوباً منذ مدة طويلة كما حرر معظمه في الهند على ورق ممهور بالخاتم الملكي ، مما اقلق كنوك ، ورغم ذلك ، ورغم الشكوك التي القاها راهب اسباني كان قدسبق كنوك لمقابلة الشاه على حقيقة الخطاب ، الا ان الخطاب اعتمد، كما استقبل الشاه اولئك المبعوثين الانجليز استقبالا ودياً طيباً للغاية ، بل ان الشاه الايراني (١)ذهب لابعد من ذلك فوصف جيمس بأنه « شقيقه الاكبر » وشرب نخبه كأساً مترعة من النبيذ ، ووعد بأن يقدم للانجليز ميناء جاشك او سواه من الموانىء التي يطلبونها ، وهكذا حصل كنوك على « ضمان الامتيازات » التي ذهب ليتفاوض بشأنها وأصاب في ذلك نجاحاً باهراً .

فرمان الشاه عباس الأول ــ ١٦١٧ :

وتضمن فرمان الشاه (٢) اقامة سفير انجليزي بصفة دائمة في البلاط

---

(١) يعزو كنوك ما فعله هذا الرجل الى تدبير من جانب باركر .

(٢) يبدو أن نص هذا الفرمان لم يصل الينا ، غير أن أهم ما جاء فيه متضمن في فرمان ثان (١٦٢٩) اصدره الشاه الصفوي (أنظر .. الخطابات التى تلقتها شركة الهند الشرقية ، المجلد الاول ، قسم ٦ ، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٧) .

الايراني ، وارسال سفير ايراني الى البلاط الانجليزي حين تيسر الظروف ذلك ، كما اباح الفرمان حرية البيع والشراء لكل الرعايا الانجليز في جميع انحاء ارض ايران ، ومنحهم الحق في اقامة شعائرهم الدينية ، وفي حيازة الاسلحة واستخدامها عند الضرورة كحالة الدفاع عن النفس، لذلك منح السفير الانجليزي حق تعيين الوكلاء والمفوضين ، وان تقدم السلطات الايرانية لهم العون وتعاملهم باحترام كاف ، واذا ارتكب أحد الرعايا الانجليز جريمة ما فحق عقابه موكول للسفير الانجليزي ، وفي حالة النزاع بين احد الرعايا الانجليز ومواطن ايراني ، وفي الحالات التي تتجاوز القيمة المتنازع عليها ٢٠ توماناً ، يكون من حق السفير الانجليزي ان يفصل في النزاع ، بمعونة القضاة الايرانيين بطبيعة الحال ، اما المنازعات الصغيرة فتوكل الى السلطات المحلية الايرانية للفصل فيها ، وفي وقت اصدار هذا الفرمان كتب الشاه عباس « خطاباً رقيقاً جداً » للملك جيمس .

أعمال سير توماس رو :

وكان سير توماس رو في الهند ما زال يعلن سخطه على البعثة الايرانية التي يرئسها كنوك ، اعتماداً على المعلومات التي كانت تصله من باركر ، وكان ينعى عليهم تحويل افضل ما في الشركة من بضائع الى ايران ، ويهون من شأن نصائح كنوك ، الذي لم ير فيه ابداً « رجلا رشيداً »... والذي كان يشك في أنه بسبيله الى اعتناق الكاثوليكية .. بل وربما الاسلام ، وكانت تهمته الاساسية لكنوك فيما يبدو انه اتخذ لنفسه سمة السفير ، ويبدو أنه بالفعل كان قد وضع نفسه مكان « حامل رسالة الملك » لعقيدة عنده مؤداها ان الشاه لم يكن لينزل الى مستوى التفاوض معه ، في قضايا السلم وعلاقات المودة ، لو عرف انه ليس سوى وكيل تجاري يمثل شركة الهند الشرقية ، كما انه اتهم ايضاً بتبديد بضائع الشركة ، ولا شك في ان الشكوك التي ثارت بالنسبة لكنوك قد عززها أن احداً لم يتلق منه اية انباء ، فالخطابات التي كتبها من أصفهان في مايو

١٦١٧ لم تصل الهند حتى سنة ١٦١٨ ، وفي اكتوبر ١٦١٧ اقترح رو ارسال سفينة لمعرفة اخبار كنوك ، كما انه ايضاً اصدر تفويضاً يخول كنوك ، وباركر ، وبلي ، وبل عقد معاهدة تجارية مع الشاه على اسس معينة كما نصح لوكلاء سورات التجاريين الذين كان توماس كيريدج رئيساً لهم اذ اذك بعدم ارسال مزيد من البضائع الى ايران طالما بقي نجاح البعثة امراً مشكوكاً فيه .

سفر بعثة جديدة برئاسة مونوكس – نوفمبر ١٦١٧ :

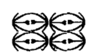
وعهد سير توماس رو برئاسة البعثة الجديدة الى ادوارد مونكس ، وقد ابحرت هذه من سورات في ١٤ نوفمبر على السفينة بي ، ولدى وصولها الى جاشك في ٦ ديسمبر وجد مونوكس كلا من كنوك وتراسي ، هناك لكن بلي كان قد مات منذ ايام قليلة . اما كنوك فقد سمع ان قافلة كبيرة تحمل الحرير قد احتجزت في ميناب فاسرع نحوها لكنه مرض في الطريق ومات في جاتان بمنطقة بيابان ، وبعده بايام قليلة مات تراسي أيضاً . ومن عجب ان الكيفية التي مات عليها كنوك قد اثبتت واحداً من الاتهامات التي كان وجهها اليه توماس رو لانه اعلن في احتضاره أنه يموت كاثوليكياً . وقد عادت السفينة بي الى سورات في يناير ١٦١٨ وهكذا ، وفي نهاية المطاف ابتهجت السلطات في الهند لمعرفتها بالنتائج التي حققتها البعثة .

أعمال البرتغاليين خلال هذه الاحداث ١٦١٦ – ١٦١٧ :

وفيما كانت البعثة الانجليزية ترسخ جذورها في ايران ، كان البرتغاليون منهمكين في محاولات فاشلة لاستمالة الشاه عباس اذ كانوا على حق في التوجس من انه يضع الخطط لطردهم من هرمز ، اما الشاه فاستمر من جانبه يعامل البرتغاليين كالمألوف من حيث احتكارهم تجارة الحرير ، وفي سنة ١٦١٦ وصل روبرت شيرلي الى الهند ممثلا للشاه ووقع معاهدة سلام مع نائب الملك في جوا ، ثم غادرها الى اسبانيا،

حوالي نهاية العام ليسوي مشكلة احتكار الحرير ، ولكنه رغم بقائه في مدريد حتى سنة ١٦٢٢ ، لم يحقق اية نتائج . وقد ادت استعادة السلام رسمياً الى تمكين السفير دون جارسيا دي سلفيا - الذي كان مقيماً في جوا منذ سنة ١٦١٥ - من مواصلة عمله ، فقام في ابريل بعد ١٦١٧ بالمرور بهرمز مسبباً لكنوك كثيراً من المتاعب فلم تكن مفاوضات ما قد بدأت بعد ، ثم استقبله الشاه في النهاية استقبالا حسناً . لكن سفارته فشلت في تحقيق أهم اغراضها وهو تحويل الشاه عباس عن خططه بالنسبة لهرمز .

ولم يهمل البرتغاليون في محاولاتهم الدائبة لاسترضاء الايرانيين - ان يعارضوا الانجليز ويقيموا في وجوههم العراقيل ، وقد اشرنا من قبل الى بعض الاساليب الصغيرة التي انتهجها البرتغاليون والموالون لهم بقصد احباط مسعى البعثة الانجليزية ، لقد خرج اسطول ضخم من جوا ليقطع الطريق على السفينة جيمس في رحلتها الاولى ، ولما فشل عاد ادراجه عن طريق مسقط ، وسرعان ما أصبح البرتغاليون هم الخاسرين من حيث شعبيتهم اذا قورنوا بمنافسيهم الانجليز بحيث قال احد هؤلاء بعد شهور قليلة من الاقامة في ايران « اننا نلقى الود والمجاملة من عامة الناس ، والاحترام من عظمائهم أكثر مما يلقى البرتغاليون » .



الاحداث التى سبقت طرد البرتغاليين من هرمز
١٦١٨ ـ ١٦٢٢

عمل الوكلاء التجاريين الانجليز في ايران :

راح ممثلو شركة الهند الشرقية في ايران ـ ويرئسهم الان باركر ومونوكس يسعون الى الافادة من تلك الامتيازات التي حققها كنوك ولكن ظل بينهم هذا الشقاق المؤسف ، فما زال توماس رو في الهند ، بالرغم مما خول له من صلاحيات جديدة . وعلى تفهمه قيمة الامتيازات التي منحها الشاه لكنوك ، يقول ان هذا « ليس سوى حامل رسالة من الملك ، وليست له صلاحيات السفير التي يستطيع بها ان يتفاوض ويعقد الاتفاقيات » لذلك امر باجراء مفاوضات للحصول على ميناء آمن على الساحل ، واقامة سوق رئيسية في شيراز ، وعقد اتفاقية مع الشاه لتوريد الحرير مقابل دفع ثمنه جزئياً نقداً والباقي مقابل بضائع انجليزية ، وواضح من هذه الحقائق ان سير رو كان من انصار التجارة المنتظمة بدل هذه المتقطعة ، بل ويبدو ايضاً انه كان ثمة خلاف في الرأي بينه وبين بعض المسؤولين في الشركة ، فهو في صف التجارة المنتظمة والتفاهم السلمي مع اسبانيا بينما هم يرون ضرورة تشجيع الشاه على طرد البرتغاليين من هرمز ، وتوجيه السياسة الانجليزية نحو احتكار التجارة الايرانية لصالح شركة الهند الشرقية . وفي سنة ١٦١٨ استطاع ممثلو الشركة الحصول على بعض امتيازات صغرى وقيمة من الشاه الذي وافق على أن سائر الحرير الذي يخرج من ايران يجب بيعه للانجليز ، والا يصدر منه شيء الى اوروبا عن طريق تركيا ، او يباع للاسبان او البرتغاليين وفي اوائل سنة ١٦١٩ سافر سير توماس الى انجلترا بعد ان انهى عمله في الهند ، وفي الصيف التالي تسلم الشاه عباس خطاباً بالغ التكريم « من ملك انجلترا ، وفي نفس السنة مات باركر في ايران ، واستمرت التجارة تسير سيراً طيباً ، ولكن لم تنشأ وكالات جديدة رغم ان الملك

جيمس كتب الى الشاه عباس في سنة ١٦٢٠ مقترحاً منح الانجليز موقعاً تجارياً وامتيازات ملائمة قرب جاشك » .

أعمال البرتغاليين ١٦١٨ – ١٦٢٣ :

وتأثرت حياة الرخاء التي كانت قائمة في ميناء هرمز تأثراً شديداً بنجاح مساعي الانجليز وادى وصول اسطول انجليزي مكون من خمس سفن الى ميناء جاشك – الذي كانت شركة الهند الشرقية ما تزال تستخدمه الى حالة من الذعر والهلع في هرمز فهدمت بعض المباني واتخذت اجراءات وقائية كثيرة ، وفي سنة ١٦١٩ او ١٦٢٠ قام الايرانيون – يساعدهم جيش من العرب بطرد البرتغاليين من مكان كانوا يحتلونه (١) على الساحل العربي في رأس الخيمة او قريباً منه واصبح امداد هرمز بالمياه امراً بالغ الصعوبة (٢) لان الايرانيين اصبحوا يحاصرونها الآن من البر . وفي نوفمبر ١٦٢٠ قام الاسطول البرتغالي – يقوده ادميرال روى فرير بمنع سفينتين تابعتين للشركة هما هارث وايجل « من دخول ميناء جاشك ، فعادت السفينتان الى سورات حيث عززتا بسفينتين أخريين هما « لندن » و « بلك » ودخل الاسطول الميناء بعد لقاء غير حاسم مع الاسطول البرتغالي في ١٧ ديسمبر ، وبعدها بعدة أيام ظهر الاسطول البرتغالي امام جاشك في قوة كبيرة بعد زيارة قام بها لهرمز لتعزيز قواه ، وفي ٢٨ ديسمبر التقى الاسطولان في معركة عنيفة ، انتهت بانتصار الاسطول الانجليزي ، ولكن بعد ان فقد قائده كابتن اندرو شيللنج الذي مات في ٦ يناير ١٦٢١ متأثراً بجراح اصيب بها في كتفه .

---

(١) ربما كان هذا المكان هو رأس الخيمة نفسه · فالمكان المفقود يسمى جلفار ، ويشار اليه أحيانا بكلمة « سير » كما فى المجلد الثانى من هذا الدليل (ص ١٨٢٦) ·

(٢) كان مكان امدادها بالماء من بئر يسمى « دولا » ·

طرد البرتغاليين من هرمز سنة ١٦٢٢

الاتفاق بين الايرانيين والانجليز سنة ١٦٢٢ :

في سنة ١٦٢١ كان الشاه عباس الاول قد استعد لطرد البرتغاليين من هرمز التي كان يعتبر وجودهم بها تهديداً لهيبة بلاده ورخائها على السواء ، وقد تقدم بمطالبه فيما يتعلق بهرمز عن طريق قمبر بك خان لار ، الذي أكد أن الجزيرة كانت تدفع الجزية « الى لار » قبل مجيء البوكيرك وكان الخلاف بين الايرانيين والبرتغاليين على تجارة الحرير قد ازدادت حدته بسبب مواصلة الايرانيين نشاطهم ضد العمليات التجارية البرتغالية ، بل لقد القوا القبض بالفعل على بعض التجار البرتغاليين . ولقد ادى انتصار ايران الحاسم على تركيا قرب تبريز في سنة ١٦١٨ الى إبعاد كل خطر يهددها من هذه الناحية ، وأصبحت قوى الشاه في مجال العمل الهجومي الخارجي فائقة لدرجة أنه أعلن نفسه في سنة ١٦٢٠ سيد اقليم قندهار . ولكن السيطرة على هرمز كان لا بد لها من قوة بحرية .. ولما لم تكن هذه القوة متوفرة لدى الشاه فقد اضطر للجوء الى الانجليز ... لكن شركة الهند الشرقية فيما يبدو — ترددت في البداية في توريط نفسها بهذا الشأن ، غير أن رئيس ومجلس ادارة الوكالات في النهاية اصدروا تفويضاً للكابتن بليث والكابتن ويدل اللذين كانا في طريقهما الى جاشك ومعهما السفن : لند وجونس وهويل ودويفين وليون والبوارج(١) وروز وروبرت وريتشارد وشيللنج — فوضوهما بأن يقوما نتيجة أعمال السلب والتهديد من جانب البرتغاليين — باسر سفن هذه الدولة ، بل وحتى بمهاجمتها في موانيها اذا قرر مجلس الضباط امكان ذلك ، وفي ٢٣ ديسمبر سنة ١٦٢١ وصل الاسطول الانجليزي

---

(١) كانت البارجة في ذلك الوقت لها اكثر من شراعين كما لهـــا صاريان أو ثلاثة ، ويمـكن أيضـا جرهـا بالعربات ، مجهزة بالمدافع ، ويمكن استخدامها في الحرب .

الى قوهيستاك على ساحل اقليم ميناب ، لكن الايرانيين ــ الذين كانوا ينشدون عون الانجليز ضد هرمز ــ منعوهم من القيام بأي نشاط تجاري في جاشك ، كما قاموا ايضاً بحجز احدى قوافل التجارة الانجليزية القادمة من أصفهان ــ في ميناب بامر من إمام قولي خان ــ حاكم اقليم فارس الذي وكلت اليه مهمة الاستيلاء على هرمز وهو يقصد بذلك حمل الانجليز على المشاركة في هذه العملية ... ولدى وصول حاكم اقليم فارس الى ميناب استقبله مونوكس و بل ، وقد اصبح اولهما اذ ذاك عميد وكلاء الشركة في ايران ، وقد عرض على الحاكم الشروط العديدة التي يمكن للشركة معها ان تتعاون معه ضد هرمز ، وأهم تلك الشروط هي :

١ ــ ان تقسم الاسلاب مناصفة بين الايرانيين والانجليز .

٢ ــ ان يختص الانجليز بالاسرى المسيحيين ، ويختص الايرانيون بالمسلمين .

٣ ــ أن يؤول الحصن الموجود في هرمز بكل ما فيه من مدفعية وأسلحة وذخائر الى الانجليز ويبقى الايرانيون احراراً في أن يشيدوا لأنفسهم حصناً آخر .

٤ ــ أن يقتسم الانجليز والايرانيون مستقبلا العوائد الجمركية في هرمز بالتساوي .

٥ ــ أن تعفى التجارة الانجليزية من الضرائب الى الابد .

وقبل حاكم فارس هذه الشروط بعد ادخال بعض التعديلات عليها كي يرضى الشاه ... وهذه التعديلات هي ان يكون الحكام البرتغاليون الاسرى في قشم وهرمز بايدي الايرانيين ، وان يشترك الايرانيون والانجليز معاً في احتلال حصن هرمز ، وان تعفى بضائع الشاه وحاكم

فارس مستقبلا من الضرائب شأنها شأن البضائع الانجليزية(١) وتم الاتفاق الرسمي على هذه الشروط - بعد التعديلات التي ادخلها حاكم فارس في ميناب يوم ٩ يناير سنة ١٦٢٢ ، ورفضت شركات السفن في البداية أن تقوم بعمل ضد البرتغال ، وواضح ان ذلك كان لارتيابها في ان تكون هذه الحملة منظمة ومكفولا لها النجاح ، لكن مسئوليها اقنعوها في النهاية بالعمل .

حالة البرتغاليين في قشم وهرمز :

وفي هذه الاثناء كان قائد البرتغاليين في الخليج هو الادميرال دون راي فرير دي اندريد وكان رجلا « سياسياً أكثر منه صاحب ضمير » يخشاه الناس أكثر مما يحبونه « وكان له أعداء كثيرون من بين رجاله ، وقد عزل - قبل هذه الاحداث مباشرة - عن حكم هرمز التي كانت تابعة له ، وعهد بها الى سيموا دي ميللو احد اخصامه ، وكان ري فرير قد بنى مؤخراً قلعة جديدة في قشم ، وضع بها ثلاثمائة جندي برتغالي مع عدد من العرب الذين يساعدونهم ، وحيث كانت قبضته محكمة في مواقعه فقد راح يغير غرباً على الساحل الايراني منطلقاً من خمير حتى نخيلوه مدمراً ٤ سفن كبيرة و ٧٠ بارجة كبيرة الى جانب ٤٠٠ من مختلف المراكب الاخرى ، وحسب ما يقول المؤرخ الاسباني ، فقد أهمل حاكم هرمز الجديد - برغم احتجاجات ري فرير - انشاء تحصينات كافية للدفاع عن ذلك الموقع (٢) .

---

(١) لم يستطع الكاتب ان يجد دليـــلا على ما قال به « فرير » بعد الواقعة بأكثر من خمسين عاما ، من أن الانجليز قد تعهدوا بان يجعلوا في الخليج دائمـا سـفينتين حربيتين للدفـــاع عنه .. (أنـــظر : وصف لجزر الهند الشرقيـة وايران ص ٢٢٢ و ٣٥٢) . وسنرى - على أية حال - من فقرة تالية في النص ما يشير الى أن الانجليز قد تعهدوا بان يجعلوا الخليج مفتوحـا للملاحة ، وان يتحملوا نصف تكاليف ذلك .

(٢) ومما يؤيد هذا القول ، الى حد ما ، ان بعض المدافـع وجدت بغير طواقم في هرمز لدى سقوطها ، ومن المحتمل أيضا أن الحامية قد استخدمت منها كل ما يمكنها استخدامه .

حصار قشم وسقوطها في ايدي الانجليز والايرانيين ٢٢ يناير — ١ فبراير سنة ١٦٢٢ :

وقبل اتمام الاتفاقية الانجليزية الايرانية ، وفيما كان حاكم اقليم فارس ما يزال في طريقه من الداخل متجهاً الى الساحل ، كان الايرانيون قد بدأوا يهاجمون قشم ، بكثير من رجالهم دون ان يحرزوا أي تقدم في مهاجمة القلعة ، وفي ٢٢ يناير سنة ١٦٢٢ رسا الاسطول الانجليزي في هرمز على امل ان يستدرج اسطول العدو الى المعركة ، وكان اسطول البرتغاليين يتكون فيما يبدو من ٥ غليونات ومن ١٥—٢٠ فرقاطة ، لكن العدو لم يواجه هذا التحدي ، وفي ٢٧ يناير بدأ الانجليز — بمساعدة الايرانيين — الهجوم على قلعة قشم التي كانت مقر قيادة ري فرير ، وفي أول فبراير اضطر الجنود الى الاستسلام لانه لم يصلهم أي عون من هرمز ، ورأى فرير ان يحرق القلعة ويموت شريفاً في المعركة ، لكن رجاله رفضوا ما ارتاه وبدأوا الهرب بالقفز من فوق الاسوار وقتل انجليزيان فقط في معركة قشم،وكان احدهما هو الاستاذ ويليام بافن— مكتشف خليج بافن،والذي كان يعمل مرشداً للاسطول ، وقد قتل على الارض وهو يقيس المدى باجهزته المختلفة ويحدده للمدفعية ، وتم الاستيلاء على ١٧ مدفعاً واسر حوالي ١٠٠٠ رجل بينهم القائد البرتغالي الذي لم يسلم للايرانيين حسب نصوص الاتفاقية ، وفي ٤ فبراير تحركت الحملة نحو بندر عباس ، ومنها ارسل ري فرير(١) واربعة من كبار الضباط المساعدين له ليبقوا اسرى في سورات ، وعهد الى السفينة « ليبون » وبارجتين بالقيام بهذه المهمة ، وبقيت اربع سفن وبارجتان فقط لتنفيذ الهجوم على هرمز .

---

(١) استطاع فرير الهرب من السفينة ليون فى سورات ، وعاد الى هرمز ، حيث وجد انها قد سقطت ، فانطلق الى مسقط .

حصار هرمز وسقوطها في ايدي الانجليز والايرانيين ٩ فبراير — ٢٣ ابريل ١٦٢٢ :

وفي ٩ فبراير سنة ١٦٢٢ احتلت الحملة الانجليزية موقعاً خارج هرمز وفي اليوم التالي هبطت قوة ايرانية ضخمة الى البر من حوالي مائتي مركب ايراني واحتلت مواقعها في المدينة دون ان تلقى اية مقاومة ، وبدأت العمليات ضد قلعة هرمز من البر ، لكن التقدم كان بطيئاً جداً ، وأبدى الجنود البرتغاليون رغم قلتهم وتفشي المرض بينهم دفاعاً باسلا يستحق الاعجاب ، وفي ٢٤ فبراير استطاع الانجليز ان يشعلوا النار في السفينة البرتغالية حاملة العلم « سان بيدرو » وان يدمروها ، وفي ١٧ مارس استطاع لغم ايراني ان يحدث ثغرة في احدى زوايا القلعة ، لكن المدافعين استطاعوا ان يردوا الطليعة الايرانية المتقدمة التي يقودها شاه كولي بيك — وان يكبدوها خسائر كبيرة ، ثم عمد البرتغاليون المحاصَرون الى احراق المدينة ليحولوا دون احتماء الايرانيين بها ، وفي ٢٣ مارس استطاعت نيران السفن الانجليزية ان تدمر سفينتين برتغاليتين وسرعان ما لقيت سفينة او سفينتان اخريان نفس المصير ، وكانت قوات الايرانيين على نقص كبير في التسليح والتجهيز والجنود يعانون دائماً من نقص المياه والامدادات نتيجة سوء التدبير ، وخرق قائدهم الاتفاق مع الانجليز غير مرة خاصة باتصالاته المنفردة بالبرتغاليين الامر الذي لم يكن يساعد على نجاح الحملة المشتركة .

وفي ٢ ابريل استطاع ضباط السفن الانجليزية ان يفجروا لغمين آخرين ، لكن الجنود الايرانيين رفضوا ان يهاجموا الثغرات التي فتحتها هذه الالغام ، وكانوا في حالة يرثى لها . وفي ١٤ ، ١٧ ابريل استطاعت الالغام ان تفتح ثغرات جديدة ، وقام المحاصرون بهجوم كبير ، لكن حفنة فقط من البرتغاليين والعبيد استطاعت ان تردهم وراء متاريسهم ، وظل الايرانيون اليوم كله محتشدين تحت لهب الشمس دون ماء او طعام ، مما كان كافياً لان يقتل نصفهم « كان الايرانيون — كما

وصفهم مونوكس – يتجمعون حول هذه الثغرات » كحشد من النحل يطن حول شجرة أو دغل ، أو كقطيع من الاغنام محتشد يلتمس النجاة خلال ثغرة واحدة ، ولا أحد يجروُ على اقحتامها ... وكان البرتغاليون يخلصونهم من هذه الآلام بسرعة ، وربما قتلوا منهم اربعة او خمسة او ستة او اكثر في طلقة واحدة ، انني لم استطع سوى الرثاء لهم .. » وفي ١٨ ابريل قام الايرانيون بهجوم آخر لكنه فشل ، وفي ١٩ قاموا بهجوم جديد واستطاعوا في هذه المرة أن يحتلوا باحة الحصن ، وتراجع البرتغاليون الى الداخل .

وأخيراً في ٢١ ابريل رأى البرتغاليون ان من الحكمة الا يعتمدوا على مواثيق الايرانيين ففاتحوا ابناء دينهم الانجليز في الاستسلام وتعهد لهم هؤلاء بحماية ارواحهم ، وعقدت هدنة مدتها يومان عن طريق مونوكس وقواد السفن ، وفي ٢٣ ابريل استسلم البرتغاليون(١) بشرط ان ينقلوا خارج البلاد ، وفي نفس اليوم بدأ خروجهم وبلغ عددهم ٢٦٠٠ شخصاً ، وبذل لهم الانجليز اقصى ما يمكنهم من حماية ، لكنهم لم ينجحوا في تحقيق هذه الحماية تحقيقاً تاماً في وجه اهانات الايرانيين لهم واعتداءاتهم عليهم ، وفي ٢٧ ابريل بدأت السفن الانجليزية تنقلهم الى مسقط ، وفي نفس الوقت اسر الايرانيون سعيد محمد شاه الحاكم الوطني في هرمز وارسلوه الى شيراز حيث بقي سجيناً سياسياً عدة سنين ، كما سقط عدد من التجار الهنود ايضاً بين ايديهم.

ولم يحدث ثمة تقسيم منظم للغنائم في هرمز كما حددت المعاهدة

---

(١) تحدد رواية أخرى تاريخ سقوط هرمز فى ٢٢ مايو، ولكن المحتمل أنها رواية خاطئة ، فالمصادر البرتغالية تذكر أن الاستسلام قد تم أولا عن طريق لويز دى بارتو قائد القلعة ، لكن الحاكم سيموا دى ميللر – ادعى فى البداية – انه يعارض هذه الفكرة ، ثم حث الجنود بعد ذلك على التمرد ، وهكذا تم الاستسلام ، كما تحدد هذه المصادر أيضا عدد البرتغاليين الذين تركوا هرمز بحوالى الفى شخص من الجنسين ومواليهم .

الانجليزية ـ الايرانية ، بل لعل الامر كان على العكس ، فقد حدث سلب ونهب كثير من جانب الحلفاء ، بدأ في ٢٤ ابريل ، وفاز فيه الايرانيون بنصيب الاسد ، فقد كان عدد المدافع التي أصبحت من نصيب الانجليز ١٦٥ مدفعاً ، لكن قيمتها كانت أقل من ثلث ما استبقاه الايرانيون لانفسهم منها .

وبعدها حكم بالاعدام على سيموا دي ميللو ، من قبل محكمة برتغالية لضياع هرمز ، لكنه استطاع الهرب الى دولة أجنبية ، فبقي هذا الحكم الصادر ضده حبراً على ورق ، اما ري فرير فقد اخلته بلاده من اللوم على سقوط قشم لان خدماته ـ فيما يبدو ـ كانت ضرورية ... فاسمه يلقي الرعب والذعر في قلوب العرب .

النتائج المباشرة لسقوط هرمز :

لقد كان اشتراك الانجليز في الهجوم على هرمز مخالفاً بوضوح لمبادىء القانون الدولي لان انجلترا واسبانيا كانتا على علاقات سلمية وقت وقوع الهجوم . وقدم الاسبان شكواهم الى الملك جيمس ، وبدا في وقت من الاوقات وكأنه من المحتمل ان تستنكر الحكومة البريطانية ما قامت به الشركة وان تعتبر العاملين فيها قراصنة لا أكثر .

ومهما يكن من شيء فقد أصرت الشركة « على ادعاء البراءة » وقدم مونوكس ، وقد عاد الى انجلترا على السفينة ليون ، حجج الشركة في الدفاع عن موقفها ، وكان اهمها انه كان يعتبر نفسه « مبعوث صاحب الجلالة لحماية التجارة الانجليزية » في الخليج في الهجوم او الدفاع ضد عدوان البرتغاليين وعنت الشاه الذي لا يني يضع امامها العراقيل ، وفي النهاية رفض الملك جيمس ان يفعل ما يرضي اسبانيا ، لكن الشركة ـ ربما على سبيل الصفح عن سلوك موظفيها ـ اضطرت لدفع مبلغ عشرة آلاف جنيه انجليزي للملك جيمس ، ومثلها لدوق باكنجهام باعتباره القائد الاعلى للبحرية ، ولما كان نصيب الانجليز من غنائم هرمز ـ بصرف

النظر عما حمله الافراد سراً واخفوه ، يقدر بمبلغ يتراوح بين ٢٠–٢٥ الف جنيه انجليزي ، عرفنا ان الحملة على هرمز ، وقد تكلفت نفقات طائلة كانت في نهاية الامر خسارة مالية للشركة ، غير ان وضع البرتغاليين في الخليج – من ناحية أخرى – قد انتهى تماماً بسقوط هرمز ، كما أصبح للانجليز ميناء حر أفضل من جاشك لمواصلة تجارتهم ، وزيادة على ذلك ، فقد عزز الشاه الفرمان ... الذي سبق ان اصدره لكنوك في سنة ١٦١٧ ، كما اصدر اوامر اخرى جديدة بمزيد من الحماية والتشجيع لتجارة الحرير الانجليزية في اراضيه .



تاريخ الخليج من طرد البرتغاليين من هرمز حتى الحرب الاولى بين الانجليز والهولنديين : ١٦٢٢ ـ ١٦٥٣

الاحداث من سقوط هرمز الى سفارة سير دود موركوتن الى ايران سنة ١٦٢٢ ـ ١٦٢٦

جهود البرتغالين لاستعادة هرمز ١٦٢٢ – ١٦٢٥ :

رحل نفر من البرتغالين من هرمز بعد سقوطها الى مسقط واستقروا فيها ، وكانت هذه هي القاعدة الوحيدة الهامة التي بقيت لبلادهم في منطقة الخليج ، ووفد معهم ابن أخ آخر حكام هرمز المحليين . ولعل البرتغالين كانوا يعولون على استغلال تلك القرابة في ادعاءات نافعة لهم . وكان الايرانيون متلهفين لمتابعة النجاح الذي احرزوه في هرمز بالاستيلاء على مسقط ايضاً ، لكنهم ما كانوا ليتطاولوا الى ذلك بغير مساعدة من الانجليز ، ولكن هؤلاء ضنوا بها .

ونجح الايرانيون في احتلال صحار وخور فكان على ساحل عمان ، لكن البرتغالين استطاعوا بقيادة ري فرير الذي فر من اسر الانجليز أن يستعيدوا زمام المبادرة فيهاجموا الايرانين ويجلوهم عن الموقعين معاً . وكذلك دمروا مواقع ايرانية أخرى على امتداد الساحل الايراني من جاشك الى بندر عباس . ثم راحوا يزعجون السفن الايرانية ويناوشون الحامية المقيمة في هرمز محاولين قطع الامدادات عنها، لكن امكانات ري فرير لم تكن لتكفي لحصار طويل على هرمز(١) ، او شن هجوم مباشر عليها . واستمرت هذه الاعمال المفككة غير المترابطة من

---

(١) ونفس الشيء أيضا ـ على أى حال ـ كان هجوم البرتغاليين على أسطول شيللنج فى سنة ١٦٢٠ .

جانب القائد البرتغالي بعضاً من سنة ١٦٢٣ وطوال سنة ١٦٢٤ ، وانتهت أخيراً الى سلسلة من الاشتباكات وقعت تجاه ساحل بندر عباس في فبراير ١٦٢٥ بين اسطول القائد البرتغالي وبعض سفن الانجليز والهولنديين وكان يقود الاسطول البرتغالي نيرو الفارز بوتيللو ويتكون من ٨ غلايين و ١٦ فرقاطه .. وفي الجانب الآخر السفن الانجليزية : رويال ــ جيمس ــ انجل جوناس ــ وستار ، الى جانب اربع سفن هولندية ، وحدثت ثلاثة اشتباكات متتالية في ايام ١، ٣، ١٤ فبراير ، وكانت حامية الوطيس اطلقت فيها السفن الانجليزية حوالي ٢٠ الف طلقة من مدافعها، واطلق البرتغاليون في السفينة رويال جيمس ما لا يقل عن ٤٠٥ طلقات يصل قطر بعضها الى ٩ بوصات ، وفي الاشتباك الاخير لحقت بالبرتغاليين خسائر جسيمة ، وكادت مدافع سفنهم تتعطل تماماً لكن نقص ذخيرة الانجليز والهولنديين وقف بهم دون مطاردة السفن البرتغالية المتراجعة ، وانسحب دي فرير في البداية الى الارض العربية المواجهة ، حيث شاهده بعد المعركة بأيام قلائل (١) الرحالة الايطالي بيترو ديلا فالي في منطقة ربما كانت هي حوز كواي وخسر الانجليز في هذه الاشتباكات ٢٩ رجلا من رجالهم ، وخسر الهولنديون عدداً مماثلا من بينهم القائد ، في حين فقد البرتغاليون قائدين من قواد السفن الى جانب حوالي ٤٠رجلا في الاشتباك الاخير فقط ، هذا فضلا عن بتلليو وآخرين معه من قتلى الاشتباكات السابقة ، ولا بد ان هذه النتيجة النهائية لم تكن في صالح البرتغاليين لانهم كفوا بعدها عن محاولات استعادة هرمز(٢) . وقد

(١) ٨ فبراير « حسب الاسلوب القديم » يعادل ٢١ فبراير « حسب التقويم الحديث » .

(٢) يزعم المؤرخ الاسبانى أن النصر عقد للبرتغاليين ، وانهم اغرقوا ثلاثا من سفن اعدائهم ، واسروا الباقى ، الى جانب انهم اوقعوا بالحلفاء ــ فى زعمه ــ خسارة لا تقل عن ألف رجل ، ومن الناحية الاخرى ، يزعم قائد انجليزى شهد المعركة أن ٨٠٠ جندى برتغالى قد قتلوا فيها .

عقدوا في سنة ١٦٢٥ صلحاً مع الايرانيين اعترفوا فيه بانتقال هرمز وقشم الى الشاه عباس على ان تكون لهم نصف العوائد الجمركية التي تحصل في كنج ، بالقرب من لنجة الموجودة الآن ، ومحتمل ايضاً ان تكون باسيدو — التي كانوا يسيطرون عليها — قد خرجت من بين ايديهم في هذه الفترة ، وفي سنة ١٦٢٥ أصبح البرتغاليون مكروهين — كما لم يكونوا أبدا — على شواطىء الخليج . ولاحظ الرحالة الايطالي بيترو ديللا فالي انهم لم يعودوا يامنون النزول بسلام على ساحل الباطنة ، ذلك بأنهم ارسلوا القوارب من سفينتهم الى الساحل طلباً للماء غير ان أهالي باردستان ردوا هذه القوارب على أعقابها تطاردها طلقات الرصاص .

تقلب احوال التجارة الانجليزية في ايران ١٦٢٤ — ١٦٢٥ :

ولم يكد يبقى في مدينة هرمز شيء بعد تدميرها — على اختلاف في الروايات — سوى قلعتها ، فانتقل ممثلو شركة الهند الشرقية للاقامة في بندر عباس ، وسمح لهم الشاه في سنة ١٦٢٣ او ١٦٢٤ بأن يشغلوا بيتين فيها ، ولكن لم يسمح بانشاء مبنى خاص بهم خشية تحويله الى قلعة حصينة . وفي سنة ١٦٢٤ كسدت اعمال الشركة نتيجة اتفاق عقد بين التجار الايرانيين على رفع سعر الحرير ، وكادت وكالة الشركة في أصفهان تغلق ابوابها لولا تدخل الشاه عباس الذي استطاع — عن طريق الامتيازات والتراخيص المؤقتة — ان يقنعها بالاستمرار حتى يتضح موقف الشركة . كذلك كانت وكالة بندر عباس لا تكاد تقوم بعمل ما ، وفي يناير ١٦٢٤ ، كلفت الشركة في لندن — وهي بعد لا تدرك مدى ما وصلت اليه الامور في المنطقة — مستر كربدج ، وكان في ذلك الحين يقضي اجازته في بلاده في حين عين مشرفاً على وكالة سورات ، ان يعمل ايضاً وكيلا لها في تثبيت امر تجارتها بايران او تصفيتها بعد أن يفتش امور الشركة في ايران اذا تسنى له ذلك .. والمفترض ان الرجل وصل الى بندر عباس في مطلع ١٦٢٥ حيث جرت عندئذ الاشتباكات البحرية مع البرتغاليين في فبراير من تلك السنة ، وهكذا فان وكالات

الشركة في ايران واصلت اعمالها هناك بمشورته .

صعوبات اخرى تواجه الانجليز في ايران ١٦٢٤ ــ ١٦٢٥ :

والى جانب الصعوبات التجارية ، كان على ممثلي الشركة ان يتدبروا أمر المطالب غير الشريفة او المعقولة من جانب الموظفين المحليين في ايران ، فلم يقولوا كلمة احتجاج واحدة على تقسيم الغنائم في هرمز ، والتي بلغ نصيب الايرانيين منها ــ حسب ما ذكره خان شيراز لمولاه ــ حوالي ٦٠ الف تومان اي ما يربو على ١٨٠ الف جنيه استرليني . كذلك ايضاً لم يحتجوا على القسمة الظالمة للمدافع التي استولى عليها المحاربون ، واضطرت الشركة بأن تقنع باجر ثلاثة أشهر فقط لسفنها رغم أنها ظلت في حقيقة الامر ثمانية أشهر كاملة في خدمة الايرانيين .

وواضح ان الايرانيين كانوا قد وافقوا على ان يحصل الانجليز على نصف فوائد بندر عباس بدل عوائد هرمز التي توقفت التجارة فيها تماماً ، غير ان نصيب الشركة من هذه العوائد بلغ حداً من الضآلة يدعو الى التذمر ، فعلى حين كانت عائداتهم من هرمز تبلغ ١٨٠ الف جنيه استرليني (١) في السنة ، لم يتجاوز نصيب الشركة من عوائد بندر عباس ٢٢٥ توماناً (اي ٦٧٥ جنيهاً استرلينياً) في سنة ١٦٢٤ ، ٣٠٠ تومان (٩٠٠ جنيه استرليني) في سنة ١٦٢٥ .

مطالب الايرانيين لمساعدات بحرية بريطانية . :

كانت طلبات ايران المتكررة عون الانجليز ضد البرتغاليين اهم أسباب الاحتكاك بين الطرفين رغم ان هذا لم ينص عليه في الاتفاقية الانجليزية

---

(١) ربما لا يقل عن ٢٠ الف جنيه انجليزى ، ومحتمل أن يزيد عن هذا بكثير ٠ وقد قدر احد المعاصرين العائد السنوى الذى كان البرتغاليون يحصلون عليه من هرمز بمبلغ ٤٠ ألف جنيه انجليزى ٠٠ لكن هذا تقرير غير معقول ٠

الايرانية التي عقدت في ٩ يناير ١٦٢٢ ، الا ان الانجليز تعهدوا(١) « بأن تقوم سفنهم بتطهير ممرات الخليج مقابل تحصيل نصف تكاليف هذا العمل .. » واستغل الايرانيون هذا التعهد كي يطلبوا تعاون الانجليز معهم ضد البرتغاليين في مسقط وفي اتجاه البصرة . وقد تهرب الانجليز من مطلبهم فيما يتعلق بمسقط ، ورفضوا مطلبهم المتعلق بالبصرة رفضاً مطلقاً مباشراً(٢) . وفي هذه الاثناء كان الايرانيون قد زادوا من تحصين بندر عباس وحسنوا وسائل الدفاع عن قشم ، واقاموا في هرمز في بداية الامر حامية يتراوح عددها من ٢٠٠ الى ٣٠٠ جندي ، لكن هذا الموقع الاخير ظل عرضة للهجوم عليه ، ومهدداً بالضياع الى ان استطاع الانجليز والهولنديون سنة ١٦٢٥ تحطيم الاسطول البرتغالي . وحيث ان احتلال هرمز لم تعد له ضرورة بعد ذلك النصر فيبدو أنه هجر . وقد انتفع الايرانيون بأبنية الموقع في انشاء المدينة التي اخذت تنشأ في بندر عباس ، لكن الهولنديين حملوا بعض المواد الى بتافيا . لقد استغل الهولنديون الذين أخذ موقفهم يتدعم في الشرق فرصة سقوط هرمز لينشئوا لهم تجارة في بندر عباس،ومع انهم عاونوا الانجليز كما سبق وذكرنا في طرد البرتغاليين الا ان وكلاء الشركة الانجليزية كانت تساورهم الشكوك في نوايا الهولنديين . وكان احد الاسباب التي قدمها كبريدج ومستشاره لاستمرار الوكالات الانجليزية في ايران « ان الهولنديين قد اقحموا انفسهم هناك ، ولوثوا سمعتنا ونوايانا لدى الصفوى(٣) وكان ثمة شك قوي في ان الهولنديين يتآمرون مع الايرانيين

---

(١) أنظر بشكل خاص : تقويم أوراق الدولة « جزر الهند الشرقية ١٦٢٥ ـ ١٦٢٩ ـ ص ٢ » .

(٢) فبراير ـ أنظر هامش ص ٢٤ فيما مضى ـ يبدو انه يربط بين فشل الانجليز في الحصول على نصيب معقول من عوائد بندر عباس وتقصيرهم في توفير الحماية للخليج لكن هذه نظرية يناقضها الدليل .

(٣) ويعنى به الشاه فى ذلك الوقت نسبة لاسرة « صفوى » الملكية التى ينتمى اليها « واصل الكلمة الانجليزية » .

كي يحصلوا منهم على موقع هرمز المهجور لانفسهم ، وربما كانوا يحاولون احتلاله بالقوة ، وقد ادى خوف الانجليز من ان يقتلعهم الهولنديون ويحلوا محلهم الى ان يحترسوا كثيراً حيال المعونات البحرية التي تطالبهم ايران بها ، بل واكثر من ذلك ، ان الهولنديين كانوا يرفضون دفع ضرائب جمركية في بندر عباس ، واستمروا على الرفض رغم احتجاج الوكالة الانجليزية .

ازدياد قوة الشاه عباس :

وفي نفس الوقت استمرت قوى الشاه عباس الاول في ازدياد وحدوده في امتداد ، خاصة على حساب الاراضي التركية . وفي سنة ١٦٢٣ اقتحمت الجيوش الايرانية العراق واحتلت بغداد ، وظل الايرانيون يسيطرون عليها حتى سنة ١٦٣٨ ، واصبحت الكاظمية وكوت والعمارة وكربلاء والنجف ، بما فيها من اماكن يقدسها الشيعة ، بل والحلة ايضاً ، اصبحت جميعاً في أيدي الشاه ، اما البصرة فقد كان واليها التركي قد حصنها تحصيناً جيداً ودافع عنها بمعونة البرتغاليين الذين تركوا في البصرة خمس سفن لتساعد الاتراك ضد جيش الايرانيين القريب منها ، وفجأة – في ٢٣ مارس ١٦٢٥ تخلى الايرانيون عن هجومهم على البصرة .

سفارة سير دود موركوتن فى ايران
سنة ١٦٢٦ ـ ١٦٢٨

اعمال سير روبرت شيرلي وسفارة نجدي علي بك الى انجلترا ١٦٢٣ — ١٦٢٧ :

انتهت بعثة سير روبرت شيرلي في اسبانيا بالفشل رغم اقامته خمس سنوات كاملة في مدريد ، او ربما ان سقوط هرمز أدى به الى ان يغير من خططه فسافر الى انجلترا في سنة ١٦٢٢ أو ١٦٢٣ ، واستطاع أن يقابل الملك في ٢٨ يناير سنة ١٦٢٤ ، وفي ١٣ ابريل سنة ١٦٢٥ ، وفي هذه اللقاءات ظهر سير شيرلي في ملابسه كسفير لايران ، واستقبل استقبالا حافلا ، وفي نفس الوقت تقريباً ، وربما بناء على اقتراح من ممثلي الشركة في ايران — ارسل الشاه عباس سفيراً ايرانياً حقيقياً الى انجلترا هو نجدي علي بك الذي ابحر من سورات في ابريل ١٦٢٥ لكنه لم يصل انجلترا الا في فبراير سنة ١٦٢٦ بعد وقت اعتبرت فيه السفينة « ستار » التي ابحر عليها سفينة مفقودة ، وفي لندن حدث صدام فريد في نوعه بين سفيري الشاه وقفت فيه شركة الهند الشرقية الى جانب نجدي بك . وقصد سير روبرت شيرلي يصحبه ايرل كليفلاند وآخرون لزيارة نجدي بك في منزله ، لكن الاخير بمساعدة ابنه اعتدى على سير شيرلي اعتداء منكراً ، واتهمه بانه افتاق يحمل خطاب اعتماد مزور ، وفي ٦ مارس التقى السفير الايراني بالملك جيمس وقدم اليه خطاباً من الشاه ، قال فيه انه ارسل نجدي بك « لا ليطلب شيئاً سوى مودة صاحب الجلالة ، وليأمر جلالته تجاره ورعاياه جميعاً بأن يقدموا كيفما يشاؤون الى بلاده يبيعون او يشترون او يمارسون ما يحلو لهم من نشاط ولن يجرؤ احد على ان يفرض عليهم شروطاً من أي نوع ». ومع ان البلاط الملكي الانجليزي كان ميالا لتصديق السير روبرت شيرلي لكنه عجز عن الحسم في موضوع الرجلين المتنازعين .

ارسال بعثة انجليزية الى ايران يرأسها سير د . كوتن :

وأخيراً قرر الملك ان يرسل سير دود موركوتن الى ايران كي يبادل الشاه مشاعر الود والصداقة ، ولكي يرسي التجارة الانجليزيـة في ايـران — (التي تدهورت تدهوراً واضحاً كما رأينا) على أسس أكثر صلابة وثباتاً ولكي يتثبت ايضاً ما اذا كان سير روبـرت شيرلي مبعوثـاً معتمداً من لدن الشاه ام لا . وتقرر ان يصحب شيرلي هذه البعثة كما طلب الى شركة الهند الشرقية ان تدبر امر نقل السفير وجماعته الى ايران . وحاولت الشركة التملص من هـذا المطلب لانهـا لم تكن تود ان يتدخل لاكوتن ولا تشارلي في شؤونها ، لكن اعتراضاتهـا رفضت ، وعلى أية حال ، فقد صدرت لكوتن تعليمات بالا يتدخل في أعمال الشركة التجارية .

رحلة السفارة الانجليزية الى الهند ١٦٢٧ :

وأبحر اسطول الشركة — الذي يقل السفير الانجليزي وصحبه وفيهم سير توماس هربرت المؤرخ الاخباري للبعثة وسفيرا ايران المتنافسان — يوم الجمعة الحزينة من سنة ١٦٢٧ ، ووصلت سورات في ٣٠ نوفمبر من نفس السنة ، وحين وصلت القافلة الى قرب ساحل الهند خشي نجدي بلك غضب مولاه ، وثقل عليه التفكير في هذا الامر(١) فانتحر بابتلاع كمية من الافيون ، وانزلت جثته كي تدفن على الشاطىء، واطلقت السفينة « ماري » التي مات على ظهرها احدى عشرة طلقة تحية له .

(١) يزعم شيرلى انه قد أفسد مهمته التى كلفه بها الشاه ، الى جانب انه كان مدانا فى عدد من المسائل المالية ، وبعدها أعلن الشاه عباس : « انه لو لم يفعل ذلك بنفسـه ، لامر بتقطيع جسـمه اربا اربا ، بمجرد وصوله الى البلاط ، ثم احرقه وسط السوق العامة ، ككلب من الكلاب الضالة » .

رحلة السفارة الانجليزية الى ايران ١٦٢٨ :

وفي ١٧ ديسمبر خرج السفير وموكبه من سورات الى ايران على ظهر السفينة « ويليام » وصحبتهم السفن « اكستشينج » و « هارت » وغيرهما من قبيل المجاملة . ورست السفن في بندر عباس في ١٠ يناير ١٦٢٨ ، وأطلقت مدافع الاسطول مائة طلقة للتحية وردت عليها المدفعية الايرانية تبادلها التحية . ومن بندر عباس تابع السفير رحلته عبر « لار » الى شيراز ، وكانت حينئذ هي المدينة الثانية في ايران ، فوصلها افراد البعثة في بداية مارس واستمتعوا فيها أكثر من ثلاثة اسابيع بصحبة « الحاكم اللطيف المرح » « إمام كولي خان » وفي ١٠ ابريل اقيم لهم موكب ظافر دخلو فيه أصفهان ، وشوهد بعض الهنود بين الجماعة المحتشدة للترحيب بهم ، وفي اليوم الرابع اقام مستر بيرت ــ التاجر المرموق في أصفهان ، ورئيس الوكالة الانجليزية ــ حفلة تكريم لهم ، وفي احد ايام شهر مايو ، مضت البعثة في طريقها الى البلاط الايراني ـ الذي كان حينئذ في مدينة الاشرف باقليم مازندران .

أعمال السفارة الانجليزية في الاشرف مايو ١٦٢٨ :

ووصلت السفارة مدينة الاشرف في ٢١ مايو ، وبعدها باربعة أيام حظي سير دود مور كوتن بمقابلة الشاه ، واوضح له ان الهدف من سفارته هو تقديم التهنئة على الانتصارات التي احرزها الشاه ضد الاتراك ، عدوهما المشترك ، ثم العمل على تنشيط التجارة « والبحث عما يبرىء سير روبرت شيرلي مما اتهمه به نجدي على بك » وان تقوم رابطة من الود والصداقة تربط دائماً بين الدولتين الملكيتين العظيمتين ، بريطانيا العظمى وايران ، ونهض الشاه عن مقعده لبرد ، فبدأ بانتقاص قوة الاتراك ، ثم اشار الى رغبته في ان تتوقف خصومات امراء المسيحيين التي يستغلها الاتراك ، وبالنسبة للتجارة ، فقد وعد بأن يتسلم ملك انجلترا في يناير من كل عام مقدار عشرة آلاف بالة من الحرير في بندر عباس في مقابل ثياب انجليزية بقيمة معادلة ، وأعلن بعبارات

عامة رضاه عن سير شيرلي واستنكاره لمسلك نجدي علي بك ، ثم ختم كلمته بالترحيب الحار بالحلف المقترح ، وترحيبه بالسفير نفسه قائلا : «لانك منحتني شرفاً لم يحظ به احد اسلافي من قبل ، فانت اول سفير جاء من بريطانيا العظمى الى بلادنا على هذا النحو ، وانت لهذا جدير بمزيد الاحترام ، وكما انني اعتبر ملكك سيد من يعبدون المسيح ، فانا اعتبرك انت ايضاً ارقى درجة من كل السفراء الموجودين في بلاطي» وبعدها انتقلوا جميعاً الى قاعة اخرى حيث امر الشاه باقداح النبيذ وشرب نخب الملك جيمس،وعندئذ وقف المستر كوتن وحسر رأسه ولاحظ الشاه ذلك فخلع هو ايضاً عمامته زيادة في الحفاوة وبعد ساعة مرح وسرور ، أذن الشاه للسفير بالخروج وهو في غاية السعادة . لكن الامور أخذت بعد هذا اللقاء الحافل، تتجه نحو السوء نتيجة عداوة كان يحملها محمد علي بك — أقرب المقربين للشاه — لسير روبرت شيرلي . وقد فشل السير دود موركوتون في مقابلة الشاه مرة أخرى وما لبث البلاط الايراني أن ارتحل الى قزوين الى حيث تبعته السفارة الانجليزية لتتسلم فيما بعد امراً بالمغادرة ، وفي هذا المكان داهمت المنية السير روبرت شيرلي يوم ١٣ يوليو ، وتبعه سير دود مور كوتن في ٢٣ من نفس الشهر ، وسلم الشاه خطاباً منه للملك الى الافراد الباقين من البعثة ، وبينهم روبرت فعادوا الى انجلترا . وتفسير هذا الجزء من الفشل في السفارة الانجليزية ربما نجده في ملاحظة وكالات الشركة في اصفهان من ان سير كوتون . كان يأتي أشياء لا تليق بمكانة وزير هذا مقامه « وادى به هذا المسلك الى ان يفقد كثيراً من احترامه ... وكان سير كوتون يحس بهذا ويلقي باللوم فيه على السير روبرت شيرلي وعلى عناده هو نفسه في تقبل النصيحة» .

أحوال ايران الداخلية والخارجية
من سفارة سير دود موركوتن الى الحرب الاولى
بين انجلترا وهولندا : ١٦٢٨ ـ ١٦٥٣

وقبل ان نواصل تتبع تاريخ شركة الهند الشرقية في الخليج من الضروري ان نلقي نظرة سريعة على احوال ايران في هذه الفترة .

الشاه صافي ١٦٢٨ — ١٦٤١ :

استمر الشاه عباس الاول في الحكم حتى سنة ١٦٢٨ ، ومات في نهاية هذه السنة ، وربما في اوائل سنة ١٦٢٩ ــ وخلفه حفيده الشاه صافي وكانت ضحايا هذا الشاه القاسي المتقلب الاهواء أكثر من ان يحصيهم العد ، من بينهم امام كولي خان ، حاكم شيراز النابه وشريك الانجليز في الاستيلاء على هزمر ، وفي عهد الشاه صافي . استولى امبراطور المغول في الهند على قندهار ، فساءت العلاقات بين الملكين ، وفي سنة ١٦٣٩ اصدر الامبراطور امراً بمنع رعايا امبراطور المغول من التجارة في بندر عباس ، وفي سنة ١٦٣٨ استعاد الاتراك بغداد من ايدي الايرانيين وكذلك معظم العراق الذي تقع فيه مقدسات الشيعة التي كان الايرانيون مسيطرين عليها منذ سنة ١٦٢٣ ، وفي سنة ١٦٣٩ عقدت معاهدة بين تركيا وايران تحدد بشكل عام الحدود بين الدولتين. وقد أصبحت هذه المعاهدة الاساس الذي بنيت عليه سائر المناقشات التي جرت بعد ذلك في موضوع الحدود .

الشاه عباس الثاني ١٦٤١ — ١٦٦٦ :

وحكم الشاه عباس الثاني — ابن الشاه صافي وخليفته — من مايو سنة ١٦٤١ حتى نهاية الفترة التي نحن بصددها ، وظل الصلح مع الاتراك قائماً طوال مدة حكمه ، لكن الشاه خاض حرباً مع المغول دامت من ١٦٤٨ — ١٦٥٠ استطاع في نهايتها ان يستعيد منطقة قندهار ، وحسب ما يقول المؤرخ تافيرنير فقد بنى الشاه سور مدينة بندر عباس حوالي سنة ١٦٥٠ .

علاقات شركة الهند الشرقية بالحكومة الايرانية
سنة ١٦٢٨ ـ ١٦٥٣

تجديد الفرمانات القديمة ومنح غيرها ١٦٢٨ ـ ١٦٥٣ :

بعد موت الشاه عباس الاول ادركت شركة الهند الشرقية ما لم تكن تدركه من قبل وهو ان الامتيازات والترخيصات التجارية وما اليها مما يكفله لها حاكم ايراني ينتهي اجلها بوفاة الحاكم الذي يمنحها ، ولا بد من تجديدها من قبل خليفته ، ولم تجد الشركة صعوبة في تجديد(١) فرمان سنة ١٦١٧ الذي أصدره الشاه عباس في يوليو او اغسطس سنة ١٦٢٩ ، لكن ذلك لم يتم دون تعهد من جانب وكلائها بأن يأخذوا من الشاه كل سنة ما قيمته ٢٠ الف تومان من الحرير ، على ان يدفعوا ثلث المبلغ المستحق عنها نقداً ، وقد وجدت الشركة فيما بعد ان تنفيذ هذا الفرمان يتطلب ان تنفق حوالي ١٥٠٠ جنيه انجليزي كل سنة ثمن هدايا تقدم للشاه ورجال البلاط .

وفي سنة ١٦٣٢ ، بذل ممثلو الشركة في ايران مجهوداً كبيراً من أجل اذن المسؤولين في الشركة لهم بأن « يشغلوا » مكاناً على الساحل الفارسي ـ بمعنى ان يسيطروا عليه ويحصنوه ـ دون موافقة الشاه حتى يستطيعوا الانسحاب اليه عند الضرورة ... وواضح انهم لم يستطيعوا استصدار هذا الاذن .

وجدد الشاه عباس الثاني معظم امتيازات الشركة بعد توليه الحكم بزمن قصير ، لكنه ـ في سنة ١٦٢٤ ـ رفض اصدار بعض الفرمانات الضرورية التي لها طابع تكميلي فقط ـ بسبب تخفيض الانجليز لصفقات الحرير التي كانوا يشترونها ، وهذه حقيقة لا نكران لها ، ولكنها كما

---

(١) لمعرفة نصوص هذا الفرمان الذى تجدد ، انظر : الخطابات التى تلقتها شركة الهند الشرقية ، المجلد السادس ، ص ٢٩٣ .

سنلاحظ تالياً كانت ناجمة عن ارتقاء شأن مذهب المتطهرين في انجلترا وتأثيره في سائر الاحوال الانجليزية .

نصيب الانجليز من عوائد بندر عباس ١٦٢٨ – ١٦٥٣ :

وظل نصيب الانجليز من عوائد بندر عباس ضئيلا مخيباً للآمال وفي سنة ١٦٢٩ تسبب سفير المغول القادم من الهند في خسارة ضخمة للشركة لانه أصر على أن ثلثي حمولة الاسطول الانجليزي – الذي كانت تنقله احدى سفنه – انما هي هدايا للشاه ، وهي بالتالي معفاة من الضرائب الجمركية . وفي سنة ١٦٣٠–١٦٣١ بلغ عائد الشركة من الضرائب الجمركية ٥٥٠ توماناً ، وفي سنة ١٦٣٢–١٦٣٣ هبط الى ٢٤٢ توماناً ، وفي سنة ١٦٣٣–١٦٣٤ حوالي ٣٤١ توماناً وفي سنة ١٦٣٩–١٦٤٠ حصل بمشقة مبلغ ٢٠٠ توماناً عن متأخرات العوائد على الايرانيين ، وكان ثمة امل في تحصيل ٥٠٠ تومان عن نفس السنة ، وفي سنة ١٦٤٠–١٦٤١ ارتفعت العائدات الى ٧٠٠ تومان ، وفي سنة ١٦٤٣–١٦٤٤ حصلت الشركة على ٦٠٠ تومان ، وفي العام الذي يليه ٦١٦ توماناً ، وفي سنة ١٦٤٧–١٦٤٨ بلغت ٦٣٥ توماناً ، ووصلت حدها الاقصى في سنة ١٦٥٠–١٦٥١ اذ بلغت ما لم تبلغه من قبل وهو ٧٥٠ توماناً أي أكثر من ٢٢٥٠ جنيهاً انجليزياً ، ووصفت يومئذ بأنها أهم بنود الربح الذي حققته الشركة من تجارتها بايران .

وفي بعض السنين كان مردّ ضآلة العوائد الى سوء احوال التجارة ، لكن نصب الايرانيين واهمالهم ، واهمال بعض العاملين في الشركة أيضاً – الى جانب رفض الهولنديين دفع عوائد ما ، كانت كلها عوامل ذات اثر هام في الموضوع . وحوالي سنة ١٦٣٠ اتهم كابتن ويدل بارتكاب خطأ جسيم في موضوع آخر . فزعم انه قد حصل للشركة على ٢٠٠٠ جنيه انجليزي في بندر عباس لانه أقام حراسة تراقب المركز الجمركي ، وفي سنة ١٦٣٣ تحسن الوضع قليلا بجهود وكيل

تجاري ناشط ونزيه يدعى لوفتوس ، وفي سنة ١٦٣٧–١٦٣٨ حين هبطت العوائد الى حدها الادنى قيل ان ثمة تواطوأ بين قادة سفن الشركة ووكلائها والمسؤولين الايرانيين ، وفي سنة ١٦٤٠ ذهب بعض المواطنين الغيورين على مصالح الشركة الى حد التوصية باستخدام القوة لارغام الايرانيين على التعامل التجاري الشريف .

وقيل غير مرة إن نصيب الانجليز – لو حصل كاملا – قد يصل الى خمسة آلاف او ستة آلاف تومان ، أي أكثر من ١٥ الف(١) جنيه انجليزي في السنة ، وحسب ما قال به ماندلسلو ، –وهو أحد سفراء دوق هولشتاين الى الشاه وقد مر ببندر عباس في سنة ١٦٣٨ فان الانجليز لم يكونوا يحصلون بالفعل على اكثر من عشر ما يستحقونه ، وفي سنة ١٦٥٣ ، وكانت امتيازات حرية التجارة قد وسعها الشاه لتشمل الهولنديين ايضاً – قال بعض العاملين في الشركة ان ذلك الاعفاء يجب ان يسري على نصيب الايرانيين فقط من العوائد لا على نصيب الانجليز ايضاً ، لكننا لا نعرف كيف تمت تسوية هذا الموضوع .

اضمحلال قوى البرتغاليين فى الخليج
سنة ١٦٢٨ – ١٦٥٣

ظل البرتغاليون رغم خسرانهم الفادح للكثير من املاكهم في الشرق خطراً عسكرياً يهدد الانجليز بعض الوقت .

(١) كان التومان الفارسى – فى ذلك الوقت – يساوى أكثر من ثلاثة جنيهات انجليزية ، وفى سنة ١٦٧٧ بلغت قيمته ، على وجه التحديد ، ٣ جنيه و ٦ شلن و ٨ بنس .

رحلة كابتن سوانيلي ١٦٢٨ — ١٦٢٩ :

وقد فوض كابتن سوانيلي الذي قاد اسطولا من خمس سفن تابعة للشركة الى الخليج بهدف تنشيط التجارة الانجليزية وتوصيل سفير المغول في ايران الى بندر عباس ، بمهاجمة اي اسطول او سفن برتغالية يلتقي بها في طريقه ، لكننا لا نعرف يقيناً ما اذا كان قد وجد الفرصة لتنفيذ هذه التعليمات الصادرة اليه ام لم يجد .

البرتغاليون يجددون نشاطهم ١٦٣٠ — ١٦٣١ :

وفي سنة ١٦٣٠ حاول نائب ملك البرتغال في جوا — وقد تلقى امدادات وتعزيزات من اوربا — ان يمنع اسطولا انجليزياً من الوصول الى سورات لكن النتيجة التي انتهت اليها هذه المحاولة في البر والبحر لم تكن مرضية للبرتغاليين ، فحول نائب ملك البرتغال بعدها اهتمامه الى الخليج وقد ارسل مبعوث برتغالي في ذلك الوقت الى شيراز ومعه تعليمات من ملك اسبانيا باللجوء الى الرشوة وهناك نجح في أن يستميل اليه حاكم اقليم فارس ، ومن خلاله استطاع ان يتقدم الى الشاه يطلب اعادة هرمز للبرتغاليين ، ومنحهم امتيازات تجارية جديدة — او تعزيز امتيازاتهم القديمة — في كنج ... وسادت الخشية في وقت من الاوقات — أن تؤدي زيادة نفوذ البرتغاليين في الخليج الى التغطية على الانجليز ، لكن وكلاء شركة الهند الشرقية كانوا ما يزالون قادرين على ان يحصلوا من الشاه على أمر بتسيير ٢٠٠ جندي ايراني الى بندر عباس للدفاع عن الوكالات والسفن الانجليزية هناك ضد هجمات البرتغاليين ، وأخيراً في سنة ١٦٣١ ، سخط الايرانيون على البرتغاليين فرجع هؤلاء يضعون الخطط للاستيلاء على هرمز بالقوة ، لكنهم عجزوا عن تنفيذ هذا المخطط رغم أنهم أقاموا موقعاً لهم في « رأس الخيمة » او قريباً منها على الساحل العربي لتسهيل عملياتهم الحربية .

مناوشات بين الايرانيين والبرتغاليين ١٦٣٢ — ١٦٣٣ :

وفي سنة ١٦٣٢—١٦٣٣ كان الايرانيون متلهفين للقيام بهجوم على البرتغاليين في مسقط ، واستطاع حاكم شيراز ان ينتزع وعداً بالمساعدة العسكرية من الانجليز الذين خافوا ان يلجأ الى الهولنديين لو لم يلبوا هم مطلبه ، لكن هذه الحملة المقترحة لم ترسل وفي سنة ١٦٣٤ أصلح البرتغاليون تحصينات مسقط ، وفي سنة ١٦٣٨ حين زار مندلسلو بندر عباس كانت اللغة البرتغالية مسموعة هناك على معظم الالسنة ، لكن البرتغاليين والاسبان كانوا ممنوعين من دخول المدينة ، وغالباً ما كان البرتغاليون ينتقمون لانفسهم بأن يقوموا بغارات متعددة للسلب والنهب في الاقليم .

السلام بين انجلترا والبرتغال في الشرق منذ ١٦٣٤ :

ووصل العداء بين البرتغاليين والانجليز الى نهايته بهدنة عقدت في مايو او يونيو سنة ١٦٣٤ بين رئيس الوكالة الانجليزية في « سورات » ونائب الملك البرتغالي في « جوا » وأعقب ذلك تبادل المذكرات الى ملك انجلترا وملك اسبانيا . وفي سنة ١٦٣٥ صدرت التعليمات الى العاملين في الشركة الانجليزية بأن يقفوا على الحياد حيال النزاع الدائر بين الايرانيين والبرتغاليين ، وفي ٢٠ يناير سنة ١٦٣٦ حلت محل هذه الهدنة اتفاقية وقعت في جوا ، وعادت علاقات الود بين الدولتين .

استعادة البرتغال استقلالها في اوربا ١٦٤٠ :

وفي سنة ١٦٤٠ تحررت البرتغال من ربقة اسبانيا ، وعادت بعد فترة دامت ستين عاماً، دولة مستقلة تحت حكم امير من اسرة براجانزا ، لكن هذا لم يكن له كبير أثر على وضعها في المشرق ، وقد قدر الحاكم العسكري البرتغالي قيمة عوائد مسقط بالنسبة للبرتغال بـ ٥٠ الف دوكة من عملة مدينة البندقية .

البرتغاليون في البصرة ١٦٢٥ — ١٦٤٠ :

وبعد سقوط هرمز وجه البرتغاليون نشاطهم التجاري وحماستهم للتبشير الى البصرة(١) ، فاقاموا فيها وكالة تجارية وجماعة دينية وحلقة تعليمية ، وظلوا هناك حتى سنة ١٦٤٠ على الأقل — يشكلون منافساً نشطاً للتجارة الانجليزية . وخلال سنتي ١٦٢٤ و ١٦٢٥ ساعدوا الاتراك في الدفاع عن البصرة وملحقاتها ضد هجمات الايرانيين ، وفي العام التالي جعلوا في البصرة خمساً من سفنهم لهذا الغرض ، وكان الشاه ينظر الى تحول تجارة البرتغال في الخليج من ايران الى تركيا بعين الكراهية والحسد ، وربما كان هذا هو السبب الرئيسي لهجوم الايرانيين المستمر على البصرة .

طرد البرتغاليين من عمان ١٦٤٠ — ١٦٥٠ :

وبدأت سيطرة البرتغاليين على عمان في الانكماش . ففي سنة ١٦٤٠ ابلغ العرب امام عمان ان مقر الجمرك البرتغالي ليس به سوى عدد قليل من الرجال فقط ، فقامت قوة من الاهالي بالهجوم على مسقط لكنها فشلت ، ثم هاجموا صحار في نوفمبر سنة ١٦٤٣ ، فاسروا ٣٧ برتغالياً وقتلوا كل الحامية العسكرية التي كانت بها . وكما سنفصل تالياً في القسم الخاص بتاريخ عمان قام العرب في سنة ١٦٤٨ بحصار مسقط ، وارغموا القائد العام فيها على الرضوخ لشروطهم التي قيدت سلطة البرتغاليين في عمان تقييداً شديداً ، وبالاضافة الى صحار كان البرتغاليون قد فقدوا حوالي ذلك الوقت ايضاً كوراسار و دوبار والقريات.

وفي نهاية سنة ١٦٤٩ ، قامت قوة عربية بمهاجمة مسقط مرة أخرى ، وفي يناير سنة ١٦٥٠ ارغم البرتغاليون على ان يسلموا نهائياً قلعتهم « التي لا تقهر » كما كانوا يسمونها وجلوا عن البلاد . وفي سنة

---

(١) أنظر الملحق الخاص بالاديان فى الخليج ·

١٦٤٩ ،وقبل هذه الضربة الاخيرة كان ملك البرتغال قد اصدر الاوامر في اوروبا بأن توجه كل الجهود للمحافظة على مسقط وتعزيز خصب ، والا يسمح للمشايخ والعرب بالاقامة داخل مدينة مسقط ، واقامة ميناء جديد—لو امكن— في «بندلي» بالقرب من «كوموراس» (بندر عباس) .

وضع البرتغاليين في الخليج بعد طردهم من عمان ١٦٥٠–١٦٥٣ :

وبعد سقوط مسقط ، ارسل اسطول برتغالي الى الخليج كان واضحاً أنه يبحث عن قاعدة جديدة على سواحل لار ربما بالقرب من اقليمي بستك ولنجه اللذين نعرفهما اليوم او في سواحل الاحساء ، ويبدو ان الايرانيين قد عرضوا على البرتغاليين جزيرة هانجام ، وان تكون لهم حقوق تحصينها وتعزيزها ، لكن البرتغاليين رفضوا العرض . ويبدو أنهم رفضوه لتصورهم ان وجود قاعدة لهم في كساب « خصب » او أي مكان آخر على الساحل العربي أفضل بالنسبة لهم ، وظلت وكالة البرتغاليين وامتيازاتهم في كنج – التي بدأت منذ سنة ١٦٢٥ – قائمة لكن ازدهارها السابق راح يقل بدرجة ملحوظة نتيجة اضمحلال قوة البرتغاليين على ارغام السفن على الرسو فيها ، وهكذا طرد البرتغاليون من آخر قواعدهم على البر في الخليج ، وأصبح العلم البرتغالي بعد أن ظل قرابة قرن ونصف من الزمان شيئاً مألوفاً في الخليج ورمزاً لقوة محلية لها خطرها فيه ، مجرد شارة لدولة أجنبية بعيدة .

أسباب انهيار نفوذ البرتغاليين :

وراء انهيار البرتغاليين أسباب عديدة ، لعل أهمها العنف وسوء النية في التعامل مع جيرانهم من اهل الشرق ، هذا الى جانب مشاعر الحسد والشقاق التي كانت فاشية بينهم على الدوام . انهم لم يؤسسوا شركة تجارية كما فعل منافسوهم الانجليز والهولنديون بل كانت تجارتهم احتكاراً ملكياً سيء التنظيم والادارة ، بل ان الاساس العسكري الذي استندوا اليه تخلخل في النهاية بسبب فقدان النظام والافتقار الى الحصافة

المهنية ، وقد لاحظ الرحالة الايطالي بيترو ديلافالي في سنة ١٦٢٤–١٦٢٥ هبوط مستوى النظام في البحرية البرتغالية ولم يستطع على الرغم من تعاطفه مع « اخوانه الكاثوليك » – الا ان يقارن بين هذا المستوى ومستوى النظام في السفن الانجليزية ، وحكم المؤرخ البرتغالي نفسه يلخصه هذا المقتطف من أقواله : « ان دمار أحوالنا نابع من احتقار كبرائنا(١) لصغارنا ، ومن طمع صغارنا طمعاً اعماهم عن دعوة الوطن والشرف . ان البرتغاليين قادرون على استرداد ما يخسرون،ولكنهم عاجزون عن استبقائه ، وذلك هو بيت القصيد ، فانه اذا جاء الطالع الحسن بالغنيمة ، فان الحكمة هي التي تستطيع صونها » .



(١) أنظر : آسيا البرتغالية ، المجلد الثالث ص ٣٨٢ – ٣٨٣ « ترجمة ستيفنس لكتاب فريای سوسا » .

ازدياد نفوذ الهولنديين فى الخليج
١٦٢٨ ـ ١٦٥٣

يجب أن نلاحظ ان اختفاء البرتغاليين وبعدهم عن الميدان لم يؤد الى خلاص الانجليز من المنافسة السياسية والتجارية ، لانه مع تدهور قوة البرتغاليين ـ كانت قوة الهولنديين تتزايد تزايداً سريعاً أصبح يتهددهم بالخطر . فقد لجأ الهولنديون في ايران الى اتباع مختلف اساليب الرشوة ودفع أثمان مرتفعة في السلع الايرانية ، وثابروا على بذل المجهود من أجل ازاحة الانجليز عن المكان الذي احتلوه بالجهد والالم ، وفي سنة ١٦٣٣ ، لم تغامر وكالات شركة الهند الشرقية بأن تثير مع الشاه مشكلة عقد اتفاقية جديدة لشراء الحرير ، رغم حاجتها لها ، حذراً من أن يزايد عليها الهولنديون بأسعار أعلى ، كما كان ثمة خونة في صفوف الانجليز . وفي سنة ١٦٣٧ ، وبعد ان مات جيبسون ـ الوكيل الانجليزي في أصفهان ـ تبين انه كان يقرض الهولنديين من اموال شركة الهند الشرقية ، وبهذا يمكنهم من ان يبتاعوا الحرير ويضربوا التجارة الانجليزية ، وكان لسياسة المضاربات التي ينتهجها التجار الهولنديون مضارّها على أي حال ، فقد جاوزت ديونهم عندئذ للتجار الارمن في ايران مبلغ ١٠٠ الف جنيه انجليزي ، ولما كان رصيدهم المخزون من الحرير قليلا فقد عجزوا عن الوفاء بديونهم ، ولم يدفعوا منها في نهاية الموسم سوى ٦٥ الف جنيه ، ولهذا اوقع التجار الارمن حجزاً موقتاً على صادراتهم من الحرير .

اعفاء الوكالة الهولندية من الضرائب الجمركية وتقدمها بشكل عام في بندر عباس ١٦٣٨ ـ ١٦٤١ :

وفي سنة ١٦٣٨ ـ السنة التي قام فيها مندلسلو بزيارة بندر عباس وكان للهولنديين كما للانجليز وكالة فيها ـ كان الهولنديون يحتكرون

كل تجارة التوابل ، كما كانو قد ظفروا باعفائهم من ضرائب الاستيراد ، وفي سنة ١٦٣٩—١٦٤٠ كانت حركة سفن الهولنديين وتجارتهم مسيطرة في بندر عباس ، لكن القائمين على الوكالات الانجليزية في ايران رفضوا اوامر شركتهم باغلاق وكالة اصفهان وارجأوا تنفيذ ذلك حتى لا يتيحوا الفرصة كاملة لمنافسيهم ، وفي سنة ١٦٤١ عمد الهولنديون لرغبتهم « في زيادة حجم » تجارتهم من الصادرات الايرانية او احتكارها الى بيع البضائع الاوربية في ايران بثمن اقل من ثمن التكلفة .

وفي سنة ١٦٤٥ ارسل الهولنديون — وقد أصبح هدفهم الآن هو بسط نفوذهم في ايران مستخدمين لذلك كل الوسائل مهما كانت بما فيها القوة العسكرية — ارسلوا اسطولا ضخماً الى الخليج يقوده القائد بلوك(١) وفي بندر عباس طلبوا الى الايرانيين رد مبلغ ٤٩٠٠ تومان كعوائد جمركية سبق ان دفعها الوكيل الهولندي ، ومن هذا يتضح لنا ان الهولنديين لم ينجحوا نجاحاً تاماً في تلافي دفع العوائد الجمركية ، وأصبح التواطؤ بين الهولنديين والمسؤولين الايرانيين خطيراً لدرجة حتمت نقل ممتلكات شركة الهند الشرقية الانجليزية في بندر عباس الى البصرة ضماناً لسلامتها ، وكان ذلك في يونيو سنة ١٦٤٥ . وفي خريف نفس السنة ، ولما لم يصل الهولنديون الى اتفاقية ترضيهم مع الايرانيين ، قاموا بمهاجمة قشم ، ورغم انهم فشلوا في احتلالها وفقدوا عدداً كبيراً من رجالهم ، الا ان الشاه سارع بطلب الهدنة ومال الى الاستسلام لمطالبهم بالمزيد من التسهيلات التجارية . ومات بلوك في أصفهان — وكان قد انتقل اليها باذن خاص — لكنه قبل ان يموت استطاع ان يقابل الشاه ، وكان لقاؤه به مثمراً ، فقد حصل على ترخيص منه يخول الهولنديين حق تصدير الحرير من سائر الموانىء الايرانية معفياً من الضرائب

---

(١) أنظر جوليات بروس ، المجلد الاول ص ٤١٤ ويقدم تافرنيني ٩٤ ، تفسيرا مختلفا بعض الشيء لكنه أوسع لحادثة قشم ، لكن معلوماته عن تاريخ الحادث لم تكن صائبة .

ازدياد سيطرة الهولنديين ١٦٣٦ – ١٦٥٣ :

وبعدها وسع الهولنديون رقعة حربهم التجارية ضد الانجليز ومدوها الى العراق فارسلوا اسطولا من ثماني سفن الى البصرة . وأدت هذه الخطوة من جانبهم الى تدمير موقت لاعمال الوكالة التجارية الانجليزية التي كانت انشئت هناك مؤخراً . وفي سنة ١٦٤٩ ، وصل نفوذ الهولنديين في الخليج الى قمته ، وبدت طوالع لحصولهم على امتيازات اخرى من الحكومة الايرانية التي اصبحت ترهبهم لكنها لا تحترمهم ، وفي سنة ١٦٥٠ ، زادت كفة الهولنديين في الخليج رجوحاً ، وزادها طرد البرتغاليين من مسقط ، وفيها وصل اسطول هولندي ضخم مكون من عشر سفن الى بندر عباس وانزل حمولة ضخمة . وحوالي هذا الوقت استطاع الهولنديون كما يقول تافرينير تصريف ١,٥٠٠,٠٠٠ رطل من الفلفل في ايران(٢) دفعوا منها ثمن كل الحرير الايراني . وفي العام التالي وصل الى بندر عباس اسطول هولندي مكون من ١١ سفينة تحمل شحنة من البضائع قيمتها أكثر من ١٠٠ الف جنيه انجليزي ، وتأثرت التجارة الانجليزية بهذا تأثراً بالغاً ، وفي سنة ١٦٥٢–١٦٥٣ ارسل الهولنديون ١٥ سفينة الى بندر عباس تقدر حمولتها بحوالي ١٢٠ الف جنيه انجليزي ، واستطاعوا بهذا ان يكتسحوا التجارة الانجليزية اكتساحاً تاماً ، لكن الشاه ظل على رفضه لطلبهم التساوي في المعاملة مع الانجليز من حيث الامتيازات التجارية ، وذلك على أساس انهم لم يقدموا لايران من الخدمات مثل ما قدم الانجليز ، على انـــه استقبل بعثة هولندية في أصفهان استقبالا حسناً ، غير انه ، برغم كل ما كان يفيده من الهولنديين وبرغم التضحيات النقدية الكبيرة من جانبهم ، رفض ان يمنع الانجليز من الحصول على قدر كبير من الحرير بشروط مناسبة .

---

(٢) نفهم من لهجة تافرينير أن هذا كان يحدث كل سنة ، غير أن هذا الرقم الذى يذكره يبدو أكبر من أن يكون صحيحا .

الحرب بين انجلترا وهولنده في اوروبا سنة ١٦٥٢ :

وفي سنة ١٦٥٢ ، كانت الحرب قد نشبت في اوربا بين الانجليز والهولنديين ، وان كانت أخبارها لم تصل بعد الى اسماع الناس في ايران .

منافسة اتحاد كورتن الانجليزى لشركة الهند الشرقية ١٦٣٦ ـ ١٦٥٠

خلال بعض سني هذه الفترة التي نتناولها ، لم يكن على شركة الهند الشرقية ان تواجه المنافسة الاجنبية فحسب ، وانما كان عليها ايضاً ان تتصدى لطائفة من التجار « الطفيليين » غير المسجلين من الانجليز أنفسهم . ففي ديسمبر ١٦٣٥ ونتيجة الصلح الذي عقد اخيراً مع اسبانيا والبرتغال ، قام سير ويليام كورتن بتكوين اتحاد للتجارة مع المستعمرات البرتغالية في الشرق ، وذلك بمرسوم ملكي رأت فيه شركة الهند الشرقية خرقاً لحقوقها القديمة المطلقة ، لكن احداً لم يأبه لاعتراضها ، فاكتفت بأن تصدر التعليمات للعاملين فيها بالا يقدموا أي عون لممثلي هذا الاتحاد المنافس ، وكان كابتن ويدل ـ احد العاملين في شركة الهند الشرقية سابقاً ـ احد الاعضاء المؤسسين للاتحاد الجديد . وفي سنة ١٦٤٠ انشغل اتحاد كورتن انشغالا مثابراً عنيداً بالتجارة الايرانية ، بل واهتم بعض أعضائه ببذر الشكوك في نفوس المسؤولين الايرانيين فيما يتعلق بموقف ملك انجلترا من شركة الهند الشرقية . وفي سنة ١٦٤٥ زارت احدى سفن اتحاد كورتن ميناء بندر عباس ، وكان قائدها قد حصل على وعد بأن يحمل في عودته كل حرير الشاه الموجود في هذا الميناء معفياً من الضريبة ، وهناك سمح له الشاهبندر (او كبير المسؤولين عن الجمارك) بأن ينزل حمولة سفينته كلها معفاة من الضرائب ، واخيراً ، انهيت هذه المنافسة التعيسة في سنة ١٦٤٩ بموجب ترتيبات بين شركة الهند الشرقية واتحاد كورتن الذي أصبح اسمه « اتحاد تجار اسادا » .

سير تجارة شركة الهند الشرقية
١٦٢٨ ـ ١٦٥٣

تجارة الشركة في ايران ١٦٢٩ ـ ١٦٣٢ :

يبقى الآن ان نراجع سَيْر تجارة شركة الهند الشرقية في هذه الفترة التي تعرضت فيها للمنافسة الشديدة في الخليج .

كان موت الشاه عباس الاول ضربة خطيرة لتجارة الشركة في ايران ، فمبجرد موته ، نهبت محلات الحرير الملكية ، وحدثت تمردات محلية كبيرة كان من نتيجتها في سنة ١٦٣١ ان توزع الحرير الايراني بعيداً عبر تركيا وروسيا ، والى جانب ذلك كان الشاه الجديد مقبلا على الانغماس في الملذات أكثر من اقباله على العمل ، ولم يكن لديه في البداية مخزون من الحرير لتصديره كما كان جده الشاه الراحل يفعل . كذلك نشأت صعوبات كبرى أمام نقل الحرير الذي كان يجمع في أصفهان الى ميناء الشحن في بندر عباس ، حتى إن ستة من الوكلاء الانجليز على الاقل أعياهم التغلب على مشاق هذا الطريق وهم يصحبون قوافل الحرير الانجليزية في سنة ١٦٣١ـ١٦٣٢ ، وبعدها جرت محاولة لم تدم طويلا لقيام وكيل ايراني بنقل الحرير الى بندر عباس ، لكن نصب وتدليس الايرانيين الذين يقومون بالنقل كان بالغاً ، مما ألزم الشركة ان تعيد وزن وفحص كل بالة في بندر عباس .

وشهدت سنة ١٦٣٣ ربحاً حسناً للشركة التي وجدت انه ما دام التجار المحليون لا يمكن الاعتماد عليهم او الوثوق باخلاقهم ، فالطريقة العملية الوحيدة هي أن يتم نقل الحرير بتوقيع عقد عام مع الشاه ، ولم تكن هذه الطريقة لتخلو من المخاطر على أية حال ، لان الهولنديين كانوا يمثلون خطراً دائماً باستعدادهم للمزايدة على الانجليز وانتزاع العقود منهم . وفي نفس السنة اكتشف بعض التلاعب فيما يتعلق بكم

الحرير ونوعه ، وتقدمت الشركة بدعوى الى ممثل الشاه عارضة عليه الحرير الرديء فنالت التعويض اللازم .

سنة ١٦٣٤ :

وفي سنة ١٦٣٤ قام وكيل الشاه بتنفيذ آخر عقد مع الشركة كان ينص على تسليم ما قيمته ١٠٠ الف جنيه انجليزي من الحرير ، لكن الهولنديين كانو في ذلك الوقت منهمكين في تقديم الرشاوي للمسؤولين الايرانين ، حتى أصبح يخشى ان يتوقف الشاه في المستقبل عن قبض قيمة جزء من هذا الحرير على شكل بضائع ويصر على استلام كامل ثمن حريره نقداً .

سنة ١٦٣٥ :

وفي ١٦٣٥ اصدرت الشركة في لندن تعليمات الى موظفيها في الهند بأن يقوموا بتصدير الفلفل والبهارات وذلك بهدف تنشيط التجارة في الخليج ، وتحسينها في الهند ايضاً . وفي نفس الوقت تقريباً كان ممثلو الشركة في ايران بعيدون النظر في وضع التجارة الايرانية ، وكانوا يميلون الى ايقاف العمل بنظام التعاقد مع الشاه واستبداله بشراء الحرير من السوق الحرة . ولكن قبل ان تصدر الاوامر بتنفيذ اقتراحهم هذا استطاع جيبسون ، وكيل الشركة في أصفهان ، ان يوقع اتفاقية جديدة مع الشاه يتعهد هذا بمقتضاها ان يسلم الانجليز ١٠٠٠ حمل من الحرير خلال ثلاث سنوات بسعر ٤٢ توماناً ، اي ما يساوي ١٣٠ جنيهاً انجليزياً ، وان يقبل استلام ثلث الثمن نقداً ، والباقي عيناً من الجوخ والصوف والقصدير .

سنة ١٦٣٦ :

وفي سنة ١٦٣٦ قام الرئيس فرملين من سورات بزيارة لبندر عباس ووضع تنظيمات جديدة اتبعتها الشركة لكننا لا نعرف عنها شيئاً .

سنة ١٦٣٨ :

وفي ١٦٣٨ ارسل الملك شارل خطاباً سلم الى الشاه مشفوعاً بمجموعة من الصور لافراد العائلة المالكة ، يطلب فيه ارساء العلاقات التجارية على اسس افضل ، فوقع الشاه عقداً جديداً مع ممثلي الشركة ، كما اصدر فرماناً بدفع الديون المتبقية للشركة بموجب العقد السابق . وفي نفس هذه السنة — وهي التي قام بها مندلسلو بزيارة بندر عباس ، كانت صادرات الانجليز من الميناء تشمل الثياب الحريرية والقطنية ، والحرير الخام والقطن الخام الى جانب السجاد الايراني والراوند والزعفران وماء الورد ... الخ وكانت وارداتهم هي القماش والقصدير والصلب من انجلترا والنيلة والمنسوجات القطنية والحريرية من الهند ، وهذه كان يفضلها الايرانيون على انتاجهم المحلي لدقة نسجها والوانها الزاهية .

سنة ١٦٣٩ :

وفي سنة ١٦٣٩ بدأت « التنظيمات » التي وضعها فرملين تؤتي ثمارها ، وكانت ثماراً مرضية ؛ ويبدو انه استطاع عن طريق التهديد بالانسحاب من أصفهان — استصدار امر من الشاه بتسليم ٢٦٥ حمولة من الحرير الى جانب الاستحقاقات المتأخرة من عوائد بندر عباس ؛ ولكن كان يخشى من ان تكون هناك صعوبة في الحصول على عقد جديد بتقديم الحرير ، ويبدو ان الشركة كانت تود حقاً في ذلك الوقت ان تصفي وكالتها في أصفهان ، وتركز العمل كله في بندر عباس . لكن منافسة الهولنديين واتحاد كورتن اديا الى استحالة تحقيق هذه الرغبة ، وكانت شيراز — بمناخها المعتدل — هي المكان المفضل لسكن هؤلاء الوكلاء الانجليز في ايران بدلا من بندر عباس .

سنة ١٦٤١ :

وفي سنة ١٦٤١ تدهورت التجارة بسبب تقلب الاسواق والديون

الصعبة التحصيل ، ثم الهدايا التي كان الشاه يطالب بها في مقابل كل فرمان صغير يصدره – مما كان عبئاً على ارباح الشركة ، وفي سنة ١٦٤٢ بدأ تجار ايران مع حلب يبيعون البضائع الاوربية بثمن أقل مما تبيع به الشركة ، لكن المتاجرة بالسلع الهندية ظلت مربحة .

١٦٤٣ – ١٦٤٤ :

ولا بد ان وضع الشركة لم يكن مرضياً على العموم في ذلك الوقت ، ففي سنة ١٦٤٣ ، فكرت الشركة في الانسحاب من ميدان التجارة الايرانية نهائياً ، على ان تبدأ ببيع المخزون لديها وتحصيل ديونها في البلاد ، لكن هذا الرأي لقي معارضة من جانب ممثليها المحليين ، وفي سنة ١٦٤٤ ظل القرار النهائي للشركة معلقاً ، لكنها أخيراً آثرت البقاء .

١٦٤٦ – ١٦٤٧ :

وفي سنة ١٦٤٦ ، أدى هبوط اسعار الحرير في ايران الى انتعاش موقت في هذا اللون من التجارة الذي كان في حالة تدهور واضحة ، غير ان الموقف التجاري العام في سنة ١٦٤٧ عاد فأصبح اسوأ منه في أي وقت مضى ، وكان شبح المستقبل قاتماً ومتجهماً .

١٦٤٨ – ١٦٤٩ :

وأدت الحرب بين شاه ايران وامبراطور المغول الى اضطراب التجارة التي تنقل براً بين ايران والهند في ١٦٤٨–١٦٤٩ ، وحققت الشركة ارباحاً ملموسة من نقل البضائع بين البلدين عن طريق البحر ، وفي سنة ١٦٤٩ وبرغم نقص الطلب على الثياب الانجليزية في ايران وانخفاض كمية التوابل المستوردة الى تلك البلاد ، حققت الشركة ارباحاً غير عادية ، قدرت في هذا الموسم بحوالي ٤ آلاف تومان ، اي ما يربو على ١٢ الف جنيه انجليزي .

١٦٥١ — ١٦٥٣ :

وفي سنة ١٦٥١ ، وكنتيجة لمنافسة الهولنديين والعجز عن بيع المستوردات الانجليزية ، والعجز المالي لم يكن للوكلاء الانجليز في ايران نشاط كبير ، غير ان قافلتين تجاريتين خرجتا من بندر عباس الى اصفهان وكان موظفو الشركة العاملون في ايران يرون ان سيطرة الهولنديين التي أصبحت طاغية عندئذ لن يمكن الوقوف امامها الا باستخدام نفس طريقة الهولنديين في جلب اساطيل ضخمة وشحنات كبيرة من البضائع الى بندر عباس ، واوصوا المسؤولين عن الشركة باللجوء الى هذا الاسلوب بمجرد ان تسمح الظروف باستخدامه .

تجارة الشركة في العراق ١٦٣٥ — ١٦٤٠ :

لقد بدأت العلاقات التجارية الانجليزية مع العراق لاول مرة خلال هذه الفترة التي نحن بصددها وتفاصيل هذه العلاقات موجودة في الفصل الخاص بتاريخ العراق التركي ، فبعد زيارتين تمهيديتين قام بهما موظفو الشركة الى البصرة في سنتي ١٦٣٥—١٦٤٠ — انشأت شركة الهند الشرقية وكالة اقليمية لها هناك في سنة ١٦٤٣ او قبلها بقليل ، وفي سنة ١٦٤٥ أصبحت البصرة — كما اشرنا من قبل — هي المركز الرئيسي المؤقت للشركة في الخليج ، وحتى سنة ١٦٤٥ كان التجار الانجليز في البصرة محصنين جيداً ضد منافسة الهولنديين التجارية ، لكن تلك المنافسة اتخذت شكلا مفاجئاً وحاداً ، وادت في خلال عام او اثنين الى تجريد الانجليز من كل ربح كانوا ينالونه .

تاريخ الخليج من الحرب الاولى بين الانجليز والهولنديين الى غزو الافغانيين لايران سنة ١٦٥٣ ــ ١٧٢٢

احداث أوربا سنة ١٦٥٣ ــ ١٧٢٢

« حتى يزداد فهمنا للعلاقات بين الانجليز والهولنديين وغيرهما في منطقة الخليج في هذه الفترة التي نحن بصددها ــ يجب ان نلقي نظرة على التاريخ الاوروبي المعاصر لهذه الاحداث » ..

الحرب الاولى بين الانجليز والهولنديين ١٦٥٢ ــ ١٦٥٤ :

كان التوتر يزداد عبر السنين بين انجلترا وهولندا نتيجة للمنافسة التجارية بينهما ، وخاصة بسبب العدوان المتكرر من جانب الهولنديين على شركة الهند الشرقية الانجليزية . وفي سنة ١٦٥١ صدر قانون بحري في انجلترا كان الهدف منه ضرب التجارة المحمولة للهولنديين ، وفي سنة ١٦٥٢ مضى كرومويل الى حد اشهار الحرب على هولندا ، واستمر هذا الصراع على سيادة البحار لمدة عامين دون ان تحقق احدى القوتين المتصارعتين انتصاراً حاسماً على الاخرى ، وكان يقود هذه المعارك ترومب ورايتر عن جانب هولندة ، وبليك ، ومونك من الناحية الاخرى ، وحين سعى حزب النواب في امستردام الى عقد الصلح في سنة ١٦٥٤ ، كانت النتيجة العسكرية لهذه الحرب مثار خلاف . على أن لجنة انجليزية هولندية مشتركة قررت عقب الحرب تعويضات لشركة الهند الشرقية الانجليزية بمبلغ ٨٥ الف جنيه انجليزي دفعتها الشركة الهولندية بشكل اصولي كما الزمت الشركة الهولندية ايضاً بدفع مبالغ اخرى لاصلاح وترميم بعض السفن الانجليزية .

ولم يكن تأثير هذا الصراع على مجريات الامور في الخليج متميزاً ولا دائماً ، لكننا مضطرون – بالنظر الى فقدان المعالم التاريخية في هذه المنطقة فقدانا تاماً منذ سقوط هرمز حتى نهاية القرن السابع عشر – الى اتخاذ هذه الحرب الانجليزية الهولندية كاول نقطة ثابتة في سردنا التاريخي .

تأسيس شركة فرنسية للهند الشرقية ١٦٦٤ :

في سنة ١٦٦٤ تكونت شركة فرنسية للهند الشرقية بناء على مرسوم أصدره لويس الرابع عشر استجابة لنصائح كولبرت وزير ماليته .

الحرب الثانية بين الانجليز والهولنديين ١٦٦٥–١٦٦٧ :

وفي سنة ١٦٦٥ اعيد العمل بقانون البحرية في انجلترا ، وبدأت الحرب الثانية ضد هولندا ، وبدأها الانجليز باحراز انتصار في لويس توفت سنة ١٦٦٥ ، اعقبه انتصار مشكوك فيه للهولنديين في القنال الانجليزية في ١٦٦٦ ، واخيراً أرغم االهولنديون على الانسحاب الى موانيهم ، وجاء صلح بريدا في سنة ١٦٦٧ ليضع حداً لهذه الحرب ، أما أثرها على الاحداث في الخليج فليست معرفته باكثر سهولة من معرفة أثر الحرب التي سبقتها في ١٦٥٢–١٦٥٤ ، لكن اثرها في الهند كان واضحاً بسبب الحصار الذي فرضه الهولنديون على سفن الشركة الانجليزية في سورات .

الحرب بين الفرنسيين والهولنديين ، ومساعدة الانجليز للفرنسيين ١٦٧٢ – ١٦٧٨ :

ولم يمض وقت طويل على هذه ا لاحداث حتى ادت مطامع لويس الرابع عشر به الى الدخول في نزاع مع كل من هولندا واسبانيا ، ثم اعلان الحرب على هولندا في ١٦٧٢ . وفي ١٦٧٦ دمر الاسطول الفرنسي الاسطول الهولندي – الاسباني المشترك في البحر الابيض المتوسط ، وتحالف ملك انجلترا (شارل الثاني) في البداية مع فرنسا ضد هولندا ، وحدث اشتباك غير حاسم بين الاسطولين الانجليزي والهولندي في خليج

سولباي في ١٦٧٢ ، لكن الرأي العام الانجليزي ، وكان يعادي فرنسا ، ارغم حكومته على عقد الصلح مع هولندا في سنة ١٦٧٤ . وقرب نهاية حرب الست سنوات هذه كان ثمة عدد من الدول الاوروبية يقف الى جوار انجلترا ضد هولندا ، وفي سنة ١٦٧٨ ضمن صلح نيميجن لهولند استقلالها .

الحرب بين انجلترا وهولندا ضد فرنسا ١٦٨٨ ـ ١٦٩٧ :

وفي الصراع التالي الذي دار في اوربا وبدأ في سنة ١٦٨٨ وقفت انجلترا وهولندا معاً لصد سيطرة فرنسا في اوربا ، لكن هذا التحالف الجديد أخضع مصالح هولندا اخضاعاً تاماً للسياسة الانجليزية . وفي سنة ١٦٩٠ هزم الفرنسيون اسطولا انجليزياً هولندياً مشتركاً خارج بيش ـهيد ، ولكن في سنة ١٦٩٢ استطاع الحلفاء ان يهزموا قوة عسكـــريـــة فرنسية تجاه ساحل لاهاي ، لكن ذلك النصر لم يحل دون تمكن الفرنسيين من اسر ما سمي « الاساطيل التركية » التابعة لانجلترا وهولندا في العام التالي ، وسنرجع لهذه الحادثة مرة أخرى تالياً عند الحديث عن التجارة في الخليج ، كما أغرق الفرنسيون السفينة « باركل كاسل » التابعة لشركة الهند الشرقية في القنال الانجليزي ، واخيراً في سنة ١٦٩٧ كانت قوى فرنسا قد انهكت وبدأت المشكلة الاسبانية تستأثر باهتمام لويس الرابع عشر ، فتوقفت الحرب وتم عقد صلح روزويك .

الحرب بين الانجليز والفرنسيين ١٧٠٢ـ١٧١٣ :

وفي سنة ١٧٠٢ دخلت انجلترا الحلف الكبير ضد فرنسا في الحرب الاوروبية الكبرى التي نشبت بسبب التسوية التي كان يسعى لويس الرابع عشر ان يعرضها لمشكلة وراثة العرش الاسباني ، وهذه هي الحرب التي تحققت فيها انتصارات دوق مارلبورو في بلنهايم وراميليس ومالبلاكيت ، وسيطرة الانجليز على جبل طارق ، وقد استمرت هذه الحرب حتى سنة ١٧١٢ وانتهت بصلح اترخت ١٧١٣ لكننا لا نجد لهذه الحرب اية نتائج مباشرة على الاوضاع في منطقة الخليج .

شركة الهند الشرقية القديمة ، والشركة الجديدة
١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

لعل من المفيد ، وربما من الضروري أيضاً – ان نقدم تلخيصاً سريعاً لتاريخ شركة الهند الشرقية خلال هذه الفترة لكي يتسنى لنا فهم سير التجارة الانجليزية في الخليج .

التجار المغامرون – ١٦٥٤ – ١٦٥٧ :

لقد تسبب بعض الاشخاص ممن عرفوا في التاريخ باسم التجار المغامرين في متاعب كثيرة لشركة الهند الشرقية في السنوات التي أعقبت الحرب الهولندية مباشرة . وكان هؤلاء فيما يبدو من حملة اسهم الشركة المساهمة المتحدة ، التي تكونت نتيجة الاتفاقية التي اشرنا اليها من قبل بين شركة الهند الشرقية واتحاد تجار اسادا في سنة ١٦٤٩ ، وكان هؤلاء التجار يدعون انهم كافراد يحق لهم ما يحق للاتراك الاحرار ، والتجار الروس من الاتجار لحسابهم الخاص داخل نطاق الاقاليم التي يتمتعون فيها بالامتيازات ، وطبيعي ان هذا الادعاء كان موضع اعتراض شركة الهند الشرقية التي كانت عملياتها التجارية جميعاً تقوم كلية على مبادىء المساهمة المطلقة ، ولذلك فهي ترهب من منافسة رأس المال الخاص . وقد لجأ كلا الجانبين الى الحكومة القائمة في ذلك الوقت ، وبقيت المشكلة معلقة امداً طويلا ، وقد استدان كرومويل في سنة ١٦٥٥ مبلغ ٥٠ الف جنيه انجليزي من شركة الهند الشرقية ، لكنه سمح – في نفس الوقت – لهؤلاء التجار المغامرين بأن يجهزوا اسطولا تجارياً منفصلا لهم ، وظلت المشكلة على بساط البحث طوال سنة ١٦٥٦ وأخيراً أصدر كرومويل في اوائل سنة ١٦٥٧ – بناء على نصيحة مجلس الوزراء – قراراً ينص على عدم جواز قيام مساهمين في شركة مساهمة عامة بمشاريع خاصة بهم ، وكانت نتيجة ذلك انضمام أغلب هؤلاء التجار

المغامرين الى شركة الهند الشرقية حسب شروط المساهمة المرعية في الشركة الشرقية .

تأسيس شركة الهند الشرقية وسياساتها من سنة ١٦٥٨–١٦٩٨ :

كان طابع شركة الهند الشرقية في ذلك الوقت ما زال تجارياً بشكل أساسي لكنها بدأت – منذ ذلك الحين – تدرك بدفع التجارب والاحداث ان الوضع السياسي والمكانة السياسية تتغلبان في نهاية المطاف على الصبغة التجارية للاعمال وتلغيانها .

وفي سنة ١٦٦١ آلت ملكية جزيرة بومباي وميناءها من البرتغال الى التاج البريطاني كجزء من هدية الزواج من الاميرة البرتغالية لزوجها شارل الثاني ملك انجلترا من ناحية ، وكذلك في مقابل تعهد انجلترا بضمان سلامة املاك البرتغال في جزر الهند الشرقية ، وفي سنة ١٦٦٢ ارسل إيرل مالبورو من انجلترا على رأس اسطول لتسلم هذه الممتلكات ، لكنه لقي عنتاً في مهمته لمراوغة السلطات البرتغالية المحلية وفي نفس الوقت ارسل سير جورج اكسندن كرئيس ومدير عام لشركة الهند الشرقية في آسيا ، ومنذ ذلك الوقت بدأت مناقشة مشكلة التوحيد او التوفيق بين حقوق الملك ومصالح الشركة . وفي سنة ١٦٦٥ او ١٦٦٦ اقترح ممثلو الشركة في سورات ان يشرع في تنفيذ الارادة الملكية بانشاء وكالة للشركة في بومباي التي تنازل البرتغاليون الان عن ملكيتها ، لكن ما حدث بالفعل كان يتجاوز مدى الاقتراح المذكور ، فقد تنازل ملك بريطانيا عن جزيرة بومباي لشركة الهند الشرقية في مقابل ايجار سنوي قدره ١٠ جنيهات ذهبية ، وخولت الشركة الحق في الاحتفاظ بقوات عسكرية وتأسيس ادارة مدنية بالجزيرة ، وفي سنة ١٦٨٥ عينت الشركة ، استناداً لنفس الاذن الملكي سير جون تشايلد قائداً عاماً واميرالا لقواتها في الشرق ، وتقرر في سنة ١٦٨٤ ان تنقل الشركة مقرها الرئيسي في الهند من سورات الى بومباي ، غير ان تنفيذ هذا

القرار ارجيء حتى ربيع سنة ١٦٨٧ ، وفي سنة ١٦٨٩ او ١٦٩٠ ارسل مقر الشركة في لندن تعليمات الى رياسة فرعها في بومبي تكشف عن تحول سياستها القديمة الى سياسة السيادة الاقليمية على الارض ، وجاء في تعليماتها تلك الكلمات المشهودة : « ان زيادة الارباح هي محل اهتمامنا بمقدار ما هي « تجارتنا » ، وهذا هو الذي يحملنا على ان تكون لنا قوات نواجه بها احوالا قد يقع فيها لنا عشرون حادثاً تعرقل تجارتنا ؛ ان هذا هو الامر الذي يجعل منا امة في الهند . ان مرسوم صاحب الجلالة لا تكون صبغته مجرد صبغة تجارية الا حين لا تتواجد دولة يخطر ببالها ان تحول بيننا وبين تجارتنا » .

تكوين شركة الهند الشرقية الجديدة المعروفة باسم « الشركة الانجليزية في مقابل شركة الهند القديمة المعروفة باسم « شركة لندن » ١٦٩٨ :

ومنذ بواكير سنة ١٦٨١ على الاقل ، اثارت هذه الحقوق المطلقة التي تتمتع بها شركة الهند الشرقية حسد غيرها من المتحفزين للمتاجرة في الشرق ، وتكرر ظهور المتطفلين واصحاب المشاريع الخاصة المعتدين على احتكار الشركة ، وسرعان ما ساد رأي بعد ذلك يقول ان امتيازات هذه الشركة تظل غير نافذة طالما ظلت تعتمد على منحة ملكية لم يقرها البرلمان . وفي سنة ١٦٩٣ اجاز مجلس العموم قراراً يؤكد حق كل الانجليز دون استثناء في تجارة جزر الهند الشرقية وغيرها ما لم يمنع ذلك قانون من البرلمان ، وكانت النتيجة المباشرة لهذا القرار هي زيادة عدد التجار المغامرين الذين حاولت الشركة بشتى الطرق القانونية وغيرها ان توقفهم دون جدوى . وفي سنة ١٦٩٨ تكونت جماعة من التجار أصحاب رؤوس الأموال الخاصة وطرحوا قرضاً للاكتتاب في الاغراض العامة قيمته ٢ مليون جنيه انجليزي ، واستطاعوا استصدار قانون برلماني اتحدوا بموجبه فيما سموه « الشركة العامة للتجارة في جزر الهند الشرقية » واستطاعوا بهذا الغاء حقوق الشركة القديمة التي اصبحت توصف عموماً باسم « شركة لندن » وبدأ هذا الالغاء يسري ابتداء من ٢٩

سبتمبر سنة ١٧٠١ ، وفي ٣ سبتمبر ١٦٩٨ تلقت الشركة العامة المرسوم الذي أصبحت بمقتضاه اتحاداً تجارياً ، وكان مفهوماً ان كل عضو من أعضائها سيقوم بالاتجار لحسابه بنسبة مشاركته في رأس المال(١) ولكن بعدها بيومين فقط ، وبمرسوم جديد دخلت جماعة تعتبر هي معظم المساهمين في الشركة العامة في شركة جديدة سميت « الشركة الانجليزية للتجارة في جزر الهند الشرقية » ، وهكذا دخلت الميدان شركة جديدة تنافس شركة لندن ، لكن شركة لندن دخلت مساهمة في الشركة الانجليزية الجديدة باسهم قيمتها ٣١٥ الف جنيه انجليزي ، احتياطاً منها لما يمكن ان يحدث مستقبلا ، وفي الوقت نفسه أخذت تنافس الشركة الجديدة باقصى ما يمكنها ، وبدأ صراع مرير كانت فيه شركة لندن تمتاز بخبرتها الطويلة ووضعها المستقر في الشرق ، غير ان عدداً من موظفيها السابقين التحقوا بالعمل في الشركة الانجليزية ، وكانت الاخيرة تتمتع برضا الهيئات التشريعية والبلاط الانجليزي لذلك استطاعت ان تجعل لنفسها مكانة وطنية وعامة لم يستطع منافسوها القدامى التوصل لمثلها ، وقد استطاعوا الحصول عل تفويض السير ويليام نوريس ليكون سفير انجلترا لدى امبراطور المغول ، وكان رؤساؤها في الشرق يمنحون صلاحيات وامتيازات السفراء .

الصراع بين الشركة الجديدة والقديمة في الهند :

ولدى وصول ممثلي الشركة الانجليزية الى الهند بدأ صراع محزن كان من الممكن ان يؤدي — لو كان للبرتغاليين او الهولنديين او حتى للمغول قوة يعتد بها — الى ان يفقد الانجليز جميعاً مكانتهم في الهند . فلقد كان وكلاء الشركة الانجليزية يزعمون ان العاملين في شركة لندن لم يعد لهم حق في التعامل المباشر مع الدول الشرقية ، او حتى اصدار تصاريح المرور للسفن الاهلية ، بل لقد انكروا على سفن الشركة القديمة ان ترفع العلم البريطاني ، ولم يأبه العاملون في شركة لندن لهذه الاعتراضات في بداية الامر ثم راحوا يرفضون الاعتراف بأية سلطة لموظفي الشركة

الانجليزية عليهم لكون الاخيرين يتمتعون بصلاحيات قنصلية ، وكان هذا الصراع يبدو غير واضح بالمرة للسلطات المغولية ، لكنها رغم ذلك أفلحت في أن تحوله لصالحها ، مما اوقع اضراراً بالغة بكلا الطرفين المتصارعين . ومن الاحداث المخزية في هذا الصراع ان قام سير ن . وايت ، احد العاملين في الشركة الانجليزية بتحريض السلطات المغولية على اعتقال سير جون جاير حاكم بومبي المنتمي لشركة لندن ، وقد قامت السلطات فعلا باعتقاله ومعاملته معاملة وحشية في اوائل سنة ١٧٠١ ولم يسترد سير جاير حريته الا في سنة ١٧٠٥ او بعدها .

اجراءات دمج الشركتين الجديدة والقديمة ١٦٩٩ ـ ١٧٠٧ :

ولم يمض وقت طويل الا وبدأ يتضح في انجلترا ان استمرار هذا الصراع قد يؤدي الى افلاس الشركتين المتصارعتين معاً . وفي اوائل سنة ١٦٩٩ بدأت الشركة الانجليزية مفاوضات الوحدة وكان وضعها يجعلها الطرف الاضعف برغم امتيازاتها الرسمية ، ورفضت شركة لندن هذا العرض في بادىء الامر ، كما استطاعت ان تستصدر قانوناً في سنة ١٧٠٠ بمدد فترة وجودها ـ كشركة لها تصريح رسمي ـ الى ما بعد سنة ١٧٠١ ، لكن ملك انجلترا افصح عن رغبته في ان يتم الاندماج بين الشركتين ، وكانت الاحوال في اوربا مضطربة غير مستقرة ، ولهذا بدأت المفاوضات وانتهت في ٢٧ ابريل سنة ١٧٠٢ باتفاقية بين الشركتين وقع بمقتضاها ميثاق للوحدة بينهما في ٢٢ يوليو من السنة التالية ، وكانت نتيجة هذا اتحاداً مؤقتاً على قدم المساواة بين الشركتين ، اتفق فيه على تثبيت رأس ما لكل من الشركة الانجليزية وشركة لندن بمبلغ ٩٨٨,٥٠٠ جنيه انجليزي لكل منهما(١) ويدير اعمال التجارة المشتركة خلال

(١) كان هناك رصيد قيمته ٢٣ ألف جنيه انجليزى من راس المال الكلى البالغ ٢ مليون جنيه انجليزى متبقيا « للتجار المستقلين » على الجمعية العمومية .

السنوات السبع التالية مجلس للمديرين يتكون من ٢٤ عضواً تعين كل شركة ١٢ منهم ، وتحتفظ كل من الشركتين خلال هذه السنوات السبع بمنشآتها المستقلة وحساباتها المستقلة وحرية التصرف بمخزونها من البضائع وبعدها يتم الدمج النهائي الشامل بين الشركتين ، وفي ذلك الوقت قدر المخزون من البضائع التي لا يمكن بيعها في شركة لندن بما قيمته ٣٣٠ الف جنيه انجليزي ، وفي الشركة الانجليزية بما قيمته ٧٠ الف جنيه . وقد جرى تنفيذ ما تم عليه الاتفاق بالفعل رغم حدوث بعض الخلافات المؤسفة بين ممثلي الشركتين في الشرق ، وزاد من سرعة تنفيذ هذه الاجراءات ظهور مزيد من التجار اصحاب رؤوس الاموال الخاصة في سنة ١٧٠٧ واحتجاجهم ضد الاحتكار الممنوح لهاتين الشركتين ، بناء على طلب الحكومة منهما معاً قرضاً قيمته مليون و ٢٠٠ الف جنيه انجليزي .

اتحاد الشركتين القديمة والجديدة ١٧٠٨ :

واخيراً تم الدمج الرسمي للشركتين بقرار من ايرل جودولفين بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٧٠٨ ، وأصبح اسم الشركة الجديدة التي نتجت عن هذا الامتزاج « الشركة المتحدة للتجار الانجليز في جزر الهند الشرقية » وحيث انه تقرر أن تستمر الشركة في أداء عملها حسب المرسوم الصادر للشركة الانجليزية أي الاحدث منهما ، لذلك ربما صلح القول بأن الشركة المتحدة تعتبر من الناحية الفنية مستمدة وجودها من تلك الشركة الجديدة ، لا من شركة لندن او الشركة القديمة ، وبحلول أوائل سنة ١٧٠٨ انتهت تصفية اعمال وحسابات الشركة القديمة في ايران كشركة مستقلة ، واغلقت ابوابها .

بعض الالتزامات الخاصة في الميثاق والقوانين الانجليزية :

يبقى ان نشير الى بعض النصوص في هذا المرسوم ، والى بعض القوانين التشريعية التي كان لها اثرها على التجارة الانجليزية في الشرق

خلال هذه الفترة .

الاجرءات التشريعية الانجليزية ١٦٩٣ ـ ١٧٠٢ :

حين صدر لشركة الهند الشرقية ميثاق جديد سنة ١٦٩٣ ، كان عليها ان تصدر على اسطولها في الموسم التالي ما لا تقل ـ قيمته ـ عن ١٥٠ الف جنيه انجليزي من المنتجات والمصنوعات الانجليزية ، وادى هذا الاشتراط ـ كما سنشير فيما بعد ـ الى تنشيط التجارة في المنسوجات والثياب في ايران .

ثم حين تكونت الشركة الانجليزية او الشركة الجديدة في سنة ١٦٩٨ اشترط عليها ان يكون عشر البضائع التي تصدرها على الاقل من مصدر انجليزي ، وسرى هذا الاشتراط فيما بعد على الشركة الجديدة التي قامت بنتيجة دمج شركتي الهند القديمة والجديدة في ١٧٠٨ ، كما تأثرت طبيعة التجارة الانجليزية في الشرق بقانون صدر في سنة ١٦٩٩ او ١٧٠٠ كان يفرض ضريبة اضافية قدرها ١٥٪ على « الحرير المصنوع والحرير البنغالي والثياب المشغولة بالحرير او القصب ومصنوعات ايران والصين وجزر الهند الشرقية . كذلك كل انواع البفته المنقوشه او المرسومة او المصبوغة او المطبوعة هناك . التي لم يكن تم تصنيعها او استخدامها قبل خريف سنة ١٧٠١ »، وكان الهدف من هذا القانون هو زيادة اهتمام الشركة باستثمار اموالها في المواد الخام ، وانقاص استثمارها في المنسوجات الجاهزة من الشرق .

الحالة فى الهند سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

الاضطرابات التي سببها المراهتة ١٦٦٤ ـ ١٧٠٦ :

كان الامبراطور المغولي اورانجزيب الذي حكم من ١٦٥٨–١٧٠٧ هو امبراطور الهند في الجزء الاكبر من الفترة التي نحن بصددها ، غير ان سلطته كانت تقصر دون بعض الاجزاء في بلاده ، وادت حروبه ــ خاصة مع المراهتة ــ، الى فقدان الطمأنينة فيما يجاوره من المستعمرات الانجليزية على الساحل الغربي . وحدث في سنة ١٦٦٤ ان هاجم المراهتة ــ يقودهم سيفاجي بنفسه ــ مدينة سورات لكن العاملين في شركة الهند الشرقية استطاعوا انقاذ المدينة من الدمار نتيجة تحصينهم للوكالة الانجليزية وحسن بلائهم في الدفاع عنها ، ولذا استحقوا العرفان من جانب المغوليين . وفي سنة ١٧٠٦ حاول المراهتة مرة أخرى غزو سورات ... لكنهم فشلوا للمرة الثانية .

الاحتكاك بين الانجليز والمغول بسبب التدخل في تجارة الشركة ١٦٦٤ ـ ١٦٩٠ :

ظل الاحتكاك يحدث ــ من حين لآخر ــ بين العاملين في شركة الهند الشرقية والمسؤولين في الامبراطورية المغولية حول المشاكل المحلية والعامة على السواء ، وفي احدى الفترات نشبت بينهما حرب سافرة فيما بين ١٦٨٦ ، ١٦٩٠ ، وترجع أسباب هذه الحرب الى عدم تقيد المغوليين او سحبهم الامتيازات المكفولة للانجليز الذين يزعمون بدورهم أن تعويضهم عن الاضرار التي لحقت بهم قد بلغ الآن أكثر من ٦½ لاك(١) والى اصرار الشركة على أن تبعد بنفسها عن مجال سوء المعاملة في المستقبل باقامة قواعد محصنة واقاليم مستقلة ، ولكي يفرض الانجليز

(١) اللاك يساوى ١٠٠٫٠٠٠ مائة ألف روبية هندية .

مطالبهم هذه بدأوا في سنة ١٦٨٧ يستولون على سفن المغول في البحر ، ورد المغوليون بالاستيلاء على وكالة الشرق في سورات واسر موظفيها ، وعاد سير جون تشيلد — الحاكم العام في بومباي — مرة أخرى الى الانتقام بأن اسر فريقاً من سفن المغول في البحر ، واستمرت الحرب بينهما الى ان تم سنة ١٦٩٠ تقريباً اطلاق سراح موظفي الشركة الذين اسروا في سورات ، وانسحاب القوة المغولية التي كانت جاءت عن طريق البحر من سورات واحتلت جزءاً من جزيرة بومباي وحاصرت الانجليز داخل المدينة ، لكن فرمان ٢٧ فبراير سنة ١٦٩٠ — الذي تمت وقته هذه التسوية — خرق خرقاً بالغاً . كما طالب المغول الشركة بدفع تعويضات ومبالغ أخرى ، لكن الامور انتهت اخيراً الى صدور فرمان من الامبراطور يكفل للشركة حرية التجارة حسب اصول الحكم مع وعد بدفع تعويضات لها عما لحق بها ، وهكذا رغم ان الانجليز قد فشلوا في مشروعهم لاقامة قواعد اقليمية الا انهم نجحوا الى حد ما في استرداد هيبة بلادهم وسمعتها .

النزاع بين الانجليز والمغول نتيجة اعمال القراصنة الاوروبيين وغيرهم ١٦٩١ — ١٧٠٥ :

وبعد هذه الاتفاقية سرعان ما اضطربت العلاقات مرة أخرى بين المغول من ناحية ، والشركة — او الدولة الانجليزية كلها — من ناحية أخرى نتيجة غارات القراصنة الاوروبيين والعرب التي كان الامبراطور يرى وجوب اعتبار الانجليز والهولنديين والفرنسيين مسؤولين عنها مسؤولية مشتركة ، وفي السنوات التالية ، رضي الانجليز بالتهاون في الهند نتيجة الحروب مع فرنسا في ١٦٨٨—١٦٩٧(١) و ١٧٠٢—١٧١٢ ، وأيضاً نتيجة الصراع الداخلي بين الشركتين القديمة والجديدة في الفترة

---

(١) فى سنة ١٦٩٢ أسر الفرنسيون سفينة من سفن الشركة على بعد خمسين فرسخا من بومباى .

من ١٦٩٩–١٧٠٢ ، وقد حدثت الحادثة الاولى من حوادث القرصنة في سنة ١٦٩١ ، ونسبت الى سفينة انجليزية ، وبعدها فرض حظر على كل السفن الاوربية في سورات ، لكنه حين قبض على احد هؤلاء القراصنة ثبت انه دانيمركي ، وفي سنة ١٦٩٥ حدثت غارات قرصنة جديدة على السفن المغولية من جانب سفينة ترفع العلم الانجليزي وأدى هذا الى اعتقال الانجليز في سورات وفرض حظر على التجارة الانجليزية والفرنسية والهولندية في محاولة لارغام الدول الاوربية على تضافر الجهد منها لوقف عمليات القرصنة التي يقوم بها رجال من بلادها . وبعدها بقليل تكررت عمليات القرصنة في الخليج هذه المرة ، مما أدى بالسلطات المحلية في سورات الى ان تقبض على الوكلاء الانجليز فيها – عدا كبار المسؤولين منهم – وتضعهم في السجن مكبلين بالقيود فترة طويلة . وفي سنة ١٦٩٨ عقدت اتفاقية بين الدول الكبرى في الهند أصبح الانجليز بمقتضاها مسؤولين عن مياه « الهند الشمالية » والهولنديون مسؤولين عن البحر الاحمر ، والفرنسيون مسؤولين عن الخليج . وكان هؤلاء قد كونوا الشركة الفرنسية للهند الشرقية في سنة ١٦٦٤ واصبحت لهم وكالة في بندر عباس منذ سنة ١٦٧٧ على الاقل ، لكن هذه الاتفاقية كانت عقيمة لا جدوى منها .

وفي سنة ١٦٩٩ كلف سير جون جاير بتجهيز حرس يصحب قوافل السفن المغولية التي تحمل الحجاج باتجاه البحر الاحمر ، وعهد بهذه المهمة الى سفن الشركة القديمة ، لكنها لم تستطع ان تحقق شيئاً بهذا الصدد ، وأصبح الانجليز « محتقرين احتقار البرتغاليين في الهند » مكروهين كراهية اليهود في اسبانيا . واوقفت الحكومة المغولية التجارة الانجليزية والهولندية والفرنسية ايقافاً تاماً ، أدى بالهولنديين – حين استبد بهم اليأس – الى نقل مراكبهم موقتاً الى باتافيا . وفي سنة ١٧٠٠ قبض على كابتن جيلا ومعه ٩ من القراصنة وارسلوا الى انجلترا حيث اعدموا هناك ، غير ان الصراع بين شركة الهند القديمة والجديدة أدى الى شل

جهود الاثنتين معاً في مطاردة القراصنة . وفي سنة ١٧٠٢ وبناء على طلب مشترك من الشركة القديمة والجديدة بعد توحيدهما ارسلت الحكومة الانجليزية حملة صغيرة لمطاردة القراصنة في الشرق ، لكنها لم تحقق كبير نفع . وفي سنة ١٧٠٣ أو ١٧٠٤ حدثت عمليات قرصنة جديدة أدت بالمغول الى اعادة القبض على الوكلاء الانجليز في سورات وحبسهم ، كما قبض على سماسرتهم من الاهالي وعوملوا معاملة سيئة كما ارغموا على توقيع سندات قيمتها ٦ لاكات من الروبيات تدفع تعويضاً للمتضررين من اعمال القراصنة . ثم ان الحرب ضد الفرنسيين في أوربا ادت الى تراخي الجهود المبذولة لتعقب القراصنة ومن بينهم أعراب مسقط الذين شجعهم المغامرون الاوروبيون على ذلك دون شك ، فاستشرى نشاطهم منذ سنة ١٦٩٥ ،وكان تشجيع القرصنة من الاتهامات التي توجهها شركة الهند الجديدة والقديمة كل منهما للاخرى ، والواقع ان سفينتين من سفن الشركة القديمة تمرد العاملون عليهما واصبحوا قراصنة بالفعل .. لكننا نجد من الناحية الاخرى ان بعض هؤلاء المغامرين الذين عاونوا الشركة الجديدة منذ بدايتها كانوا هم انفسهم في عداد القراصنة السابقين .

وواضح ان مثل هذه الظروف قد اضرت حتماً بتقدم التجارة الانجليزية في الخليج ، والحقيقة انه ورد صراحة ضمن تقرير صادر عن بندر عباس ان ظهور قرصان انجليزي واحد في مياه الخليج قد اضر بالتجارة الانجليزية إضراراً بالغاً ، وقد قام طاقم سفينة ذلك القرصان بنهب الوكالة البرتغالية في كنج ، وقد ارسلت الشركة السفينة سيزار لمطاردتهم دون جدوى .

سفارة سير ويليم نوريس في البلاط المغولي ١٦٩٩ ـ ١٧٠٢ :

لقد أشرنا من قبل الى دور شركة الهند الجديدة في تعيين سير ويليم نوريس سفيراً للملك انجلترا لدى امبراطور المغول ، لكن التعليمات التي لديه كانت مسرفة في عموميتها ، كما ان صلاحياته لم تكن محددة

تحديداً دقيقاً ، غير انه ما من شك في ان سفارته استهدفت ارساء تجارة شركة الهند الجديدة على اسس ثابتة ، بالحصول على الفرمانات الضرورية لذلك من الامبراطور ، وربما كان المأمول تحقيق ذلك الاعتراف بإكساب مدراء الشركة الجديدة صفات قنصلية . ووصل سير ويليام نوريس الى الهند في سنة ١٦٩٩ ، لكنه لم يصل الى سورات — حيث تميز سلوكه هناك بقسوة بالغة على ممثلي الشركة القديمة — الا بنهاية سنة ١٧٠٠ ، كذلك لم يبدأ رحلته الى البلاط المغولي حتى يناير سنة ١٧٠١ . وقد فشلت مفاوضاته مع الامبراطور ويبدو انه لم يستطع الحصول على الفرمانات المنشودة لانه رفض الموافقة على شرط وضعه المغول ، يقضي بتعهد الانجليز بضمان سلامة سفن المغول في مياه الهند «الجنوبية» ، ولا يسعنا بهذا الصدد الا ان نثني على حكمته ، لان مثل هذا التعهد من جانبه كان سيكبد الشركة الجديدة خسائر تتجاوز كل حصر ، الى جانب انه كان لا بد سيتضمن اعترافاً رسمياً من جانبه بالنظام الذي دأبت حكومة المغول على اتباعه في تحصيل التعويضات من الشركة القديمة عن كل حادثة قرصنة تقع .

الاحداث فى تركيا سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

نعود الآن الى الدول المتاخمة للخليج :

تعاقب السلاطين :

كان حكام تركيا خلال هذه الفترة التي نتعرض لها هم على التوالي : محمد الرابع (١٦٤٨—١٦٨٧) ، سليمان الثاني (١٦٨٧—١٦٩١) ، احمد الثاني (١٦٩١—١٦٩٥) ، مصطفى الثاني (١٦٩٥—١٧٠٣) ، احمد الثالث (١٧٠٣—١٧٣٠) . غير ان منطقة الخليج لم تكن لها اهمية خاصة طوال حكمهم جميعاً .

الاحداث فى ايران سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

الشاه سليمان ١٦٦٦ — ١٦٩٤ :

في ايران تنازل الشاه عباس الثاني عن العرش في سنة ١٦٦٦ لاكبر أبنائه الشاه سليمان الذي حكم حتى وفاته في سنة ١٦٩٤ ، وكان بلاط هذا الشاه زاهياً فاخراً لكن خلقه كان فاسداً ، وحكمه خالياً من الاحداث بشكل عام ، وفي سنة ١٦٥٧ نشبت الحرب بينه وبين امبراطور المغول في الهند ، وفي سنة ١٦٨٤ كان في بلاطه — في وقت واحد سفارة يرئسها لويس فابرتيس مبعوثاً عن الملك شارل الثاني عشر ملك السويد ، كما كان ثمة سفراء من مختلف الدرجات لفرنسا والمانيا وروسيا وبولندا والبابا . وكانت السفارة السويدية التي اوفدت اصلا لاغراض تجارية ولتحريض الايرانيين على الاتراك ، قد ظلت مقيمة في أصفهان حتى نهاية سنة ١٦٨٥ .

الشاه حسين :

وانتهى حكم اسرة «صفوى» في ايران بالشاه حسين ابن الشاه سليمان وخليفته ، ودخلت البلاد مرحلة جديدة من تاريخها . ويرجع انهيار حكم هذه الاسرة الى الفساد الذي كان مستشرياً في حكومة الصفويين من ناحية ، والى ازدياد قوة وتعديات الافغانيين في اقليم قندهار . وفي سنة ١٧٠٩ استطاع هؤلاء الغزنويون بقيادة قائد اسمه مير ويس ان يسيطروا على اقليم قندهار ولم يستطع اقوى جيوش الشاه استرداد الاقليم . وفي سنة ١٧١٩ واصل الافغانيون تقدمهم بقيادة محمود بن مير ويس حتى دخلوا ايران وهاجموا كرمان ، لكن لطف علي خان ، وهو احد القواد الايرانيين الذي كان قد ارسل الى المناطق المجاوره لبندر عباس بهدف استعادة بعض الجزر من ايدي عرب مسقط ، استطاع ان يتقدم الى الشمال ويستعيد اقليم كرمان ويرد الافغانيين موقتاً خارج ايران ، لكن هذا لم يدم سوى فترة قصيرة ، فقرب نهاية ١٧٢١ تحرك محمود مرة أخرى من قندهار وهاجم في طريق زحفه للاقاة الجيش الايراني كلا من كرمان ويزد فلم يفلح في احتلالهما ، الا انه تقدم نحو معسكر الجيش الايراني الرئيسي المجاور لهما فهزم الشاه هناك ، وحاصره حصاراً خطراً وطويلا في أصفهان . وفي أكتوبر سنة ١٧٢٢ كوفىء محمود على حماسته ومثابرته بتنازل الشاه حسين له عن عرش ايران ، وهكذا سقطت بيده عاصمة ايران (١) التي أصبحت الى حين تحت حكم الافغانيين .

---

(١) يروى هاميلتون في المجلد الاول من تاريخه ص ١١٠ ، ١١٢ ان الانجليز قاموا بدور فى الدفاع عن المدينة ، وان الافغانيين قد سجنوهم ، وان هؤلاء أيضا قد هاجموا الوكالات الانجليزية والهولندية، لكن روايته ـ على أية حال ـ تضم متناقضات كثيرة، ولا يمكن الاعتماد عليها .

العلاقات السياسية بين شركة الهند الشرقية وايران سنة ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

النتائج غير المباشرة للحرب ضد هولندا في ايران ١٦٥٣ – ١٦٥٤ :

خلال الحرب الانجليزية ــ الهولندية ، استطاع الهولنديون احراز نصر بحري على الانجليز في الخليج ، سنعود للحديث عنه تفصيلا فيما بعد . وقد ادى هذا الانتصار في البداية الى الاقلال من هيبة الانجليز في ايران ، لكنهم سرعان ما استردوها بورود انباء انتصارهم على الهولنديين في بورتلاند .

اضطراب العلاقات مع ايران نتيجة اعمال التجار المغامرين ١٦٥٦ – ١٦٥٧ :

وفي نهاية الحرب الهولندية ، كان وضع شركة الهند الشرقية في ايران بعيدا عن الاستقرار نتيجة اعمال التجار المغامرين الذين تتبعنا حكايتهم من قبل ، ونتيجة الاشاعات التي كانت تروجها سفنهم بأن الشركة على وشك ان تصفى اعمالها ، مما ادى بالحكومة الايرانية الى الزعم بأن فرمان الشاه عباس الذي أصدره لصالح الشركة قد انقضى العمل به ، كما اوقفت ايضاً كل الامتيازات التي منحت بتاريخ لاحق لهذا الفرمان . وهكذا أصبحت تجارات التصدير والامتيازات مستحيلة الى حين . غير ان الوكلاء ظلوا يداومون في مباني الشركة في بندر عباس ليحتفظوا بحق المتاجرة وبنصيبهم في نصف عوائد الجمارك في بندر عباس . وقد انتهت هذه المشاكل في سنة ١٦٥٧ حين أصبح التجار المغامرون مساهمين في الشركة الجديدة .

شركة الهند الشرقية تواجه صعوبات مع الحكومة الايرانية ونقص تجارتها في ايران ١٦٥٧ – ١٦٦٤ :

وأدى اختفاء هؤلاء التجار المغامرين ، واستمرار شركة الهند

الشرقية في أداء عملها على نفس الاسس التي كانت لها الى اسقاط كل عذر للحكومة الايرانية في التدخل بالتجارة الانجليزية في ايران ، لكن اتجاه الحكومة الايرانية ظل غيرودي كما هو،خاصة بالنسبة لمسألة عوائد بندر عباس ، وساء الوضع أكثر وأكثر حتى اضطرت الشركة الى التفكير في اللجوء للعنف لاستعادة مكانتها . وفي سنة ١٦٥٩ اقترح المسؤولون عن الوكالة الرئيسية في سورات – كجزء من خطة العنف – اقامة قاعدة حامية عسكرية في مسقط ، وبدأت المفاوضات مع العرب بالفعل ، لكنها لم تؤد الى شيء . وفي سنة ١٦٦٠ اوصى مجلس ادارة الشركة في انجلترا بمحاصرة ميناء بندر عباس او الساحل الايراني كله ، لكن المسؤولين في سورات تعذر عليهم تنفيذ هذه التعليمات لانه لا بد لتنفيذها من توافر ثماني سفن صالحة للعمل ، ولم يكن هناك سوى سفينتين فقط كان طاقم بحارتهما ناقصاً ، ثم أن هذا الحصار المقترح كان يتطلب بدوره اقامة قواعد ثابتة بها امداداتها الكافية من الماء والمؤن ، وفي سنة ١٦٦٣ اوصى مجلس الادارة في لندن بان يبقى في بندر عباس موظفان او ثلاثة من الامناء الاكفاء فقط لمتابعة التجارة وتحصيل نصف العوائد المستحقة بعمولة قدرها ٥٪ لهم ، وان ينسحب باقي العاملين ، او تنسحب الوكالة كلها من بندر عباس على ان يرسل اليها موظف واحد كل سنة لتحصيل العوائد . وفي نفس الوقت ، وبتحريض من الهولنديين اصبح سلوك الايرانيين في بندر عباس اشد صلفاً ووقاحة ، فبامر من الشاهبندر ضرب السمسار الاهلي في الوكالة الانجليزية ضرباً مبرحاً ، ونقل « بين الحياة والموت » في حضور مستر كرادوك ، ثم اغتصبت منه عدة مئات من التومانات فيما بعد . ووضح بعد ذلك عجز الانجليز وفقدان حولهم ، وكانت وكالة سورات ترى ان ارسال مبعوث للشكوى في اصفهان امر لا جدوى منه ، الى جانب انه يكلفهم اموالا طائلة ، وكانت ترى ايضاً ان حصار ميناء بندر عباس لن يجدي شيئاً لان ايران دولة قوتها كلها برية وليست لها مصالح بحرية ذات

قيمة ، وبالتالي فلن يؤدي هذا الحصار الى الاثر المطلوب الا لو دام سنتين او ثلاثاً دون انقطاع ، كما ان هذا الحصار اذا لم تقم به قوة بحرية ضخمة ، فسيتجاهله الهولنديون وهنالك ايضاً احتمال ان يستاء امبراطور المغول لما قد يؤدي اليه مثل ذلك الحصار المقترح من تشويش على تجارة رعاياه الايرانيين . واخيراً في سنة ١٦٦٤ ، قرر مجلس الشركة في سورات ترك اثنين من الموظفين فقط في بندر عباس ، وعدم السعي لاية مفاوضات في أصفهان ، وارسل القرار لرئاسة الشركة في انجلترا للتصديق عليه .

بعثة رولت وفشلها ، واستمرار المضايقات ١٦٦٩ ــ ١٦٧٢ :

وفي سنة ١٦٦٩ ، قررت الشركة ان تجارتها في ايران قد تدهورت تدهوراً واضحاً خلال السنوات الاخيرة ، وتقرر ان يقيم وكيل واحد عنها في بندر عباس ليحصل نصيب الانجليز من العوائد . وفي نفس السنة قرر مجلس ادارة الشركة ارسال مستر ويليم رولت الى ايران كمبعوث خاص لها يتولى الاشراف على شؤونها التجارية هناك ويعمل ــ في نفس الوقت ــ متعاوناً مع وكالة سورات وطلب الى هذه الاخيرة ان تحدد عدد ونوع السفن المسلحة الضرورية لحماية التجارة الانجليزية في الخليج ، وتحصيل نصيبهم من عوائد بندر عباس كرهاً ، « وطال انتظار رولت في البلاط الايراني حتى غدا كرهاً مملا » ولم يتحسن أي شيء في الموقف كله حتى نهاية سنة ١٦٧١ ، واستمرت التجارة متدهورة لعدة مواسم متتالية ، كما كان المسؤول الايراني عن الجمارك في بندر عباس عرضة للتغيير الدائم ، وحتى هذه الامتيازات التي كفلت للانجليز دون انكار قد باتت موضع شكوك بالغة ، وكان ثمة تدخل تعسفي من جانب وزير الشاه في امور الشركة ، وكان ايفاد مبعوثين لمحاولة ايجاد حل للامور في أصفهان امراً باهظ التكاليف وغير مضمون النتائج ، وقال رولت نفسه في النهاية ان السبيل الوحيد امام الانجليز لاستعادة امتيازاتهم وضمانها هو استخدام القوة السافرة ، وبدأ الايرانيون ــ من ناحيتهم ــ

يتحدثون عن إبطال ميناء بندر عباس بانشاء ميناء جديد في « ريق » أو غيرها — ووجد حاكم شيراز في نفسه الجرأة كي يطلب تسخير السفينة « ادفانس » التابعة للشركة في نقل حملة عسكرية ايرانية في البحر ، لكن طلبه رفض بطبيعة الحال . وفي اوائل ١٦٧٢ صدرت التعليمات بتوجيه انذار للشاه ولوزيره الاكبر « اعتماد الله » وللشاهبندر في بندر عباس ، وتحميلهم جميعاً مسؤولية النتائج الخطيرة التي قد تترتب على استمرار هذه المعاملة السيئة التي يلقاها الانجليز ، كما واصلت وكالة سورات بحث امكانية استخدام الوسائل الانتقامية .

آمال جديدة ، ثم اخفاق مساعي الشركة في ايران ١٦٧٤ :

وفي سنة ١٦٧٤ ، انتهت الحرب بين الانجليز والهولنديين في اوربا للمرة الثانية وساد امل جديد في ان تتحسن امور الانجليز في ايران ، وارسل الملك شارل الثاني خطاباً للشاه سليمان ، وجمع وكيل الشركة في ايران كل الفرمانات التي صدرت لصالح الشركة وارسلها الى الادارة في لندن بعد ترجمتها الى الانجليزية ، وبذلت الجهود من اجل الحصول على فرمان جديد من الشاه يؤكد بها هذه الفرمانات السابقة . وفي سنة ١٦٧٥ تقرر تسليح السفن التجارية المتوجهة للخليج والتابعة للشركة الى حين صدور اوامر اخرى « وذلك تأكيداً لمظهر القوة والتجارة معاً » وفي سنة ١٦٧٦ نفذ هذا القرار بارسال سفينتين مسلحتين للخليج ، محملتين بالثياب والقصدير ، ولكنهما مقصودتان لحماية التجارة ، وتحصيل العوائد المتأخرة للشركة في بندر عباس ، واوضحت الشركة للشاه « بهذه المناسبة » ، ان نصيب الانجليز من عوائد بندر عباس انما هو في مقابل خدماتهم القديمة في هرمز ، وان عليه ان يدفع من الآن نصف تكاليف السفن التي ارسلت لضمان الامن في البحر ، ويبدو انها قد أوضحت له ايضاً ان رفض أي من هذين الطلبين يعتبر اعلانا لها بالعداء الصريح . لكننا لا نعرف نتيجة هذه الاجراءات على أية حال . وفي

نفس الوقت اخطرت وكالة سورات المسؤولين عن الشركة في لندن بأن الحرب لو اعلنت فيجب ان تعلن باسم ملك انجلترا لا باسم الشركة ، واشار الى انها لا يمكنها ان تفعل شيئاً سوى فرض حصار بحري ، وعبرت عن مخاوفها في ان يستغل البرتغاليون او الهولنديون اي حرب تنشب بين انجلترا وايران للحصول على احتكار التجارة في بندر عباس ، كما اعلنت الشركة رأيها — بالاشارة الى المناقشات التي استمرت سنوات طويلة الى الآن دون ان تحقق نتيجة ما — في تفضيل اجراء مفاوضات سلمية ، بدل العداء السافر لتسوية الامور في ايران . وقرر مجلس ادارة الشركة في لندن سنة ١٦٧٧ — بناء على هذه النصيحة استبعاد فكرة القيام بعمل مسلح ، وظلت التجارة على ضعفها . وفي سنة ١٦٨٠ اثيرت مشكلة تصفية وكالة بندر عباس مـــرة أخـــرى ، وفي سنة ١٦٨١ ظهـــرت آمال جديدة في تحسن الموقف نتيجة ما استطاع مستر بيتيت وكيل الشركة في ايران ان يتوصل اليه فيما يتعلق بعوائد بندر عباس ، لكن هذا كله لم يكن سوى وهم ، ففي سنة ١٦٨٢ بلغت الديون المستحقة للشركة حوالي مليون جنيه انجليزي .

حملة سير توماس جرانتهام الفاشلة على بندر عباس ١٦٨٣—١٦٨٤ :

وأخيراً قررت الشركة في سنة ١٦٨٢ انتهاج سياسة أكثر حزماً ، فارسل مجلس ادارتها خطاب احتجاج الى الشاه ، وقرر ان يعززه بمناورة بحرية تجاه ساحل ايران ، لكن تنفيذ هذا القرار الاخير اعاقته بعض الاحداث في مناطق اخرى . وفي سنة ١٦٨٣ استطاعت الشركة ان تهيىء السفينة شارل الثاني — وهي سفينة قوية مسلحة بحوالي ستين او سبعين مدفعاً ، وصدرت التعليمات لقائدها — سير توماس جرانتهام بأن يعمل جهده — عن طريق اسر السفن الايرانية في غارتين متتاليتين — لتحصيل العوائد المتأخرة (١) ، ثم يحاول بعدها اقامة التجارة الانجليزية

(١) يبدو أن الشركة قد حسبت المبالغ الاجمالية للعوائد المماطل بها بما قيمته ١٥٠ الف تومان لكنها لم تكن تتوقع تحصيل جميع مثل هذا المبلغ بالطبع .

على اسس ثابتة ، لكن حين وصوله الى بندر عباس ــ وجد اسطولا هولندياً كبيراً يحاصر الطريق الى المدينة فيما كانت قوات ايرانية ضخمة تدافع عنها في البر ، وفي هذه الظروف لم يستطع جرانتهام تنفيذ التعليمات التي لديه ، فكرّ عائداً الى بومباي .

١٦٨٤ ــ ١٦٩٤ :

في هذا الوقت نفسه اصبحت لهجة الحكومة الايرانية أكثر اعتدالا نتيجة ما أصاب بلادها من عدوان البرتغاليين . وحتى قبل ان يصل اسطول جرانتهام الى بندر عباس ، كان اعتماد الله ــ الوزير الاول في ايران ــ قد بدأ في التودد للانجليز . ونحن نستطيع التعرف على طبيعة العروض المقدمة منه وهي تتلخص في التعهد بدفع عوائد بندر عباس بانتظام ونقل البضائع الايرانية كلها على سفن انجليزية على ان تتعهد الشركة بأن ترسل سفناً من الدرجة الاولى وان تقدم كميات كافية من البضائع الانجليزية ، وتحافظ على مستوى جيد من المتاجرة مع ايران . وفي هذه الظروف المواتية أصدر مجلس ادارة الشركة قراره في سنة ١٦٨٤ بــأن يقيم عضوان من وكالة بندر عباس اقامة دائمة في أصفهان ليراقبا مصالح الشركة من هنالك،وان تبذل الجهود لضمان افضلية الانجليز على الهولنديين في المنافسة على تصدير اصواف كرمان ، وفي سنة ١٦٨٦ صدرت تعليمات اخرى للوكلاء المحليين بأن يطلبوا امتيازات خاصة من الشاه لتشجيع الملاحة الانجليزية ، وان يقترحوا عليه ابرام عقد مع الشركة تتولى به احتكار كل حرير ايران وصوف كرمان مما كان يحتكره الهولنديون من قبل . وفي هذه السنة الاخيرة تم استصدار امر من الشاه بحماية التجارة الانجليزية وتعزيز امتيازاتها في بندر عباس وذلك على الرغم من دسائس الهولنديين عن طريق ترجمان الشركة الارمني في اصفهان .

المفاوضات لتجديد امتيازات الشركة ١٦٩٤ ــ ١٦٩٧ :

ولم يحدث شيء آخر ذو بال خلال الفترة الباقية من حكم الشاه

سليمان ، وحين مات في يونيو ١٦٩٤ واجهت الشركة ضرورة الحصول على تعزيز لهذه الفرمانات والامتيازات التي حصلت عليها من خلفه الشاه حسين . واثناء اتخاذها الخطوات الضرورية لهذا الهدف ، وجد وكيل الشركة نفسه مضطراً لان يدفع لحاكم كرمان الذي امر بانقاص الصوف المعد للتصدير من اقليمه الى ٧٠٠ موند(١) ، كما وجد من الضروري ان تدفع اكرامية دائمة للشاهبندر في بندر عباس ، وحين عرضت الحكومة الايرانية ان يعاونها الانجليز في السيطرة على مسقط على ان يكون لهم فيها نفس الامتيازات التي لهم في بندر عباس ادى هـذا الى تقدم المفاوضات التي كانت جارية لتجديد امتيازاتهم ، لكن الشركة لزمت جانب الحكمة بأن رواغت وتملصت من ان تزج بنفسها في عمل عدائي ضد عرب مسقط الذين كان قراصنتهم حتى ذلك الحين يحترمون السفن الانجليزية .

فرمان ١٨ يونيو سنة ١٦٩٧ :

وأخيراً وبعد تسويف طويل ، وقع الشاه فرمانا بتاريخ ١٨ يونيو سنة ١٦٩٧(٢) ، وكان في حدوده العامة كفرمان الشاه عباس الاول الصادر في سنة ١٦١٧ ، ولسنا بالتالي في حاجة لتلخيصه هنا(٣) لكنه أضاف شرطاً يقضي بأن تكون الضرائب التي تدفعها الشركة على صادراتها ووارداتها في ايران كتلك التي تحصلها الحكومة التركية في حلب والقسطنطينية . وبلغ عدد الارقام(٤) او الشروط الاضافية الموجودة

---

(١) الموند مكيال هندى يساوى ١٠٠ رطلا .

(٢) يطلق عليها أيضا اسم « اهدانامة » أو « اتفاقية » .

(٣) ستجد له تفصيلا فى كتاب بروس « تاريخ شركة الهند الشرقية الموقرة » ، المجلد الثالث ، ص ٢٤١ ــ ٢٤٣ » ، ومنها قد أخذنا تعبير « الرقم » الموجود فى هذا النص (ص ٢٤٣) .

(٤) الترجمة الحرفية لها « كتابات » .

في هذا الفرمان عشرين رقماً(١) منها ١٨ ليست سوى تجديد لشروط قبل ذلك ، والباقيان وضعا لاول مرة ، وفي ظل النصوص القديمة كان للشركة الحق في :

١ — أن تملك مقراً في أصفهان .

٢ — ان تستعيد البضائع التي توُخذ منها في الطريق .

٣ — ان تُستثنى من الراهداري او ضرائب الطريق في جميع انحاء ايران .

٤ — ان يكون لها حق استعمال المرافق المدنية .

٥ — ان تصدر ١٢ حصاناً في كل سنة .

٦ — ان تصدر (في كل سنة ؟) ما حمولته ٢٠٠٠ موند من البضائع معفاة من الضرائب .

٧ — ان يضمن لها نقل بضائعها في سلام حتى مقرها في أصفهان .

٨ — ان تجلب الماء لمقرها هذا .

٩ — ان يعين خفر على قوافلها .

١٠— ان تصنع النبيذ وتصدره .

١١— ان تستخدم موظفين لعمل النبيذ .

١٢— ان تشتري من اصواف كرمان ما تشاء .

١٣— ان يكون لها سلطة محاكمة موظفيها في الجرائم التي يرتكبونها .

١٤— ان تبيع البضائع لحاكم بندر عباس مقابل الدفع فوراً ، على ان يمنع الحاكم المذكور من عقد اية صفقات بالقوة .

١٥— ان تعيد شغل مقرها في شيراز ، والذي كان الحاكم قد نزع ملكيته منها .

١٦— ان ترفض تقديم الهدايا للخانات والحكام .

١٧— ان تصان من اية عرقلة لحركة تنزيل بضائعها في بندر عباس .

---

(١) يقول بروس ان عددها كان ٢١ ، منها ١٩ قديمة ، لكن هذا الاحصاء لا يكشف الا عن ١٨ فقط من هذا النوع .

١٨ـ ان تتعامل في تجارة السكر والحليب معفاة من الضرائب .

اما الشرطان الجديدان فكانا :

١٩ـ ان تُستثنى التجارة البريطانية في ايـــران مستقبلا من ضرائب السادياك(١) والهافوي(٢) .

٢٠ـ ان تسوى فوراً متأخرات الانجليز من عوائد بندر عباس .

زيارة الشاه للوكالة الانجليزية في اصفهان ونتائجها ١٦٩٩ـ١٧٠٠:

وفي ٢٣ يوليو سنة ١٦٩٩ قام الشاه ـ وبصحبته بعض افراد حرمه بزيارة الوكالة الانجليزية في أصفهان ، حيث اعد مستر بروس ـ الذي كان مدير الوكالة وقتئذ استقبالا حافلا للشاه . وكان سبب الزيارة رغبة الشاه في فحص مبنى للشركة أعجبته واجهته الخارجية واستأثرت باهتمامه ، ولم يتم هذه الزيارة الا بعد ان اقنع الشاه نفسه بأن ثمة سابقة لها قد حدثت حين قام الشاه عباس الاول بزيارة الوكالة الانجليزية بعد سقوط هرمز ، وأن هذه الزيارة ـ بالتالي ـ ليس فيها ما يسيء لعظمته . وفي اليوم المحدد للزيارة طليت واجهة الوكالة وما جاورها طلاء جديداً ، وروعيت ايضاً تعليمات الشاه « بأن يقوم الخصيان والطواشيه بمنع الناس الذين يحاولون الفرجة على الملك ، ومن بصحبته من خلال ثغرات الجدران .. » وتم كل شيء على ما يرام وكلفت هذه الزيارة الوكالة الانجليزية ما يربو على ١٢ الف جنيه انجليزي ، لكن نتائجها كانت مفيدة جداً ، فلم يكتف الشاه بالافصاح عن رضاه ـ بتقديم خلعة وسيف ثمين وحصان للوكيل الانجليزي ـ بل امر ايضاً بدفع سنة من العوائد المتأخرة في بندر عباس فوراً ، وأتبعها بامتيازات اخرى ، وسرعان ما حاول الهولنديون بعدها اغراء الشاه بزيارة وكالتهم بدورها لكنهم

---

(١) او ١٪ .

(٢) هكذا وردت عند بروس .. ومن الصعب أن نعرف أية كلمة فارسية هى المرادة على وجه الدقة .

فشلوا . وفي سنة ١٧٠٠ قدمت الشركة الى الشاه هدية هي مجموعة من الزجاج الذي يستخدم لصنع عدسات النظارات من مختلف الاشكال ، ومجموعة من نصال السيوف الثمينة يختار منها جلالته ما يشاء ، وذلك اعترافاً بفضله العظيم على ممثلها في أصفهان ، واصدرت الشركة تعليماتها لوكيلها — وهو الآن مستر اوليفر — بأن يقدم مع الهدية التماساً للشاه بأن يمنح الانجليز امتيازاً لتصدير الحرير الخام من ايران .

سفارة بريسكوت الفاشلة ١٧٠٤ — ١٧٠٧ :

وفي سنة ١٧٠٤ ارسل مستر بريسكوت من انجلترا محملا بالهدايا ومعه خطاب الى الشاه من الملكة آن ومكلفاً بالاشراف على وكالات الشركة في ايران ، لكنه مات في ايسن بالقرب من بندر عباس في نوفمبر سنة ١٧٠٥ بعد ثلاثة أشهر فقط من وصوله البلاد ، وشيعته ملاحظة من وكلاء الشركة في ايران يقولون فيها : « ان وكيلا مفوضاً محترماً افضل بكثير من سفير شيء » .

هبوط اسهم الانجليز نتيجة استمرار القرصنة ١٧٠٥ — ١٧٠٧ :

لكن اسهم الانجليز في ايران هبطت مرة أخرى من جراء مايلقونه من مغول الهند من اهانات من جهة ، وبسبب فشلهم في القضاء على القرصنة من ناحية اخرى . وفي ١٧٠٧ اقترح الشاه ارسال تاجر ايراني كمبعوث الى بومباي بطلب العون البحري ضد القرصنة ، لكن الوكيل الانجليزي ، لما يعلمه ويخشاه من تأثير اطلاع الايرانيين على سوء احوال الانجليز في دولة المغول ، ومما قد يدفعهم اليه ذلك من التفاهم مع الهولنديين ضدهم ، ثبط همة الشاه عن تنفيذ اقتراحه ، ومنّاه بأن الانجليز ، حالما تنتهي الحرب في اوروبا سيوجهون حملة قوية ضد القراصنة الذين كانوا قبل ذلك قد استولوا على السفينة « دياموند » التابعة للشركة أثناء رحلتها من بومباي الى بندر عباس .

هجوم البلوش على وكالات الانجليز والهولنديين في بندر عباس سنة ١٧٢١

وقد صحب غزو الافغانيين لايران في سنة ١٧٢١–١٧٢٢ اندفاع البلوش(١) من مكران الى كرمان ولار ، حيث ارتكبوا هناك غارات رهيبة . وفي نوفمبر ١٧٢١ هاجمت حشود البلوش مدينة لار ، وهاجمت بشكل خاص نزلا كان يشغله اثنا عشر هولندياً يحرسون اموال شركة الهند الشرقية الهولندية واستطاع الهولنديون ان يصدوا هذا الهجوم مسببين للمهاجمين خسارة كبيرة ودون ان يصاب منهم احد ، ثم انتقلوا بعدها الى قلعة لار ، واستطاعوا ان يدفعوا عنها هجوم البلوش بنجاح . وفي ١٥ سبتمبر ظهرت حشود البلوش امام بندر عباس ، غير ان الانجليز والهولنديين كانو يعرفون قرب وصولهم ولذلك احسنوا إعداد الدفاع عن وكالاتهم . وكانت الهجمة الاولى على الوكالة الانجليزية ، لكنها لم تنجح ، فقاموا بعد يومين بهجمة اقوى على الوكالة الهولندية لكنها لقيت نفس المصير ، غير انهم استطاعوا الاستيلاء على مخزن بضائع الهولنديين ، على مرمى طلقة مسدس من الوكالة الهولندية ، ونهبوا بضائعة التي قدرت بحوالي ٢٠ الف جنيه انجليزي ، واستمر هذا الهجوم عشرة ايام او اثني عشر يوماً استطاع البلوش بعدها احتلال المدينة . وحين خرجوا منها تركوها رماداً وانقاضاً ، ولم يغادروا تلك المنطقة الا بعد شهر من الغارة ، وقد قتل من حامية الوكالة الانجليزية في بندر عباس — وكانت مكونة من خمسين جندياً معظمهم من البحارة الاشداء — ثلاثة رجال او اربعة ، وجرح سبعة مات احدهم ، وكان وكيلا للشركة ، متأثراً بجراحه . اما الهولنديون فقد قتل منهم اثنا عشر رجلا وجرح ثمانية او عشرة(٢) .

---

(١) ويقصد بهم أهل اقليم بلوخستان .

(٢) يقدم هاملتون وصفا مفصلا لهذه الاحداث لانه اشترك شخصيا فيها ، وذلك في كتابه « تاريخ جزر الهند الشرقية » ، المجلد الاول ، ص ١٠٧ — ١١٠ ، أما مالكولم ، فيجعل التاريخ سنة ١٧٢٤ ، ويجعل هؤلاء المغيرين من الافغان لا من البلوش ، غير اننا نفضل شهادة هاملتون الشخصية على أية حال .

تاريخ نصيب الانجليز في عوائد بندر عباس ١٦٥٣–١٧٢٢ :

لقد اشرنا مراراً من قبل الى نصيب الانجليز في نصف عوائد بندر عباس الذي كان سبباً للنزاع الدائم بين شركة الهند الشرقية والحكومة الايرانية ، ولكننا قد نكون هنا بحاجة الى عرض أكثر تفصيلا وترابطاً لهذا الامر .

١٦٦٢ – ١٦٧٣ :

في سنة ١٦٦٢ أُرسل مستر ريتشارد كرادوك ليتولى الاشراف على تجارة الشركة ومصالحها في ايران ، وكانت لديه تعليمات بان يطالب بدفع ١٠٠٠ تومان على ان يقبل بما لا يقل عن اربعمائة تومان . ثم استطاع وكيل آخر هو المستر رولت في اول سنة لاقامته بايران سنة ١٦٦٩ ان يستخلص مبلغ ٨٥٠ توماناً ، لكن الوكيل وجد نفسه في العام التالي مضطراً لان يوصي بارسال قوة بحرية صغيرة لتحصيل هذه المبالغ ، كما كان فعل البرتغاليون في كنج ونجحوا في ذلك . وعلى اية حال ، فقد بلغ المبلغ المحصل سنة ١٦٧٢ الف تومان ، وهو أقل بكثير مما كان منتظراً . وفي سنة ١٦٧٣ هبط الى ٦٥٠ توماناً رغم إنفاق مبلغ يزيد عن هذا بمئات الجنيهات في سبيل التوصل لاتفاق ما .

١٦٧٦ – ١٦٧٧ :

وفي سنة ١٦٧٦ اوصى رئيس وكالة سورات بأن يتخذ واحد من اجرائين مع الحكومة الايرانية : اما ان تتلقى الشركة مبلغاً محدداً كل سنة ومقداره ثلاثة آلاف تومان وتقوم بدفع الضرائب العادية ، واما ان تقوم كل السفن التي تحمل بضائع يملكها او ينقلها الانجليز بدفع عوائد للشركة ... ولكنه لوحظ ان هذا الاجراء الاخير يؤدي الى خسارة محققة في حالة الحرب حين تتوقف التجارة . واتخذ مجلس ادارة الشركة قراره في سنة ١٦٧٧ بأن يحصل مبلغ ١٠٠٠ تومان عن كل سنة – لو أمكن – كنصيب الانجليز من العوائد ، وتبقى بقية الاجراءات مع

الايرانيين في بندر عباس كما هي دون تغيير (١) .

١٦٨٠ – ١٦٩٥ :

وفي موسم ١٦٨٠ استطاع مستر بيتيت – وكيل الشركة في ايران – ان يحصل مبلغ ١٠٠٠ تومان،وكان واثقاً كل الثقة من انه سيستطيع تحصيل مبلغ مماثل سنة ١٦٨١ . وفي سنة ١٦٨٩ تذرع الايرانيون بحجة الخسائر التي اوقعها القراصنة برعاياهم في البحر وامتنعوا عن الدفع ، وزعموا في سنة ١٦٩٠ ان عوائد بندر عباس قد هبطت هبوطاً ملحوظاً نتيجة تحول التجارة عنه الى ميناء كنج أثناء الحرب التي دارت بين الانجليز والمغول ، غير ان وكيل الشركة استطاع على اية حال ان يحصل مبلغي ١٩٩٥ ، ١٥٠٠ تومان ، ولكن بقي للشركة متأخرات نصيب عامين ، وطلب الايرانيون تأجيل دفع ما عليهم الى اول مارس سنة ١٦٩٢ ، لكنهم لم يدفعوا شيئاً لمدة ثلاث سنوات كاملة .

١٦٩٧ :

وفي أوائل سنة ١٦٩٧ طالبت الشركة بمتأخرات نصيبها من العوائد لمدة خمس سنوات ، لكن الحكومة الايرانية احتجت وزعمت انها قامت بتسديد سنة من هذه السنوات ، وتم عقد اتفاقية مكتوبة لتصفية الحساب عن هذه السنوات الاربع الباقية ، واتفق ايضاً على تحديد مبلغ سنوي ثابت قدره ١٠٠٠ تومان رضيت به الشركة بدلا من المبلغ المتقلب الذي كانت تتقاضاه . وفي نهاية سنة ١٦٩٧ كانت الحكومة الايرانية قد دفعت المبلغ المحدد للسنة وبقيت المتأخرات كما هي . وفي يناير ١٦٩٩ استطاع وكيل الشركة الحصول على امر دفع عن السنة المنتهية في مارس ١٦٩٩ ، وايضاً عن الاقساط المنتظمة المستحقة من سنة

(١) فى هذا الوقت نفسه – كما يقول دكتور فرير – كان الشاهبندر يدفع للشاه فى كل سنة ٢٢ ألف تومان كنصف عوائد بندر عباس التى يستحقها .

لأخرى ، كما تم دفع بعض المتأخرات حريراً بلغت زنته ١٣٤٠ حمولة . وشكا الهولنديون من هذا العمل شكاية موصولة ، فقد اعتبروه انتهاكاً لاحتكارهم تجارة الحرير ، وعقب الزيارة التي قام بها الشاه للوكالة الانجليزية في أصفهان في يونيو سنة ١٦٩٩ دفع شاهبندر بندر عباس ١٠٠٠ تومان من العوائد للانجليز ووعد بدفع الفين آخرين .

١٧٠٠ — ١٧٠٨ :

وفي سنة ١٧٠٠ بلغت المتأخرات ٩٨٢ توماناً ، وكان الدفع يتم عن طريق شاهاني (رقم — ارادة ملكية) يصدره الشاه تعززه رشوة قدرها ٥٠ توماناً تدفع للشاهبندر . وعند اتحاد الشركة القديمة بالجديدة في سنة ١٧٠٢ انتقل حق الشركة في نصف عوائد بندر عباس الى الشركة المكونة من هذا الاتحاد . وفي ١٧٠٥ ، وهي السنة التي قام فيها مستر بريسكوت بسفارته الى ايران، كانت العوائد المتراكمة قد بلغت مبلغاً ضخماً ، وكان يخشى ان لا يؤدي استخدام القوة او تقديم الهدايا الى تحصيلها . لكن وكيل الشركة مستر لوك ،— استطاع في سنة ١٧٠٦— بطريقة او بأخرى — استصدار امر من الشاه بدفع مبلغ ١٠٠٠ تومان عن الموسم الحاضر ، وامر آخر بدفع ٥٩٨١ توماناً من المتأخرات التي عاد منها على الشركة القديمة مبلغ ٢٣٠٦ تومان وقدم الايرانيون حريراً بما يوازي باقي المتأخرات وقدره ٢٢١٩ تومان . وفي سنة ١٧٠٨ تسلمت الشركة القديمة نصيبها المستحق الدفع من العوائد وصفيّ حسابها تماماً .

أعمال الهولنديين في الخليج سنة ١٦٥٣ ــ ١٧٢٢

الحرب الانجليزية الهولندية في الشرق ١٦٥٣-١٦٥٤ :

عقب وصول انباء اعلان الحرب بين انجلترا وهولندا الى الهند اقترح الهولنديون في الشرق تحالفاً بينهم وبين البرتغاليين لتحطيم التجارة الانجليزية . وقد رفض البرتغاليون قبول هذا العرض ، كما رفضوا أيضاً قبول عروض مضادة عرضها عليهم الانجليز . واستطاع الهولنديون دون معونة أحد الاستيلاء على سفن الشركة « روبك » و « لانبربت » تجاه ساحل جاشك ، وبعدها بقليل استطاعوا ايضاً الاستيلاء على السفينة « بلسينج » كما اضطروا السفينة « سيلاي » للهرب جهة الساحل حيث أصبحت شبه غارقة . وفي نهاية يناير ١٦٥٤ استطاعت خمس سفن هولندية في معركة خارج بندر عباس اغراق السفينة الانجليزية « اندوفر » والاستيلاء على السفينة « فالكون » واسر حوالي ثلاثين اسيراً في ظروف ليست مشرفة للانجليز على الاطلاق(١) ، والحقيقة ان البحارة من الجانبين جميعاً كانوا في حالة سكر شديد . كذلك بلغت سيطرة الهولنديين على الخليج من القوة بحيث صدرت التعليمات حتى لوكيل الشركة البريطانية في البصرة بالانتقال الى مكان أكثر أمناً ، وظن البعض انه بات ضرورياً نقل الحرير الايراني الى اوروبا عن طريق اصفهان ،

---

(١) كانت السفينة « اندوفر » هى الوحيدة التى حاربت ببسالة فى هذه المعركة ، أما السفينتان « دوف » و « ويلكم » فقد ظلتا بعيدتين عن المعركة وفر معظم بحارة السفينة « فالكــون » من فوقها ، معتقدين أن النار قد شبت فيها ، ويقول المؤرخ « ان الهولنديين كانوا سكارى ولم يكونوا يعرفون ما يفعلون ، وكان الانجليز أفضل قليلا ، ان لم يكونوا اسوأ » ٠٠ وتقول رواية أخرى : ان عدد الاسرى على السفينة فالكون بلغ ٨٠ أسيرا ، وان المعركة كلها دارت تجــاه ساحــل السند وليس ساحــل بندر عباس ٠

لكن اخبار حلول السلام جاءت في نهاية المطاف فرجاً من ذلك الموقف الحرج .

تفوق التجارة الهولندية على الانجليزية ١٦٥٤–١٦٨٤ :

وخلال ما تبقى من هذه الفترة ، فان ما ذكرناه سابقاً يظهر ان سيطرة الهولنديين على الخليج ونشاطهم الدائب فيه ظلا مصدر قلق لشركة الهند الشرقية . وما كان اقتراح اقامة محطة انجليزية في مسقط سنة ١٦٥٩ ليهدف الا الى القيام بعمل مضاد لهذه السيطرة . وفي سنة ١٦٦٤ وضح ان للهولنديين السيطرة الاولى على التجارة في بندر عباس ، وقد اخذوا يرسلون ثلاث او اربع سفن ضخمة موسوقة جيداً بالبضائع في كل سنة ، حتى « اضحوا مهمين تماماً لكنهم محتقرون ايضاً » وحين زار دكتور جون فراير بندر عباس في سنة ١٦٧٧ « وجد الهولنديين يسيطرون سيطرة مطلقة على تجارة التوابل » ، وكان احتكارهم هذه التجارة قوياً ومحكماً حتى إنهم ذات مرة احرقوا حمولة اربع سفن لهم كي يرغموا التجار الايرانيين على قبول الاسعار التي يحددونها لحمولة السفينتين الباقيتين — وكانوا قبل ذلك يتجرون تجارة واسعة في السكر والنحاس ، وقد قدر دكتور فراير « صادراتهم من المخمل والحرير الخام والمطبوع والسجاد الفارسي الفاخر ، الى جانب اطنان من الذهب والفضة في كل سنة بما يزيد على خمسين الف تومان » .

وفي سنة ١٦٨٢ كان الهولنديون ما يزالون يرسلون سفينتين كبيرتين كل سنة الى بندر عباس ، وكانت المقارنة بين سفنهم وسفن شركة الهند الشرقية ليست من صالح هذه الاخيرة بأية حال .

الخلافات بين الهولنديين والايرانيين ١٦٨٤ :

ومن وقت لاخر كان الخلاف يدب بين الهولنديين والايرانيين ، وكما ذكرنا آنفاً حاصر الهولنديون بندر عباس في سنة ١٦٨٤ ، وقد سخط مجلس ادارة الشركة الانجليزية على وكلائها في ايران لانهم لم

يبلغوا ادارة الشركة هذه الخلافات اولا بأول ، ولانهم لم « يقوموا بتأجير سفن الشركة للقيام بعمليات النقل والشحن خلال فترة الحرب هذه مما كان جديراً بأن يحقق لهؤلاء الوكلاء ارباحاً طائلة » .

تآمر الهولنديين ضد الانجليز ١٦٨٦ :

وفي سنة ١٦٨٦ حاول الهولنديون جهدهم للايقاع بين البلاط الايراني والانجليزي ، غير ان مترجم الشركة الانجليزية ، وهو رجل ارمني كان يقيم في أصفهان ، استطاع احباط هذا التآمر .

اقامة دكتور أ. كايمفر في بندر عباس ١٦٨٦ — ١٦٨٨ :

وفي نوفمبر ١٦٨٥ قبل الرحالة دكتور كايمفر وهو من مقاطعة وستفاليا — وكان قد جاء لايران لاول مرة في سنة ١٦٧٤ كسكرتير لسفير السويد في البلاط الايراني — وظيفة كبير الجراحين في شركة الهند الشرقية الهولندية في الخليج ، فترك أصفهان الى بندر عباس ، وظل فيها حتى نهاية يونيو سنة ١٦٨٨ حين أبحر الى باتافيا ومنها قام برحلته الشهيرة الى اليابان ، وخلال اقامة دكتور كايمفر في بندر عباس ، ورغم انه كان يعاني من اعتلال صحته ، استطاع القيام بدراسة وافية في التاريخ الطبيعي لاقليم بندر عباس ضمنها رسماً تفصيلياً لاشجار النخيل .

زيادة التنافس بين الانجليز والهولنديين ١٦٨٨—١٦٨٩ :

وحوالي سنة ١٦٨٨ أي من الوقت الذي أصبحت فيه مصالح الهولنديين في اوربا خاضعة لمصالح الانجليز ، والدولتان معاً في حلف للحرب ضد فرنسا « بدأ الهولنديون يفقدون اسهمهم في ايران ، وكانوا حتى ذلك الوقت ينافسون الانجليز في استيراد المصنوعات الهندية » لكن الانجليز استطاعوا الحيلولة دون حصولهم على حق احتكار الصوف في كرمان .

السفير الهولندي في البلاط الايراني ١٦٩٠–١٦٩١ :

وفي سنة ١٦٩٠ زار سفير هولندي اصفهان ، تصحبه حاشية كبيرة وهدايا قيمة ، وقد حاول ان يحصل من الشاه على امتياز للهولنديين لاحتكار تجارة صوف كرمان ، لكنه لم ينجح ، وفي عودته الى بندر عباس سنة ١٦٩١ استطاع ان يكسب الشاهبندر وغيره الى جانبه ، فسبب بذلك كساداً شديداً للتجارة الانجليزية ، حتى ان الوكلاء الانجليز وجدوا من الافضل ان يحولوا كل شحنة البضائع التي وصلتهم تواً الى أصفهان .

استمرار المنافسة بين الانجليز والهولنديين بمزيد من الخسائر للهولنديين ١٦٩٥ – ١٧٠٥ :

وفي ١٦٩٥ ، ولما ازدادت حدة المشاكل بين الايرانيين والعرب في الخليج بتكرر هجوم العرب على سفن الايرانيين،خشي الانجليز ان يسارع الهولنديون الى نجدة الشاه فيكتسبون بذلك حقوق الدولة المفضلة في المتاجرة مع ايران . لكن هذه المخاوف لم تتحقق ، وكان الهولنديون في ذلك الوقت يتمتعون بحق تصدير ما قيمته ٢٠ الف تومان من البضائع الى أصفهان معفاة من الضرائب كل سنة ، في مقابل حق الانجليز في تصدير ما قيمته خمسة آلاف تومان فقط . وفي سنة ١٦٩٧ قدمت شركة الهند الشرقية سفينتها « شارل الثاني » الى الشاه كي يقوم بنقل سفيره الخاص الى بلاط المغول في الهند ، وذلك بهدف كسب نقطة في صفها ضد الهولنديين . وقد اشرنا من قبل الى ان الهولنديين قد احتجوا احتجاجاً شديداً في سنة ١٦٩٩ على دفع الايرانيين جانباً من نصيب الانجليز من عوائد بندر عباس حريراً لانهم كانو يحتكرون تصدير الحرير الايراني كله عن طريق البحر . ويبدو ان احتجاجهم هذا لم يثمر شيئاً ، لكنهم استطاعوا ان يجدوا طريقة يستميلون بها الشاهبندر لصفهم،

ويبدو انهم قد اغروه بأن يؤكد انه قد قام بدفع مبلغ ١٣٠٠ تومان زيادة في حساب الوكيل الانجليزي عما قرره الوكيل نفسه ، غير ان زيارة الشاه للوكالة الانجليزية باصفهان في يونيو سنة ١٦٩٩ كانت ضربة حاسمة للهولنديين لانها أدت الى تغير فوري في اتجاه الشاهبندر نحوهم ، فسرعان ما أمر بايقاف العمل في قلعة كان الهولنديون يقيمونها لانفسهم في بندر عباس ، ورغم انهم التمسوا شرف زيارة الشاه لوكالتهم ايضاً ، الا انه لم يجبهم الى ذلك . ويزعم الهولنديون ان الوكيل الانجليزي قد استطاع اقناع الشاه بأن الهولنديين امة بلا ملك ، وهي لهذا غير جديرة باهتمامه .

وفي سنة ١٧٠٥ كانت مشكلات القراصنة ما تزال قائمة ، وخشي الانجليز ان يبادر الهولنديون الى العمل على الخلاص منها فيتقربون بذلك الى الشاه ، غير ان مخاوفهم هذه ــ مرة أخرى ــ لم تتحقق .

أعمال البرتغاليين في الخليج ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

كان البرتغاليون ما يزالون يتشبثون ببقايا مصالحهم في الخليج باستغلال وكالتهم في كنج حيث كانوا منذ سنة ١٦٢٥ ينالون نصف العوائد كما هي الحال مع الانجليز في بندر عباس ، وكانوا كثيراً ما يشتبكون مع الايرانيين ،وفي قتال دائم مع العرب ، كما كانت علاقاتهم مع الانجليز الذين كانوا قليلي الوثوق بهم علاقات غير ودية .

مشاكل البرتغاليين مع الايرانيين ١٦٥٣–١٧٢٢ :

ويبدو ان حصول البرتغاليين على نصيبهم من عوائد كنج كانت صعوباته كنفس مصاعب الانجليز في تحصيل نصيبهم من عوائد بندر عباس ، وفي احدى المرات قام البرتغاليون بمناورة لاظهار القوة بحراً لتحصيل متأخراتهم من العوائد ، ولقد كان في حديث احد وكلاء الانجليز في تقرير له سنة ١٦٧٠– في معرض حثه على تطبيق نفس الفكرة لتحصيل العوائد الانجليزية المتأخرة في بندر عباس– ما أعان على معرفة تاريخ وقوع تلك المظاهرة . وفي سنة ١٦٨١ او سنة ١٦٨٢ كرر البرتغاليون نفس المناورة البحرية ، على مستوى اضيق هذه المرة – فاستطاعوا تخويف الشاهبندر وارغامه على ان يدفع – وهو صاغر – مبلغ تسعة آلاف تومان كانت مستحقة لهم ، وقيل انه بعد سنة ١٧١١ لم يدفع للبرتغاليين شيئاً من نصيبهم في عوائد كنج ، وحوالي سنة ١٧٢١ كان حجم التجارة في كنج ضئيلا ، وكان يقوم بها عدد من الهنود –الهندوك والمسلمين– غير ان انتعاش هذا الميناء قلّ الى حد بعيد نتيجة أعمال أعراب مسقط ، وكان في كنج عندئذ كنيسة واحدة فيها راهبان يعيشان على الاحسان والمنح .

علاقة البرتغاليين بالانجليز ١٦٥٣ – ١٧٢٢ :

وكان في جملة الاعتبارات التي تحول دون لجوء شركة الهنـــد

الشرقية للقوة البحرية على الساحل الايراني هو الخوف من ان يخدم الصدام بين الانجليز والايرانيين مصلحة الهولنديين او البرتغاليين . لهذا لم تلجأ الشركة الى مثل ما قام به البرتغاليون والهولنديون من قبل . وفي سنة ١٦٧٦ حدث استياء شامل بين الانجليز نتيجة رفض البرتغاليين منح اذونات مرور لسفن الاهالي التابعة لهم والمتوجهة الى بندر عباس ، وفي السنة التالية قرر الانجليز انه في حالة اصرار البرتغاليين على مسلكهم المعادي ان يرفضوا منح السفن الهندية المتجهة الى كنج اذونات مرور انجليزية . ولا يعرف ما اسفر عنه هذا الخلاف . وفي سنة ١٦٨٩ قامت ، كما ذكرنا سابقاً ، احدى سفن القراصنة الانجليز بنهب الوكالة البرتغالية في كنج وقد ظهرت هذه السفينة في الخليج ظهوراً سريعاً وفشلت سفن الشركة الانجليزية في مطاردتها . ومنذ سنة ١٦٩٥ توقفت زيارات سفن الشركة الانجليزية لميناء كنج بسبب قلة الارباح كما يبدو .

وسنرى في الفقرة التاليـــة ان البرتغاليين كانو يميلون للشك بأن غارات القراصنة العرب على سفنهم انما هي شيء يتعمد الانجليز تشجيعه والتحريض عليه .

علاقة البرتغاليين بعرب عمان ١٦٥٣ – ١٧٢٢ :

لقد كانت العلاقات بين البرتغاليين وعرب عمان عدائية منذ سقوط هرمز ، وكانت بينهما حالة حرب قائمة بشكل دائم ، وحوالي سنة ١٦٦٠ استطاع عرب مسقط التزاع ممبسة موقتاً من ايدي البرتغاليين ، لكن الصراع بين هذين الجانبين لم يبلغ قمة خطورته الا في العقد الاخير من القرن السابع عشر .

في سنة ١٦٩٣ استطاع عرب مسقط الحاق خسائر جسيمة ببعض سفن البرتغاليين ، وقاموا في سنة ١٦٩٤ او ١٦٩٥ بغارة بحرية على ميناء كنج موقعين به خسائر قدرت بحوالي ٦٠ الف تومان . وفي حوالي سنة ١٦٩٦ وافق البرتغاليون الذين تنقصهم حكمة جيرانهم الانجليز

والهولنديين وقوتهم على مساعدة الايرانيين ضد قراصنة مسقط . وكانت النتيجة المباشرة لذلك القرار ان قسم عرب مسقط اسطولهم قسمين : سار أحدهما على طول الساحل الافريقي حتى دمر المستوطنة البرتغالية في ممبسة ، وانطلق الثاني الى حيث دمر الوكالة البرتغالية في مانجالور على الساحل الهندي(١). وقد عزا البرتغاليون سنة ١٦٩٧ عدوان عرب مسقط عليهم الى امدادات واسلحة تلقوها من الانجليز في بومباي ، زاعمين ايضاً ان السفن العمانية كان يقود معظمها ضباط انجليز وكانت ترفع العلم الانجليزي . وفي نفس السنة تعرضت سفن البرتغاليين لاذى شديد من سفنٍ لقراصنة اوروبيين ادعى البرتغاليون ان شركة الهند الشرقية قد سمحت لهم ولسفنهم بالمرور ، لكن الشركة انكرت اية علاقة لها بهم ، وتنصلت من أية مسؤولية عن اعمالهم .

وفي ١٣ مايو ١٦٩٨ هاجم اسطول عماني مكون من ثماني سفن فرقاطتين برتغاليتين ، وكان والي مطرح يقود الاسطول العماني. ونشبت معركة استمرت ثلاث ساعات ، وانتهت بهزيمة العرب وقتل عدد كبير من رجالهم وبينهم القائد نفسه ، في حين لم يقتل من البرتغاليين سوى خمسة رجال وجرح ١١ . وحوالي سنة ١٦٩٩ استولى العمانيون على ممباسة ، وظلوا فيها حتى استعادها البرتغاليون مؤقتاً منهم في سنة ١٧٢٨ ، كما حدثت مجزرة رهيبة للبرتغاليين على طول الساحل الافريقي .

١٧١٤ — ١٧١٩ :

ثم ساد القتال بين الفريقين فترة سكون دامت حتى ١٩ فبراير سنة ١٧١٤ حين هاجم العرب اسطولا برتغالياً خارج سورات ، لكن البرتغاليين استطاعوا صد اعدائهم الى البحر ، بعد ان قتل لهم ٢٨ قتيلا

---

(١) يشير هاملتون « أنظر : تاريخه الجديد ، المجلد الاول ص ٧٥ » الى أن هذه الحادثة قد وقعت في سنة ١٦٩٥ ، وكان سببها نزاع بين العرب وراجا كارنايتك » .

وجرح ٣٤ ؛ ويقال ان سفينة القيادة العربية قد غرقت في طريق عودتها متأثرة بالاصابات التي اصيبت بها في المعركة . وسرعان ما حاول العرب الانتقام فجاءوا باسطول الى كنج وطلبوا الى الشاهبندر تسليمهم الوكيل البرتغالي هناك ، غير انهم هزموا هذه المرة أيضاً ورجعوا بخسائر كبيرة . وفي فبراير سنة ١٧١٩ — وكانت الظروف الان قد أصبحت أكثر ملاءمة — ارسل اسطول برتغالي الى الخليج ، وفي ٤ أغسطس استدرج الاسطول البرتغالي اسطولا عربياً الى معركة خارج كنج ، وكان اليوم الاول في المعركة الذي استمر فية القتال من التاسعة صباحاً حتى السابعة مساء — في صالح البرتغاليين . وفي اليوم التالي استمروا في مطاردة أعدائهم ولم يرجع اسطولهم الى كنج حتى ٨ أغسطس . وفي هذه الاشتبكات قتل من البرتغاليين ١٠ رجال وجرح خمسة وثلاتون ، وفي نفس الوقت تراجع اسطول العرب عبر الخليج الى رأس الخيمة . وكان البرتغاليون — الذين يظنون العرب يتلقون امدادات من الانجليز والهولنديين — ما يزالون يوالون البحث عنهم . والتقوا بهم مرة أخرى في ٢٩ أغسطس ، وبعد مزيد من القتال استطاعوا ان يردوا آخر سفن العرب على أعقابها ، وكان ثمة اسرى من الجانبين أصبحوا ارقاء ... لكن اسرى العمانيين لقوا معاملة افضل من اسرى البرتغاليين على ما يقال .

أعمال الفرنسيين فى الخليج ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

أسس الفرنسيون الشركة الفرنسية لجزر الهند الشرقية في سنة ١٦٦٤ كما اشرنا من قبل . وفي سنة ١٦٦٧ — ربما قبل ذلك — كانت لهم وكالة تجارية في بندر عباس . وفي هذه السنة زار دكتور فراير بندر عباس وكتب هذه الملاحظات عن التجارة الفرنسية هناك « الفرنسيون في هذا الميناء ، كشأنهم في كل مكان آخر ، ليس لهم كبير عمل يعملونه ، ولولا ما يحصل عليه مترجمهم هناك من ربح من تجارة الهند (كان له امتياز التجارة في النبيذ في سيراس كما كانت لباقي الدول الاوروبية) لما استطاعوا تدبير قوتهم . ويعيش السيد الفرنسي هناك ناعم البال ، بلا عمل سوى ان يزور ويزار (ويعامل الجميع بود وبشاشة واداب فرنسية أصيلة سواء كان هؤلاء مسيحين او وطنين) وبهذه الكيفية ينفق اوقاته ، وفي سنة ١٦٢٨ كانت للفرنسين تجارة محدودة في المنسوجات بالبصرة... وفي سنة ١٦٩٨— كما رأينا — تم بين دول اوروبا الرئيسية توقيع اتفاقية اسمية ، لم ينتج عنها شيء بالمرة ، وبموجبها تعهد الفرنسيون بحماية منطقة الخليج من القراصنة .

سير تجارة شركة الهند الشرقية فى الخليج
١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

العوامل الحاسمة في تجارة الشركة ١٦٥٣ – ١٧٢٢ :

كانت الحالة العامة لتجارة شركة الهند الشرقية وتقلبات السوق في الخليج خلال هذه الفترة مما سنفصل الكلام عنه اموراً تحددها الاعتبارات التجارية من ناحية وتحددها الاعتبارات والعوامل السياسية التي ناقشناها فيما سبق من الناحية الاخرى ، واهمها ما يلي : منافسة التجار المغامرين ، المنافسة بين الشركتين القديمة والجديدة ، وعلاقات انجلترا بهولندا وفرنسا وعلاقات الشركة نفسها بامبراطورية المغول وايران،هذا الى جانب التزاماتها الخاصة التي جاءت بناء على مرسوم تكوينها والتشريعات الانجليزية النابعة عن السياسة التجارية لانجلترا في ذلك الوقت .

التجارة مع ايران ١٦٥٣ – ١٦٧٥ :

في سنة ١٦٥٧ – ونتيجة للحرب بين الايرانيين والمغول ، وكذلك بسبب إضرار الحكومة الايرانية بحقوق الشركة وامتيازاتها – ركدت التجارة الانجليزية في ايران . وفي سنة ١٦٦١ صدر امر لوكالة الشركة في بندر عباس بأن ترسل الى الهند ما قيمته ٣٠ أو ٤٠ توماناً من الاكسيد الاحمر ، وفي سنة ١٦٧٤ ، وعلى اثر ارسال كميات كبيرة من البضائع المعطوبة الى لهند ، صدرت التوجيهات بأن يجري ممثلو الشركة تفتيشاً دقيقاً على صوف كرمان وغيره من الواردات الايرانية المعدة للتصدير قبل تسلمها في بندر عباس . وفي سنة ١٦٧٥ زاد الطلب على صوف كرمان وصدرت تعليمات لوكالة الشركة بأن تصدر منه أكبر كمية تستطيع الحصول عليها .

حالة التجارة الايرانية المتدهورة ١٦٦٩ – ١٧٢٢ :

وفي ١٦٦٩ كانت التجارة الايرانية قد تدهورت كثيراً نتيجة تجاهل الايرانيين الدائم لحقوق التجارة الانجليزية وامتيازاتها ، لكنها ظلت برغم ذلك ، تعتبر على قدر كبير من الاهمية في المنطقة بحيث اوصى وكيل الشركة في ايران ، تنشيطاً للتجارة بين ايران من جهة وبومبي وسورات من جهة أخرى، بمنح التجار الهنود قطعاً من الاراضي في بومبي تشجيعاً لهم على مواصلة نشاطهم . وفي سنة ١٦٧٢ طلبت الشركة الى موظفيها ضرورة استيفاء رسوم قنصلية عن كل البضائع الانجليزية التي تنزل في بندر عباس ، وان يخطروا ادارة الشركة باسماء من يرفضون الدفع . وكانت هذه الاوامر تعويضاً عما كانت تؤدي اليه التقديرات الاعفائية من بعض موظفي الشركة من تفريط في حقوق الشركة . وفي نفس السنة أوضح المجلس التجاري في سورات ان من ضمن البضائع التي يطلبونها من منطقة الخليج : العفص والاكسيد والعرقسوس واللوز والجلود ... لكنهم رفضوا شراء عفص ارسل اليهم من همدان من قبل لانه كان من نوع أقل جودة .

الحالة السيئة على وجه العموم للتجارة في ايران ١٦٧٦–١٦٨٢ :

وكانت سفن الشركة المسلحة المسافرة الى ايران سنة ١٦٧٦ تحمل كميات هائلة من الثياب والقصدير ، وتعود في أغلب الاحوال محملة بالحرير والصوف . وفي تلك السنة صدرت تعليمات بالقبض على سفينة لتاجر هندي تدعى « سيد بور » دأبت على التسلل الى ايران دون ترخيص من الشركة . وقد صحب دكتور فراير الاسطول المسلح الذي ابحر الى بندر عباس في سنة ١٦٧٧ ، وقال عن الوضع التجاري للشركة ما يلي : « تجارة الشركة الانجليزية هنا ضئيلة .. انها تنقل بعض المشروبات فقط ، وصوف كرمان والماعز والخيل والتمر ، ومع ذلك تجد من المناسب ان تحتفظ بوكيل في كل ميناء جيد لتؤمن الحصول من الشاهبندر ومن

الضريبة القنصلية ما قيمته بنسان ونصف على كل البضائع الاجنبية المشمولة بحمايتها . ومن هذه ينشئون تجارة ، فيرون من المناسب ان ترسل الشركة في كل مرة شحنة بحرية قوامها حمولة ٣٠٠–٤٠٠ بعير من السلع الهندية وهي تضارع في مقاديرها ما يشحنه الهولنديون او يختزنونه . اما في هذه السنة فقد حدثت ضجة كبيرة بسبب شحنة الثياب والقصدير التي وصلت ، معنى ذلك ان كل تاجر حاذق يضحك ساخراً لانه يعرف ان تحميل التجارة على قوافل في مقابل بضائع من استنبول مروراً بسامراء والاسكندرونه وحلب ، هو أفضل وارخص. كما ان باصفهان أكثر مما تحتاجه من الثياب الانجليزية .. او « خيش لندن » كما يسمونه هنا .. غير ان لرئيس الوكالة الانجليزية في سورات رايأ يبدو عموماً أكثر تفاؤلا من رأي الدكتور فراير ، ذلك بأن الشركة وجهت اللوم الى مندوبيها بسبب تأخرهم في شحن صوف كرمان . وفي سنة ١٦٧٨ عادت الحالة التجارية الى التدهور نتيجة افقار الشعب واغتصاب الحكومة الايرانية اموال الرعية . وحوالي هذا الوقت قيل ان الوكيل الانجليزي في بندر عباس كان يحقق ارباحاً طائلة من فرض حمايته التجارية وتوسيعها لتشمل الرعايا الايرانيين .. وفي سنة ١٦٨٠ ظلت التجارة الايرانية على حالها من التدهور ، وصدرت الاوامر ببيع كل مخزون الشركة من الثياب والقصدير في بندر عباس ومحاولة ابتياع الممكن من اصواف كرمانية تكون افضل مما تم ابتياعه منها في العام السابق ، وورد ايضاً في التعليمات المذكورة انه اذا لم تنتعش الحالة التجارية فلا بد من تصفية وكالة بندر عباس . وفي ١٦٨١ ظلت حالة التجارة غير مجزية ، وطلب الى الوكيل هناك بذل جهده لخفض النفقات الى ادنى حد مستطاع ، وفي ١٦٨٢ بلغت متأخرات الشركة في ايران حوالي مليون جنيه انجليزي ... وظلت التجارة على حالها من الكساد والتدهور المستمرين .

الرحلة الدائرية سنة ١٦٨٢ :

وفي سنة ١٦٨٢ بذلت الجهود لتنظيم تجارة الشركة في الشرق عن طريق « رحلات دائرية » وهكذا ارسلت السفينة « دراجون » من انجلترا الى سوقطره حيث تلتقي هناك بثلاث سفن للاهالي . وبعد ان تأخذ هذه قسماً من حمولة السفينة الى مخا باليمن وتقايض ذلك بالبن واللادن ، تعود ادراجها لتلحق بالسفينة في الخليج ... وفي الوقت نفسه تكون السفينة قد عرجت على البصرة وبندر عباس وتحمل بعض البضائع أيضاً من هناك مبحرة الى سورات . وبهذه الخطة كان ثمة أمل في ان ترتبط مختلف المناطق التجارية بعضها ببعض مما يفضي الى التبادل المربح والى ازدياد نشاط الملاحة الانجليزية ؛ لكن هذا المشروع ، على أية حال ، لم يحقق توقعات الذين فكروا فيه ، وبالتالي لم يعيدوا التجربة مرة أخرى . ومن بين الاسباب التي ذكرها الوكيل والممثلون في بندر عباس لفشل هذه التجربة مظهر السفينة « دراجون » المزري فهي سفينة حمولتها ١٨٠ طناً فقط ، وهي لا تستطيع شيئاً الى جانب سفن هولندا الضخمة ، ثم هناك حقيقة اخرى – وهذه أكثر اقناعاً – وهي أن أسواق المخا والبصرة من الممكن استغلالها والتسويق فيها بيعاً وشراء بشكل افضل عن طريق وكالتي سورات وبندر عباس ، ومن خلال الوكلاء الارمن ... الخ . وهذا بلا شك أفضل من خدمتها عن طريق رحلات السفن الدائرية . وأوصى الوكلاء ايضاً بأن تقوم بهذه الرحلات سفن ضخمة ، ملاحوها من الاوروبيين معدة اعداداً جيداً يشيع الثقة في نفوس التجار الايرانيين بشأن سفن الشركة ، وبذلك تضمن الشركة تحصيل العوائد عن شحناتها المحمولة اسوة بالهولنديين الذين كانو يجنون ارباحاً طائلة من مثل ذلك التنظيم والخدمات .

الانتعاش التدريجي في التجارة الايرانية ١٦٨٣ – ١٦٩٠ :

وفي سنة ١٦٨٣–١٦٨٤ اضطربت تجارة الشركة في ايران نتيجة

منافسة التجار المغامرين ومن جراء تمرد قام به بعض جنودها في بومباي بقيادة الكابتن ريتشارد كيجوين الذي اطلق عليه اعداؤه — من قبيل التظرف — لقب « حامي حمى جزيرة بومباي ». كما ان بضائع الشركة أيضاً لم تكن صالحة للبيع ، الامر الذي جعل وكالة الشركة تلح على طلب بضائع جديدة ، وفي سنة ١٦٨٤ اصابت الشركة خسارة كبيرة في كل السلع الايرانية التي صدرتها الى انجلترا..وكان من المتعذر تصريف أية كمية من صوف كرمان «الاسود» بينما بلغ الطلب على الكرماني الاحمر ضعف الكمية المعروضة . وفي سنة ١٦٨٥ تم تجهيز حمولة من الملح لنقلها من هرمز الى سورات ، وفي سنة ١٦٨٧ ادت الحرب التي نشبت بين الشركة وامبراطور المغول الى تحديد حجم التجارة الايرانية ، لكن الشركة استطاعت الحصول على الوان مختلفة من الاصباغ . وقيل وقتها ان المنسوجات الانجليزية ، اذا توفر لها اللون المناسب والنوعية الجيدة يمكن ان يصرف منها سنوياً ألف واحدة من انصاف القطع ذلك بأن الارمن مثلا كانوا يجلبون الثياب من تركيا ويقايضونها بالحرير فلم لا يحقق الحرير ارباحاً أكثر اذا تمت مقايضته بالثياب مباشرة . وفي سنة ١٦٨٨ ظلت التجارة في ايران متأثرة الى حد كبير بحرب المغول ، وفي سنة ١٦٨٩ زاد الموقف تعقيداً نتيجة ظهور سفينة قراصنة انجليز في الخليج نفسه ، ولكن التجارة في سنة ١٦٩٩ كانت اقل تأثراً بالحرب عما كان متوقعاً ، فوضعت الترتيبات لمقايضة المنسوجات الانجليزية بالحرير وصوف كرمان وكذلك للحصول على الزبيج والراوند واحجار اللازورد ، كما طلب ايضاً مضاعفة شحن الكمية التي تنقل الى الهند .

خطة الشركة لاحتكار تجارة الثياب وتحويل تجارة الحرير الى الخليج بمساعدة الأرمن ١٦٨٩ — ١٦٩٣ :

وكانت الشركة في ذلك الوقت معجبة بنجاح الارمن ومهارتهم كتجار في الهند وايران معاً ، وقد حاولت عن طريق السماح لهم بارسال

بضائعهم لاوربا في سفن الشركة من بومباي في سنة ١٦٨٩ ، ومن بندر عباس في ١٦٩٠ اغراءهم بأن يلقوا بكل ثقلهم كتجار الى جانب الانجليز . لكن مصلحة الارمن الواضحة للاتجار عبر تركيا كان عقبة تواجه هذه الخطة ، وهي حقيقة لم تكن موضع ملاحظة في البدء . وفي سنة ١٦٩١ اقترحت الشركة ان تنافس الشركة التركية في تجارة المنسوجات وكانت الشركة التركية تصدرها الى ايران من حلب ، وتدفع عنها الرسوم التي كانت الشركة الانجليزية معفاة منها في بندر عباس . وظن العاملون في الشركة انهم قادرون على رفع مبيعاتهم بمساعدة حلفائهم الطبيعيين من الارمن ، وفي سنة ١٦٩٣ وهي السنة التي طلب فيها الى شركة الهند الشرقية تصدير كميات كبيرة من البضائع المصنوعة في انجلترا ، استولى الفرنسيون على شحنة الثياب التي كانت الشركة التركية قد شحنتها الى الشرق . وكانت قيمة ما ارسلته شركة الهند الشرقية من هذه البضاعة في اسطولها السنوي خمسين الف جنيه وقد قررت ان ترفع سعرها في ايران بنسبة ٥٠٪ وكان هدفها الآن تحويل تجارة الحرير الفارسي من حلب الى اصفهان ، ومن هناك يحصلون عليه عن طريق مقايضته بالمنسوجات ، ثم يرسل الى بندر عباس كي يتم شحنه منها .

استمرار التنافس على بيع المنسوجات في ايران بين شركة الهند الشرقية والشركات التركية ومعارضة الارمن لمشروعات شركة الهند الشرقية ١٦٩٣ – ١٦٩٨ :

وفي سنة ١٦٩٢ ، صدرت التعليمات لوكيل الشركة في ايران بأن ينتقل الى اصفهان ليباحث التجار الارمن حول تدبير مساكن لمجموعة من الكتبة الشبان كانوا يرسلون من انجلترا للتدرب في أصفهان على شؤون التجارة الايرانية . وكان عليهم ان يدرسوا لغة الارمن وأساليبهم في التجارة . وفي سنة ١٦٩٣ بدأت الاقاويل الكثيرة تروج حول الارمن ، وبعضها يشكك في اخلاصهم لمصالح الشركة ، ولكن

الاوامر صدرت لموظفي الشركة بأن يوفوا بالعقود التي كانت وقعت مع هؤلاء الارمن رغم ما يقال . وفي سنة ١٦٩٥ بدأ الارمن يثيرون المشاكل امام مقايضة منسوجات شركة الهند الشرقية بالحرير ، زاعمين ان التجارة المنافسة عن طريق حلب ما زالت في عنفوان قوتها . واشار نائب الوكيل في أصفهان الى سوء خلق بعض هؤلاء الوسطاء الارمن ، ويبدو ان الوكيل نفسه اضطر للانتقال الى العاصمة كي يسوى هذه الامور . ووضح الان ان الارمن لم يكونوا بالفعل يخدمون مصالح شركة الهند الشرقية ، ذلك بأنهم كانو يؤيدون بنفس القدر التجارة المنافسة التي تأتي لايران عن طريق حلب . وفي سنة ١٦٩٦ ا رسل وكيلان جديدان لشركة الهند الشرقية الى تبريز ومشهد ليبيعا المنسوجات بأسعار تضارب اسعار الشركات التركية . ونتيجة لهذه المنافسة ، اغرق السوق الايراني اغراقاً تاماً بالمنسوجات الانجليزية ، غير ان مبيعات شركة الهند الشرقية في أصفهان وبندر عباس بلغت مع ذلك ما قميته ثلاثين الف « سيكوين »(١) ولقد جرى تصريف كل ما هو ممكن من المنسوجات في بندر عباس وشيراز واصفهان سنة ١٦٩٧ بقصد المضاربة على البضائع التركية . وفي نهاية تلك السنة قرر مجلس ادارة الشركة الاستمرار في المنافسة ، وفي نفس الوقت نجح التجار الارمن ، الذين يبدو انهم كانوا يفضلون المتاجرة عن طريق حلب ، في ايقاف امر من الشاه يخول شركة الهند ان يبيعوا كميات ضخمة من الثياب جاءت على ظهر السفينة « شارل الثاني » الى بندر عباس على أساس دفع مؤجل ومقسط على ١٧ شهراً للتجار الايرانيين . وصدرت التعليمات لمستر بيرويل ، الذي ارسل كوكيل عام للشركة في ايران سنة ١٦٩٨ بأن لا يقتصر على مواصلة حملة بيع منسوجات الشركة فحسب ، بل وان يحاول ايضاً التماس مدخل لتجارة الحرير ، الذي كان احتكاره قاصراً على الارمن في ذلك الوقت ، وان يطلب فرماناً يبيح تصدير الحرير من

---

(١) عملة ايطالية قديمة .. المراجع .

بندر عباس . لكن الموضوع فقد بعض اهميته فيما بعد لان الحرير اصبح استيراده ممكناً من البنغال بنصف السعر السائد . وفي سنة ١٦٩٨ رفض الارمن الذين تعاقدوا مع الشركة على شراء جميع المنسوجات المستوردة لحسابها تلك السنة ان يقدموا ضماناً للدفع ، وكانت النتيجة هي الغاء الاتفاقية ... واصبح على موظفي الشركة البحث عن اتفاقية جديدة .

ازدهار تجارة الشركة في ايران رغم فشل خططها بالنسبة للحرير والثياب ١٧٠٠ — ١٧٠٦ :

وفي سنة ١٧٠٠ أدى فرض ضريبة اضافية على المنسوجات الجاهزة المصدرة من الشرق ، وازدياد الطلب على الحرير الخام في انجلترا الى تزايد اهتمام الشركة بالمواد غير المصنوعة . وكانت التجارة مع ايران طيبة في ذلك الموسم ، ورغم الصعوبات الجديدة التي اثارها الارمن ، ورغم ان مبيعات الشركة الرائجة لم تكن سوى النظارات والمنسوجات الا ان حمولة سفينة بأكملها من الحرائر والشيت الملون وصوف كرمان كانت قد تجمعت في بندر عباس . وفي سنة ١٧٠١ والناس يخشون قيام حرب لها تأثيرها على التجارة الايطالية والاسبانية صدرت الاوامر لموظفي الشركة بجمع كل ما يستطيعون جمعه من الحرير الخام وصوف كرمان والمشروبات استباقاً لارتفاع الاسعار في السوق الاوربية . وفي سنة ١٧٠٥ ذكر الوكلاء في ايران ان بوسعهم بيع ٤٨٠٠ قطعة من الثياب كل سنة في ايران لو اقتصرت التجارة عليهم ، بينما لا يبيعون سوى نصف ذلك ما دامت المنافسة مستمرة من جانبي تركيا وروسيا . لكنه تبين ايضاً ان نظام مقايضة الثياب بالحرير ليس مربحاً بسبب ارتفاع رسوم تصدير الحرير ومن الممكن تحقيق ارباح أكثر لو عقدت هذه الصفقات جميعاً بالنقد لا بالمقايضة . وبتعبير آخر ، لقد ثبت فشل خطة تحويل تجارة الحرير كلها الى الخليج ومقايضتها بالمنسوجات بدل

النقد . وفي سنة ١٧٠٦ كان موسم التجارة في ايران غاية في الرواج ، واستطاعت الشركة بيع شطر كبير من مخزون القماش لديها بأرباح وصلت الى ١٦٪ وتم عقد صفقات شراء فاقت الحد المألوف .

التجارة مع العراق التركي ١٦٥٣ – ١٧٢٢ :

أما نشاط شركة الهند الشرقية في العراق فقد ذكرناه تفصيلا في القسم الخاص بتاريخ هذا الاقليم ، فالوكالة الاقليمية التي انشئت في البصرة سنة ١٦٤٣ تقريباً ، يبدو انها توقفت عن العمل في سنة ١٦٥٧ . وخلال ما بقي من هذه الفترة ظلت التجارة مع البصرة قائمة عن طريق السفن التي ترسل خصيصاً الى هذا الميناء من سورات باشراف موظفي الشركة ، وبعد الامتيازات الاجنبية الشهيرة في سنة ١٦٦١ – والتي عدلت في سنة ١٦٧٥ – أصبح وضع تجارة الرعايا الانجليز في كل ارجاء الامبراطورية التركية مستنداً الى اسس أكثر ثباتاً ورسوخاً .

مؤسسات شركة الهند الشرقية في الخليج
١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

موظفو الشركة :

تراوحت مؤسسات شركة الهند الشرقية خلال هذه الفترة اتساعاً وانكماشاً حسب حالة التجارة وظروفها . ففي احدى المرات سنة ١٦٦٤ خفض عدد موظفي الشركة في ايران كلها الى اثنين فقط من الاوروبيين . وحتى سنة ١٦٦١ على الاقل ، لم يكن ثمة مؤسسة اوربية دائمة في العراق التركي . وفي سنة ١٦٨٢ بذلت محاولة لارساء التجارة في ايران على اسس أفضل فعين مستر جون جيبس وكيلا عاماً ومعه مجلس استشاري من اربعة مساعدين ، مرتبين حسب اولويتهم لشغل مركزه لو خلا بالموت او الاستقالة . وفي ١٦٩٣ حينما بدأت الامور تنتعش زيد عدد الجهاز العامل في ايران الى وكيل عام واربعة مساعدين واربعة كتبه ، وظل هذا الطاقم هو نفسه لا يتغير الا اذا اعتبرنا تعيين اثنين من المساعدين في تبريز ومشهد بموظفين اضافيين في وكالة ايران. وفي ١٦٧٦ كان ثمة « موظف » في بندر عباس يدعى صموئيل شارليتون سببت علاقاته بالموظفين الآخرين مشاكل كثيرة . وتشير مراسلات عديدة عن « النبيذ الاوربي » الذي كان يرسل من الهند الى « بادرس » الى ان الطاقم العامل في ايران لم يكن بغير قس ، ومع ذلك فانهم كانوا يقومون بأنفسهم بطقوس الدفن ، الامر الذي يستبعد تفسير المقصود بعبارة « بادرس » قسيسين او رهباناً(١) كما اننا لا نجد ما يشير الى ان موظفي الشركة كانوا يصحبون معهم زوجاتهم واطفالهم .

الامـاكـن :

وفي بادىء الامر كانت بندر عباس المقر الرئيسي لوكالة ايران

(١) كان احد هؤلاء القسس يسمى بارنابى وقد حصل على حق المقايضة هو أيضا من الشركة (١٦٦١) .

وكانت تقوم في عمارة مهداة من الشاه ، تقع بين عمارتين اشترتهما لوكالتيهما كل من هولنده وفرنسا ، وظلت الوكالتان الاخريان في شيراز واصفهان ردحاً من الزمن مغلقتين او محدودتي النشاط ، لكن مستر كرادوك حين ارسل كوكيل عام في ايران سنة ١٦٦٢ فوض بأن يقضي عدة شهور من كل سنة في شيراز واصفهان « بالنظر الى ان الموت كان شيئاً مألوفاً في تلك الاماكن بسبب رداءة الجو ... لذلك كان لا يقيم في مكان واحد منها مدة طويلة » وفي سنة ١٦٨٤ صدرت اوامر صريحة باقامة اثنين من اعضاء مجلس ادارة الشركة اقامة دائمة في أصفهان للسهر على مصالحها هناك . وفي سنة ١٦٩٢ اختيرت أصفهان لتكون مركزاً لتدريب كتبة الشركة الجدد . وفي سنة ١٦٩٣ حين ازداد عدد العاملين بالشركة تركت للوكيل العام حرية مطلقة في أن يقيم باصفهان او بندر عباس كما يشاء وتقرر ان يبقى بقية الوكلاء بشكل دائم في أصفهان وبندر عباس . وفي١٦٩٥ كان هناك وكيل مساعد فقط في أصفهان، ولكن اصدرت الاوامر مرة أخرى في ١٦٩٧ أو ١٦٩٨ بأن تعتبر هذه الوكالة هي الوكالة الرئيسية في ايران وان تكون وكالة بندر عباس تابعة لها ، وفي سنة ١٦٩٩ كما رأينا اضحت وكالة اصفهان من اللياقة بحيث استحقت زيارة الشاه واسرته لها .

حياة الموظفين وسلوكهم :

ان التفاصيل الشخصية عن العاملين في الشركة شيقة ، لكنها ليست مهمة من الناحية التاريخية ، وهي تدور حول موت بعض الوكلاء (عادة دون مرض سابق) وطقوس دفنهم (وكانت احياناً تتم بمساعدة الهولنديين) وعن « انحطاط وسفالة » السماسرة الهندوك ... الخ لكن موت مستر جيرالد اونجير رئيس وكالة سورات في يونيو ١٦٧٧ يستحق التنويه لان استمرار التجارة الانجليزية في ايران طوال ستة عشر عاماً في ظروف بالغة الصعوبة انما يرجع الفضل الاول فيه الى جهود هذا الرجل

وحماسته وتفانيه . وقد عد موته مصيبة قومية . واحياناً كان يبدو ان بعض موظفي الشركة في ايران لا يؤدون اعمالهم على الوجه الاكمل ، ففي سنة ١٦٦٢ ، اشتكى مجلس الشركة في سورات من انه لم يتسلم حسابات منتظمة من بندر عباس لمدة ثلاث سنوات . وفي سنة ١٦٧٦ كان لا بد من توجيه توبيخ لتلك الوكالة لان حساباتها لمدى اربع سنوات ظلت بغير قيود بسبب عذر سخيف ادعاه المسؤولون فيها وهو عدم توفر ورق الكتابة .

المراسلات :

ويبدو ان مجلس ادارة الشركة في انجلترا في بداية هذه الفترة او بعدها بقليل كان يرسل مكاتباته للشركة في الشرق على نسختين : احداهما ترسل بطريق البر من حلب الى البصرة ، والاخرى عن طريق البحر حول رأس الرجاء الصالح . وفي ١٦٨٦ كان التجار المغامرون يحصلون على أخبار الهند قبل وصولها الى الشركة ، ولذلك تقرر وضع ترتيب لارسال الاخبار الى رئاسة الشركة في لندن مرة كل ستة أسابيع عن طريق حلب .

الحالة في عمان ١٦٥٣ ـ ١٧٢٢

اقتراح بانشاء قاعدة لشركة الهند الشرقية في مسقط ١٦٥٩ :

ذكرنا سابقاً أن وكالة سورات اقترحت سنة ١٦٥٩ انشاء مستوطنة محصنة يحميها ١٠٠ جندي في مسقط ، ولكن الاقتراح اسقط لتعذر الحصول على موافقة العرب عليه . وكان الهدف من هذا المشروع هو خلق قاعدة قوية في الخليج ترهب ايران وتقف امام قوة الهولنديين البحرية .

قرصنة العمانيين وعدوانهم على ايران ١٦٩٩ ـ ١٧٠٧ :

وفي سنة ١٦٧٧ ـ حين زار دكتور فراير منطقة الخليج ـ كان أهل عمان قد اكتسبوا بالفعل شهرة في أنهم « قوم قساة معتدون ، يكسبون من السلب والنهب قدر كسبهم من التجارة » . وبحلول سنة ١٦٩٥ كان هؤلاء قد تورطوا تماماً في أعمال القرصنة واصبح لديهم خمس سفن ضخمة على ظهرها حوالي ١٥٠٠ رجل ، وكانوا قد اغاروا على كنج واستولوا على سفينة للارمن ، وهددوا بندر عباس حتى طلب موظف الجمارك الايراني فيها ابقاء السفينة الانجليزية « ناساو » مدة عشرين يوماً لتحمي الميناء ، واجيب الى طلبه .

وقد ادت هذه الاحداث الى ان يتنبأ كابتن برانجوين وكان في ذلك الوقت هو وكيل الشركة في ايران ـ بأن يصبح العمانيون طاعوناً في الهند ، كما كان المغاربة طاعوناً في اوربا » وكانت الحرب الان متوقعة بين ايران ومسقط ، وبدت دلائل على احتمال قيام الهولنديين بمساعدة الايرانيين فيها ، مما جعل موظفي شركة الهند الشرقية بايران متشوقين لقيام انجلترا ايضاً بتقديم مساعدة مماثلة من جانبها . لكن سير جون جاير ـ حاكم بومباي ـ اتخذ قراراً حكيماً بأنه ما دام العرب

حتى ذلك الوقت لم يضعوا اية عقبات في وجه الملاحة او التجارة الانجليزية فان مثل العمل العدائي المقترح من جانب الانجليز لم يكن مناسباً. لكنه حصل بعد ذلك ان استولى القراصنة الهنود على سفينة من سفن مسقط ، فانتقم العمانيون من سفن التجار المغامرين او سفن الانجليز الخاصة ، لكنهم لم يقربوا سفن الشركة ، وكانت السفينة الانجليزية الاولى التي استولوا عليها سفينة يقودها الكابتن موريس ، الذي اسر هو ورجاله ولم يمكن افتداؤهم ابداً ؛ وفي ١٧٠٥ استولى العمانيون على سفينة غينية كان يقودها كابتن ميرفيل وكانت محملة من البنغال في طريقها الى ايران ، واستولى عليها العمانيون نتيجة جبن بحارتها الذين لم يبدوا اية مقاومة . وفي ١٧٠٤ — ١٧٠٥ أعلن مجلس ادارة شركة الهند القديمة قراره بتسليح السفن بمجرد انتهاء الحرب مع فرنسا وذلك « لتطهير البحار وقطع دابر هؤلاء القراصنة من اعراب مسقط » غير ان الحرب ضد فرنسا طال عهدها ، وفي ١٧٠٧ كثرت الشكوى من نشاط العمانيين والمراهتة في مياه الهند ، وقد سبق ان اشرنا الى اعتداءات العمانيين على البرتغاليين خاصة في ١٦٩٣—١٦٩٩—١٧١٤ و١٧١٩ .

استيلاء العمانيين على بعض الجزر الايرانية حوالي سنة ١٧٢٠ :

وبعدها بعدة سنين استولى « المساقطة » على عدة جزر خارج الخليج من أهمها جزيرة قشم . وارسل جيش ايراني يقوده لطفي علي خان الى بندر عباس القريبة لطردهم من الجزر لكن غزو الافغانيين لايران —الذي كان قد بدأ في ذلك الوقت — ارغم هذه القوة على التراجع شمالا نحو كرمان دون ان تحقق شيئاً . وقبل هذا بقليل — في سنة ١٧١٨ — نجح المساقطة في احتلال جزيرة البحرين غير ان اهل الجزيرة هجروها مؤقتاً وبهذا انتهى احتلال المساقطة لها .

تاريخ الخليج من غزو الافغانيين لايران الى نقل المقر الرئيسى للانجليز فى الخليج من بندر عباس ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣(١)

الاحداث فى أوربا والهند سنة ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

ان الاحداث التي وقعت في اوروبا خلال فترة دراستنا هذه واثرت على وضع بريطانيا العظمى في منطقة الخليج هي الحروب السيليزية وحرب السنوات سبع ، وفي كلتيهما حاربت بريطانيا ضد فرنسا .

---

(١) المصادر الرسمية التى تتناول هذه الفترة « ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣ » فى منطقة الخليج هى « تلخيصات رسمية » لموظف مجهول تتناول أولى العلاقات بين شركة الهند الشرقية المعظمة وجزيرة العرب التابعة لتركيا : وهى مطبوعة فى سنة ١٨٧٤ ـ ثم مؤلفات مستر ج٠ا٠سالدانا من أوراق الدولة في بومباى التى تتناول علاقة شركة الهند الشرقية بالخليج ، مع تلخيصة الاحداث من ١٦٠٠ ـ ١٨٠٠ ، طبعة سنة ١٩٠٥ ، وكل من هذين المرجعين يغطى الفترة كلها ٠ أما بالنسبة لايران عموما ٠ فنجد « تاريخ ايران » لمالكولوم ، ١٨١٥ ، وبالنسبة للحالة العامة فى تركيا ، نجد تاريخ الاتراك العثمانيين لكريزى ، ١٨٥٦ ، وهذان يمكن الرجوع اليهما بالنسبة لهذه الفترة كما هـو بالنسبة للفترة السابقة ، والى جانب المصادر شبه الرسمية التى أشرنا اليها قبلا ، فسنجد أن أهم مصادر المعلومات التاريخية فيما يتعلق بدول الخليج فى ذلك الوقت ، هو كتاب نيبور « وصف لجزيرة العرب » ٠ ١٧٧٤ ، وله أيضا « رحلـة فى جزيرة العرب » ١٧٧٦ ، وهذا يتناول بشكل خاص سنة ١٧٦٥ ـ ١٧٦٦ ، لكنه يشير الى احداث قبل هذا التاريخ ، ونشير أيضا لمرجع ايف ، ١٧٢ « رحلة من ايران الى انجلترا » ، ١٧٧٣ ، وهو يتناول أساسا احداث سنة ١٧٥٨ وما حولها ، ونشير أيضا الى « خمسة خطابات من تاجر بنغالى حر » سنة ١٧٧٧ ٠

الحروب السيليزية ١٧٤٢ – ١٧٤٨ :

بدأت الحروب السيليزية في سنة ١٧٤٢ – وفيها وقفت هولندا– وهي الدولة الاوروبية الاخرى ذات المصالح الهامة في منطقة الخليج– الى جانب بريطانيا في تأييد قضية ماريا تريزا . وكان الانتصار البريطاني في ديتنجن سنة ١٧٤٣ والهزيمة في فونتينوى سنة ١٧٤٥ من ضمن احداث هذه الحروب التي ارتبط بها ايضاً غزو اليعاقبة لاسكتلندا وانجلترا في ١٧٤٥–١٧٤٦ . اما في الهند فقد انتزعت فرنسا مدراس من ايدي انجلترا . لكن هذه استعادتها مرة اخرى وفق معاهدة . ايكس لاشابل سنة ١٧٤٨ .

حرب السنوات السبع ١٧٥٦ – ١٧٦٣ :

أما حرب السنوات السبع – التي استمرت من ١٧٥٦–١٧٦٣ فقد ادت الى تغلب بريطانيا على فرنسا في المجال الاستعماري وبالنظرة السريعة الى احداث هذا الصراع في اوربا – الذي كانت معركة منيدن في سنة ١٧٥٩ هـــي أهم معالمه . وبتفحص احداث اخرى في امريكا نرى أن سير العمليات العسكرية في الشرق كان دائماً في صالح بريطانيا، وانه ادى الى انهيار تام لقوة فرنسا في الشرق ، وقد سقطت الوكالة البريطانيه في بندر عباس ودمرت تماماً كما سنرى بفعل قوة بحرية فرنسية في ١٧٥٩ . اما في الهند فقد سقطت القاعـــدة الفـــرنسية في شاندرناجار في ايدي الانجليز سنة ١٧٥٧ كما سقطت قاعدتهم في بوند شيري سنة ١٧٦١ وظلت هولندا على الحياد في اوربا ، لكن نفوذها في الهند تلاشى امام نفوذ البريطانيين .

علاقات بريطانيا بالقوى الوطنية في الهند :

وكنتيجة لانحلال الامبراطورية المغولية بعد موت الامبراطور اورانجزيب في سنة ١٧٠٧ واجه البريطانيون – الى جانب حربهم ضد

فرنسا – مشاكل وعلاقات مضطربة مع مختلف القوى الوطنية في أنحاء الهند ، مما اثر بالضرورة على سياستهم في الخليج ، ولا بد ان سقوط كلكتا سنة ١٧٥٦ في ايدي سراج الله حاكم البنغال ، ومأساة « الحرق الاسود » ، وحملة سنة ١٧٥٧ التي انتهت بانتصار البلاسيين ، قد استوعبت اهتمامات شركة الهند الشرقية في ذلك الوقت ، ثم ان مصالح الشركة في البنغال اكتسبت طابعاً اقليمياً بعد منحهم هناك اربعة وعشرين ترخيصاً . وخلال فترة حكم نظام الملك ، وهو أحد ولاة امبراطورية المغول المنهارة ، وبعد ان اصبحت مدينة حيدر اباد هي عاصمة للدكن تسنى لـ«كليف» خلال مدة حكمه الاولى للبنغال (١٧٥٨–١٧٥٩) ان يشيد قواعد النفوذ البريطاني في الهند .

شئون ايران وتركيا ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

الغزو الافغاني واحتلال ايران ١٧٢٢ ـ ١٧٢٩ :

خلال فترة احتلال الافغانيين لايران ـ التي استمرت سبع سنوات ـ اختلطت امور البلاد الداخلية والخارجية اختلاطاً شديداً ، فقد اعلن تاهماسب ميرزا ، احد ابناء الشاه حسين ، بعد هربه من اصفهان قبل سقوطها ، اعلن نفسه شاهاً لايران واستمر يواصل الحرب محرزاً بعض النجاح في البداية . وارتكب الافغانيون مجازر وفظائع رهيبة في ايران ، وفي الشمال والشرق بدأ الاتراك والروس يتحيفون من الاقاليم الايرانية ، ونظموا اعمالهم هذه بمعاهدة بينهم لتقسيم شمالي غربي ايران التي دخلتها قواتهم بالفعل في سنة ١٧٢٣ . وبهذه الطريقة استولى الروس على بعض الاقاليم المتاخمة لبحر قزوين ، واحتل الاتراك اقليمي كردستان وارمينيا وجزءاً من أذربيجان ، وفي ١٧٢٤ استولى الافغانيون على شيراز وأعملوا فيها السلب والنهب ، وفي ١٧٢٥ جن القائد محمود قائد الافغانيين ومات ، وخلفه ابن عمه اشرف الذي سرعان ما بدأت المعارك بينه وبين الاتراك . وفي ١٧٢٦ اوقع الافغانيون هزيمتين متتاليتين بالاتراك على مسيرة بضع مراحل من اصفهان ، وتراجع العثمانيون الى كرمان شاه ، وتبع ذلك عقد معاهدة(١) اعترف فيها اشرف بان سلطان تركيا هو مولاه الروحي في مقابل اعتراف الباب العالي باعتلائه عرش ايران ، هذا بالاضافة الى بعض التنازلات المادية من جانب اشرف مما قد لا يصبح ملزماً لخلفائه في ايران من بعده . وفي نفس الوقت اتحد الايرانيون جميعاً لطرد الغزاة الافغانيين ووقفت قبيلة كاجار القوية في اختر اباد الى

(١) لقد سوت هذه المعاهدة كل المشاكل المتعلقة بالحدود والتمثيل السياسى والدبلوماسى وتسليم المجرمين والحج والتجارة . أنظر : معاهدات اتيشسيون الطبعة الرابعة ، المجلد الاول ، القسم الثانى عشر ، الملحق ٣ .

جانب تاهماسب ميرزا . وفي سنة ١٧٢٧ انحاز قائد عسكري مشهور بقوته الى جانبه ، وهو نادر كولي(١) وهو تركي من مقاطعة افشار ، وقد غير اسمه مؤقتاً فجعله على اسم مولاه الجديد حيث سمي تاهماسب كولي خان ، لكن الافغانيين ظلوا على قوتهم ، بل واستطاعوا الاستيلاء على يزد التي كانت حتى ذلك الوقت ما زالت تقاوم قواتهم ، وفي سنة ١٧٢٨ اشاع الافغان الفوضى في بندر عباس ونهبوا الوكالة الانجليزية بها ، واخيراً في سنة ١٧٢٩ استطاع تاهماسب كولي خان ان يهزمهم في « دامجان » فتراجعوا الى طهران ومنها الى اصفهان ، ولحق بهم الايرانيون واصابوهم بهزيمة اخرى قبل ان يصلوا الى طهران . ثم واصل الافغانيون تراجعهم الى الجنوب الغربي وتبعهم تاهماسب كولي خان وهزمهم في برسيبوليس وطاردهم حتى شيراز ، وقام احمد شاه ، قائد الافغانيين باعدام الشاه حسين ، شاه ايران المخلوع ، بينما استعاد تاهماسب ميرزا اصفهان . وفي شيراز لم يحاول الافغانيون الدخول في معركة ، بل تفرقوا في جميع الانحاء محاولين الرجوع لبلادهم . ولم ينجح في هذا الا القليل منهم ، حتى ان اشرف نفسه ذبحه بعض البلوش في الصحراء الممتدة بين شيراز وسجستان ، اما اتباعه فقد استطاع بعضهم ان يجد طريقه الى الساحل عبر لار ومنها عبروا الخليج الى الحسا حيث اعدموا فور وصولهم ، كذلك قتل بعضهم في مكران ، واصبح فلول منهم بعد مرور السنين يشاهدون وهم يكسبون معيشتهم كعمال فقراء في مسقط .

صراع المنتصرين من ١٧٢٩ – ١٧٣٦ :

وبعد طرد الافغانيين لم تدم الثقة طويلا بين الشاه تاهماسب وقائده المظفر تاهماسب كولي خان ، وكان الشاه قد اقطعه اربعة اقاليم في شمالي ايران ليحكمها باسمه ، ولكن كولي خان قرر الانفراد بحكمها تقريباً ،

(١) لا ينتمي نادر كولي الى اسرة معروفة وقيل انه كان لصا في وقت من الاوقات .

فطرد منها الاتراك وطلب من السلطان محمود الاول – الذي ارتقى عرش العثمانيين مؤخراً – اعادة اقليم اذربيجان الى ايران ، وكادت هذه الاجراءات تلاقي النجاح لولا ان الاتراك استاءوا لدناءة سلوك شاه ايران تاهماسب نفسه فانشبوا الحرب معه وهزموه ، واضطروه لتوقيع معاهدة مع احمد باشا – الوالي التركي على بغداد تنازل بها عن مطالبه في البلاد الواقعة وراء العراقين للسلطان بل واقطع اقليم كرمان شاه لاحمد باشا نفسه . وسارع تاهماسب كولي خان فشجب المعاهدة باعتبارها خيانة للمصالح القومية كلها ، وبعدها بقليل خلع كولي خان الشاه عن العرش واقام مكانه طفله الصغير الذي يعرفه المؤرخون باسم « الشاه عباس الثالث »والذي كان ألعوبة بيدي كولي خان . وفي يوليو ١٧٣٣ تقدم تاهماسب كولي خان الى بغداد وحاصرها ولكنه هزم غربي سامراء على يد قائد تركي غاية في الشجاعة هو طوبال عثمان الذي أكره كولي خان على الانسحاب من المعركة ، لكن الاخير جدد غزوة للعراق قبل مضي اقل من ثلاثة شهور ، وهزم جيشاً تركياً بقيادة طوبال عثمان نفسه الذي ذبح في المعركة ، واعد عدته لاعادة احتلال بغداد ، لولا ان تمرداً حدث في اقليم فارس اجبره على العودة لايران .

حكم نادر شاه ١٧٣٦ – ١٧٤٧ :

وفي ربيع ١٧٣٦ اعتقد تاهماسب كولي خان ان مركزه الان قد تدعم تماماً فاتخذ لنفسه اسم « نادر شاه » وقبل عرض ايران الذي عرضه عليه النبلاء والقادة العسكريون غير انه اشترط لذلك شرطاً غريباً هو ان يقبل هؤلاء الغاء المذهب الشيعي (١) وتحويل شعب ايران الى المذهب السني

---

(١) كان مقصودا أن يكون أهل ايران مذهبا خامسا من مذاهب السنة، وهو الجعافرة كمذهب يتميز عن المذاهب السنية الاربعة : الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية ، وذلك نسبة للامام جعفر الصادق ، الذى يجله الشيعة ، ويعتبرونه الامام السادس ، ←

وبمجرد اعتلائه العرش عقد معاهدة مع السلطان محمود الاول سلطان تركيا حددت بمقتضاها الحدود بين الامبراطوريتين كما كانت على عهد السلطان مراد الرابع . وبعدها انطلق يبحث لمطامعه عن آفاق جديدة وكان من اول اهدافه اخضاع قبيلة بختياري ، ولم يكلف هذا سوى حملة واحدة سريعة ، وبعدها عبرت قواته الخليج كما سننشر بالتفصيل فيما بعد — واكتسحت عمان في ١٧٣٧—١٧٣٨ ولم تغادر هذه البلاد الا في سنة ١٧٤٤ ، وفي نفس الوقت قام الشاه بغارات على الافغانيين أعدائه القدامى فاستولى على قندهار في سنة ١٧٣٨ بعد حصار دام سنة كاملة ، ثم استولى على كابول ايضاً بعد ذلك . وفي سنة ١٧٣٩ تقدم نحو الهند ، وتعلل بأنه يهاجم المغول لانهم كانو يؤيدون الافغان ، وهزم الشاه جيش المغول في معركة بالقرب من كارنال ، واحتل دلهي وقتاً ما ، لكنه كان احكم من ان يحاول ضم هذه البلاد المترامية الاطراف البعيدة

← ولا يستطيع السنية الاعتراض عليه ، لانه عاش أيامه قبل انقسامهم • وقد أصبح الاعتراف بمذهب الجعفرية مجال رسائل متبادلة بين الشاه وسلطان تركيا ، لكن هذا الاخير — رغم انه وافق على اقتراحات الشاه باطلاق سراح المسجونين من كلا الجانبين ، وباباحة حرية التجارة ، وتبادل التمثيل • واستقبال السفراء بين البلدين — لم يكن له شأن بالفرق الدينية المختلفة ، بل أن الجعافرة لم يستطيعوا أن يضموا اليهم انصارا كثيرين فى ايران نفسها ، وكانت أهداف نادر شاه من محاولته هذه هى :

١ — ان يرضى جيشه ، الذى كان يتكون أساسا من السنية •

٢ — ان يسهل ضم البلاد التى تتبع المذهب السنى الى امبراطوريته ، كالهند وافغانستان وتركيا •

٣ — ان يمحو ذكر أسرة صفوى ، التى كان المذهب الشيعى هو العقيدة الرسمية فى ايران أيام حكمها ، والذى كان متوحدا بها •••• وقد احتلت أعمال نادر شاه هذا جزءا كبيرا من اهتمام نيبور أنظر : رحلته فى جزيرة العرب، المجلد الثانى • ص ٢٢ — ٤٣٣وحتى اليوم ما يزال الشيعة فى تركيا يسمون — أحيانا — بالجعافرة •

عن بلاده الى امبراطوريته ، وبعد اقامة قصيرة فيها عاد الى ايران ، وفي طريق عودته ارسل جيشاً الى السند اخضع هذا الاقليم لسيادته ، وقيل انه قد اصطحب هذا الجيش بنفسه ، وفي نفس الوقت قام تقي خان – حاكم فارس – باقتحام مكران وضم جزء منها لسيطرة الشاه كما سنذكر فيما بعد في حديثنا عن تاريخ اقليم مكران . وفي سنة ١٧٤٠ ضمت هراه بافغانستان الى املاك ايران ، وفي العام التالي اصبحت « مشهد » هي عاصمة ايران .. في هذا الوقت تجدد العداء مرة أخرى بينها وبين تركيا لكن نادر شاه – بعد ان احرز نصراً ساحقاً على الاتراك في اريفان سنة ١٧٤٤ – عاد فوقع الصلح مع السلطان . وتمرد تقي خان ، قائد حملة مكران وحاكم فـارس على الشاه في سنة ١٧٤٤ لكنه حوصر فوراً في شيراز وقبض عليه اثناء محاولته الهرب من المدينة واعدم . واخيراً لم يعد شيء يقف امام هذا الطاغية ، حتى انه فقأ عيني ابنه رضا كولي خان لانه لم يكن يثق به ، والحقيقة ان قسوته وبطشه لم يقفا عند حد في السنوات الخمس الاخيرة من(١) حكمه واخيراً اغتاله اربعة من ضباطه في سنة ١٧٤٧ . وكان من بين مطامع نادر شاه – كما سنرى فيما بعد – ان تكون له قوة بحرية في الخليج ، ونجح اخيراً في ان يعد ٢٠ أو ٢٥ سفينة كانت ترسو دائماً في بوشهر ، وقيل ان بعض هذه السفن قد تم بناؤه في ميناء بو شهر او ريق . غير ان خطته في بناء اسطول كامل من اخشاب ينقلها عمال السخرة من اقليم مازندران الى ايران ظلت دون تنفيذ .

الفوضى ، ثم صعود كريم خان الى العرش ١٧٤٧ – ١٧٦٣ :

وعقب موت نادر خان حدثت اضطرابات رهيبة لم تقتصر على

(١) يشير الرحالة الهولندى نيبور الى الاشخاص الذين كانوا ما يزالون يشاهدون فى سنة ١٧٧٦ وقد فقئت أعينهم بمن فيهم بعض عرب البحرين الذين اكتفى بفقء عين واحدة لكل منهم .

ذريته وحدهم بل اصاب شرها الافغانيين ، والكاجاريين ، وقبيلة بختياري ولعب فيها شخص يدعى كريم خان دوراً بارزاً ، وكان كريم خان هذا كردياً ينتمي الى قبيلة رعوية تعرف باسم قبيلة زند ، وكان اول من ولي ليخلف نادر شاه ابن اخ له يدعى « علي » سمى نفسه «عادل شاه » ، سارع فور توليه الحكم الى اعدام ١٣ شخصاً من ابناء واحفاد نادر شاه ، لكنه استثنى من القتل « شاه روخ » ابن رضا كولي خان ، ولكن سرعان ما وثب اخ له يدعى ابراهيم فاستولى على العرش وامر بأن تفقأ عينا عادل شاه ، ولكن ابراهيم هذا لم يعمر طويلا اذ سرعان ما اغتيل كما قتل ايضاً عادل شاه ، وتولى العرش « رخ شاه » — الذي كانت امه تنتمي الى اسرة صفوي فهي ابنة الشاه حسين ، ولكن سرعان ما قبض عليه وفقئت عيناه هو الآخر وتولى مكانه مغتصب يسمى « سيد محمد أو سليمان » واعدم هذا بدوره سنة ١٧٥٠ ، واعيد العرش بعد ذلك الى رخ شاه ، ولكن سرعان ما اعتقل وسجن . في هذا الوقت كانت تتعاظم قوة الحاكم الافغاني احمد شاه عبد العلي الذي كانقداستولى على اقليم قندهار ثم مشهد أيضاً بعد فترة وجيزة ، وفي نفس الوقت ايضاً حدثت حركة في الجنوب الغربي من ايران ، حيث كان علي عردان خان زعيم قبيلة بختياري ، وكريم خان زند قد اتحدا معاً وناديا بواحد من اسرة صفوي حاكماً على ايران ، وهو « الشاه اسماعيل » ابن اخت الشاه حسين الراحل ، واستولى « احمد شاه عبد العلي » على شيراز سنة ١٧٥٠ ، لكن الكاجاريين في مازندران في الشمال عارضوه ، ولم يحاول هو بدوره ان يتقدم أكثر في غزو ايران ، بل اكتفى بأن نصب الشاه الاعمى « رخ شاه » على عرش خراسان ، جاعلا « مشهد » عاصمة له ، ثم عاد ادراجه الى افغانستان . وفي ١٧٥٢ — ١٧٥٣ كانت البلاد كلها مرتعاً للفوضى ، وكان متوقعاً في كل لحظة ان يقوم « احمد شاه عبد العلي » بغزوها وضمها لافغانستان ، وظهرت عصابات الافغان والايرانيين المتمردين على القانون بالقرب من بندر عباس ، ثم حدث

خلاف بين علي مروان خان وكريم خان ، واغتيل الاول واصبحت لكريم خان سيطرة مطلقة على الشاه الدمية « اسماعيل » وحكم باسمه شيراز واتخذ لنفسه لقب « الوكيل » .

وبعد هذا استطاع « ازاد » او « اسد خان » وهو افغاني كان قد استولى على اذربيجان ان يهزم كريم خان في ساحة الوغى ، ثم تمكن هذا المغامر في سنة ١٧٥٣ ان يحتل اصفهان ، حيث ظلت في قبضته حتى سنة ١٧٥٥ ، وواصل اعماله الحربية فاضطر كريم خان الى التخلي عن شيراز ايضاً والالتجاء الى جبال فارس ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى عاد الوكيل فنجح في ابعاد اسد خان الى ادغال كوماراج بين شيراز والساحل ، ثم استعاد شيراز ، وفي ١٧٥٨ كان اسد خان يعيش في بغداد ، التي التجأ اليها فاصبح فيها سجيناً لدى باشا بغداد .

وفي ١٧٥٧ كان كريم خان قد دعم موقفه في شيراز ، كما خضعت له «بهبهان» ثم قام بحملة ناجحة بعض الشيء على قبيلة كعب في عربستان . لكن الكاجاريين في اقليم مازنداران ،وقد كانوا من قبل قد عرضوا عليه عونهم ضد اسد خان ، اعلنوا عليه الحرب بأمر رئيسهم « محمد حسين خان» . وحوصر زعيم قبيلة الزاند وقتاً ما في قصره سنة ١٨٥٧–١٨٥٨ ، لكن زعيم الكاجاريين ، وقد اضعفته الانقسامات في صفوف رجاله ، اضطر في النهاية للتراجع الى مازنداران وهناك لم يمض وقت طويل حتى هزمه وقتله رجال قبيلة تساعدهم قوات كريم خان . وهكذا استعاد الوكيل سيطرته على اصفهان . وكان كريم خان يصحب في عملياته التي قام بها في الجنوب بعض العرب من اقاليم الخليج الذين ظلوا معه حتى اصفهان ، لكنهم لم يسلكوا المسلك الذي كان يتوقعه منهم ، وكانت علاقاته بالقبائل العربية في هذه المنطقة ودية عموماً ، لكنه كان يعاقبهم بقسوة حين يثبت له انهم تجاوزوا حدود الاعتدال ، او تأخروا عن دفع العائدات . وفي سنة ١٧٥٨ استولى « كريم خان » على يزد ، وفي سنة ١٧٥٩ قرر تخفيض الضرائب على أصفهان وعين اخاه « صديق خان » حاكماً لشيراز ، لكنه قيل بأنه لم يصبح سيد ايران حتى سنة ١٧٦٠ .

علاقات شركة الهند الشرقية بايران
وسياستها العامة هناك ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

العلاقات قبل تولي نادر شاه ١٧٢٢ – ١٧٣٦ :

لا يبدو أن أية علاقات من أي نوع كانت بين الانجليز والافغانيين خلال فترة احتلال هؤلاء لايران (١٧٢٢–١٧٢٩) اللهم الا ما تعلق بجيشهم الذي أغار على بندر عباس ، ولكن حين ظهر نادر شاه على مسرح الاحداث بدأت المراسلات بينه وبين شركة الهند الشرقية . وفي سنة ١٧٣٣ وعد « نادر شاه » بتجديد امتيازات الانجليز التجارية في ايران بعد سقوط بغداد التي كان يحاصرها في ذلك الوقت ، لكن فترة من البرود في العلاقات اعقبت ذلك ، نتيجة ما نشأ عن الترتيبات التي اتخذها الانجليز لمعاونة الاتراك في الدفاع عن البصرة ضد الايرانيين ، وقد أصبح ممثلو الشركة في أصفهان وكرمان مكروهين تماماً مما جعل الشركة تفكر جدياً في نقل وكالتيها هناك . وفي ١٧٣٥ ظل اتجاه نادر شاه عدائياً كما هو ، وفي احدى المرات التجأ ممثلو الشركة في بندر عباس الى ظهر احدى السفن تحسباً على انفسهم ، وقيل ان نادر شاه توعد الانجليز بالشر ما لم يكفروا عن عملهم العدائي الذي ارتكبوه في البصره بمساعدته على احتلالها . ولدى تلقي هذه المعلومات حاولت ادارة الشركة في بومباي ان تستدعي سفينتها « كوين كارولين » التي كانت قد أبحرت الى ايران ومعها وكيل للشركة لكنها لم تنجح فارسلت الطراد « برنس اوف ويلز » والسفينتين «روبرت» و « جين » لنجدة موظفي الشركة في بندر عباس ، ثم قررت بنية سيئة وإن اعلنت عكسها ، ان تنقل سفيراً لايران من الهند الى بلاده ، ثم تحتجزه كرهينة اذا بدا ذلك ضرورياً ، واخيراً اذنت اذا استدعى الحال ، ببيع سفينة او اثنتين من سفن الشركة للحكومة الايرانية ، وبعدها بقليل ، في اواخر ١٧٣٥ . اصدر نادر شاه الذي كان ينتظر منه في كل لحظة ان

يعلن نفسه شاهاً لايران « امراً شاهانياً » غريباً يقضي باعفاء الانجليز من العوائد بما قيمته ١٠٠٠ تومان سنوياً ، قابلة للزيادة وفق ما يراه « محمد تقي خان » حاكم اقليم فارس وظل نادر على محاولته اغراء ممثلي الشركة كي يمدوه بالسفن واخيراً وافقوا على ان يقدموا له سفينتين بكل منهما ٢٠ مدفعاً في مقابل دفع تأمين نقدي عن الواحدة بمبلغ ٨ آلاف تومان ، غير ان وكالة اصفهان اغلقت ابوابها لكثرة ما نالها ، من اهانات واعتداء لكن الاتصالات ظلت جارية مع نادر شاه بشأن تحديد الامتيازات الانجليزية ، وقد ادى توقع قيام الصلح بين الايرانيين والاتراك ، الى انعاش امل الانجليز بانتهاء المشاكل التي تواجهها وكالتهم في بندر عباس .

العلاقات خلال مدة حكم نادر شاه ١٧٣٦–١٧٤٧ :

وبعد ان اعتلى نادر شاه عرش ايران في اوائل سنة ١٧٣٦ عقد الصلح مع الاتراك وبدأ يتودد للانجليز ، لكنه ظل لا يتراجع عن عزمه على انشاء قوة بحرية ايرانية في الخليج تخدم اغراضه العامة . واضطر ممثلو الشركة الى تنفيذ العرض الذي كانوا قد قدموه للشاه وهم يحسبون أنه لن يقبله ، وكانت السفينتان اللتان وقع عليهما الاختيار هما « نور ثمبر لاند » وقد اقبل عليها الايرانيون دون تردد ، بسبب جهلم شؤون الملاحة والسفن ، وكانت في حالة سيئة(١) ثم « كووان » التي كانت حقاً سفينة جديدة . وفي نهاية ١٧٣٦ جدد الشاه بعض امتيازات الشركة لكن بقيت الامتيازات معلقة . ولقد فضل وكيل الشركة وادارتها في بندر عباس التمشي مع الشاه بدلا من ازعاجه لذلك تعهدوا له بعد تردد أن ينقلوا على سفينة لهم سفير ايران الى بلاط المغول في الهند ، وكان نادر شاه قد طلب الى الهولنديين اولا قضاء هذه الخدمة لكنهم لم

(١) يبدو أن هذا كان راجعا الى مخادعة الكابتن ميلن الذى طلب اليه ان يحزم حقائبه لو توجه الايرانيون بأية مطالبة لكنهم لم يفعلوا .

يستطيعوا لافتقارهم وقتها الى سفينة . وفي اوائل السنة — وصدورا عن نفس الدوافع — اضطر الانجليز الى استقبال احد ابناء « محمد تقي خان» في اسين بالقرب من بندر عباس استقبالا كلفهم مع الهدايا الثمينة اموالا طائلة . ووصل خطاب من الرئيس في بومباي يهنىء نادر شاه بذكرى اعتلائه العرش ، وقدم هذا الخطاب للشاه فور وصوله ، وكان له اثر في اشاعة جو من الود والحماية .

سنة ١٧٣٧ :

وفي ١٣ فبراير سنة ١٧٣٧ ، وفي صدد حملة ايرانية على عمان أبحرت يوم أول ابريل التالي ، وصل حاكم فارس محمد تقي خان بنفسه الى بندر عباس ، وكان لديه تفويض من مولاه بأن يجدد كل امتيازات الانجليز التجارية عدا امتيازهم في ان يتسلموا ١٠٠٠ تومان كل سنة من عوائد بندر عباس ، واستبدل هذا الحق بأن يحصل الانجليز على ثلث عوائد الجمارك عن البضائع المستوردة لايران على سفن انجليزية،على ان يكون ممثلا انجليزياً حاضراً في ادارة الجمرك عندئذ ، كما وعد بأن يلقي التجار الانجليز معاملة مهذبة وعادلة ، وكلفت زيارة محمد تقي خان الشركة حوالي ١٥٠ تومانا في الهدايا والنفقات الاخرى ، كما وجدوا ايضاً من الضروري ان يقدموا له صكاً بمائتي تومان من الفضة كي لا يحول بينهم وبين ان يصدروا من كرمان بضائع اخرى غير الصوف ، وكي لا يحول بينهم وبين تصدير النحاس و «النقود السوداء»(١) وغيرها من البضائع ، كما كان يلمح في حديثه . ولم تحث الشركة ممثليها للمساعدة في الحملة على عمان ، بل هم في الواقع تلقوا تعليمات من رئاسة الهند بأن يرفضوا مثل ذلك الطلب ، لكن الضغط الايراني الملح على الهولنديين اكرههم على تقديم سفينة واحدة للحملة .

---

(١) يبدو أن هذا التعبير يعنى « النحاس المطروق » .

سنة ١٧٤١ :

وبعدها ... لم يحدث بين شركة الهند الشرقية والموظفين الايرانيين أية حوادث هامة حتى سنة ١٧٤٠ حين حدث تمرد بين جنود البحرية الايرانية كما سنذكر بالتفصيل فيما بعد ، وطلب المسئولون عون الانجليز والهولنديين لقمع ذلك التمرد ، حيث أثار قائد البحرية الايرانية نصوص اتفاقية سابقة تقضي بأن يقدم الانجليز العون العسكري البحري للايرانيين . وقد قدم الهولنديون بعض المساعدات الفعلية للايرانيين لكنها كانت بلا جدوى . واقتصر عون الانجليز على اقراض الايرانيين بعض المدافع التي كانت تستخدم في اطلاق التحية العسكرية ، وضابطاً مدفعياً ، كما ارسلوا بعض الجنود الافريقيين على سفينة شراعية ايرانية اذن لهم القائد بأن يرفعوا فوقها العلم البريطاني ، وانتهت عمليات القائد البحري الايراني ضد المتمردين بخيبة كبرى . وتحسّب ممثلو الشركة في بندر عباس من صدور بعض «الارادات الغريبة القاسية» التي يصدرها الشاه ، فطلبوا من رئاسة الشركة السماح لهم بتعزيز الحراسة على وكالتهم ، لكن نادر شاه لم يتصرف بطريقة ما لشفاء غيظ نفسه .

وفي سنة ١٧٤٣ اعادت الوكالة البريطانية في أصفهان فتح ابوابها ، لكن تجارتها داخل ايران حطمتها كلياً تلك « العوائد الداخلية »(١) ولم تفلح جهود موظفي الشركة في الحصول على « امر شاهاني » باعفائهم منها ، فقد طلب منهم وزير الشاه في البداية الا يتحدثوا بهذا الشأن الميئوس منه ، ولكن لما لمحت له الشركة بالمكافأة ، وعدهم بأن يبذل كل جهده ، ثم اضاف انه من المحتمل ان تفشل جهود الشركة هذه أيضاً

---

(١) نحن لا نعرف على وجه التحديد طبيعة هذه العوائد الداخلية : هل هى راهدارى أم سادياك ام هافوى ٠٠ كلها على أى حال لم تكن واجبة الدفع بالنسبة للانجليز حسب امتيازاتهم التجارية التى أكدها نادر شاه ٠

وفي هذه الحالة لا بد من تقديم التماس عام للشاه قد يكلفهم حوالي ٣٠ الف روبية ، وكان واضحاً بالنسبة لوكيل الشركة انه لا بأس من دفع مبلغ ٧٠٠ او ٨٠٠ تومان في سبيل الحصول على ذلك الاعفاء .

وفي سنة ١٧٤٤ سويت مشكلة العوائد الداخلية في أصفهان حين أصدر الشاه امره بأن يدفع الانجليز من تلك الضرائب ما يدفعه الرعايا الايرانيون وتولى موظفو الشاه من جانبهم – بالاضافة الى تنفيذ هذا الامر – مطالبة الشركة بدفع المتأخرات عليها من هذه الضريبة ، وهكذا وجد ممثل الشركة ان عليه ان يدفع حوالي ٢٨٠٠ تومان لم يردّ له منهاشيء.

سنة ١٧٤٦ :

وقد زار نادر شاه اصفهان في اوائل سنة ١٧٤٦ ، وكان قد نقل عاصمته الى مشهد منذ سنة ١٧٤١ – وخلال اقامته بأصفهان – حسب ما يروى رئيس وكالة بندر عباس وقنصلها – قام « بمعاملة ممثلينا معاملة مهذبة بقدر الامكان ، مستثنياً اياهم من الطغيان الذي كان طابع سلوكه في هذه الفترة ، لكننا نعتقد ان الفضل في ذلك يرجع للهدايا التي قدمت اليه والتي بلغت تكاليفها ١٦٩٩,٧٠ شاهية ، ولم يكن بدونها يتيسر لهم ان يتفادوا بطشه ..» ، وقبل ان يغادر نادر شاه اصفهان للقيام بحملة ، كانت آخر حملاته لقمع تمرد حدث في اقليم سجستان ، كتب الى وكيل الشركة في بندر عباس يطلب منه ارسال طبيب اوروبي اليه .. ولما كان هذا يعرف ان ثمة طبيباً كفؤاً موجوداً في أصفهان او فيما جاورها ، فقد كتب الى وكيل الشركة المقيم هناك يطلب اليه اتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك .

وانتهت علاقات الشركة بنادر شاه هذه النهاية السارة فيما عدا «امر شاهاني سلم لمترجم الشركة في المعسكر الشاهاني يقضي باعفاء الانجليز من العوائد الداخلية ، وقد كتب بعبارات بليغة » .

علاقات الشركة بعد موت نادر شاه ١٧٤٧ - ١٧٦٣ :

وبموت نادر شاه تعرضت مؤسسات الشركة في ايران لاخطار ومشكلات جديدة . وفي ديسمبر سنة ١٧٤٧ صدر امر من بومباي الى بندر عباس بتصفية الوكالات الموجودة داخل ايران في اصفهان وكرمان ، ولكن لا يبدو ان هذا الامر قد نفذ في أي من الوكالتين .

سنة ١٧٤٨ :

وفي اوائل سنة ١٧٤٨ ، قيل إن المقيم العام للشركة في أصفهان قد تقدم الى الشاه الجديد يطلب تعزيز الامتيازات التجارية ، وانه قد لقي جواباً حسناً ، وبعدها قام مستر دانفرز جريفز برحلة من بندر عباس الى كرمان لتحصيل ديون الشركة المستحقة الدفع وقد قام برحلته هذه حالما سمحت بذلك احوال السفر .

سنة ١٧٥٠ :

ولو قد صفيت وكالتا الشركة الداخليتان في ايران حسب الامر الذي صدر لها بذلك من بومباي في سنة ١٧٤٧ لكان ذلك فيه الخير ذلك بأنه في سنة ١٧٥٠ — حين كان مستر جريفز ومستر دال رمبل في أصفهان يحققان في مشاكل وقعت هناك — هوجمت وكالة أصفهان ونهبت ، وأهين هذان الوكيلان وجرحا جراحاً بالغة ، ورجعا الى بندر عباس بعد مشقة في اكتوبر ، غير ان مستر دال رمبل مات قبل نهاية السنة متأثراً بجراحه وبالمشقة التي لقيها في الطريق ، ولم يمكن بعدها فتح وكالة أصفهان ابداً ، ونسبت هذه الاعمال الى المتمردين على الشاه ، وربما كان مقصوداً بهم الافغانيون التابعون لاحمد شاه عبد العلي .

١٧٥٠ — ١٧٥١ :

وفي سنة ١٧٥٠ اثار محمد بيك — وهو أحد السفراء الذين كان نادر شاه قد بعث بهم الى بلاط المغول — بعض الاهتمام في الهند ،

ذلك بأن هذا الرجل كان قد تعرض للسرقة والنهب من جانب حاكم « سورا » الخاضع لامبراطور المغول ، فلجأ السفير الى موظفي الشركة ، طالباً وساطتهم فقدموا اليه بعض العون ولكن ليس بالقدر الذي يتمناه ، وعندها حاول عن طريق وسلطة « ملا علي شاه » القائد البحري الايراني في بندر عباس حث الشركة على المزيد من العون، ردت حكومة بومباي على هذا بأن احتجزت سفينة تابعة له كانت قد انقذتها من بين أيدي المغول واستبقتها وفاء لديون مستحقة في ذمة ذلك السفير . ولسنا نعرف كيف انتهى الامر . ولكن يبدو ان محمد بيك كتب خطاباً في سنة ١٧٥١ الى ملا علي شاه ينتقص فيه من قوة الانجليز العسكرية في الهند ، وقد اتخذ القائد الايراني اسلوباً حاداً ومهيناً في مخاطبة موظفي الشركة في بندر عباس متأثراً بذلك الخطاب .

١٧٥٥ :

وفي سنة ١٧٥٥ كانت الفوضى ما تزال تضرب اطنابها في ايران ، حين استطاع مستر وود الموظف بالشركة ان يحصل على « امر شاهاني » من كريم خان — الذي كان في ذلك الوقت مسيطراً على شيراز — يسمح للانجليز بانشاء وكالة في ميناء « ريق » ، وفي نفس الوقت تقريباً كتب منافس كريم خان — اسد خان المسيطر على اذربيجان — الى الوكيل الانجليزي يخبره بطريقة ودية انه في سبيله للتقدم لاحتلال شيراز .

١٧٥٦ :

وكان العمل قد بدأ في بندر عباس منذ سنة ١٧٥٢ في جمع وترجمة كل الاوامر الشاهانية والارقام والفرمانات الهامة حول امتيازات الشركة التجارية في ايران . لكن هذا العمل لم يكتمل حتى سنة ١٧٥٦ حين ارسل صندوق ضم نسخاً من هذه الترجمة الى ادارة الشركة . وكان هذا الجمع قد بدأ تنفيذاً لاوامر من بومباي ، وليس صعباً ان ندرك قلق مسئولي الشركة في بومباي بسبب صعوبة استكناه طبيعة الفرمانات وجدواها في

وقت لم تكن فيه حكومة مسئولة قائمة في ايران . بل وحتى لم يكن ثمة أمل في قيام مثل هذه الحكومة .

مشاكل نقل الوكالة الانجليزية من بندر عباس ١٧٥٠-١٧٦٣ :

ونتيجة لهذه الاضطرابات ولتفكك الحكومة المركزية في ايران ، التي سنشير اليها فيما بعد ، لم يعد ميناء بندر عباس بالمكان الآمن او أو المؤهل مركزاً للوكالة الانجليزية الرئيسية في منطقة الخليج .

وقد اثيرت مشكلة نقل هذه القاعدة لاول مرة في سنة ١٧٥٠ حين استولى الافغانيون - بقيادة احمد شاه عبد العلي - على شيراز ، مما حفز الوكيل البريطاني فيها على تقديم طلب لنقل الوكالة الى البحرين ، وللاستيلاء على الاسطول الايراني حال ارتحال الوكالة عن بندر عباس ، لكن اقتراحه هذا لم يلق موافقة الرياسة ، وصدرت اليه الاوامر باستمرار اقامة الوكيل والقنصل في بندر عباس ما لم يتهددهما خطر داهم ، وفي هذه الحالة ، عليهم ان يرتحلوا عن بندر عباس الى ان تهدأ حدة الاضطرابات في مملكة ايران ، وان يكون الارتحال الى اية جزيرة في أعلى الخليج بالقرب من بندر بوشهر او بندر الرقة حيث يتوافر فيها الماء والامدادات ، وحيث يتيح لهم اهالي الجزيرة النزول اليها والانضمام اليهم لمقاتلة عدوهم المشترك ، اما الاسطول الايراني فقد حظر على الوكيل التعرض له تحت اية ظروف لدى خروج الوكيل وصحبه من بندر عباس ، وانتهت هذه المشكلة لفترة من الزمن .

وفي اوائل سنة ١٧٥٢ زار ناصر خان ، حاكم لار ، بندر عباس ، وكان نفوذ هذا الرجل يتزايد في الاقاليم المجاورة . ومع انه كان يتحدث هناك عن الشركة بلهجة ودية الا ان تصرفاته الفعلية كانت تنذر بفتح باب واسع من ابواب الابتزاز مستقبلا مما دفع بوكيل الشركة الى التفكير في نقل المؤسسات القائمة في بندر عباس الى احدى الجزر المجاورة كجزيرة « قشم» او «هانجام » ، وراح يجادل بأن بقاء ممتلكات الشركة

مـــثل ذلك المكان المنعزل سيجعلها بمأمن من ابتزاز الحكام المحليين ، وتنبأ بأن يستقر في المكان الجديد تجار كثيرون من الاهالي في ظل الحماية الانجليزية، كما ان المركز الجديد سيصبح مقر التجارة الرئيسي بين مسقط والبصرة، وبذلك فان صغار المترعمين في البر المجاور سيتهافتون على كسب ود الانجليز بدلا من ان يستوفوا منهم عوائد استيراد قد تصل الى ١٦٪ و ١٧٪ . وكان من رأي هذا الوكيل ان قوة مكونة من سفينتين و ٣٠٠ رجل تكفي لتغطية عملية الانتقال ، وقال ان كل الاسباب تشير الى ان العوائد المنتظرة ستكفي لتعويض نفقات الحملة العسكرية التي يتطلبها الانتقال . وكان المسئولون في بومباي يخالفون تلك الخطة ، ومع ذلك فانهم ارسلوا يطلبون تقارير وافية عن جزر هانجام والبحرين ، وبادر مستر وود وكيل الشركة في بندر عباس لارسال التقارير اللازمة في خريف العام نفسه . وكان لا يحبذ الانتقال الى اي من هاتين الجزيرتين لكنه كان يميل الى اقتراح تعزيز وتحصين قلعة صغيرة على الطرف الجنوبي — الغربي من جزيرة قشم باذن خاص من الشاه او من خان لار . وبعدها بعدة ايام كتب مستر وود — وسنتعرف على اضطراب شخصيته فيما بعد — الى بومباي يرفض الانتقال المقترح كلية زاعماً ان الوكالة آمنة حيث هي في بندر عباس ، وان انتقالها قد يؤدي الى نزاع مع الايرانيين واتاحة مزيد من الفرص للهولنديين ، ووواضح انه بات لا يرى ما كان يراه من قبل من السوء الماثل في ابتزاز الحكام المحليين .

: ١٧٦٠

ويبدو ان حجج مستر وود الاخيرة التي جاءت على هوى الرئيس والمقيم العام في بومباي قد حازت القبول فلم تتخذ اية خطوات لنقل الوكالة ، وظلت هذه القضية نائمة حتى سنة ١٧٦٠ حين عاد الحديث عن الانتقال الى الانتعاش من جراء النجاح الذي اصابته قاعدة الهولنديين المستجدة في خارج سنة ١٧٥٣ وكذلك نتيجة لسقوط بندر عباس وتدميرها على ايدي الفرنسيين سنة ١٧٥٨ ولتزايد ابتزاز الحكام المحليين في جوار

بندر عباس ، وطلبت الرئاسة في بومباي من الوكيل دراسة عن جدوى انتقال الوكالة الى قاعدة أخرى ، فقام هذا – وبصحبته كابتن بيلي – بزيارة لقائد قلعة هرمز في خريف سنة ١٧٦٠ ، لكن هذا المسئول الايراني – رغم موافقته على اقامة قاعدة انجليزية في الجزيرة – لم يتيسر اغراؤه – ولا حتى عن طريق تقديم الرشوة – كي يسلم لهم القلعة ، وكان ثمة شك في الاستيلاء عليها بطريقة اخرى ، سواء عن طريق استخدام القوة او استصدار تصريح من خان لار ، ورأى الوكيل –حتى برغم هذا كله – ان هرمز ليست بالمكان المناسب . فالماء نادر فيها ، والامدادات معدومة على الاطلاق ، والقلعة ومبانيها مدمرة تماماً بحيث تتكلف ٨٠ الف روبية على الاقل لاصلاحها .

١٧٦١ :

وحين تلقى الرئيس والمقيم في بومباي تقرير الوكيل ، ردا عليه بأنه قصر في تحرياته بلا مبرر ، لان ما طلب اليه هو « ابداء رأيه في أكثر الاماكن التي يراها أمناً في منطقة الخليج كلها » وأدى استمرار التغيير والفوضى في بندر عباس الى الحيلولة بين المسئولين دون اتخاذ رأي في الموضوع ، لهذا فوضوا الوكيل هناك وتركوا له حرية تحديد هذا الانتقال بشرط انه لو تم فلا بد من شحن الاموال والنحاس والصوف ... الخ . الموجودة في بندر عباس الى بومباي مع الاسلحة والجنود باستثناء الجنود الهنود الموجودين هناك ، وان يبقى موظف كفء مع المترجم في بندر عباس لاستلام شحنات الصوف ، واوضحوا للوكيل انه لا يستطيع الشروع في تنفيذ اية خطة تطلب الا بموافقة مسبقة من مجلس ادارة الشركة في لندن ، وان عليه ان يتجنب القيام بأي عمل عدائي ضد ايران ما دامت الحرب قائمة بين انجلترا وفرنسا ، وعلى الوكيل ان يكتب للرئيس والمقيم العام « برأيه الواضح الصريح في الموقف كله » . واضاف خطاب

الرئاسة : « ما زلنا نرى ضرورة وجود مقر وموظف في جومبرون(١) لاستمرار الاتصال بكرمان ، وكذلك للاتصال بالقوافل التي قد تأتي من داخل ايران .. » . وفي بداية ابريل سنة ١٧٦١ – بمجرد وصول هذه الاوامر الى بندر عباس – قام الوكيل – مستر الكسندر دوجلاس برحلة الى البصرة كي يتحرى في طريقه كل الاماكن التي قد تصلح لاقامة مستوطنة فيها . ولدى عودته زار بوشهر وقابل الشيخ الحاكم فيها لكن هذا تباطأ في شرح وجهة نظره ، وقرب نهاية السنة وجدت الرئاسة من الضروري ان تذكر بأنها « تنتظر بصبر نافذ رأي الوكيل في الانتقال من جومبرون ، أي بندر عباس» .

١٧٦٢ :

وكان من رأي مستر دوجلاس – الذي تلقته الرئاسة في اوائل سنة ١٧٦٢ – ان المحاولات يجب ان تبذل في بوشهر وان يرسل اليها مبعوث كف ء فهي ميناء آمن تحيطه المياه من جهاته الثلاث ، والجهة الرابعة محصنة بسور مسلح تسليحاً مدفعياً قوياً ، كما انها تعج بتجار الاقاليم الذين يعملون بحرية كاملة فضلا عن ان شيخها ، الذي لا معدى من التفاهم معه ، يتمتع بأخلاق حميدة ويتلهف لوجود وكالة انجليزية في مدينته . ووجد مع الرسالة خطاب من شيخ بوشهر لحاكم بومباي ، يقول فيه إن بو شهر قد أصبحت الان الميناء الرئيسي لداخل ايران ، وان اتصالاتها بالداخل مأمونة ، وان لها تجارة مع ساحلي الخليج كليهما . ووعد الشيخ بأن تستثنى بضائع الشركة وموظفيها من العوائد الجمركية ، غير ان الرئاسة لم تعتبر وعده هذا كافياً الا بعد ان أكده مرة أخرى .

أما بالنسبة للجزر القريبة من بندر عباس ، فقد اشار الوكيل الى أن أية منها لا تصلح للملاحة حين تهب الرياح الجنوبية ، وان كلها – باستثناء جزيرتي قيس والشيخ شعيب – غير مأهولة . وبناء على هذه

---

(١) الاسم القديم لبدر عباس كما هو مذكور من قبل .

المعلومات قرر الرئيس والمقيم العام أن يذهب مستر دوجلاس بنفسه ، أو يرسل وكيله مستر لايستر الى بوشهر ومعه شحنة تجريبية ، لكن الرئاسة رفضت الارتباط بأية اجراءات دائمة الا بعد مزيد من الخبرة ، ووافق مجلس مديري الشركة بعد ان رفعت اليه نوايا الرئاسة في بومباي – على نقل الوكالة موقتاً من بندر عباس بالنظر الى المسلك التعسفي الذي يسلكه نحوها خان لار ، ومنع المجلس انزال مزيد من البضائع في هذا الميناء ، وقرر الا يبقى سوى مترجم واحد يقيم في منزل يستأجره حتى يظل العلم البريطاني مرفوعاً ، وبالنسبة لمشروع اقامة مستوطنة جديدة ، قرر المجلس عدم اتخاذ أية اجراءات دون موافقته الصريحة ، واقترح ان تنقل وكالة الخليج في هذه الاثناء موقتاً الى البصرة .

ترتيبات الانسحاب من بندر عباس . فبراير–مارس ١٧٦٣ :

وصدرت هذه التعليمات في ابريل سنة ١٧٦٢ لكنها لم تنفذ حتى العام التالي ، حين ابلغ الرئيس والمقيم العام في بومباي الوكيل بفحواها ، وارسلا اليه السفينة « برنس اوف ويلز » يقودها الكابتن كورت والسفينة « ديك » يقودها الكابتن ليندسي لمعاونته في الانتقال. ووصلت هاتان السفينتان الى بندر عباس حين كانت السفينة « سوالو » يقودها كابتن نسبيت راسية فيها ، وذلك في ٢٦ فبراير سنة ١٧٦٣ ، وارسل النائب(١) ، او وكيل حاكم المدينة حين ارتاب في وشوك اتخاذ أمر غير عادي من جانب الانجليز – الى سيده خان لار طالباً اليه ان يأتي بنفسه لمواجهة الموقف .

الاستيلاء على بيت النائب والقلعة الايرانية والجلاء عن الوكالة :

وحين عرف النائب حقيقة نوايا الانجليز ، بدا أنه يود تعطيل هذه

---

(١) ربما كان هذا هو حمو جعفر خان الذى عين مسئولا عن المدينة فى ١٠ يناير ٠

الاجراءات ، ورفض رفضاً مطلقاً ان يدفع أي تعويض عن الخسائر التي أوقعها هو وغيره بالوكالة في السنوات الاخيرة ، وكانت ثمة فرصة في أن تحصل الشركة على هذه التعويضات . واخيراً ، كان لا بد من شيء من العنف يحول دون الايرانيين وعملية تعطيل انسحاب الانجليز من الوكالة التي كانت في مكان بعيد عن البحر تحيطها البيوت والاسوار ، فاتخذ مستر دوجلاس قراراً — من الواضح انه كان على مسؤوليته الخاصة — بمهاجمة القلعة الايرانية والوكالة الهولندية القديمة . وفي هذا المبنى الاخير — الذي كان تحت سيطرة الايرانيين منذ ثلاث سنوات — كان النائب يقيم ومعه اسلابه التي حصل عليها . وهكذا .. في ٤ مارس وقفت السفينة « برنس اوف ويلز » بحيث أصبح غاطسها على عمق ٢¾ قامة ، واتخذت السفينتان « دريك » و « سوالو » مواقعهما على مبعدة ¾ ميل من الشاطىء وفتحتا النيران على القلعة . لكنها كانت على مسافة أبعد من مدى مدافع «برنس اوف ويلز » وكانت المدفعية في السفينتين الاخريين اضعف من ان تدكها . لكن بطارية مورتر كانت باشراف « فايروركس » الملازم توماس درنفورد على السفينة برهنت على فعاليتها ، ومع ذلك فان الطوق الحديدي للمدفع تفسخ من القذيفة الاولى ، وبعد القذيفة العشرين انهارت قاعدة المدفع كلها ، ولم يمكن بعد ذلك مواصلة تشغيل المدفع الا بشده بالحبال وهنا أصبح التسديد امراً غير ممكن.

وفي نفس الوقت قامت حملة عسكرية ضعيفة ، يساعدها بعض الجنود من بحارة السفن — بقيادة كابتن بالمر بمهاجمة بيت النائب ، واستطاعت احتلاله بعد معركة دامت ساعة ونصف . ولسوء الحظ استطاع الايرانيون تهريب معظم الاشياء الثمينة عن طريق ثغرة قائمة في الجدار الغربي للبيت ، وعبر هذه الثغرة ايضاً استطاعت زوجة النائب واولاده الهرب ... وكان في النية اتخاذهم اسرى . وهكذا خاب امل دوجلاس في استرداد خسائر الشركة .

وفي صباح ٥ مارس عجز الجند الايرانيون عن الاستمرار في مواجهة المدفع البريطاني الوحيد ، فجلوا عن القلعة متراجعين غرباً الى قرية « سورو » ونزلت فرقة بريطانية الى القلعة ، ووجدت استحالة في فك مدافع العدو وحملها فاكتفت بتدميرها عدا اثنين فقط استطاعوا حملهما. وقتل في هذه الاشتباكات ثلاثة اوروبيين من طاقم « برنس اوف ويلز » واربعة من الحملة العسكرية المصاحبة ، وواحد من المؤخرة ، وخمسة من الجنود الهنود . وفي صبيحة ٧ مارس ظهر في الاقليم حوالي ٢٥٠ فارساً ، فسارعت الفرقة التي كانت قد هبطت الى البر ، ومعها طاقم الوكالة وكل ما يمكن نقله الى ظهور السفن .

أعمال أخرى :

وتقرر بعد تفكير عدم مهاجمة القائد الايراني ملا علي شاه في قلعته في قشم وكان من أسباب ذلك ان المدفع الوحيد أصبح غير صالح تماماً . وسبب آخر هو ان القائد كان قد انفق كل ما لديه خلال السنوات الثلاث الاخيرة في مساعدة شيخ رأس الخيمة ، واصدر دوجلاس اوامره لكابتن كورت وكابتن ليندسي بالاستيلاء على السفينة « رحماني » التي كانت راسية في « لافت » وهي تابعة لشيخ القواسم حليف الانجليز ، ولكن بعد اقترابهم منها تبين كابتن كورت ان المغامرة ستكون خطيرة وغير مأمونة العواقب فقرر العدول عن خطته .

واتجهت السفينة المستأجرة ببضائع الوكالة من بندر عباس الى البصرة في حماية السفينة « دريك » حيث اتخذت الترتيبات لبيع جزء منها هناك . وسافر مستر دوجلاس بنفسه الى بومباي على ظهر « برنس اوف ويلز » ومعه سائر اموال ونفائس الشركة عدا كمية من الريالات المحمولة لانها لم تكن عملة قابلة للصرف في الهند فنقلت فيما نقل الى البصرة ، ولعل هذا العمل الذي أحسن اعداده وتنفيذه يعتبر افضل مراحل تاريخ وكالة بندر عباس ، فقد كان من نتيجته استعادة سمعة بريطانيا وهيبتها في منطقة الخليج ، حيث اضرت بها هناك تلك المهانات المتلاحقة .

الحالة فى بندر عباس وما جاورها ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

الطابع العام :

نستطيع الآن ان نعود الى التاريخ المحلي لمنطقة بندر عباس وما جاورها ، وستقدم لنا الاحداث فيها — حتى نهاية الفترة التي نحن بصددها — تفسيراً كاملا لانسحاب الوكالة البريطانية منها في سنة ١٧٦٣ . الحقيقة ان هذا الجزء من ايران قد اصبح منذ وفاة نادر شاه مسرحاً لمعارك لا تنتهي بين صغار المشايخ في المنطقة الذين كانوا غاية في الضعف والمفتقرين تماماً الى الاحساس بالكرامة والمسئولية معاً . وكانت الشخصيات الرئيسية في هذه المنطقة هي ناصر خان(١) ، شيخ لار الايراني — وهو اقليم به مدينة تحمل هذا الاسم على مبعدة في الداخل ، وملا علي شاه ، وهو عربي الاصل والمولد ، لكنه كقائد للاسطول الايراني وحاكم لبندر عباس في عهد نادر شاه كان ينظر له كموظف ايراني ليس الا . ولفترة من الوقت كان هناك ايضاً عبد الشيخ زعيم قشم ورأس قبيلة بني معين ، وكان ذا نفوذ كبير في هذه الجزيرة .

الاحداث قبل تولي نادر شاه ١٧٢٢ — ١٧٣٦ :

وأثناء احتلال الافغانيين لايران (١٧٢٢—١٧٢٩) كانت الامور فيما جاور بندر عباس مضطربة اشد الاضطراب ، فانه لما أقام شيخ القواسم في رأس الخيمة على الساحل العربي ميناء خاصاً به في « باسيدو » بجزيرة قشم مواجهاً لبندر عباس وجه مستر دراير — وكيل الشركة في ايران — حملة عليه في ابريل سنة ١٧٢٧ على رأس الفرقاطة « بريتانيا » والطراد « بنغال » ونافقتين ، واضطره الى دفع تعويض عن الخسائر

---

(١) يرد هذا الاسم عادة بتهجئتين متغايرتين فى سجلات الحكومة الهندية وهما Nasseer, Nassir وقد يكون أما ناصر أو نصير .

التي لحقت بشركة الهند الشرقية نتيجة نقص حجم التجارة في بندر عباس . وفي سنة ١٧٢٨ ظهر الافغانيون في بندر عباس فسيطروا على المدينة وأوقعوا بالهولندين ايقاعاً شديداً ، فعمد هؤلاء الى الاستيلاء على هرمز ، لكن الوكيل البريطاني ورفاقه اقنعوهم بالتخلي عنها بعد أن توسطوا في الامر ، ثم هاجمت السلطات المحلية الايرانية الافغانيين وطردتهم ، غير ان هؤلاء استعادوا المدينة مرة أخرى . وفي هذه المرة نهبوا الوكالة البريطانية لكن الايرانيين عادوا فاسترجعوا المدينة ، واستطاع الهولنديون اقناعهم بأن الانجليز كانوا يمدون يد العون للمعتدين ، ففرضت السلطات الايرانية غرامة قدرها ٣٠٠ تومان على الوكالة الانجليزية وصادرت بعض عقاراتها .

الاحداث خلال حكم نادر شاه ١٧٣٦ — ١٧٤٧ :

وفي ربيع سنة ١٧٣٦ — وكان نادر شاه قد اعتلى عرش ايران لتوه — اوقعت السلطات المحلية ظلماً شديداً بالتجار الوطنيين فهاجروا من بندر عباس لكنهم اقنعوا بالعودة اليها . ثم شن الايرانيون حملة على عمان في سنة ١٧٣٧ ، واخرى على مكران في سنة ١٧٣٩ منطلقين من بندر عباس وذلك بقصد تسهيل شئون التجارة البحرية .

١٧٤٠ :

وفي اغسطس سنة ١٧٤٠ تمرد البحارة العرب الذين كانو على ظهر سفن نادر شاه في الخليج الادنى ، وقتلوا القائد البحري الايراني مير علي خان ، وتقاسموا الاسطول الايراني الذي كان مكوناً من ثلاث سفن كبيرة ، وسفينة اخرى صغيرة ما بين المشيخات العربية في قشم ورأس الخيمة . واقنع الايرانيون الهولنديين بأن يرسلوا سفينتين — في كل منهما ٢٠ مدفعاً كانتا راسيتين في الميناء — لمطاردة المتمردين ، لكنهما عادتا خائبتين الى بندر عباس في ١٣ سبتمبر بعد ان ضاعت منهما فرصة استعادة احدى السفن . ثم وصل اميرال ايراني جديد « لم ير في

حياته كلها بحراً ولا ركب سفينة» ليصبح قائداً للبحرية ، يتولى الامور بنفسه ، وبعد ان جهز الايرانيون سفينة صغيرة بمعونة البريطانيين ورفعوا عليها العلم البريطاني كما اوضحنا ذلك من قبل اقلع الاميرال الجديد في ٢٣ سبتمبر على ظهر سفينته ومعه سفينتان هولنديتان وسفينة شراعية (غرابة) وعشرون قارباً اخرى لمطاردة العدو ، لكن العمل الوحيد الذي قام به كان اشتباكاً هيناً ذعر منه القائد البحري الايراني ، فعاد ادراجه سريعاً الى بندر عباس في ١٢ اكتوبر ، والمتمردون يطاردونه حتى ميناء « كنج » . ولا يبدو ان الايرانيين قد استطاعوا استعادة هذه السفن من ايدي العرب على الاطلاق ، لكن الحالة العامة الآن قد اصبحت على الساحل خيراً من ذي قبل . وبدا أخيراً ان الاهتمام سيوجه لبندر عباس من اجل رخاء رعايا الشاه .

: ١٧٤٤

وفي ربيع سنة ١٧٤٤ وقعت حادثة غريبة جداً في بندر عباس ، وبدأت بأن تلقى كل من الانجليز والهولنديين في نفس الوقت فرماناً شاهانيا من نادر شاه في همدان يطلب اليهم التعاون في القبض على محمد تقي خان حاكم شيراز الذي اعلن التمرد . غير انه كان مرفقاً بالفرمانات خطاب من سردار شيراز يطلب فيه من الوكالات الاوروبية تقديم العون ، اذا دعت الضرورة ، لشخص يدعى مير علي سلطان يصلهم على رأس حملة عسكرية للقبض على كل من حاكم بندر عباس والموظف المسئول عن العوائد الجمركية فيها . وعمد الهولنديون حالا الى الاتصال بمير علي سلطان يحثونه على التقدم فدخل المدينة مساء ٢٧ مارس ، وتبين بعدها مباشرة ان معه اوامر شاهانية من نادر شاه بتثبيت حاكم بندر عباس ومسئول الجمرك فيها في منصبيهما . وقد سارع هذا الاخير حين دعي ليتسلم الامر الشاهاني باقراره في وظيفته . اما الحاكم فتباطأ ، فارسل اربعون رجلا لمهاجمة بيته ، فيما كان الهولنديون في الوقت نفسه يشنون هجوماً على بيته وقلعته ، لكن الانجليز الذين كانوا

واثقين من ان الهولنديين لن ينفذوا اوامر الشاه بابقاء الرجل في منصبه ، طلبوا الى الحاكم الاستسلام لهم ، ففعل . وكتب الوكيل البريطاني الى شيراز يقول انه قد القى القبض على الحاكم تنفيذاً لاوامر السردار لانه لم يطلع على فرمان الشاه الذي يثبته في منصبه ، ولسنا نعرف بالضبط كيف انتهت هذه الواقعة .

الاحداث بعد موت نادر شاه ١٧٤٧ – ١٧٦٣ :

ولم تتكرر مثل تلك الاضطرابات الخطيرة التي تهدد الوكالة البريطانية حتى سنة ١٧٥٠ ، أي بعد ثلاث سنوات من اغتيال نادر شاه ، لكن الاضطرابات بدأت من ذلك التاريخ ودامت طوال ثلاثة عشر عاماً دون انقطاع .

١٧٥٠ :

وقرب نهاية سنة ١٧٥٠ ، ساد الاحوال في بندر عباس قلق شديد فقد كانت قبيلة بختياري قد احتلت « فاسا » و«جاهروم » و « داراب » وهددت اقليم جارامسير كله ، وهو الاقليم الذي يقع على ادنى الخليج قريباً من بندر عباس . وفي نفس الوقت كان احمد شاه عبد العلي قد نجح في الاستيلاء على شيراز وأدى نجاحه هذا الى انضمام الكثيرين الى صفوفه ، وقد ارسل رسائل الى المسئولين الايرانيين فيما جاور بندر عباس يطلب كميات كبيرة من الحبوب والاموال ، مما كان يوحي انه كان ينوي ابتزاز مبالغ كثيرة من اموال الوكالات الاوروبية في بندر عباس ، غير ان تواجد السفينة الحربية الانجليزية « دريك » وسفينة اخرى كبيرة للهولنديين جعل احمد شاه يتردد في الافصاح عن مطالبه . وقد جرى الاتفاق بين الانجليز والهولنديين وملا علي شه ، الذي كان سيساهم بسفينة واحدة عـــلى ان ينسحبوا جميعاً اذا تأزمت الامور الى الجزر ، لكن هذه الضرورة لم تتحقق على أية حال ، فقد استسلم ملا علي شاه لاحمد خان الذي وصل الى بندر عباس ، في عشرة

من رجاله فقط يوم ١٣ ديسمبر ، وكان احمد رجلا ماكراً حاد الطباع وبوصوله اصبح الملا أكثر ليناً مع الافغانيين ، وتعهد بأن يدفع عوائد سنة كاملة لاحمد شاه .

١٧٥١ :

وسادت الفوضى تماماً في سنة ١٧٥١ ، وبدأ التجار الايرانيون يهاجرون من البلاد في جماعات كبيرة ، وكسدت التجارة ، واغار البلوش على اقليم شامل ، ثم ارسل رئيس الهولة(١) اسطولا مكوناً من ١٢ قارباً الى بندر عباس ، متعللا بتهنئة ملا علي شاه على زواج ابنته ، وفي حقيقة الامر قاصداً اخذ سفنه . لكن الملا ، وهو رجل حصيف جعل من الاضطرار تطوعاً وكرماً فأهدى سفينة كبيرة وسفينتين صغيرتين من سفنه الى الهوله فلم يبق له سوى سفينة واحد ة.

١٧٥٢ :

وفي اوائل سنة ١٧٥٢ ، وعلى حين غرة هجم ناصر خان حاكم لار على بندر عباس ، واسر ملا علي شاه واسرته والسفينة الوحيدة التي بقيت عنده ، واعمل النهب في بيوت الاغنياء من اهل المدينة ، وسلط عليهم التعذيب والارهاب حتى مات احدهم من شدة ذلك . ثم قام الخان بزيارة ودية للوكالة البريطانية في بندر عباس واعلن للمسئولين فيها انه على استعداد لان يعين من يريدونه حاكماً لبندر عباس . وتحاشى المسئولون هذا الاقتراح « في مراوغة مهذبة قدر الامكان » ، ثم تسلم الخان ١٠٠ تومان كهدية من الوكالة ، لكن هذا لم يمنعه من

---

(١) ربما كان هؤلاء هم أهل البحرين ·· لكن الارجح انهم الهولة المقيمون على ساحل ايران ·· وكانوا في القرن الثامن عشر الجزء الاكبر من القبيلة المسماة بهذا الاسم ، أنظر : وصف نيبور لجزيرة العرب ·· ص ١٧١ ـ ٢٧٢ ، وفي أيامه كان معظم العرب الذين يقيمون على الساحل من بندر عباس الى كانجون من هذه القبيلة ·

اغتصاب ٨٠ توماناً أخرى من بعض التجار الهنود المشمولين بالحماية البريطانية . لكن احداً لم يحتج على هذا المبلغ لان ستة أضعافه كانت قد اغتصبت من الهولنديين . وبعد عودة الخان الى لار بدأت المشاكل بينه وبين عبدالشيخ في قشم بسبب سفينة ايرانية كان الاخير قدباعها لامام عمان وقد بادر الخان الى الكتابة لمستر وود ، الوكيل البريطاني ، يطالبه برد السفينة قبل ان تقلع الى عمان ، وانصاع الوكيل ، وكان رجلا يسراً طيب القلب فارسل السفينتين الحربيتين « دريك » و « رحماني » الى لافت حيث عادتا بالسفينة المتنازع عليها دون ان تطلقا طلقة واحدة . وفي نهاية السنة ، زار الخان بندر عباس مرة أخرى وبصحبته ٢٠٠٠ جندي افغاني وايراني ، واستدان من الوكالة ما قيمته ٩٩,٩٣٥ شاهية من الثياب القطنية والحريرية « ليكسو عائلاته واقاربه .. ولم يكن امام الوكالة سبيل تتحاشى به الموقف سوى الانصياع للطلب فقد كانت المجازفة بالرفض أسوأ من الوثوق بذمة الخان لدفع أثمان مشترياته ، » وتسلم الوكيل الانجليزي مقابل هذه الصفقة ، مثلما تسلم الوكيل الهولندي ايضاً في صفقة مماثلة ، رزمة من السندات الّتي لا قيمة لها . اللهم الا ان البريطانيين حصلوا من الخان على خمسة مدافع نحاسية خربة ارسلوها الى بومباي على انها مجرد ٩٩٧ حمولة من النحاس القديم . وقبل ان يغادر الخان المدينة ، اعاد تعيين ملا علي شاه حاكماً لبندر عباس على ان يكون تابعاً له ، وكان ثمة امل يراود البريطانيين في ذلك الوقت بالاستفادة من حماية الخان ، لانه كان باجماع الناس الشخص الوحيد الذي يستطيع صيانة الامن في كل الاقاليم المحيطة ببندر عباس .

١٧٥٣ :

وفي سنة ١٧٥٣ اضطر وكيل الشركة للاحتفاظ بسفينة الشركة « جارديان » في بندر عباس زمناً طويلا ، وذلك لان ناصر خان كان في ذلك الوقت يواجه اتحاداً عربياً ضده يهدده بالهزيمة ، ولو حدث هذا

فلابد من وجود سفينة مستعدة لنقل موظفي الشركة وبضائعها، غير ان ناصر خان استطاع – برغم انضمام عدد من الايرانيين الى اعدائه العرب – الابقاء على زعامته لاقليم جارامسير او بعبارة اخرى على « الارض الساخنة » كما كان يطلق على حكمه هناك .

: ١٧٥٤

وخلال سنة ١٧٥٤ كان وضع ناصر خان ما يزال حرجاً ، فقد فشل في هجومه على كرمان ، وهزمه الهولة غير مرة واحدة حتى اضطر الى عقد الصلح معهم ، وقام علي ملا شاه ، وكان يشك كثيراً في نوايا ناصر خان بالسيطرة على هرمز حيث وضع بها سفينة له ، بينما بقي هو في بندر عباس ومعه سفتنة ثانية كانت له .

: ١٧٥٥

وفي ١٧٥٥ ظهرت على مسرح الاحداث شخصية ضابط جديد ، من جماعة الوكيل كريم خان الشيرازي . وقد استطاع هذا الضابط المسمى علي خان ان يهزم ناصر خان في ساحة الوغى وان يطارده حتى عاصمته في لار ، ثم راح يعين جباة للضرائب يجمعونها باسمه من ميناب وبندر عباس . لكن شهر يار ، حاكم ميناب ، رد الجباة دون ان يدفع لهم شيئاً ، وفي بندر عباس ، بقي هؤلاء الجباة فترة طويلة ، ويبدو أنهم أصابوا بعض النجاح ، ثم طلبوا الى ملا علي شاه ان يدفع لهم نفقات « نثرية » قيمتها ٤٠٠٠ روبية ، كما لمحوا للوكلاء البريطانيين والهولنديين بتقديم هدايا ذات قيمة ... لكننا لا نعرف شيئاً عما تم بالفعل ، غير ان تقدم اسد خان افغان ، وكان متفاهماً مع ناصر خان الى شيراز قرب نهاية السنة اجبر كريم خان على استدعاء علي خان من لار لكن هذا الاخير لم يغادر الاقليم الا بعد ان قام فيه « بعمليات نهب مروعة » ، وفي نفس الوقت كان ملا علي شاه قد ضرب حصاراً

على لافت في جزيرة قشم ، وهي القاعدة الحصينة لعبد الشيخ الذي كان الملا مشتبكاً في حرب معه . لكن عبد الشيخ ، وكان يبلغ من العمر ٨٠ عاماً ، مات اثناء حصار لافت فاستسلمت القلعة بعد موته ؛ وعاد ملا علي شاه منتصراً يحمل رأس عدوه ، وحين عاد الى بندر عباس جمع مبالغ قدرها ٣٠٠٠ روبيه من التجار « الملتانيين »(١) و « البانكساليين » ليدفع منها مكافآت للعرب الذين ناصروه .

ولعل هذه العمليات التي قام بها الملا كان من نتيجتها طرد بني معن من قشم .

١٧٥٧ :

وفي سنة ١٧٥٧ هاجم ناصر خان اقليم شامل ، لكنه اضطر للعودة سريعاً الى لار تحسباً من هجوم كريم خان عليها . وكان ملا علي شاه ما يزال ممتنعاً عن ان يدفع لناصر خان مبلغ ١٠٠٠ تومان ومدفعين من المعدن كان قد وعد بتسليمهما له ، وفي هذه السنة ، ولكي يزيد من غيظ الخان عليه ، ابعد نفسه عن قبضة يده بانسحابه الى هرمز كما اقنع في نفس الوقت عدداً من زعماء السكان في بندر عباس بالانسحاب الى الجزر

١٧٥٨ :

وفي بداية سنة ١٧٥٨ كان ملا علي شاه ما يزال في هرمز ، وكانت لاراك عندئذ تابعة له ايضاً ، كما زاد من قوته الحلف القائم بين اسرته وا صهارهم من اسرة القاسمي شيخ رأس الخيمة . وفي مارس من نفس السنة زار دكتور ايفس بندر عباس وبصحبته عدد من موظفي الشركة الذين كانوا في طريقهم الى اوروبا مارين بالعراق التركي ، ويشير دكتور ايفس – في وصفه لرحلته – الى انه كان عند خان لار حوالي

---

(١) وتكتب أحيانا « الملتانى » وهم أهل السند أو الخوجات .

خمسة آلاف رجل مسلح ، وانه استطاع ان يصد عن عاصمته هجوماً شنه عليها كريم خان . وقبل ان يصل دكتور ايفس بعدة ايام ، كان ناصر خان قد ارسل قوة — بناء على شكاوى البريطانيين والهولنديين — ضد شيخ قبيلة صغيرة في ايسن كان يتهدد طريق تجارة الصوف من كرمان ، وانتزعت القوة هذا اللص من قلعته وذبحت أكثر من ٧٠ من رجاله ، ولكن جماعة من قوات الخان — لسوء الحظ — اخذوا على حين غفلة بعد ذلك النصر ، حين باغتهم العدو وقتل عدداً منهم ، وكان بين القتلى كبير ضباط الخان . وقد استدعي طبيب الوكالة الانجليزية للعناية بالجرحى . ولم يكن في بندر عباس من اهلها وقت زيارة ايفس سوى موظفي الوكالات الاوروبية ، وقلة من التجار الهندوك والايرانيين.
وفي يونيو ، استولى احد اعداء خان لار على قلعة شامل ، كما استولت جماعة ارسلها ملا علي شاه على ايسن ، واحتفل ملا علي شاه — وكان ما يزال مقيماً في هرمز — بهاتين الحادثتين اللتين لم تكونا في صالح خان لار باطلاق المدافع وتوزيع الهدايا ، فاثار بسلوكه المتهور هذا دهشة كبيرة

وقرب نهاية السنة ظهر محمد والي خان — وهو احد قواد جيش كريم خان — في اقليم لار وأعمل فيه السلب والنهب ، وهزم ناصر خان وقتل أكبر اتباعه وارغمه على التحصين بقلعة مدينة لار . وقد اثار حضور هذا القائد واعماله من الفزع ما حمل شهريار حاكم ميناب ان يجمع من رعاياه مبلغاً قدره ٣٠٠ الف روبية ليشتري بها رضا الرجل المرهوب . ولما كانت نوايا محمد والي خان ما تزال مجهولة ، فقد بقيت السفينة « فيبر » الى جانب سفينة الحراسة الموجودة دائماً في بندر عباس لحماية الوكالة الانجليزية . وقد اقرت سلطات الوكالة العليا فيما بعد ذلك الاجراء الحكيم .

١٧٥٩ :

وحوالي منتصف يناير سنة ١٧٥٩ ، تقدم محمد والي خان نحو

ميناب بعد ان عين سرداراً لاقليم جارامسير برغم انف ناصر خان . وخلال خمسة عشر يوماً كان قد دمر المدينة تدميراً تامـــاً مثبتاً ان مسلكه كان اقرب الى مسلك الافاق منه لمسلك الحاكم ، وانسحبت الوكالة الهندية من بندر عباس عقب هذا الحادث . وبعد ذلك بشهرين تقدم والي خان الى بندر عباس وحين وصل اليه مترجم الشركة الانجليزية الذي اوفد للترحيب به استقبل المترجم بالبشاشة والترحاب واهداه درعاً ممتازاً ثم أعلن محمد والي خان صراحة عن نواياه لاخضاع اقليم لار ، وانذر ملا علي شاه ، بأنه سيطرده من حكم بندر عباس ، حالما تتحقق خططه بالاستيلاء على اقليم لار . لكن الملا ذلك الرجل الداهية . « الذي كان يبدو غير مكترث بشيء وريح النوائب تهب ثم يعدو اذا ما سكنت وهو اشد فظاظة ، سلك سلوكاً ينم عن كبرياء غريب » فقد بدا انه منشغل برفض الوكالة البريطانية اقراضه ٤٠٠٠ روبية اكثر من انشغاله بالتهديد الذي صدر عن والي كريم خان .

وفي ابريل حدث حادث مؤلم نتيجة رحيل السكان عن المدينة ، فقد راح اللصوص ينتزعون الابـــواب والاخشاب من بيوت موظفي الوكالة الذين تقدموا بشكوى الى نائب الحاكم الايراني في بندر عباس الذي قال ان هؤلاء اللصوص لا يمكن ان يكونوا من رعاياه واعداً بعقابهم اذا ما جيء بهم اليه . وقبض موظفو الشركة على بعض العرب ، وبينما هم يسوقونهم الى مقر النائب جرد هؤلاء سيوفهم وجرحوا بعض موظفي الشركة ثم انطلقوا هاربين ، وثبت انهم كانوا من اقارب الشيخ القاسمي ، الامر الذي كان يجعل تطبيق العقوبة عليهم عسيراً ، فهم كانوا يجوبون البحار متحالفين مع عرب الشارقة ضد مير مهنا زعيم القراصنة في « ريق » . وفي يونيو كان محمد والي خان في منطقة تجاور لار بأمر من كريم خان .

هجوم الفرنسيين على الوكالة البريطانية في بندر عباس واحتلالها .
اكتوبر — نوفمبر ١٧٥٩ :

وفي اكتوبر من العام التالي قام الاسطول الفرنسي فجأة بالهجوم على الوكالة البريطانية في بندر عباس ، واحتلها ودمرها . والتفاصيل الكاملة لهذا الهجوم موجودة في النص التالي المأخوذ مباشرة عن سجلات الرئاسة في بومباي :

« من وكيل الشركة ومجلس ادارتها في جمبرون الى الرئيس وحاكم مجلس الشركة في بومباي ....

سيدي ، وسادتي المعظمين ....

سيصل هذا الخطاب الى عظمتكم ... الخ ، عن طريق مسقط ، ليحمل اليكم اخباراً سيئة عن استيلاء الفرنسيين على وكالة الشركة المعظمة . لقد جاءوا في مساء يوم ١٢ على اربع سفن ترفع جميعاً علم هولندا وبينها سفينة ذات اربعة وستين مدفعاً ، واخرى ذات اثنين وعشرين ، وثالثة هي السفينة « مارى» التابعة لشلبي ، واما الرابعة فهي السفينة « معمودي » التابعة لمحمد صوفي . وفي الصباح المبكر من يوم ١٣ نزلوا الى البر غربي الوكالة ومعهم مدفعان من طراز الهاون واربع قطع مدفعية اخرى ، وبدأوا الضرب ، وقد قمنا نحن من جانبنا بما يستطيع عددنا القليل من الاوروبيين ان يفعلوه(١) اما من معنا من الطواشي والهنود ، فقليلون منهم فقط استطاعوا الصمود في وجه المدفعية . وفي الساعة الحادية عشرة من الصباح حين علا المد ، وقفت السفينة ذات الاثنين وعشرين مدفعاً على بعد ربع ميل فقط من الوكالة وراحت تصب

(١) كانت حامية الوكالة ــ حسب ما يذكر لو (أنظر : البحرية الهندية ، مجلد (١) ص ١٥٢) ــ مكونة من ١٦ بحارا ، وبعض الجنود الهنود .

حممها علينا . وفي نفس الوقت انهالت مدفعيتهم البرية بالقذائف تصبها علينا من ناحية الغرب .

وفي الثالثة والنصف بعد الظهر تقريباً ارسل لنا استدعاء من جانب الفرنسيين فعقد الوكيل مجلس حرب مكوناً منه ومن ويليم ناش والملازم بمبو « من السيك الهنود » وايفانس وانساين وجونسون ، وناقشنا مدى مقاومة البناء ، واستعداد رجالنا المدافعين عنه على ضوء استحالة حصولنا على نجدة من ملا علي شاه ، وقد اجمع العسكريون منا على ان الوكالة ليست منيعة بما يكفي ، لذلك قررنا بالاجماع قبول افضل شروط الاستسلام الممكنة . وتجدون عظمتكم نسخة منها . لكننا نأسف لابلاغكم بأن الفرنسيين لم يراعوا الشروط بالاسلوب الذي كنا نتوقعه منهم كاوروبيين ، حتى وصل بهم الامر الى حد الاستيلاء على بعض المشروبات التي كنا نحتفظ بها .. الى امور اخرى كثيرة ليس ضرورياً ان نزعج بها مسامعكم . وباختصار فانهم يطبقون من شروط الاتفاق ما يحلو لهم .

وهم الآن مشغولون بشحن النحاس القديم على سفنهم ، كما يفرغون حمولة السفينة معمودي من التمر ليعطوها لملا علي شاه ، الذي أمدهم بدوره بكل ما يحتاجونه ، وبكل ما في وسعه . وعلى احسن ما نتصور ، يبدو ان الفرنسيين لن يطلبوا مكثهم هنا أكثر من الضروري ، وسيقصدون ميناء او آخر في الهند .

وكان للفرنسيين على البر — حين سيطروا على الوكالة وحسب ادق الاحصاءات التي استطعنا التوصل اليها — حوالي ٤٥٠ جندياً اوربياً ، ومائة وخمسين من الاجانب ، وقد اتوا معهم بسلالم وحبال لاحتلال دار الوكالة ، وكانوا مصممين كل التصميم على تنفيذ خطتهم يوم ١٣ من الشهر الجاري ليلا .

وفي يوم ١٢ نقلت لنا مخابراتنا ان الفرنسيين كانو في مسقط ، وقد صعدوا في الخليج . وبناء عليه صدرت الاوامر للملازم بمبو بأن يبحر بالسفينة « سبيدول » الى لافت ، لكن الفرنسيين ظهروا قبل ان يتمكن بمبو من تنفيذ الاوامر ، وقد طلبوا اليه الجنوح بسفينته على الشاطىء . لكنه والسفينة الحربية ، ذات الاثنين وعشرين مدفعاً تتابعه ، والمد اصبح مرتفعاً وفي سفينته شراعان مطويان ، اضطر ان يتابع السير امامهم وهكذا ارسل الفرنسيون رجالا منهم صعدوا الى سبيدول واستولوا عليها. وبذلك اصبح عندهم الان خمس سفن .

وفي يوم ١٢ – حين كانت سفن الفرنسيين واقفة تعترض الطرق جاء ملا علي شاه الى الوكالة ، وقدم للوكيل كل التأكيدات التي يمكن تصورها بأنه سيقدم لنا كل معونة ممكنة ، وأكد ان الفرنسيين لو حاولوا النزول الى البر فسيبذل كل ما يسعه لمنع نزولهم . لكننا حين ارسلنا اليه في الصباح وابلغناه انهم يقتربون من الشاطىء استعداداً للنزول ، ظل ساكناً في قلعته ناسياً وعوده ، وحوالي الساعة العاشرة من الصباح . ارسل اليه الوكيل يطلب منه بعض الرجال لمعاونتنا ، لكنه لم يرسل رجلا واحداً . وكان السبب الذي تذرع به هو ان احدى سفنه التي كانت في المرسى « هكذا » كانت تحت رحمة الفرنسيين ، وانهم سيستولون عليها اذا ما مد الينا يد العون . وحتى لا نطيل ، لقد كان بالفعل خائفاً من الفرنسيين ولم يمض وقت طويل على نزولهم الى البر حتى ارسل اليهم سائر بقول وفواكه الموسم ، وابلغهم انه سيمدهم بكل ما تصل اليه يداه ، وسيضع تحت تصرفهم كل المواقع التي يطلبونها .

ومن بين الاوربيين القلائل الذين كانوا معنا ، نرجو سعادتكم العلم بأن انساين جونستون والجاويش رانسكومن قد تملكهما الفزع بحيث لم يقوما بأي من واجباتهم يوم حدث الهجوم . وقد انزل الفرنسيون الاوربيين الاجانب من جنودهم الى البر تاركين للهنود مطلق الحرية في التجول في المدينة كما يشاءون .

وعلى أحسن المعلومات المتاحة لنا فان لدى الفرنسيين اوامر بهدم الوكالة وهم يرددون القول بأن الانجليز قد خربوا مستوطنتهم في شاندار ناجور تخريباً تاماً ، ولكي يظلوا على وفاق مع ملا علي شاه أبلغوه أنهم سيهدمون الوكالة بحضوره ، مع أنهم يقولون لرجالنا انهم لا ينوون عمل اي شيء من ذلك . ولا شك ان سلوكهم مع الملا نابع من حاجتهم الى معونته في الوقت الحاضر . وقد عاد السادة بمبو وايفانس وجونستون ومينويرنج الى بومباي بناء على طلبهم ، وهم الآن في الطريق اليكم .

لقد جهزت السفينتان الفرنسيتان الحربيتان لهذه الحملة في الجزر ، ولم يمض على خروجهما من هناك الا خمسة اسابيع قبل وصولها الى هنا .

سنحاول حال انصراف الفرنسيين الحصول على شحنة هذا العام من الصوف . كما اننا سنحاول الحصول على الاموال لنرسلها مع المترجم ليدفع ثمن الشحنة ، اذا كانت اية سفينة حراسة محملة بالبضائع الصوفية الى هنـــا من بومباي فسوف ننزل حمولتنا الى البر لنوجهها الى الاسواق ثم نرسل السفينة بعد ذلك الى البصرة ، فالبضائع الصوفية حسبما تشير المعلومات التي تلقيناها ، مطلوبة الآن في اسواق ايران الداخلية .

ونحن الآن مقيمون في الوكالة الهندية .

ولقد فشلنا حتى تاريخه في ارسال قارب الى مسقط . وبمجرد حصولنا على واحد من البصرة سنكتب للشركة المعظمة ، وقد ارسلنا قارباً اليها بتاريخ ١٢ . وقد كتبنا الى نوروتام في مسقط بأن يدفع ايجار هذا القارب ، ومقداره ثلاثمائة روبية نرجو من سعادتكم تسديدها له .

ولكم احترامنا ...

سيدي ، سادتي المعظمين

جومبرون — الخادمان المطيعان

٢٢ أكتوبر سنة ١٧٥٩ — الكسندر دوجلاس—ويليم ناش

نصوص معاهدة الاستسلام للفرنسيين فى جومبرون

٢٢ اكتوبر سنة ١٧٥٩ :

نصوص معاهدة استسلام وكالة شركة الهند الشرقية في جومبرون بين كل من : السيد الكسندر دوجلاس ، رئيس الوكالة المذكورة ومستشارها ، والسيد دي اسار قائد سفينة كوندي لصاحب الجلالة أعظم المخلصين للدين المسيحي ، والقائد العام لهذه الحملة ، والسيد شاريوا قائد القوات البرية .

المادة الأولى :

بمجرد توقيع نصوص هذه المعاهدة ، تتولى فرقة من الجيش الفرنسي وضع اليد على الوكالة ، وتسلم مفاتيحها للضابط القائد . ويمنع الدخول اليها او الخروج منها الا باذنه حيث انه معني بمنع الفوضى والسرقات .

المادة الثانية :

كل المتاع الموجود في هذه الوكالة تؤول ملكيته للمنتصرين ، ويسلم الى لجنة فرنسية مع كل الكتب والاوراق الموجودة بحيازة المهزومين . وعلى هؤلاء ان يرشدوا المنتصرين الى المخازن لوضع اللازم من الحرس عليها . ان جميع المدافع والاسلحة والذخيرة والامدادات والاموال والبضائع والعبيد ، وعلى وجه العموم ، كل شيء موجود لدى الوكالة مدرج في هذه المادة .

المادة الثالثة :

رئيس الوكالة ، وحاميتها ، ووكلاؤها ، وكتبتها ، وكل

الاوربيين العاملين في خدمة شركة الهند الشرقية ، وعلى وجه العموم كل رعايا صاحب الجلالة ملك بريطانيا في هذه الوكالة هم اسرى حرب بموجب المواد المبينة تالياً فقط .

المادة الرابعة :

حيث ان مسيو دي استين قائد المشاة واسير حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا سابقاً ، والموجود حالياً على ظهر السفينة كوندي في طريقه الى اوربا عن طريق البصرة ، راغب في زيادة ضمان معلومات المخابرات عن التبادل الذي تم باسمه بين بيجو المحترم حاكم مدراس ، ومسيو لالي القائد العام ، فقد تمت الان الموافقة بين المنتصرين والمهزومين على ان كلا من السيد الكسندر دوجلاس رئيس وكالة شركة الهند الشرقية في جومبرون ومعه ويليم ناش وانساين جونستون ودوموك لايستر والملازم جورج بمبو ، والملازم ريتشارد ايفانس وريتشارد مينويرنج كل هؤلاء قد تم تبادلهم قانوناً في مقابل مسيو دي استين ، وهم الان احرارٌ تماماً في أن يذهبوا الى حيث يشاؤون ، وفي مقابل ذلك لا يسري على مسيو دي استين سوى ما نص عليه في المادة السادسة .

المادة الخامسة :

رغم ان هذا التبادل للاسرى هو تحوط غير لازم تم اتخاذه لصالح مسيو دي استين ، الا ان جميع الاشخاص الذين وردت اسماؤهم في الفقرة السابقة احرار حرية مطلقة ، ولكن لو افترض ان تبادلا تم بالفعل لاسرى آخرين مقابل المسيو دي استين ، الذي هو محرر الان طبعاً فان عدداً مماثلا لعدد الاسرى الانجليز المنصوص عليهم هنا ومن نفس الرتب والمكانة من رعايا صاحب الجلالة من فرنسا اشد الموالين للمسيحيين يجب ان يطلق سراحهم من أية قلعة اخرى للانجليز يتم الاستيلاء عليها

لاحقاً .

المادة السادسة :

يود مسيو دي استين ان يؤكد — في نصوص هذه المعاهدة — انه رغم اطلاق سراحه الا انه على الوفاء بوعده الذي قطعه لسيادة الحاكم بيجو بالا يحمل السلاح في وجه الانجليز في منطقة ساحل كورماندل لمدة ثمانية عشر شهراً تبدأ من اول مايو ١٧٥٩ ، لكنه ايضاً يود تأكيد أن له مطلق الحرية في ان يحمل السلاح ضد الانجليز في اي مكان آخر غير هذا الساحل .

المادة السابعة :

اذا امكن التوصل الى اتفاق باعادة شراء وكالة جومبرون فسيعتبر مثل هذا الاتفاق جزءاً مكملا لهذه المعاهدة ، ويحتفظ المنتصرون بحقهم في التصرف بهذه الوكالة على اي نحو يشاءون اذا لم يتم الاتفاق بينهم وبين المهزومين بشأنها .

المادة الثامنة :

تتميماً لتبادل مسيو دي استين ، ونزولا عند طلب خاص منه الى المسيو دي اسار ، فان مستر الكسندر دوجلاس رئيس وكالة شركة الهند الشرقية الانجليزية في جومبرون وبقية الاشخاص الاخرين المشار اليهم في المادة الرابعة لهم الحرية في ان يحملوا معهم امتعتهم الخاصة من أي نوع اوصنف كانت ما عدا الذخائر والامدادات والاسلحة وعدة الحرب او اي شيء يسري عليه هذا الوصف .

حررت في جومبرون في اليوم الرابع عشر من اكتوبر ، الساعة السادسة صباحاً من العام الف وسبعمائة وتسعة وخمسين لميلاد يسوع .

الكسندر دوجلاس — ويليم نـاش — دي ايسار
ريتشارد جونستون — شاريـوا

قلعة بومباي ، في ٢٦ ديسمبر ١٧٥٩ :

وصل الينا خطاب من الوكيل والمقيم في جومبرون ، مؤرخ في ٨ من الشهر الجاري ، يفيد بأن الفرنسيين قد غادروا المكان يوم ٢ ويعتقد انهم توجهوا شطر الجزر . وفي ليلة ٣٠ أكتوبر الماضي صعدوا الى ظهور سفنهم بعد ان اشعلوا النار في الوكالــة بأن حفروا في ارضها حفراً ملئت بالمواد الملتهبة ، وهكذا دمروا جزءاً كبيراً منها . ولولا دناءة سلوك ملا علي شاه لامكن انقاذ الشيء الكثير ،حيث ان الفرنسيين لما غادروا المكان لم يكن اي باب في العمارة قد اصابه شيء . ولكنه بادر الى حرق المبنى ليحصل منه على الحديد . وكان الفرنسيون ايضاً قد خلفوا وراءهم حوالي ثلاثين الف وزنة هندية من النحاس والبضائع الاخرى ، لكنه — ورغم تكرار طلب رجال الوكالة منه ان يبعث برجال لحراسة المبنى — قد تركه للنهب والسلب . ولقد بلغ من قلة الحياء ما جعله يقول صراحة للوكيل اثناء زيارة قام بها له انه يعتقد ان احداً لم يتورع عن المشاركة في ذلك النهب الشامل ، وعلى اية حال فقد كان رجال الوكالة يأملون في أن يقنعوه بأن الانجليز قادرون على العضب لمهانة تلحق بهم بكل تلك البساطة . ويقدر موظفو الوكالة بأن غنائمه من تلك الحركة زادت على ٦٠ الف روبية ، هذا الى جانب البنادق والسلاح .. الخ ، التي تركها له الفرنسيون ، كذلك فقد نال سائر جماعته من العرب من الغنائم انصبة متراوحة بين الكثرة والقلة . كما انه وقع حلفاً دفاعياً هجومياً مع الفرنسيين . وقد وقع المسيو دي استين على النسخة الفرنسية كما وقع هو على النسخة الايرانية ، وذكر موظفو الوكالة ان الفرنسيين لم يبدوا اي اهتمام بالالتزام بنصوص اتفاقية التسليم ، وانه لولا وجود مسيو دي استين لجرد دي اسار الانجليز حتى من كل ما هو ضروري ، فقد اعلن بصراحة ، انه يكره كل انجليزي كما سلك سلوكاً يوحي بتحقير القائد العام ، وقد احرق

الفرنسيون السفينة « سبيدول » مما جعل الوكيل والمقيم يستنتجتان انهم ماضون مباشرة في طريقهم الى الجزر . وكان سيرجنت راتسكومون أعجز من ان يتحمل هذه الرحلة الطويلة . فكتب الى مسيو دي استين يلتمس منه ابقاءه حيث هو ، فاجابه الى ذلك على ان يقدم رجلا من مواطنيه بدلا منه ... وقد حدث » (١) .

وبعدها بعدة شهور طارد سوء الحظ ملا علي شاه ، وكان اسطوله عندئذ مكوناً من سفينتين مسلحتين : واحدة كبيرة والاخرى اصغر منها ، وكان في شهر نوفمبر السابق قد زاد مركزه تدعيماً بأن زوج ابنته لزعيم ايراني كبير ، قدم اليه ٤٠٠ رجل مسلح . وكان اتباعه هو لا يزيدون عن ٢٠٠ رجل فقط ، وكانت مصادره المالية قد تأثرت الى حد كبير بالاعانات الكثيرة التي كان يقدمها لحلفائه من القواسم . وقد تمرد رعايا الملا ضده في هرمز وقبضوا عليه وسجنوه في القلعة . ومع انهم صدوا محاولة لانقاذه قام بها اتباعه مع بعض العرب ، الا انهم رفضوا ان يسلموا سجينهم لخان لار . وفي بندر عباس قاموا بتسليم القلعة التي سيطروا عليها الى شقيق ناصر خان المسمى جعفر خان ، وتصادف ان كان بالقرب منها ومعه مائتا رجل مسلح . وظنت قبيلة بني معن ان الفرصة ملائمة لاسترداد جزيرة قشم ، واعدوا عدتهم — بمساعدة جعفر خان — لحصار لافت ، لكن هذا المكان كانت تحميه السفينة « رومانيا » احدى سفن الملا علي شاه(٢) ، وللتغلب على هذه

---

(١) يذكر لو (البحرية الهندية ، مجلدا ص ١٥٢ — ١٥٣) : ان دى استين كان القائد الفعلى للحملة ، وهذا يعنى انه قد اخل بكلمة الشرف التى اعطاها ، ويضيف قائلا : « لقد كسب الفرنسيون من الغنائم أكثر مما نالهم من الشرف فى هذه الحملة التى وجهوا فيها سلاحهم الى مبنى وكالة اعزل الامر الذى آثار دهشة وسخط جميع العسكريين الشرفاء في الهند » .

(٢) هكذا ورد الاسم .. ولكن يبدو انه جاء خطأ بدل كلمة « رحمانى » .

العقبة اقترح خان لار ان تمضي سفينة الشركة « جودولفين » للاستيلاء على هذه السفينة . لكن الوكيل رفض على اساس ان السفينة جودولفين ليست صالحة الان للعمل ، ولكن كان يفكر في استخدام سفينتي الشركة الاصغر « دريك » و « سوالو » بمجرد وصولهما ، اذ ان تلك الاضطرابات ادت الى كساد تجارة الشركة كساداً تاماً . وقد قام اهل هرمز بتسليم احدى سفن الملا — وهي السفينة « الفوز الرباني » — الى عرب الشارقة الذين اخذوها بدورهم الى جعفر خان . وفي ٢٤ يونيو استطاع ملا علي شاه ، وكان قد استعاد حريته ، بمعونة ١٠٠٠ رجل من عرب رأس الخيمة بقيادة شيخهم نفسه النزول بالقرب من بندر عباس واحتلال المدينة ، لكن قواته فشلت في احتلال قلعتها . وفي يونيو ٢٨ وبعد إعمال النهب في المدينة تراجعت قوات الملا منسحبة الى جزيرة قشم ، وبعدها ارسل ناصر خان حملة انتقامية ضد « لنجة » وفي اغسطس حاول رجاله الاغارة على « رأس الخيمة » ، لكنهم فشلوا في العملين معاً ، فقاموا — بدل ذلك — بتخريب جزيرة قشم . ثم شاعت مخاوف كثيرة من احتمال قيام جعفر خان او شقيقه خان لار بالهجوم على الوكالة البريطانية التي كان الى جوارها قوات كبيرة . ووجد الوكيل نفسه مضطراً نظراً لضعف الامكانات الدفاعية لمباني الشركة الموقتة انلا يقدم الى الخان سفينة الشركة « دريك » لمطاردة بني معن من مكان لآخر فحسب ، بل وان يستجيب لمطلبه المتكرر باقراضه ١٠٠٠ تومان . وفي سبتمبر كان ناصر خان معسكراً في خمير تساوره امال وخطط متنوعة ولكي يحول دون سقوط هرمز في ايدي حاكم ميناب ، الذي كان يلح لاطلاق سراح الملا علي شاه واسرته ، فقد ارسل بعض العرب من بني معن ومن الشارقة لحراسة المكان . لكنه الان كان اكثر لهفة من ذي قبل للتوصل الى اتفاق مع كريم خان حاكم شيراز بشان حكم اقليم « جارمشير » وفجأة ، ولهذا الهدف سافر الى لار بعد ان افصح عن

رغبته في « عقد صلح لمساعدته في القيام بهجوم على عرب رأس الخيمة».
ووافقت الرئاسة في بومباي على عقد قرض لخان لار على أساس انه لم يكن من ذلك بد ، لكن المسؤولين هناك اشاروا الى « انه لا نهاية لمثل هذه المطالب اذا استجبنا لها مرة واحدة ، ولتلافيها على الوكيل أن ينقل اقامته الى البصرة او اي مكان آخر ، او يذهب مع البضائع —لفترة من الفترات — الى مواني أخرى » .

١٧٦١ :

وفي ابريل سنة ١٧٦١ ، كانت المشاكل ما تزال قائمة بين كريم خان وناصر خان ، وكان هذا الاخير ، ورغم وعوده الرائعة ما يزال مديناً بقرض الالف تومان، كما ان شقيقه جعفر خان ، وكانت سلامة الوكالة معتمدة عليه فلا مفر من ارضائه ، مديناً هو ايضاً للوكالة بمبلغ ٣٧١٨ روبية . وكان من رأي الوكيل والمجلس في ايران ان « شعب هذه المملكة وسواحلها » قد اصبحوا على خلق سيء ، وان الاروبيين سيصعب عليهم الاقامة بينهم ما لم يردوا على اهاناتهم لهم » . ووصفوهم بأنهم « جنس لا ينظر لابعد من الحاضر وانهم مجردون من الشرف ومن الامانة ، وان جيوشهم تقوم على حساب المجدين العاملين ، وانهم لا يقيمون وزناً لحرية التجارة » . وبدلا من تحسن الامور راحت تزداد سوءاً على سوء . وفي مايو ، انتشرت مخاوف كثيرة من قيام العرب بهجوم على بندر عباس ، وبدا جعفر خان يقيم في المدينة تحصينات أقل اتساعاً من التحصينات القديمة مدخلا فيها مباني الوكالة ، ومصراً على ان يسهم الانجليز في عمليات الدفاع ونفقاته ، وخشي مستر ديموك ليستر — المسئول وقتذاك — ان تكون هذه الاستعدادات قناعاً يخفي نية مبيتة للاستيلاء على الوكالة ، فجعل فيها إمداد شهر من الاخشاب والمياه ، وعاد جعفر خان يلح الحاحاً بغيضاً من اجل اقراضه مدفعين . وفي الخريف حصل ناصر خان على حكم جارمشير من كريم خان على

شرط ان يدفع له عوائد قيمتها الفا تومان كل سنة ، وان يحتفظ في شيراز بماثة فارس وان يضع كل قواته تحت امر الوكيل بالنسبة للعمليات التي قد تحدث في جارمشير . وتبع ذلك تحسن موقوت في الموقف في بندر عباس ، حتى ان الخان دفع نقداً ٥٠ توماناً من الالف التي اقترضها ووعد بدفع المزيد على شكل عروض تجارية ولكنه نتيجة سوء حكمه من ناحية ، ونتيجة شكاوي بني معن من الناحية الاخرى ، حيل دون ذلك ، فاستدعى جعفر خان من بندر عباس ، ووظف مكانه حاجي علي الذي اثبت في كل الامور انه حاكم قدير وممتاز . اما بنو معن الذين كانوا في هرمز فقد كانت اقامتهم فيها غير ميسرة نتيجة لندرة الماء والهجمات المستمرة عليهم من جانب القواسم ، فسمح لهم بمغادرتها ، فمضى بعضهم الى الشارقة ، وربما تشجع ملا علي شاه — وكانت اسرته ما زالت محتجزة في قلعة هرمز — بمغادرة بني معن للجزيرة فمضى الى الساحل العربي . ثم عاد ومعه قوة كبيرة من القواسم ، وقام بهجوم هو وحلفاؤه على هرمز مرتين ، لكنه فشل فيهما ، فقد استطاع اهل الجزيرة ان يصدوه بمساعدة الباقين هناك من بني معن . وخلال هذه الاحداث ، كانت شحنة من الارز — قوامها ٢٤٠٠ كيس ، قد شحنت من مسقط الى الوكالة البريطانية في بندر عباس استولى عليها القواسم وحولوها الى ملا علي شاه دون تكليفه بدفع تعويض عنها . واضطر الوكيل الى طلب امدادات من الارز من ناصر خان على ان يعتبر الثمن سداداً لجانب من الدين المستحق للشركة عنده . وفي نهاية سنة ١٧٦١ كان بنو معن ما يزالون على حركتهم الدائبة ، فهؤلاء الذين ذهبوا الى الشارقة عادوا مرة اخرى الى هرمز ، لكن حاجي علي استطاع اقناع عدد منهم بالاقامة في هدوء مع عائلاتهم في بندر عباس .

غير ان الصورة كلها قد تغيرت الى اسوأ حين عاد جعفر خان فجأة في ٣ فبراير ١٧٦٢ ليصبح مجدداً حاكماً لبندر عباس رغم انف الحاجي

علي وقوبلت هذه العودة من جانب عرب بني معن بالدهشة والاستنكار لانهم استقروا في هذا الاقليم بناء على تأكيد من الخان بان جعفر لن يعود الى حكم بندر عباس « والان احسوا انهم قد وقعوا في المصيدة » . وراح جعفر خان يوالي مظالمه ، خاصة لهؤلاء المرتبطين بالوكالة البريطانية . وخلال عدة شهور لم يعد في بندر عباس — التي كانت قد بدأت في استعادة سكانها ورخائها ايام خاجي علي — سوى عدد من الاكواخ يتكدس فيها عدد قليل فقط من السكان الذين بقوا فيها ولم يعد بالامكان تحصيل اية عوائد منها . وقد قدم ناصر خان اعذاراً كثيرة لعدم رد القرض الذي اقترضه من الوكالة ، حتى باتت الشركة تعتبر المال في حكم الديون المفقودة ، واصبح وكيل الشركة ومجلسها يعتقدون ان « كل المظالم التي حدثت والتي تحدث كانت بايعاز وتحريض من ناصر خان » ووصفا الموقف العام بأنه لم يعد محتملا على الاطلاق .

وفي ١٠ يناير سنة ١٧٦٣ استدعي جعفر خان الى لار ، لكن حماه وكان رجلا جشعاً مولعاً بكنز المال ، عين مكانه . وبات الكل متأكدين أن خان لار ، بعد ان جرد جعفر خان من الثروة التي حصلها ، قد اعاده الى حكم بندر عباس ليجمع له ثروة جديدة . واخيراً تم عقد الصلح بين بني معن من ناحية وملا علي شاه والقواسم من الناحية الاخرى ، على ان يحتفظ بنو معن بهرمز ويقيموا في قلعة لافت ، وان يستعيد شيخ القواسم السفينة « رحماني » ، وان تقسم عوائد جزيرة قشم في المستقبل بالتساوي بين الاطراف الثلاثة المشتركة في الصلح . غير ان هذه الاتفاقية لم تضف جديداً للهدوء العام ، لانها قد تركت بني معن احراراً في ان يقوموا باغاراتهم على ما شاءوا من الاماكن الاخرى . وهكذا قاموا في يناير سنة ١٧٦٣ بالاستيلاء على ميناء خوهستاك الذي كان تابعاً لحاكم ميناب ، وزعموا انهم يستولون عليه باسم خان لار ، لكن حقيقة الامر كانت انهم يهدفون الى اغراء الخان بأن يملكهم بندر عباس ،

لكنه لم يكن يوافق على ذلك بأية حال من الاحوال ، بل وقيل على العكس انه كان يود منهم ان يدخلوا في طاعته ومعهم سفنهم ، في مقابل ان يضمن لهم دخلا منتظماً ليس عن طريق المتاجرة المشروعة ولكن بالقيام فقط بأعمال القرصنة بارشاد منه . وكان الوكيل البريطاني في بندر عباس يرى ان هذه الاتفاقية لو تمت فسيتحول بنو معن الى قراصنة ذوي خطر شديد ، غير ان الوكالة البريطانية سحبت عندئذ فجأة كما أشرنا من قبل ، وانتهت مصالح الشركة وموظفيها في بندر عباس .

حالة الساحل الايرانى بين ريق وكانجون (١)
١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

حالة بو شهر في ١٧٥٥ :

حتى سنة ١٧٥٥ لم يكن للاحداث في الساحل الايراني المطل على الخليج فيما بعد بندر عباس اي تأثير على مصالح شركة الهند الشرقية في ايران . وبالتالي فلسنا نعرف سوى معلومات قليلة عنها قبل هذا التاريخ .

كانت حكومة بو شهر خاضعة خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر ، لاسرة تنتمي لقبيلة المطاريش السنية في عمان . واثناء حكم نادر شاه قام كبير هذه العـــائلة ويدعى ناصر ، هو وافراد اسرته جميعاً بالتحول الى المذهب الشيعي على امل ان يعينه نادر شاه قائداً للاسطول الذي اعده الشاه وجعل بو شهر مقراً له . وكان هذا عملا انتهازياً من جانبه اكسبه سخط بقية العرب في بو شهر ، بل هو في الحقيقة اسخط سائر العرب المنشغلين بالملاحة في الخليج(٢) . وحوالي سنة ١٧٥٢ تحالف الشيخ ناصر حاكم بو شهر مع المير ناصر حاكم ريق للاستيلاء على جزيرة البحرين ، وظلت تحت سيطرته طوال ما بقي من هذه الفترة التي نتعرض لها . وقد استطاع الشيخ ناصر احتلالها بواسطة اسطوله الذي كان مكوناً من سفينة واحدة كبيرة وعدد من السفن الصغيرة . ويبدو ان كريم خان قد ألقى االقبض على الشيخ ناصر سنة ١٧٥٥ وسجنه طالباً منه ان يفسر ماضي سلوكه تجاه سفن ايرانية ،

---

(١) ريق : تكتب بالفارسية كالآتى (ريگ) وتنطق بتخفيف حرف الكاف .

(٢) هكذا تقول المصادر .. لكنها لا تشرح كيف كان من الممـــكن لناصر أن ينال مكانه عند نادر شاه بالذات بتحوله الى شيعى .

وان يدفع مبلغ ٥٠٠٠ تومان كعوائد عن جزيرة البحرين خلال السنوات الثلاث التي انقضت على احتلاله لها .

الموقف في ريق ١٧٥٥ :

ويشابه تاريخ الاسرة التي كانت تحكم ريق سنة ١٧٥٥ تاريخ شيوخ البحرين . فقد كانوا عرباً من « زعاب » من الساحل الذي يعرف الان بامارات عمان المتصالحة ،لكن والد مير ناصر — الذي كان زعيماً في سنة ١٧٥٢ والذي منح الهولنديين إذناً في تلك السنة تقريباً بالاستقرار في جزيرة خاراج — قد اصبح شيعياً . وتزوج المير ناصر نفسه من ايرانية فلم تعد الاسرة تعتبر عربية خالصة على اية حال . وقتل مير ناصر — بين سنتي ١٧٥٣—١٧٥٥ — بتحريض من مير مهنا اصغر ابنائه ، الذي شهد قتل ابية بالفعل لكنه لم يشارك فيه . وسرعان ما اولع هذا السفاح الصغير بشهوة القتل ، فقتل امه ايضاً في ساعة غضب لانها لامته على قتل أبيه . لكن مير مهنا اضطر الى التوقف عن اعماله حين عاد شقيقه الاكبر مير حسين من البحرين وتولى حكم « ريق » .

ارسال مستر وود الى ريق لينشيء فيها وكالة بريطانية سنة ١٧٥٥ :

هكذا كانت الحالة حين قام مستر فرانسيس وود — الوكيل السابق في بندر عباس — بزيارة لريق ليقيم فيها وكالة بريطانية ، وقد اتخذ مجلس مديري الشركة هذا القرار في ابريل سنة ١٧٥٤ ، وصدر الامر من رئاسة بومباي بتعيين مستر وود مقيماً عاماً فيها في ١٨ اكتوبر من نفس السنة ، لكنه لم يبحر اليها من بندر عباس الا في مارس سنة ١٧٥٥ . وكانت التعليمات التي تزود بها تقضي بتنشيط بيع المنسوجات الصوفية البريطانية في ريق ، واتخاذ كل الاجراءات الممكنة لمنع التجار هناك من التعامل بأية اصواف اخرى فرنسية كانت ام غيرها ... وان يعمل بكل الطرق على إكساد تجارة مغامري حلب ، والا يقرض

السلطات المحلية نقوداً او بضائع ، والا يتعامل مع التجار الوطنيين الا بالدفع النقدي . واخيراً ان يصر على الحصول على امتياز للبريطانيين بتحصيل العوائد عن كل الصادرات والواردات البريطانية « لان ذلك فيه سمعة وتمجيد للشركة المجيدة ، وتخفيف من نفقاتها » . وعليه ايضاً ان يتحاشى اية خصومة مع الهولنديين . الذين كان نفوذهم الان في الخليج قوياً ، وكانت قاعدتهم في خارج مواجهة لريق ... وان كان من الصعب القول بأن وكالة ريق قد كان السبب الرئيسي في تأسيسها هو منافسة الهولنديين .

اتفاقية مع مير حسين حاكم ريق يونيو ١٧٥٥ :

ورغم ان تعليمات مستر « وود » كانت قاصرة على ريق فقط ، الا انه توقف في بو شهر ، وحاول الوصول الى اتفاقية مع الشيخ ناصر لاقامة الوكالة فيها بدلا من ريق ، لكن الشيخ ناصر رفض ان يتنازل عن العوائد الجمركية على البضائع الانجليزية الا لو دفع له مبلغ ١٥٠٠ روبية في كل سنة . واخيراً مضى المقيم في طريقه الى ريق نزولا على سيل الاحتجاجات والحث الواردة له من بندر عباس ، فوصل ريق في يونيو . ولم يجد تجاراً بالميناء ، لكنه وجد الزعيم مير حسين الذي كان كريم خان قد استدعاه الى شيراز ، وكان على وشك ان يرحل ، فأجل رحلته ثلاثة ايام ، وابدى استعداده لتقديم الامتيازات التي يطلبها مستر « وود » ، وأكد له ان التجارة الانجليزية « سرعان ما تكتسح كل التجار المنافسين لها وتعيد الميناء الى سابق رخائه وازدهاره » .

الانسحاب موقتاً من ريق ثم الرجوع اليها بفرمان من كريم خان يوليو — سبتمبر سنة ١٧٥٥ :

وأصبح سلوك اهل ريق وقحاً بعد رحيل رئيسهم حتى اضطر المقيم الى التراجع للبصرة ومنها الى بو شهر ، وظل فيها حتى عودة مير

حسين الى ريق لكن وصول امر شاهاني من كريم خان يخوله حق انشاء وكالة في ريق جعله يعدل عن تفكيره مرة أخرى ، فرجع الى ريق في سبتمبر حيث استقبل فيها استقبالا حسناً من جانب الاهالي ، فقرر الاستقرار بها .

اعمال المقيم في ريق . ابريل ١٧٥٦ :

وفي ٦ ابريل سنة ١٧٥٦ ، ابحر مستر وود على السفينة « بيتون » الى جزيرة خارج ، حيث بقي فيها حتى الخامس عشر من نفس الشهر يتحرى اعمال الهولنديين ووسائل تجارتهم ، فيما كان يحل ضيفاً عليهم . وفي ٢٠ ابريل وصل مير حسين وشقيقه مير مهنا الى ريق قادمين من شيراز ، حيث كان كريم خان قد سجنهما هناك ، ثم أطلق سراحهما « بالنظر لبؤسهما الشديد(١) » وفضلا ان يعودا سيراً على الاقدام بصحبة قائد حيدر خان حاكم حياة داوود ، وعدد كبير من اهل بو شهر . وحيث ان مستر وود وجدهما « بلا زاد ولا ثياب ولا مال » فقد اضطر الى ان يقدم لهما هدية كان قوامها الارز والثياب ، بما قيمته (٣٦٠) روبية ، ولم يكن ذلك امراً ضرورياً فقط ، لكن تحاشيه كان غير ممكن .

هرب المقيم من ريق ، وقتل مير مهنا لمير حسين يونيو ١٧٥٦ :

وفي ٨ يونيو تلقى مستر وود خطاباً من البارون نيبهاوزن ، رئيس الوكالة الهولندية في خارج ينذره فيها بأن الهولنديين قد عقدوا العزم على قصاص المير وهو أمر كان لا بد ان يسبب شيئاً من الاضطراب في ريق . ولدى وصول هذا الخطاب رأى المقيم البريطاني ، الذي كان يعرف عن وجود جماعة موالية للهولنديين في ريق يتزعمها مير مهنا تعلن بصراحة

---

(١) وربما أيضا بسبب تردى حالة كريم خان على يد اسد خان افغان .

أهدافها بقتل الوكيل البريطاني والمير حسين ، ان من الحكمة ان يرجع مرة أخرى الى البصرة . وكان تبريره لهذا ان المباني التي تعد للشركة لم تكن بعد قد حُصنت ، وان حرس الوكالة لم يكن مسلحاً تسليحاً كاملا ... لكنه ترك وراءه عريفاً اوصاه بالابقاء على العلم البريطاني مرفوعاً فوق الوكالة طول فترة غيابه . ولدى عودته الى ريق في ٢٧ يونيو وجد ان الثورة قد حدثت وان مير مهنا قد قتل مير حسين وعدداً آخر معه فاصبح الان صاحب السلطة ، وان مباني الوكالة التي لم تكن قد اكتملت بعد قد سويت بالارض وانزل عنها العلم البريطاني ، ولكن لم تقع اية اضرار بموظفي الشركة . فكتب المقيم بهذه الاحداث الى بندر عباس ، واضاف انه لم يبق ثمة أمل في نجاح الوكالة في ريق ، وطلب التعليمات . وكان الرد هو الخطاب العنيف التالي من مسئوله الرسمي :

« من الكسندر دوجلاس الى فرانسيس وود المقيم في ريــق .

في ٢١ الحالي وصلني خطابك المؤرخ في ٢٩ الماضي . واهمني كثيراً أن حالت الاضطرابات في بندر ريق بينك وبين انزال حمولة المنسوجات الصوفية والقصدير التي كانت على ظهر السفينة « بتسي » فحسب نصيحتك واقوالك السابقة لهذه الوكالة ... كنا نتوقع ، لو ظلت الاحوال هادئة ، بيعاً مربحاً يرضى عنه رؤساؤنا المحترمون .

وأنا الاحظ ان دافعك الاول للذهاب الى البصرة كان الخطاب الذي تلقيته من البارون نيبهاوزن الذي يسعى بلا شك ان يحتكر التجارة في بندر ريق وبو شهر لنفسه . وهذا يجعل وجود موقع لنا في أي من هذين المكانين غير مرض له ، فلا عجب ان يصطنع كل العقبات ليحول بينك وبين هذا ، فيرسل اليك الانذارات المتتالية . اني لا ارى سبباً يجعل ذلك الرجل يستهدف حياتك ، تلك التي دفعك الخوف عليها اساساً للمضي الى البصرة ، كما انني ايضاً لا استطيع ان استنتج من رسائلك

ان اي عنف ارتكب ضد هؤلاء الذين خلفتهم وراءك . وعليـــه فانا أرى بأنه لو لم تكن مخاوفك قد تضخمت الى الحد الذي تضخمت به لبقيت في بندر ريق . ولحافظت على الاتصال بالمير حسين ، ولنقلت اولا بأول كل ما يصلك عن نوايا شقيقه ونوايا الهولنديين ضده ، وبهذا كان محتملا ان يُتجنب المصير الفاجع الذي لقيه ، ولظلت وكالة شركتنا الموقرة سالمة من الشر فاني ارتاب كثيراً في انالعرب كانوا سيقوضون مركز الشركة لو قد كان في حمايتك انت ، لا بحماية عريف اطمعهم الا يجدوا سواه في المكان فاغراهم ذلك به . ان الحاجة للسلاح والرجال والمعدات لاكمال المبنى ما كان ينبغي لها ان تدفعك لهجر بندر ريق . فلو كنت طلبت منا السلاح لارسلناه اليك على ظهر اول سفينة بمجرد تلقي رسالتك ، او لو كنت طلبت ذلك من المقيم العام في البصرة لارسل اليك ما انت في حاجة اليه على حساب الشركة الموقرة .

وحيث ان الرئيس الموقر والمجلس يأمران بتوجيه كل الجهود الممكنة لانشاء مستوطنة في بندر ريق ، ادراكاً من الجميع للامال التي ولدتها الوعود التي سبق ان كتبت الينا بانها قُدمت لك من تجار عديدين في البصرة ، وما دمت انت ايضاً قد كتبت تقول انك لا تشك في انها ستحقق توقعات جناب الرئيس المقيم ... فانني لا استطيع ان اصدر اليك أية تعليمات بشأن تركك لبندر ريق حتى اتلقى اوامرهما بهذا الصدد . كما انني لا ارغب لك ان تقدم على هذا العمل الا اذا تعرضت حياتك وحياة الناس للخطر الداهم ، او لو حدث شيء مادي لا استطيع ان اراه حيث انا هنا .

وعليك الآن ان تشرح للمير مهنا الفوائد التي ستعود على بندر ريق لو اذنوا لشركتنا باقامة قاعدة فيها . كما ان عليك ان تفهمه بأن جناب رئيس الشركة ومجلسها في بومباي سيتخذان الاجراءات التي تكفل رضاهما عن تعويض الضرر الذي أصاب الشركة الموقرة وموظفيها .

وحيث ان حسين خان كاجار موجود الان في هذه المملكة على رأس جيش ضخم ، وحيث انه قد سيطر بالفعل على اصفهان منذ وقت قليل ، وهو الآن يحاصر شيراز ، فنحن نتوقع نشوب ثورة في القريب العاجل واذا تمت لهذا الرجل السيطرة على البلاد ، فانه لا شك سيعين رجالا قادرين على اعادة هؤلاء الشيوخ الى حظيرة الطاعة ، كما أنه سيشيع الثقة لدى التجار على اختلافهم ، وحينئذ لن يكون للمير مهنا او للهولنديين اية سلطة يستطيعون بها اصدار تعليمات ، وستكشف الاوقات القليلة القادمة عن حقيقة نواياه .

ولقد تردد هنا ان مير مهنا ، لدى عودتك من البصرة الى بندر ريق ، قد عرض ان تعيد بناء الوكالة التي تهدمت على نفقته الخاصة ، واذا صح هذا فانني مندهش جداً لانك لم تشر اليه في خطابك .

وانا يا سيدي .... صديقك المحب :

الكسندر دوجلاس

جومبرون في ٤ يوليو ١٧٥٦

وفي يوليو ارسلت حكومة بومباي – التي كانت لا تعرف هذه الاحداث بعد – مساعداً لمستر وود هو مستر هيوز .

حملة انتقامية على كانجون :

وفي نفس الوقت كانت قد نشأت مشكلات بين الشركة وشيخ « كانجون » ، وهي احدى الموانىء الرئيسية بعد بوشهر بين بندر عباس وريق . وكان سببها ان الشيخ المذكور قام باعتداء على سفينتين من السفن التي تقوم بالتجارة في حماية الشركة ، وامرت السلطات في بومباي وكيل بندر عباس بأن يرسل السفينتين « سوالو » و « دريك » – اذا امكن – لتطالبا بالتعويض ، وان يبلغ مستر وود بهذه الانباء ، ويطلب اليه مصاحبة الحملة . وارسل الوكيل هذه الاوامر مباشرة الى مستر وود

في اكتوبر ليلتقي بالسفن في كانجون ، وفوض – بعد ان تم تسوية المسائل في كانجون – ان يصحب السفينتين الى ريق اما لاعادة انشاء الوكالة او المطالبة بتعويض عن تدميرها .

وجاءت هذه التعليمات الى مستر وود وهو حزين مكتئب ، فعلاقاته بمير مهنا الذي وصفه بأنه « شاب سفاح » مستسلم كل الاستسلام لرذائله المدمرة ، ونزّاع الى الثار بحيث لا يستحسن ان تتاح له أقل فرصة للعدوان .. قد كانت علاقـــات سيئة منذ البداية ، ذلك بأن المير بدأ في استغلال انقاض الوكالة لبناء سور حول المدينة ، ولم يستطع المقيم اقناعه بالكف عن هذا العمل ، « لا بتقديم الهدايا ... ولا بالتقرب اليه .. أو مجاملته في زيارات لاحتساء الخمر معه يومياً » ثم ان المير رفض السماح للبريطانيين بتحصيل العوائد عن البضائع البريطانية – كما كان اخوه قد وعدهم – الا لو دفعوا له ٢٠٠٠ روبية كل عام .

واخيراً ... في ليلة ٦ نوفمبر ، بين الساعة العاشرة والحادية عشرة مساء ، وصل جماعة من العرب ارسلهم مير مهنا الى باب المنزل الذي يقيم به المقيم العام ، وطلبوا اليه – هو وكل الاوروبيين بما فيهم مستر هيوز ومستر برنل – ان يغادروا المكان خلال نصف ساعة ، لان المير يرى انهم أعداء ضالعون مع الهولنديين . وفي البداية حاولوا ان يتباطأوا ، لكن العرب بدأوا يتهيأون لاستخدام العنف ، فتراجع البريطانيون الى ظهر السفينة « دراجون » ، وبعد ذلك نزع العرب سلاح جنود التوباس(١) من حرس الشركة ، كما نهب متاع مستر وود . وفي اليوم التالي طلب منهم مير مهنا النزول الى البر ثانية لكنهم رفضوا ، وحيث كان مستر وود قد استطاع احتجاز كبير رسل المير – اغا محمود – وبفضل صندوقين من الذخيرة كان ارسلهما وود كهدية ، فقد استطاع

---

(١) كانت كلمة توباس تطلق على الجنود البرتغاليين الذين تستخدمهم الشركة .

أن يسترد – خلال عشرة ايام – معظم البضائع التي تركت على الشاطىء . لكن بعض امتعته الخاصة فقدت ، فطالب الشركة بتعويضه عنها . وفي نفس الوقت جاءت السفينتان « سوالو » و « دريك » الى ريق(١)، ويبدو ان طاقم الوكالة قد استقلهما الى بندر عباس فوصلوا في أوائل ديسمبر سنة ١٧٥٦. وحاول مستر وود اقناع الوكيل بعدم اتخاذ أي اجراء ضد كانجون او ريق ، وقال ان القوة الموجودة ليست كافية لاتخاذ مثل تلك الاجراءات ، كما ان ذلك لو حصل سيغضب العرب، ولن تستطيع الشركة الحصول باستخدامها العنف على تعويض كاف ، كما وان تجارة ريق ستقع نهائياً في ايدي الهولنديين ، مع انها تعتبر سوقاً ممتازاً للمصنوعات الصوفية البريطانية ، ومكاناً يستطيعون منه الحصول على الحبوب والنبيذ بأثمان معقولة . لكن الوكيل أكد ضرورة اقامة مبنى مسلح تسليحاً كاملا للوكالة ، ولحماية هذا المبنى كان لا بد في رأيه من وجود سفينة كبيرة تحمل ٢٠٠ رجل مسلح . الى جانب سفينتين صغيرتين . وهكذا انتهت تجربة الشركة في ريق (٢) ، وصرف النظر عن حملة كانجون . ويبدو ان الشركة قد دفعت تعويضاً لمستر وود عن بيته الخاص حوالي ٦٠٠٠ روبية او أكثر قليلا .

الحرب بين مشايخ ريق والشارقة :

وشهدت سنة ١٧٥٩ حرباً بين مير مهنا وشيخ الشارقة ، ويبدو ان هذا الاخير كان يناصره شيخ القواسم في رأس الخيمة .

---

(١) ريق : تكتب بالفارسية كالآتى (ريگ) وتنطق بتخفيف حرف الكاف .

(٢) فى مارس ١٧٥٧ كانت الشركة ما تزال تفكر فى تأسيس وكالة لها في ريق لكنها لم تتحرك عمليا في الموضوع بالنظر للصعوبات التى ربما كانت نتجت عن الحرب مع فرنسا .

سير التجارة البريطانية فى الخليج
١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

التجارة في ايران :

يبدو ان تجارة شركة الهند الشرقية في ايران ، رغم العقبات السياسية الكثيرة التي كانت تواجهها ، ورغم الحالة العامة المضطربة في البلاد ، ورغم تخفيض قيمة العملة الفضية الايرانية ، كانت مزدهرة خلال هذه الفترة ، لكنها كانت في حالة متدهورة تماماً خلال الفترة من ١٧٢٦ الى ١٧٣٠ .

١٧٣٦ :

ففي ديسمبر سنة ١٧٣٦ نقل من بندر عباس حوالي ٣٩٢ حمولة من صوف(١) كرمان الى بومباي ، لكنها لم تكن محزومة جيداً بسبب نقص خشب الصناديق في الشركة . وبالاضافة الى هذه الشحنة ، فقد نقل من كرمان كمية بلغت ٦٠٠٠ موند هندي ، لكنها بالنظر الى اضطراب الطريق التي كانت مزدحمة بسبب تحرك قوات نادر شاه عليها الى قندهار لم تصل بندر عباس في الوقت المحــدد لها ، ولم تشحن بالتالي مع الكمية الباقية ، وتبع ذلك ايضاً شحن ما قيمته ١٤ الف موند أخرى . وكانت وكالة كرمان في ذلك الوقت تحت اشراف ايراني اسمه «سيواكس» واتفق رأي الوكيل ومجلس الشركة في بندر عباس حوله بأنه « رغم أمانته الا أنه لا يمكن اطلاق الثقة كاملة له وحده في كرمان ، فرغم نزاهته الا ان الحكومة تستطيع استمالته ، او قد ترغمه على تقديم

---

(١) توصف سلعة كرمان هذه دائما بانها صوف ، ولكن يبدو انها « موهير » أو شعر ماعز راجع ص ١٩٠ من هذا المجلد ، وراجع الجزء الثانى من رحلة أوليفر ص ٤٥٩ .

الهدايا لها او ان يقوم باقراضها اموال الشركة متعللا بأي عذر ممـــا يضاعف من نفقات الشركة أكثر مما لو وضعت ممثلا مقيماً لها يشرف على شحن الصوف هناك » .

وكانت واردات الشركة الرئيسية تكاد تنحصر في الثياب ، وقد جاء تاجر يمثل الشاه وحاكم فارس معاً مرة الى بندر عباس وطلب ابتياع كميات كبيرة منها . واقترح ان يدفع ثمنها صكوكاً على مسئول العوائد ، فرفضت الشركة الصفقة التي قبلها الهولنديون .

١٧٣٧ :

وفي أوائل سنة ١٧٣٧ ذكر مستر سفيج الذي كان مسئولا عن شئون الشركة في كرمان ان بعض اهالي اقليم جورجيا وصلوا الى أصفهان ومعهم منسوجات من شركة قيل انها انشئت حديثاً في استراخان، وانه بالنسبة لهذه الحقيقة ، فلن يستطيع تصريف أكثر مما يساوي ١٠٠٠ او ١٢٠٠ تومان من بضائع الشركة الصوفية في الموسم التالي . وكانت ثمة عقبة أخرى في وجه تجارة كرمان هي هبوط قيمة العملة الايرانية الفضية ــ المكونة أساساً من الريال العباسي والريال المحمودي ــ ، ونتيجة لذلك قرر الوكيل والمجلس في بندر عباس الا يرسلوا أكثر من خُمس المخصص من البضائع الصوفية السنوية الى كرمان ، والا يقبلوا منها ثمنها الا بالريال العباسي مقابل خمسة شاهيات فقط ، او بعملات نحاسية او نحاس قديم . اما الاربعة أخماس الباقية من مخصص الصوف فتم شحنها عن طريق الوسيط الى بندر عباس لان الحل الوحيد بدل ذلك كان ان تباع للحاكم المحلي « الذي سيرغمهم على اخذ عملة فضية بنسبة ٥٠٪ » ، وبعدها بقليل تبين ان الوسيط صادف صعوبات جمة في التخلص من الثياب الصوفية التي اخذها ، وان التجارة مع كرمان قد اضطربت نتيجة ضغط نادر شاه على سائقي بغال الوكالة

للعمل معه في نقل الامدادات الى معسكره ، الذي كان يحاصر قلعة قندهار ، كما قال ان اربعة تجار او خمسة فقط قد جاءوا الى كرمان لابتياع الصوف الاحمر ويظن انهم ينوون بيعه في سوق حلب .

١٧٤٠ :

وفي سنة ١٧٤٠ ، ورغم الحالة المضطربة في ايران ، نشأ طلب كبير على المصنوعات الصوفية الانجليزية ، يبدو انه كان بسبب حظر استيراد المنسوجات الصوفية من تركيا . وارتفع سعر صوف كرمان ارتفاعاً كبيراً ، نتيجة تصنيعه حللا وقبعات لجيش نادر شاه ، بحيث عجز مستر سفيج عن ان يشتري شيئاً منه بأسعار معقولة .

١٧٤٤ :

وبحلول سنة ١٧٤٤ ، كانت وكالة أصفهان قد اغلقت ابوابها لفترة ثم اعيد فتحها ، وبذلك توقفت التجارة من روسيا الى هذا الجزء من ايران(١) وتشجع الوكيل والمجلس في بندر عباس بهذا النجاح فقرر ارسال سفيج — بعد انتهاء الشتاء — من كرمان الى مشهد فبهذه الوسيلة فقط يمكن ابعاد البضائع الروسية عن خراسان السوق الوحيد الذي تبقى لها . وقد صدقت الرياسة في بومباي على هذا الاقتراح لكن حالت دون تنفيذه بعض الصعوبات المتعلقة بالضرائب واضطراب حالة البلاد . فقد كان محمد تقي خان ، ثائراً في فترة من الزمن في شيراز وكانت اعماله هذه تهدد بنشوء ديون هائلة كثيرة للشركة لا سيما بالنسبة لمسؤول كبير في شيراز كان مديناً لها بمبلغ ٤٠٠ تومان ، فقد فقئت عينا هذا الرجل

(١) لا بد أن هذه كانت هى االشركة (البريطانية) الروسية التى كانت تمارس نشاطها فى منطقة بحر قزوين وشمال ايران (بشكل أساسى فى المدة ١٧٤٢ — ١٧٤٩) وهى تقترن بكل من التون وهانوى (Elton & Hanway)

ونزعت امواله لاتهامه بالتعاطف مع الحاكم الثائر .

وفي هذه السنة باعت وكالة بندر عباس تموراً قيمتها ١٢٤٢ روبية الى تاجر بريطاني وهذه اول مرة يرد فيها ذكر للتعامل بهذه السلعة .

١٧٤٧ :

وبعد نفاذ جميع محتويات المخازن في كرمان ارسلت اليها ١٤١ بالة من الاقمشة الصوفية و ١٠٠٠ قطعة من الثياب المنسوجة في مارس سنة ١٧٤٧ ، وبذلك استنفذ كل رصيد الاقمشة في بندر عباس ، وطلب الوكيل ومجلس الادارة امدادهم فوراً بكمية جديدة من بومباي . ولما كانت الرياسة قد طلبت في هذا العام كمية كبيرة من اصواف كرمان علاوة على طلبات سابقة ، فقد ذكر موظفو الشركة في بندر عباس أنهم ينوون طلب هذه الكمية عن طريق مستر جريفز ولكنهم لم يكونوا واثقين من النجاح لانه « نظراً لاستبداد الحكومة ، كان الاهالي يبيعون ماعزهم في السوق لسداد الضرائب ولانالقرى المجاورة قد نهبت وابيدت الاغنام والماعز فيها » ومن هذا يتضح ان ما يسمى « صوف كرمان » وهو من المواد الهامة في التصدير لم يكن سوى « شعر ماعز » ويؤيد هذا الظن حقيقة واقعة وهي ان اللون الغالب على الجزء الاكبر من هذا الصوف لم يكن الابيض او الاسود لكن كان اللون الاحمر .

١٧٤٨ :

في أوائل عام ١٧٤٨ كانت وكالة بندر عباس تواجه عجزاً في الاموال حتى انها ارسلت ما قيمته ٢٠٠٠ موند هندي من النحاس لبيعها في باركه(١) ولم يصل إخطار من هناك بوصول النقود .

---

(١) ربما وقع تصحيف للاسم المقصود والارجح انه « البصرة » .

١٧٤٩ :

في سنة ١٧٤٩ طلبت ادارة الشركة في لندن ضرورة امدادها بخمسين الف رطل من صوف كرمان على ان يكون اللون الاحمر هو الجزء الاكبر منه وباقل ثمن ممكن دون تحديد له . وقد سلمت طلبات البضاعة الى الوكيل والمجلس في بندر عباس ، هذا وظل النحاس في مقدمة صادرات ايران ولكن ليس هناك ما يشير الى مصدر هذا النحاس .

١٧٥١ :

في سنة ١٧٥١ لم تكن طوالع التجارة مشجعة نظراً للفوضى التي عمت ايران وللاشاعات عن تجدد المنافسة من جانب استراخان . وقد وردت تقارير من بندر عباس تقول « ان الحكومة في مختلف انحاء البلاد قد بلغت من السوء حداً جعل كبار التجار غير آمنين على حياتهم وممتلكاتهم في ظلها مما ادى بكثير منهم الى استبدال اموالهم بالجواهر ونحوها والى الرحيل مع عائلاتهم الى مكة حيث ارادوا الاقامة الى ان تعود البلاد الى حكم يستطيع فرض النظام » .

كان الصوف في كرمان قليلا وغالياً ولم يكن ممكناً شراوه حتى من القرى بسعر اقل من ٦٠ شاهي لكل موند (حوالي ١٠٠ رطل) اي أكثر من ١١٠ شاهي للصوف المنتقى والمنظف بينما كان في سنة ١٧٣٦ يشترى في بندر عباس بمبلغ ٣٥ شاهي للموند شاملة كل المصاريف .

١٧٥٢ :

في سنة ١٧٥٢ كان صوف كرمان ما يزال نادراً نظراً لقلة الماعز ولكن وردت انباء تفيد ان الشركة الروسية أرسلت مركباً واحداً فقط من استراخان الى رشت في خلال السنوات الثلاث الماضية وان وكلاءهم باعوا بضاعتهم نقداً على ظهر السفينة لخوفهم من النزول الى البر .

١٧٥٣ :

واستمر الصوف على ندرته في سنة ١٧٥٣ نظراً لغارات السلب والنهب التي كان يقوم بها رجال الحكومة وعصابات اللصوص على الماشية ، ومع ذلك فقد امكن شراء ٩٠٠ موند منه في شهر يوليه ، وكان من المتوقع ايضاً شراء ١٠٠٠ موند أخرى . اما الثمن فقد ارتفع بتأثير الهولنديين الذين بذلوا كل جهودهم لاحتكار السلعة كلها فاوصلوا السعر الى ما يزيد على ثماني روبيات للموند الواحد من الصوف الخام غير النظيف . وكانت المواصلات من بندر عباس الى داخل البلاد غير آمنة وكان اغتصاب الموظفين الرسميين لاموال التجار عبئاً ثقيلا ... غير أن ولع الايرانيين بالاقمشة الصوفية وشدة حاجتهم اليها في ملابسهم الشتوية كانا سبباً في رواج بيعها . وفي اثني عشر شهراً ارسلت ٣٢٠ بالة من الاقمشة الى كرمان وتم بيع جميع الكمية المخزونة من المنسوجات الصوفية في بندر عباس . وبناء على طلب الوكالة ارسلت ٥٠٠ قطعة من المنسوجات نفسها الى بندر عباس لكن تبين ان الحاجة تدعو الى ٣ آلاف قطعة أخرى. لقد كانت الثياب الصوفية على أكبر جانب من الاهمية في تصريف البضائع الاخرى ، وكانت باقي الاقمشة المخزونة في بندر عباس قد تأثرت من الحرارة والعفونة والحشرات وبذلت جهود لتسويق القرمز في ايران وفي العراق التركي ولكنها لم تؤد الى شيء .

١٧٥٤ :

كان القرار الذي اتخذ في سنة ١٧٥٤ بانشاء وكالة تجارية بريطانية في ريق صادراً عن الرغبة في دفع التجارة في المصنوعات الصوفية البريطانية المربحة وللتغلب على منافسة الفرنسيين والمضاربين من أهل حلب الذين كانوا يرسلون بضاعتهم الى البصرة عن طريق البر .

١٧٥٥ :

في اواخر سنة ١٧٥٥ كانت التجارة في بندر عباس في قمة ازدهارها حتى أن ١٢٠٠ موند من صوف كرمان صدرت الى بومباي و ٣٢٤٠ موند بقيت في انتظار الشحن براً و ٧٥٠ موند كان وصولها منتظراً من المنطقة العليا ، وبلغت الاموال التي دفعت في كرمان لاستثمارها في هذا العام أكثر من ٧٤,٠٠٠ روبية » .

كانت هناك ايضاً « مخلفات كثيرة من النحاس القديم » في بندر عباس كما كان الطلب شديداً على مزيد من شحنات البضائع الصوفية قبل ان يتوقف الموسم التجاري لهذه السلع بحلول فصل الصيف الحار .

١٧٥٦ :

وفي ربيع سنة ١٧٥٦ تم شحن ما قيمته ١,٦٢٠,٩٨٧ شاهي من الصوف والنحاس الى بومباي من بندر عباس ، وقد ذكر الوكيل والمجلس ان الروبيات الفضية كانت مطلوبة لعمليات الشراء في كرمان حيث ان التجار هناك لا يقبلون بديلا عن هذه العملة ، وكان من العسير اعطاؤهم صكوكاً للدفع .

وفي الفترة من ٢٩ سبتمبر الى ٧ ديسمبر كان الوكيل قد سدد ١٠,٠٠٠ روبية الى كرمان لحساب الاستثمار في هذه السنة (١٧٥٦) ومبلغ ٢٢,٠٠٠ لحساب الموسم القادم ، وكان قد تسلم بالفعل ٢٥٨٠ موندا من الصوف وكان يأمل ان تصل الكمية الى ١٠,٠٠٠ موند قبل نهاية العام .

وقد اشار الى انه يعتقد ان رفض استلام الصوف الاسود قد يؤدي الى عواقب وخيمة ، اذ ان الهولنديين لا يستثنون أي لون ويسلكون جميع السبل لزيادة استثماراتهم .

١٧٥٦ – ١٧٥٨ :

وفي خلال الفترة من سنة ١٧٥٦ الى سنة ١٧٥٨ ابدى مجلس الشركة في لندن اهتماماً كبيراً بالسوق الايرانية فعمل على تصميم وتصنيع أقمشة تضاهي المنسوجات الهولندية والفرنسية التي كانت تلقى اقبالا شديداً في الخليج ، وكانوا دائماً يطلبون عينات من بضائع منافسيهم ولم يكونوا قانعين بصوف كرمان الذي يرسل دائماً لهم . وفي سنة ١٧٥٨ نظراً لخسائرهم الفادحة في مبيعات هذه السلعة اصروا على عدم تلقي أية كمية من الصوف الاسود ، وطلبوا بذل كل جهد ممكن لشراء الصوف الاحمر فقط دون الابيض والاسود ، مع محاولة الحصول على (٢٠) الف رطل من كرمان بسعر ٧٠ شاهي للموند بخلاف مصاريفه اما اذا لم يكن ذلك السعر ممكناً ، فيشترى ١٠,٠٠٠ رطل فقط بحيث لا يزيد السعر عن ٨٠ شاهي للموند . وقد اعترض مجلس الادارة كذلك على فكرة بناء مخازن في كرمان وذكر انه في حالة الحاجة يمكن استئجار المباني اللازمة . وقد ذكر دكتور ايفز الذي زار بندر عباس سنة ١٧٥٨ ان المواد الآتية هي صادرات ثانوية من ايران كانت الشركة تترك التعامل بها للتجار او الافراد وهي : العصفر بجميع انواعه خاصة خير أنواعه التي تسمى هنج (دم الغزال او العندم) (والسوجونبتيم وهو نبات هندي ذو زهر أصفر يستخرج منه صبغ أحمر) ثم الكمون واللوز والزبيب النباتي والزبيب الاسود والفستق والبرقوق والتمر ، ويضيف دكتور ايفز : « لا استطيع ان اختم هذه الاشياء السريعة الى الاحوال في جمبرون دون الاشادة بحكمة وفطنة الوكالات التجارية البريطانية والهولندية هناك فقد استطاعت – وسط الاضطرابات واشتعال الحرب الاهلية في ايران – ان تزاول عملها بغير توقف او بالقليل من التوقف جاعلة نصب عينيها عدم التدخل الى جانب أي من الفريقين المتقاتلين ، لقد كان من مبادئها الا تميل علناً الى أي من الاطراف

المتنافرة وان تحتفظ في نفس الوقت بمودة الجميع ، وفي سبيل ذلك فان الخطابات الودية وفي بعض الاحيان الهدايا كانت امراً لازماً لا غنى عنه» .

١٧٦٠ :

بلغت الاستثمارات في صوف كرمان سنة ١٧٦٠ (٣٠٠٠) موند منها ٢٨٢٠ موندا من الصوف الاحمر و ١٣٥ من الابيض و ٤٥ من الرمادي . وقد رأى الوكيل والمجلس في بندر عباس بيع النوع الرمادي محلياً بأي ثمن يحصل .

وقد تأثرت الشركة نتيجة للاضطرابات في خراسان ولوحظ نقص كبير في التجارة عما كان متوقعاً ، وظل الصوف والنحاس اهم البضائع جميعاً في تجارة التصدير .

١٧٦١ :

كانت سنة ١٧٦١ قاتمة ، فقد وقعت مظالم فادحة في كرمان من حكومة كريم خان التي طلبت من الاقليم تبرعات قدرها ٣٠ الف تومان ، كانت تعادل سبعة امثال الدخل السنوي العادي للضرائب . هذا وقد شملت اغتصابات الحكم مترجم الشركة في كرمان الذي نصحته الشركة بأن يعود الى بندر عباس فور انتهاء العمل في تصدير الكمية المقررة من صوف ذلك العام اذا ظل وجوده هناك خطراً عليه .

ويظهر ان ممثل الشركة قد حصل على كمية الصوف المقررة وهي حوالي ٣٠٠٠ موند وبعدها حصل على اذن من الحاكم بمغادرة كرمان .

وكان بيع البضائع الصوفية في بندر عباس قليلا في ذلك العام . وجاء في تقرير الوكيل والمجلس ان « المملكة تسير مندفعة بسرعة نحو الدمار وان كبار الرجال لا يهتمون بالامر وان همهم ارضاء جنودهم واتباعهم ونحن نخشى ان يؤدي ذلك الى تدهور التجارة » .

ونظراً لانخفاض أسعار النحاس القديم في ذلك الوقت فقد ابدت الرئاسة في بمباي رغبتها في ان يكون الدفع لها بالذهب او الفضة وليس بالنحاس .

١٧٦٢ :

واستمر الكساد عام ١٧٦٢ لنفس الاسباب ، وقد بلغت جملة المبيعات في بندر عباس من اغسطس سنة ١٧٦١ الى اغسطس ١٧٦٢ مبلغ ٣٦,٠٢٠ روبية فقط ، وكان ذلك راجعاً الى سوء الاحوال السائدة في كرمان حيث كان يسكن تجار الملتان سابقاً ممن يتعاملون من هناك مع مشهد وقندهار . لكنهم الان احجموا عن نشاطهم تحت تأثير السلب الواقع عليهم اذ كانت السلطات المحلية تستولي على البضائع الواردة اليهم من بندر عباس بصورة تعسفية مما أدى الى توقف نشاطهم .

أما الوضع بالنسبة لتجارة الشركة وترتيباتها في العراق التركي ، فهذه موضحة بالتفصيل في الفصل الخاص بتاريخ هذا الاقليم .

مؤسسات شركة الهند الشرقية فى الخليج وترتيباتها العامة هناك ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

في النصف الاول من القرن الثامن عشر كانت الكلمات وكيل او معتمد " Agent" وممثل تجاري "Factor" وكالة " Agency " وكالة تجارية " Factory " تستعمل بغير تحديد يفرق بينهما عند الاشارة الى موظفي الشركة ومراكز اعمالها في الخليج وفي ايران ... لكنه مع الزمن أصبح المسئول عن اعمال الشركة في المنطقة كلها يطلق عليه لقب الوكيل " The Agent " ،وبما ان بندر عباس اصبحت المقر الرئيسي لادارة عمله فقد اطلق على ذلك البلد اسم الوكالـة "The Agency" أمـا مركز أصفهان فكان كثيراً ما يطلق عليه قبل اغلاقه نهائياً اسم المقيمية " Residency "، وكذلك كان حال البصرة . وحيث ان كلا من هذين المركزين كان تابعاً لبندر عباس ، فانه ينبغي لنا ان نفهم من « وكيل او معتمد » بعد سنة ١٧٥٠ « وكيل الحاكم العام » وليس ذلك ما تعنيه اليوم عبارة « المعتمد السياسي » . وكانت مصالح الشركة في كرمان احياناً تحت اشراف موظف اوربي وفي احيان أخرى تحت اشراف مترجم وطني . ولم يكن هذا المركز مصنفاً اذ ذاك في أية مرتبة معينة ، أما تعبير (الشركة المعظمة) فكان مقصوداً به شركة الهند الشرقية وفق استعماله السائد في منطقة الخليج منذ عام ١٧٣٧ وربما قبل ذلك . اما حقيقة كون الشركة أكثر من مجرد جمعية للتجار فهذا وضع لها لم يصبح معروفاً قبل سنة ١٧٦٢ عندما دعا شيخ بو شهر الى وجوب انشاء (وكالة تجارية بريطانية) في ميناء بلاده . اما الدليل على ان التمييز بين موظف الشركة الكبير (المتعاقد مع الشركة) وسائر موظفيها الصغار لا بد كان قد استُحدِث قبل سنة ١٧٥٠ ،فذلك ظاهر من طلب بضاعة ورد من رئاسة الشركة في بومباي جاء في نصّه « واذا كانت

الظروف والاحوال العامة في أصفهان تتطلب بالضرورة القصوى موظفاً متعاقداً للبقاء هناك فترة أطول ، فالواجب تعيين المستر دالرميل ليحل محل المستر جريفز الى ان يحين الوقت الممكن لاستدعائه اذ يجب ان لا يكون لنا مندوب ومعتمد يقيم هناك الا بقدر ما تستدعيه ضرورات الاوضاع السيئة هناك (١) .

الموظفـــون :

وفيما يتعلق بالموظفين تجدر الاشارة الى ضخامة عدد الاسكتلانديين بين موظفي الشركة في الخليج وهي ظاهرة تميز هذه الفترة عن سابقتها التي كانت مباشرة قبل الاتحاد البرلماني بين انجلترا واسكتلندا . وعلى هذا فاننا نجد بين الموظفين المدنيين بالشركة اسماء مثل دالرمبل (Darlymple) ودوجلاس (Douglas) وجيكي (Geekie) وروس (Ross) وشو (Shaw) وستيوارت (Stuart) وبين رجال البحرية امثال كلو (Cleugh) وكريكتون (Crichton) ودوجلاس وجرانت (Grant) وكير (Kerr) ولندري (Lindsey) وملن (Milne) ونسبت (Nesbit) وبين رجال القسم الطبي امثال فوربـز (Forbes) وروز (Rose) وبين الضباط العسكريين اسم ماكنزي (Mackenzie) الخ .

الموظفون في ايران :

ومن الاسماء اللامعة بين الوكلاء في بندر عباس في هذه الفترة نجد فرانسيس وود سنة ١٧٥٢ (Francis Wood) الذي انتدب لاحقا لافتتاح وكالة تجارية في ريق والكسندر دوجلاس الذي تحمل مسئولية العمل في الفترة الحرجة من سنة ١٧٥٣ الى ١٧٦٣ واعد

---

(١) والواضح أن الاشارة هنا هى الى حالة السادة بيرسون وبلاندى المشار اليها فى ص ٢٠٢ من هذا المجلد (Messrs Pierson & Blandey)

ترتيبات الانسحاب من بندر عباس في سنة ١٧٦٣ .

وقد تحمل موظفو الشركة مشاق المناخ القاسي ، وفيما يلي بيان حالات الاصابات المرضية في ايران حسب ما ورد في بعض الخطابات ، ومن المحتمل وجود حالات كثيرة غيرها .

في سنتي ١٧٣٥ و ١٧٣٦ اضطر الوكيل في بندر عباس الى مغادرتها بسبب سوء صحته في كلتا السنتين ، وتوفي مستر داكـــرز سنة ١٧٣٩ ، وفي سنة ١٧٤٠ توفي مستر روز ، وهو طبيب جراح ، وفي سنة ١٧٤٣ (١٩ نوفمبر) توفي انااين ماكنزي ولم يترك وصية وبيعت مقتنياته وفي سنة ١٧٤٥—١٧٤٦ توفي مستر (جونز) و (ساينس) وفي سنة ١٧٤٧ توفي مستر روس واحد رجال المدفعية الاوربيين ، وفي سنة ١٧٥٠ (١١ ديسمبر) توفي مستر دالرمبل ، وفي سنة ١٧٥٢ توفي مستر ونت ومستر بيرسيفال وكلاهما لم يترك وصية ، كما توفي في ١١ نوفمبر انساين بوراج وكثير من الجنود الهنود الملحقين بالجيش البريطاني — كما تعرضت حياة مستر وود للهلاك المحقق مرتين ولكنه عوفي ؛ وكانت الفترة بين مارس وسبتمبر موسماً كثير الامراض .

وفي ٩ يونيو سنة ١٧٥٣ توفي مستر سدجويك وفي سنة ١٧٥٥ توفي مستر بارسون ومستر سكر وفي سنة ١٧٥٦ توفي مستر بومبت وفي سنة ١٧٥٨ توفي مستر هولمز واصبح الجراح رجلا عاجزاً عن العمل .

وفي سنة ١٧٥٩ (١٢ مارس) توفي كابتن كريكتون وكان عام ١٧٦٠ ايضاً موسماً لامراض كثيرة ، وفيه توفي مستر ناش ومعظم الجنود الاوربيين واصبح مستر انساين ناك عاجزاً عن العمل وقد طلب مساعدين جدداً ، وفي العام التالي وصل كاتبان جديدان يعتقد ان احدهما مستر و. دوجلاس الذي توفي سنة ١٧٦١ .

وفي سنة ١٧٦٣ كتب الوكيل دوجلاس ، بعد الانتهاء من نقل الوكالة من بندر عباس يقول « نظراً لانحلال صحتي نتيجة اقامتي زمناً

طويلا في هذا المكان غير الصحي و نظراً لانني لا اتوقع الشفاء الا في جو بلادي فقد دفعتني هذه الاعتبارات الى العودة لمقر عملي في الرئاسةالخ وبناء على ذلك ابحر الى بومباي ومحتمل انه واصل الرحلة منها الى اوربا .

وليس بمقدورنا التأكد من معدل عدد الموظفين في بندر عباس(١) ولكنه على اية حال لم يكن كبيراً والقائمة التالية تبين بجلاء ظروف الحياة المميتة(٢) .

---

(١) في سنة ١٧٥٠ كان عدد موظفى الشركة المعتمدين في ايران ورواتبهم السنوية كالآتى :
مستر ويتول (Whitwell) وكيل Agent ـر١٥٠ جنيها
مستر ج٠ باك (Back) محاسب وأمين مستودع ـر٤٠ جنيها
مستر سافيج (Savage) في كرمان ـر٣٠ جنيها ـ مستر ج٠ بيرسون سكرتير ـر١٥ جنيها وفي سنة ١٧٥١ كان الوضع كالآتى :

المستوطنة «المسكن»	اسم الموظف ووظيفته	وقت وصوله الهند	راتبه الابتدائي	راتبه السنوي الحالي	عمره	القابه
بندرعباس	هنري سافيج وكيل	١٧٣٢/٩/١١	٥ جنيهات	١٥٠ جنيه	٣٥	الرجل الرابع في المجلس ٢ خازن
بندرعباس	كوان هنري درابر سكرتير	١٧٤٣/١٠/١	٥	١٥	٢٣	ممثل تجاري
بندرعباس	جيمز دالريمبل مساعد جرايفز في اصفهان	١٧٤٤/٩/١٠	٥	١٥	٣٥	ممثل تجاري
اصفهان	دنفرس جريفز وكيل مقيم	١٧٣٨/٦/٩	٥	٤٠	٢٠	كبير تجار

(٢) هذه الظروف المميتة تعود جزئيا الى عادات المعيشة التى شملت حياة موظفي الشركة أنظر تاريخ هملتون الجديد مجلد ١ ص ٥٩ « غالباً ما يكون موت الاوربيين نتيجة أعمالهم التى تسبب الموت لهم : ذلك باسرافهم في الشراب والفسق والدعـــارة بأنواعها المختلفة ولهم مدفن قرب المدينة به مقابر ولكن ليس لهم اية كنيسة في هذه المدينة » ٠٠ الخ

ان تقدير مدى الاخطار السياسية والعسكرية المواكبة لموقع العمل ، ومصاعب وخيبة امل التجارة بين حين وحين(١) : وحياة العزلة ، ومتاعب وخشونة السفر وعدم ملاءمة الجو للصحة كلها شواهد صدق على عناد الانجليز واصطبارهم ، ولم يكن هؤلاء الموظفون يتقاعسون عن التمتع بكل ما يتيسر لهم من متع الحياة في بندر عباس ، وكانت الشركة تقدم لهم على حسابها الطعام والشراب بما في ذلك نبيذ ماديرا ونبيذ ايران، وكانت الزجاجة من النوع الاخير تساوي ٢٠ بنساً . ويقول ايفز « انه الذ نبيذ شربته باستثناء النبيذ الفرنسي » .

وكان للوكالة منزل ريفي وحديقة جميلة في اسين على بعد حوالي عشرة أميال وكان هذا حافزاً لنجل واخ محمد تقي خان حاكم فارس ان يستضيفا نفسيهما هناك في اوائل عام ١٧٣٦ .

وكان البريطانيون في بندر عباس يحتفلون بالمناسبات العامة المهمة ، وفي نهاية سنة ١٧٦١ ارسلت الرئاسة في بومباي توجيهاً الى الوكيل والمجلس باشهار تولي جلالة الملك جورج الثالث، وارسل اليهم تفصيل ما يجب عليهم عمله في هذه المناسبة وامرهم ان يقسموا يمين الولاء له وان يقسم كل الضباط البريين والبحريين يمين الولاء ويمين الاخلاص .

الموظفون في العراق التركي :

جميـــــع البيانات المتعلقة بمؤسسات الشركة في العراق التركي مفصلة في الفصل الخاص بتاريخ تلك البلاد .

المنشآت العسكرية :

لم تكن المنشآت المدنية للشركة لتخلو من حراسة عسكرية سواء

---

(١) ما بين ١٧ سبتمبر سنة ١٧٥٢ و ٢٢ يونيو سنة ١٧٥٣ لم تسنح فرصة لارسال أى خطاب من بندر عباس الى بومباى والمحتمل أن تكون هذه الفترة أطول من المعتاد .

في بندر عباس او البصرة او ريق . وفي نهاية سنة ١٧٤٣ طلب العسكريون في بندر عباس استبدالهم لانهم امضوا في العمل هناك أكثر من عامين ، ويبدو ان الرئاسة ارسلت محلهم جاويشاً وطبالا و ١٢ جندياً من التوباس للحراسة العامة . ولكنها لم ترغب في تعيين احد بدل ماكنزي الذي كان توفي على اساس ان الحاجة في المنطقة لا تدعو الى وجود موظف بمثل رتبته.

وفي سنة ١٧٤٤ تذمر الوكيل والمجلس من تخفيض عدد حرسهما بسبب خطورة الظروف ، وطلبوا ارسال ملازم بحري واثنين او ثلاثة من الاوربيين برتبة « عريف » وكان رؤساء الجنود من البرتغاليين يتقاضون ٤ روبيات شهرياً للواحد(١) اما صغار الجنود فكانوا من الهنود .

وفي سنة ١٧٤٧نظراً لتحرج الموقف بعد وفاة نادر شاه ارسلت الرئاسة الى الوكيل والمجلس في بندر عباس ، جنديين من رجال المدفعية واعتدة مختلفة واذنت لهما في حالة الضرورة القصوى ان يحتجزا عشرة رجال من رجال السفينة دريك لحماية وكالتهما اذا تهددها الهجوم من اي جانب .

وفي سنة ١٧٤٨ خرج اثنان من التوباز الى ظاهر المدينة للمبارزة فقتل احدهما وهو فرانسيس بيريرا غريمه لورنس دي روماد بعصاه فارسل سجيناً الى الهند.وبعد سنة ١٧٥٠ كانت الفصيلة العسكرية في بندر عباس بقيادة ضابط. وفي بعض الاحيان كان يحتفظ بالسفينة لحماية الوكالة ،فقد بقيت السفينة دريك مثلا لمدة ١٢ شهراً تقريباً ابتداء من يوليو سنة ١٧٥٠ لهذا الغرض عقب الاضطرابات التي حدثت في أصفهان،وفي اجزاء اخرى من البلاد . وفي اوائل عام ١٧٥٢ كان رئيس العسكر الهنود كثير الخروج على النظام فاوصى الوكيل والمجلس باستبداله كما

---

(١) في سنة ١٧٥١ تظلم التوباز وطلبوا رفع رواتبهم الى خمس روبيات شهرية كزملائهم في بومباى .

اوصى بنقل الحرس الهنود المتزوجين واستبدالهم بعزاب لانه بالنظر لان رواتبهم كانت تحول لعائلاتهم في الهند كانوا لا يستطيعون العيش على جرايات الطعام القليلة .

وفي هذه السنة عاد الملازم وا راماان وجاويش مع فصيلة من الجند الى بومباي ووصل رقيب (جاويش) واثنان برتبة عريف (اومباشي) وعامل اصلاح للسلاح وكلهم من الاوربيين، كما نقل الى البر احد ضباط الصف البحريين من احدى السفن بالشركة . وفي ٢٥ يوليو سنة ١٧٥٣ بعد وفاة الملازم البحري كانت حامية بندر عباس تتألف من جاويش واومباشي اوربيين و ٢٤ جندياً من التوباز و٢٢ من هنود بومباي ، كما كان هناك ايضاً مدفعي اوربي تنقصه الكفاءة لادمانه الشراب . وفي سنة ١٧٦١ ارسلت الفصيلة العسكرية المعتادة الى بندر عباس على السفينة « دريك » وكانت التعليمات لدى الوكيل ان لا ينزلهم الى البر الا في الحالات الطارئة فقد دلت التجربة على ان اقامتهم في البر ضارة بصحتهم، وقد استمزج رأي الوكيل تلك السنة في امكانية استبدال الحرس الهندي بنظير لهم من الحرس الاوربي .

سلوك الموظفين :

يبدو ان الرشوة كانت نادرة بين صفوف موظفي الشركة في الخليج ولكن في سنة١٧٤٧ اكتشفت الرئاسة في بومباي مخالفات جسيمة في حسابات اصفهان من قبل برسونزوبلاندي مندوبي الشركة هناك . واول ما لفت النظر الى اعمالهما كان فاتورة سحباها على البصرة تجاوزت علاوة صرفها ٥٠٪ ثم دلت التحريات على انهما استوليا محلياً على مبالغ قيمتها ١٤٣٠٠ روبية اعطوا في مقابلها سندات بفائدة تتراوح بين ١٠٪ و ١٥٪ في الشهر ، كما اتضح انهما ارتكبا كثيراً من الجرائم الاخرى الخطيرة وانهما كانا يزوران الحسابات . وقد تعقدت هذه القضية من جراء الاوامر المتناقضة عنها من لندن وبومباي واستمرت الى سنة

١٧٥٠ عندما ارسل مستر جريفز ومستر دالرمبل الى اصفهان لبحث القضية في مكان وقوعها ، ثم اضطرا الى العودة عاجلا كما ذكرنا نظراً لعدوان على الوكالة هناك . وفي اواخر السنة اعترف بيرسونز بجريمته امام مستر جريفز في بندر عباس وامام الوكيل والمجلس وصودرت ممتلكاته ثم ارسلت الى الهند (ولم تكن هذه الممتلكات تزيد عن ملابسه وعدة منوعة لركوب الخيل .. الخ . ولم يسترد سوى ربع المبالغ المختلسة من اموال الشركة المعظمة) .

ووقع سوء تصرف آخر من موظفي الشركة في العراق التركي وفي البصرة بالذات بعد عدة سنوات من الحادث السابق .

المواصلات والمراسلات :

كانت المواصلات مع فروع الشركة في الخليج تتم عادة بالسفن من بمباي ، ولكن كان يحدث احياناً ان ترسل السفن رأساً من انجلترا محملة بالبضائع الى بندر عباس ومنها تتجه الى بومباي ، وقد حصل ذلك مع السفن « هكتور » سنة ١٧٥٦ و « برنس ادوارد » سنة ١٧٥٧ و «ادميرال واتسون » التي تبلغ حمولتها ٤٠٠ طناً وعليها ٨٠ رجلا و ٢٤ مدفعاً في سنة ١٥٨٧ . واصبحت المراسلات مشكلة شاقة اثناء الحرب مع الفرنسيين ويبدو انه في سنة ١٧٤٨ كانت الخطابات ترسل من الهند عن طريق القاهرة البري ، كما ترسل نسخ منها عن طريق الخليج . وفي سنة ١٧٥٥ عندما ساد السلام كانت اصول الخطابات ونسخها الاخرى ترسل من بندر عباس الى لندن عن طريق البصرة وحلب وبوسائل نقل مختلفة .

وقد حدث ان احد الطرود لم يرد ، ولكنه عثر عليه لاحقاً بطريق الصدفة في الصحراء وجاء الى حلب احد الرعايا الاتراك واستنتج ان عامل البريد كان قد مات او قتل اثناء سفره .

وعند نشوب الحرب مع فرنسا عام ١٧٥٦ صدرت التعليمات الى المؤسسات في الخليج ان تظل على احسن اهبة ، واتخذت احتياطات لحماية

١٧٥٠ عندما ارسل مستر جريفز ومستر دالرمبل الى اصفهان لبحث القضية في مكان وقوعها ، ثم اضطرا الى العودة عاجلا كما ذكرنا نظراً لعدوان على الوكالة هناك . وفي اواخر السنة اعترف بيرسونز بجريمته امام مستر جريفز في بندر عباس وامام الوكيل والمجلس وصودرت ممتلكاته ثم ارسلت الى الهند (ولم تكن هذه الممتلكات تزيد عن ملابسه وعدة منوعة لركوب الخيل .. الخ . ولم يسترد سوى ربع المبالغ المختلسة من اموال الشركة المعظمة) .

ووقع سوء تصرف آخر من موظفي الشركة في العراق التركي وفي البصرة بالذات بعد عدة سنوات من الحادث السابق .

المواصلات والمراسلات :

كانت المواصلات مع فروع الشركة في الخليج تتم عادة بالسفن من بمباي ، ولكن كان يحدث احياناً ان ترسل السفن رأساً من انجلترا محملة بالبضائع الى بندر عباس ومنها تتجه الى بومباي ، وقد حصل ذلك مع السفن « هكتور » سنة ١٧٥٦ و « برنس ادوارد » سنة ١٧٥٧ و «ادمبرال واتسون » التي تبلغ حمولتها ٤٠٠ طناً وعليها ٨٠ رجلا و ٢٤ مدفعاً في سنة ١٥٨٧ . واصبحت المراسلات مشكلة شاقة اثناء الحرب مع الفرنسيين ويبدو انه في سنة ١٧٤٨ كانت الخطابات ترسل من الهند عن طريق القاهرة البري ، كما ترسل نسخ منها عن طريق الخليج . وفي سنة ١٧٥٥ عندما ساد السلام كانت اصول الخطابات ونسخها الاخرى ترسل من بندر عباس الى لندن عن طريق البصرة وحلب وبوسائل نقل مختلفة .

وقد حدث ان احد الطرود لم يرد ، ولكنه عثر عليه لاحقاً بطريق الصدفة في الصحراء وجاء الى حلب احد الرعايا الاتراك واستنتج ان عامل البريد كان قد مات او قتل اثناء سفره .

وعند نشوب الحرب مع فرنسا عام ١٧٥٦ صدرت التعليمات الى المؤسسات في الخليج ان تظل على احسن اهبة ، واتخذت احتياطات لحماية

الهولنديون فى الخليج ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

أعمال الهولنديين في بندر عباس وبو شهر قبل احتلالهم خارج :

كان للهولنديين في اول هذه الفترة وكالتان في بندر عباس والبصرة وكان موقفهم في ايران من السلطات الوطنية أكثر انسجاماً مع الاهالي من موقف البريطانيين ، اما مع الافغانيين فقد كانت علاقاتهم في سنة ١٧٢٨ — كما رأينا قبل ، علاقة خنوع وتبعية ، وما كان تخليهم عن هرمز التي كانت تحت احتلالهم الا نتيجة مداخلات البريطانيين ، وقد سردنا ضمن تاريخ بندر عباس كيف ساعد الهولنديون الايرانيين في حملتهم على عمان بأن اعاروهم احدى السفن . وفي سنة ١٧٤٠ عرضوا معونتهم على الايرانيين لقمع تمرد البحارة العرب في الاسطول الايراني كما انهم في سنة ١٧٤٤ شاركوا في حملة ايرانية من شيراز لاعتقال حاكم بندر عباس ولكن تدخل البريطانيين افسدعليهم خططهم .

وفي سنة ١٧٤٧ قام الهولنديون بناء على دعوة من السردار باعادة تأسيس مستوطنة لهم في بو شهر كانو قد اخلوها من قبل،وقد ارسلوا للاقامة هنـــاك مينهير بلفلت من مقيميه البصرة وقد اخذ معه كمية من السكر وسكر النبات والكافور وبعض البهارات ، وفي سنة ١٧٤٨ بدأ الهولنديون يتحدثون عن اغلاق وكالتهم في بندر عباس لضآلة ارباحهم هناك . وفي سنة ١٧٥٨ تأكد لدى الوكيل البريطاني انهم يفكرون في احتلال جزيرة خارج وانهم سينقلون وكالتهم في بندر عباس اليها ، وفي ابريل عام ١٧٥٢ زار ناصر خان (من لار) بندر عباس فاعلن وضع الهولنديين وممتلكاتهم تحت حمايته . وفي هذا العام ايضاً بذل البريطانيون جهداً جباراً للقضاء على تجارة الاصواف التي كان الهولنديون يجلبونها من حلب الى البصرة ، فقد تلقى المقيم البريطاني في البصرة تعليمات

الهولنديون فى الخليج ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

أعمال الهولنديين في بندر عباس وبو شهر قبل احتلالهم خارج :

كان للهولنديين في اول هذه الفترة وكالتان في بندر عباس والبصرة وكان موقفهم في ايران من السلطات الوطنية أكثر انسجاماً مع الاهالي من موقف البريطانيين ، اما مع الافغانيين فقد كانت علاقاتهم في سنة ١٧٢٨ — كما رأينا قبل ، علاقة خنوع وتبعية ، وما كان تخليهم عن هرمز التي كانت تحت احتلالهم الا نتيجة مداخلات البريطانيين ، وقد سردنا ضمن تاريخ بندر عباس كيف ساعد الهولنديون الايرانيين في حملتهم على عمان بأن اعاروهم احدى السفن . وفي سنة ١٧٤٠ عرضوا معونتهم على الايرانيين لقمع تمرد البحارة العرب في الاسطول الايراني كما انهم في سنة ١٧٤٤ شاركوا في حملة ايرانية من شيراز لاعتقال حاكم بندر عباس ولكن تدخل البريطانيين افسدعليهم خططهم .

وفي سنة ١٧٤٧ قام الهولنديون بناء على دعوة من السردار باعادة تأسيس مستوطنة لهم في بو شهر كانو قد اخلوها من قبل،وقد ارسلوا للاقامة هنـــاك مينهير بلفلت من مقيميه البصرة وقد اخذ معه كمية من السكر وسكر النبات والكافور وبعض البهارات ، وفي سنة ١٧٤٨ بدأ الهولنديون يتحدثون عن اغلاق وكالتهم في بندر عباس لضآلة ارباحهم هناك . وفي سنة ١٧٥٨ تأكد لدى الوكيل البريطاني انهم يفكرون في احتلال جزيرة خارج وانهم سينقلون وكالتهم في بندر عباس اليها ، وفي ابريل عام ١٧٥٢ زار ناصر خان (من لار) بندر عباس فاعلن وضع الهولنديين وممتلكاتهم تحت حمايته . وفي هذا العام ايضاً بذل البريطانيون جهداً جباراً للقضاء على تجارة الاصواف التي كان الهولنديون يجلبونها من حلب الى البصرة ، فقد تلقى المقيم البريطاني في البصرة تعليمات

بعد طرد البارون المذكور من البصرة(٢) حيث كان يشغل وظيفة المقيم زار جزيرة خارج فوجدها موقعاً تجارياً هاماً ، لذلك اغرى المير ناصر رئيس ريق ان يعطيه كتاباً يمنح فيه الجزيرة لشركة الهند الشرقية الهولندية ثم تذرع بهذه الوثيقة وتوجه الى باتافيا حيث اقنع السلطات الهولندية بأن احتلال جزيرة خارج فرصة يجب اغتنامها ويحتمل ان ذلك تم سنة ١٧٥٢ .

وفي ٢١ سبتمبر سنة ١٧٥٣ وصلت السفينة الهولندية « فورشن »

من مستر وود المقيم البريطاني في ريج الى الوكيل والمجلس فى بندر عباس بتاريخ ٣ مايو سنة ١٧٥٦ (رقم ٧٦ من مختارات مستر سالدانا من المستندات الرسمية ـ بومباى)
(٢) رحلة ايف من ايران الى انجلترا سنة ١٧٧٣ ٢٠٧/٢٥٥ (٣) وصف نيبور لبلاد العرب سنة ١٧٧٤ ص ٢٧٨/٢٧٩ ورحلة في بلاد العرب سنة ١٧٧٦ الجزء الثانى ص ١٤٩/١٦٦ (٤) خمس خطابات من تاجر حر في البنغال سنة ١٧٧٧ ص ١١٤٦/١٥٢ (٥) جزيرة خارج أو تشاراك في الجريدة الاسيوية عدد سبتمبر سنة ١٧٣٨ ص ٢٣/٢٤ . ويظهر أن كاتب المقال الآخير وهو بدون توقيع قد اختلط عليه اسم جزيرة خارج وميناء شاراك في شيبكوه ويمكن القول ان نيبهاوزن كان رجلا قديرا متقلبا وكثير التنقل ونشيطا ولا يمكن الجزم بشيء عن النواحي الاخرى من اخلاقه ولكن يبدو محتملا انه كان كاذبا وماجنا .

وتقارير التاجر الحر سيئة جدا ومشينة وتدل على حقد شديد ، أما رأى ايفز فيبدو فيه المجاملة والتقدير ـ أما نيبور فقد تحفظ فى ابداء رأيه ، ولكن من الواضح انه كان يرتاب فيه ـ أما المراجع الاخرى فلم تذكر شيئا عن جوانب شخصيته .

(٢) الظروف التى غادر فيها البصرة موضحة في تاريخ العراق التركى أنظر ص ١٢٠٧ في النص الانجليزى .

الى بندر عباس انتظاراً للبارون نيبهاوزن الذي كان منتظراً وصوله من باتافيا ، وكانت هناك سفينة اخرى هولندية دخلت الخليج في الشهر السابق ولم ترجع بعد .

وفي ٦ اكتوبر وصل البارون الى بندر عباس على ظهر السفينة « جترّوت » وهي سفينة كبيرة جداً ظلت راسية لتتمون حتى ١١ اكتوبر ثم ابحرت متظاهرة بالتوجه الى بو شهر . وكان على ظهر السفينتين جنزوت وفورشن حمولــة كاملة من الرجال والذخيرة والاخشاب ، وبعد ايام قليلة مرت سفينتان هولنديتان صغيرتان بجوار بندر عباس دون التوقف فيها ويقال انهما كانتا محملتين بادوات حربية .

وقد استنتج الوكيل البريطاني ان الهولنديين عزموا اما على غزو البصرة أو الاستيلاء على البحرين ولكنهم قصدوا خارّج (١) واستقروا فيها واخذوا في تحصين موقع في شمال شرقي الجزيرة — وبعد قليل انضم اليهم ممثل هولندا في بو شهر الذي دمر منزله وحديقته هناك قبل رحيله ولكن يظهر ان تصرفه هذا كان نتيجة خلاف بينه وبين الشيخ ناصر شيخ بو شهر .

ولم يمض زمن طويل على وصول البارون الى جزيرة خـــارّج حتى اختلف مع المير ناصر بشأن موضوع احتلال الهولنديين للجزيرة هل هو مقابل دفع ايجار ام بدون ايجار ، واستمرت المشاكل والعداوة عدة سنين .

اقامة الهولنديين في جزيرة خارّج تحت امرة البارون نيبهاوزن سنة ١٧٥٦ — ١٧٥٨ :

في سنة ١٧٥٦ زار جزيرة خارّج مستر وود المقيم البريطاني في

---

(١) جاء في مصدر غير موثوق به ان الهولنديين لم ينزلوا في جزيرة خارج الا في يناير سنة ١٧٥٤ وفي هذه الحالة قد يكون محتملا انهم قضوا بعض الوقت في البحث عن أماكن أخرى .

الساحل المقابل للجزيرة وظل بها من يوم ٦ الى ١٥ ابريل وارسل تقريراً هاماً الى الوكالة البريطانية في بندر عباس بما شاهده ، كما ارسل مخططاً عن الحصن الهولندي الذي تهيأت له « الفرصة الكافية لاخذ بياناته بكل دقة » .

كانت الحامية العسكرية مكونة من ٦٠ جندياً هولندياً يطبقون نظاماً عسكرياً صارماً ومائة من العبيد الافريقيين مسلحين بالسيوف والدروع ، وكانت القوة البحرية المخصصة لهذا الموقع عبارة عن سفينة واحدة صغيرة بها ١٠ مدافع على عربات و٦ مدافع تتحرك دائرياً على محور وزورق آخر يحمل ٦ مدافع عيار ٣ ارطال و ٤ مدافع متحركة .

وكان الدفاع عن المدينة يتمثل في خندق عميق بغير جدار احد طرفيه مفتوح تجاه البحر ويمكن استعماله مرسى للزوارق . وكانت بضائع المخازن تشمل السكر والسكر النباتي والفلفل والارز والجلود والبهارات بمختلف انواعها والصفيح والرصاص والحديد والمنسوجات الصوفية ذات العرض المزدوج والجوخ بجميع انواعه والصنفان الاخيران كانا من نوع لا يناسب سوق ايران ، ولكن كانت هناك انواع اخرى من البضائع المطلوبة للاسواق والتي اشار وود الى انه وجدها مناسبة جداً للسوق ، الامر الذي اسف له هو بالطبع .

وكان هناك بين ثمانية وعشرة زوراق مخصصة لصيد اللؤلؤ حول الجزيرة ، ولكن كان الهولنديون حريصين جداً على ان يحاط هذا العمل بالسرية الكاملة وكان المستوى الذي انشئت عليه الوكالة — كما لاحظ مستر وود — مستوى رائعاً لا يحفل فيه بالنفقات غير انه اذا استقرت الاحوال في ايران فان مستر وود كان يتوقع لجزيرة خارَج ان تصبح موقعاً زاهراً غزير السكان ، بحيث تستحق الوكالة الهولندية كل ما انفق على تشييدها .

كان الهولنديون يزمعون تهجير ٨٠ عائلة من الصين الى الجزيرة ومن

ثم يطردون منها العرب المقيمين بها . ويعزو مستر وود السبب فيما حصل لاحقاً من طرده من ريق الى تآمر الهولنديين في خارج اذ كانوا يتوقون الى تثبيت اقدامهم في ريق .

وفي سنة ١٧٥٨ زار دكتور ايفز ورفاقه جزيرة خارج وهم في طريقهم من الهند الى اوربا وظلوا في ضيافة الهولنديين هناك من ٣١ مارس الى ١٩ ابريل .

وكان جهاز موظفي الوكالة الهولندية في ذلك الوقت مؤلفاً من البارون نيبهاوزن الذي تخطى سن الشباب رئيساً ومن مستر بوزمان نائباً له وكانت تصحبه زوجته(١) ومن مستر روبنجسون الملازم في البحرية الهولندية وهو من اصل بريطاني،ومن مستر نيقولي المحاسب ومستر بنكي ملاحظ العمال . وكان الحصن مبنياً من الحجر وعلى هيئة مربع وبه ٣٢ مدفعاً وامام البوابة مقابل البحر تبة مثلثة الشكل بها ١٢ مدفعاً عيارها من ٦ الى ١٨ رطلا ، اما حامية الحصن فكان قوامها ١٠٠ جندي اوربي . وكان قد بدئ في اقامة حائط من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي خلف المدينة ، كما اقيم برج مثلث عند طرف الحائط جهة الشمال الغربي وكانت هناك ميناء صغيرة لها حاجز امواج من الحجر لحمايتها من الرياح الجنوبية وبها موقعان او ثلاثة كل منها مسلح بستة او ثمانية من المدافع المحمولة . وكان البارون يهتم جداً بأمر المسافرين البريطانيين وكان يحاول بكل جهد ولكن دون ان يوفق — ان يعمل على تحويل طريق رحلتهم عبر الصحراء من الكويت الى حلب ، وكان على صلة بشيخ الكويت ، كما كان دائم السؤال عن « اجراس الغوص » وغيرها من الاجهزة المصنوعة في بريطانيا مما يساعد الغواصين على البقاء تحت الماء

---

(١) هذه أول مرة يشير فيها الكاتب الى وجـود سيدة أوروبيـة فى الخليج ، ومن المحتمل أن يكون مستر بوسمان Bosman **هذا هو نفســه** مستر بوشمـان Buschman الذى أصبح فيما بعد رئيسا لهذا الموقع ـ أنظر ص ٢١٠ .

أطول فترة ممكنة ، وقد عهد الى دكتور ايفز ان يشتري له من بريطانيا مكتبة من جميع فروع الابحاث الى جانب بعض الآلات العلمية وغيرها ، وقد قام الرجل بما عهد اليه .

مستوطنة الهولنديين في خارّج تحت امرة فان درهولست سنة ١٧٥٩ – ١٧٦١ :

بقي البارون نيبهاوزن في خارّج حتى عام ١٧٥٨ او ١٧٥٩ ثم عاد الى باتافيا وخلفه في عمله مستر فان درهولست الذي كان مساعداً له في البصرة . وقد استمرت الحرب بين الهولنديين وزعيم ريق طوال سنتين ونصف وهي مدة حكم فان درهولست لجزيرة خارّج .

وذات مرة ارسل المير مهنا سفينتين حربيتين ، وقد حمل عليهما بقصد التمويه دجاجاً ليصيح على ظهرها حتى يظن العدو انها من سفن نقل التموين القادمة من بو شهر ، وبذلك نجحت السفينتان في الوصول الى البر والاستيلاء على سفينتين هولنديتين كانتا ترسوان تحت مدافع حصن خارّج ، وبعد ذلك قام المير مهنا بنفسه بالنزول الى الجزيرة ومعه ١٠٠ من رجاله ولما وصل قريباً من الحصن تصدى له فريق من ٢٥ اوربياً ومعهم مدفعان فرجع الى البحر محتمياً ببعض الصخور .

وعلى اثر ذلك اتخذت احتياطات وقائية لمنع تكرار مثل ذلك الحادث فوسعت استحكامات خارّج ثم اقيم حائط اشتمل على بعض المباني والمخازن داخل المنطقة المحصنة ، بعد ان كانت ماثلة في الخارج دون حماية .

ولم يكن مستر فان درهولست محلا لرضى حاكم باتافيا الذي كان تابعاً له . وحوالي سنة ١٧٦١ استدعى الى مقر الرياسة لكنه بارح السفينة التي كان مسافراً عليها في بندر عباس ووضع نفسه تحت حماية البريطانيين ثم عاد الى اوربا بطريق بومباي .

مستوطنة الهولنديين في خارَج تحت امرة مستر بوشمان ١٧٦١-١٧٦٣ :

في مكان مستر فان درهولست عين مستر بوشمان الذي كان عضواً رئيسياً في هيئة الموظفين الهولنديين في خارَج ، وقد كتب الرحالة نيبور وصفاً ممتعاً لشخصيته الحادة المزاج ، وكان الحاكمان اللذان سبقاه على خلاف دائم مع جيرانهم العرب وفي حرب معهم خصوصاً مع مير مهنا – اما بوشمان فقد استطاع انشاء علاقات احسن مع العرب بفضل ادارته الجيدة .

وحين ارسل مير مهنا ذات مرة رجلا من كبار رجاله على رأس جماعة مسلحين لبحث الامور مع بوشمان – وربما لاحتلال القاعدة الهولندية اذا سنحت لهم الفرصة – قام بوشمان بعمل عرض عسكري عام شمل جميع قواته ليرهب خصمه ، وليقنع الذي ارسله (مير مهنا) حين يعود اليه بأن الحصن الهولندي منيع لا يمكن قهره ، ولينصحه بقبول شروط الهولنديين .

تاريخ الوكالة الهولندية في بندر عباس من سنة ١٧٥٣ الى آخر عهدها ١٧٥٩ :

ظلت الوكالة الهولندية قائمة في بندر عباس حوالي خمس سنوات عقب قيام موقع للهولنديين في جزيرة خارَج قام خلالها الموظفون بمنافسة البريطانيين في تجارة صوف كرمان بأن زادوا عشرة شاهيات في ثمن الشراء عما يدفعه البريطانيون للحمولة الواحدة (حوالي ١٠٠ رطل) في بعض الاحيان . كما ان البريطانيين من جانبهم لم يتركوا وسيلة للمنافسة الا أخذوا بها ، فقد اخذوا نماذج من الاقمشة الصوفية الهولندية واوعزوا الى المصانع البريطانية بتصنيع منسوجات تقلدهـا وتضاهيها . وبذلك بدأت تجارة الاصواف الهولندية في الكساد تدريجياً في بندر عباس حتى انهم لم يستوردوا اية كمية من هذه الاصواف

بعد سنة ١٧٥٤ .

وبعد ذلك اصبح من المعلوم انهم ينوون الرحيل من بندر عباس وفعلا في آخر سنة ١٧٥٨ وصلت سفينة حملت معظم بضائعهم وممتلكاتهم الى خارّج ، وفي الثالث من فبراير سنة ١٧٥٩ رحل جميع موظفيهم على سفينة اخرى تاركين مبنى الوكالة في رعاية مترجم لهم ويبدو ان رجال الوكالة البريطانية ، لما دمرها الفرنسيون في الخريف ، اتخذوا من مباني الوكالة الهولندية مقراً موقتاً لهم وبدأت اوائل سنة ١٧٦٠ مفاوضات بين رئيس الهولنديين في خارّج لتأجير او شراء ذلك المبنى ولكن يبدو ان المفاوضات اجلت او فشلت ، بدليل ان الايرانيين كما ذكرنا في موضع آخر كانوا قد شغلوا المبنى لمدة ثلاث سنوات . وفي اوائل سنة ١٧٦٠ كان من المتوقع أن يستولي الهولنديون على هرمز وصدرت التعليمات الى الوكيل البريطاني بأن يسبقهم اليها لكن الهولنديين لم يتحركوا للقيام بمثل ذلك .

أعمال الفرنسيين فى الخليج ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

في اوائل الفترة التي نحن بصددها الان وربما قبل بدايتها سحب الفرنسيون وكالتهم من بندر عباس ويبدو ان رئيس الرهبان الكرمليين كان حتى سنة ١٧٣٩ يقوم بواجبات القنصل الفرنسي في العراق التركي. وكان القنصل من سنة ١٧٤٢ ولعدة سنوات بعدها هو قسيس الروم الكاثوليك في بغداد . وفي سنة ١٧٥٥ اعيد تأسيس مقيمية فرنسية في البصرة كانت قائمة وقتاً ما قبل ذلك التاريخ .

شئون الفرنسيين في الخليج خلال فترة السلم مع بريطانيا ١٧٢٣ ـ ١٧٥٦

حوالي نهاية سنة ١٧٣٥ وصلت الى ميناء بندر عباس سفينة فرنسية فباعت بعض شحنتها ثم توجهت الى البصرة . ولما كان بقاؤها قد طال في الميناء كما دفعت للجمارك ٤,٥٪ على البضائع التي انزلت الى البر . فقد تلقى الفرنسيون قبل رحيلهم كتاباً من نادر شاه يطالبهم باعادة تأسيس مستوطنتهم في بندر عباس . وقد ادى تطور الامور على هذا النحو الى ازعاج الانجليز والهولنديين لانهم لم يكونوا يدفعون اية جمارك في بندر عباس .

ويبدو ان سفينة فرنسية اخرى وصلت الى الميناء ، وذلك بدليل انه في سنة ١٧٣٧ ، وعندما وصلت السفينة الفرنسية « هيرين » الى بندر عباس . ارسل قائدها مسيو بومونت يتساءل إن كان سيعامل على نحو ما عومل به أحد الرعايا الفرنسيين وهو مسيو بوازرول الذي كانت قد فرضت عليه [illegible] حاكم فارس الذي كان موجوداً في

المدينة انذاك بتسوية الامور لكنه في نهاية المطاف لم يوافق الا على رد ما يستحقه بوازرول بعد حسم مبلغ الجمارك المقدرة على بضائع مونت ، واجرى الحساب سلفاً قبل ان يبيع بومونت بضاعته ، وحيث انه لم يبع الا القليل منها فان الفرنسيين لم يفيدوا شيئاً من الامتياز الممنوح لهم .

وفي سنة ١٧٥٢ ابحرت سفينة فرنسية صغيرة من الخليج الى الهند برفقة السفينة « روز » التابعة للشركة وسفينة حربية تابعة لبومباي . وكان هذا التجمع للوقاية من عدوان القرصان الهندي انجريا ومن اية اخطار أخرى . وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية قد وافقت على انشاء وكالة لها في ريق بتاريخ سنة ١٧٥٤ مدفوعة بالرغبة في منافسة البضائع الصوفية الفرنسية في شرق الخليج بعد ان اخذت هذه تنال مكانة في السوق ثم شرع الانجليز في « تقليد المنسوجات الفرنسية بدقة كاملة » ولكنهم لم يصدروا هذه المنسوجات المقلدة من بريطانيا الا في سنة ١٧٥٧ عندما بدأ وقوع الاعمال العدائية بين فرنسا وبريطانيا .

شئون الفرنسيين فى الخليج خلال حرب السنوات السبع ١٧٥٦ ـ ١٧٦٣

في فبراير سنة ١٧٥٦ ،وحرب السبع سنوات كانت على وشك الوقوع ،أصدر ملك فرنسا اوامره لجميع الرعايا البريطانيين بمغادرة الممتلكات الفرنسية قبل اول مارس ، ودعا رجاله للاستيلاء على السفن التجارية البريطانية واعداً اياهم بدفع مبلغ ٤٠ جنيهاً مكافأة عن كل مدفع بريطاني يستولون عليه وعن كل بريطاني يأسرونه كما وعد بأن يشتري من الرعايا الفرنسيين سفنهم التجارية باثمانها الاصلية في حالة انهاء الحرب وقيام السلم .

ويبدو ان مجلس مديري شركة الهند الشرقية، وإن كان يتطلع بثقة الى ما سوف تسفر عنه الاحداث ، كان يراقب بكل دقة وحرص موظفي الشركة في بندر عباس .

وحين أعلنت بريطانيا الحرب في ١٨ مايو سنة ١٧٥٦ ، أصدر مجلس مديري الشركة اوامره الى الوكيل والمجلس في بندر عباس بأن تكون تصرفاتهم في نطاق التعليمات الصادرة اليهم من بومباي على أن ينصاعوا في الوقت نفسه انصياعاً تاماً لاية اوامر قد تردهم مباشرة من رئاسة الشركة في لندن .

وفي ١٤ يناير سنة ١٧٥٦ ظهرت السفينة الحربية الفرنسية « برستول » عند بندر عباس وظلت عدة ايام تتردد ما بين قشم وهرمز واخيراً اتجهت نحو البصرة . وفي ابريل كانت راسية مع سفينة اخرى في البصرة حيث كان الضباط الانجليز والفرنسيون يتبادلون المجاملات ، وفي شهر يونيو حاولت السفينتان « ريفنج » و « دريك » البريطانيتان قطع طريق السفينة « برستول » التي كان متوقعاً ان تغادر البصرة في اوائل ذلك الشهر في طريقها الى الخليج ، ولكن يبدو ان السفينتين لم توفقا في ذلك . أما ما كان من هجوم الاسطول الفرنسي على الوكالة الانجليزية في بندر عباس وتدميرها في السنة التالية فهذا جاء شرحه في الفصول السابقة .

الحالة على الساحل العربي ١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

أحداث الساحل العربي في هذه الفترة مبينة تفصيلا في تاريخ كل قسم منه على حدة ونلقي هنا اشارة موجزة .

سلطنة عمان :

اهم الاحداث التي حصلت في سلطنة او امامة عمان كان ظهور جماعتي الحناوية والغافرية مما أدى الى اضعاف قوة السلطنة في مجال العلاقات الخارجية الى ان قامت حكومة مركزية قوية تحت حكم آل بوسعيد . وفي سنة ١٧٣٧ غزت جيوش نادر شاه – الذي كان قد اغتصب عرش ايران – عمان واحتلتها الى ان طردها الامام احمد مؤسس حكم اسرة آل بو سعيد في سنة ١٧٤٤ وكان موقف البريطانيين حيادياً في هذا الصراع ، وفي سنتي ١٧٥٨ و ١٧٦٠ كان امام عمان في حرب مع القواسم اصحاب رأس الخيمة .

عمان المتصالحة :

لعب القواسم في الساحل المعروف الان باسم عمان المتصالحة دوراً هاماً في ذلك الوقت في شئون ايران الداخلية . ففي سنة ١٧٢٧ قامت حملة بحرية بريطانية غزت عمان باغتصاب تعويضات من الشيخ القاسمي عن الخسارة التي لحقت بالوكالة البريطانية في بندر عباس من جراء الميناء الذي بناه شيخ القواسم في جزيرة قشم . وفي سنة ١٧٣٧ لما غزا الايرانيون عمان استسلم القواسم بادىء الامر لقائد جيش نادر شاه ولكن في سنة ١٧٤١ ظهرت النوايا السيئة والشكوك بين الجانبين ، وبحلول عام ١٧٤٧ كانت قد عقدت اتفاقية تحالف بين القواسم وملا علي شاه الحاكم الايراني في بندر عباس استمرت مرعية الى سنة ١٧٦٣ ويحتمل ان يكون من اثار هذه الاتفاقية ان حصل القواسم على مركز في جزيرة قشم ،وبناء على معاهدة ابرمت بين الطرفين المعنيين حصل القواسم في سنة ١٧٦٣ على ثلث ايراد الجزيرة .

قطر والبحرين :

لم يرد ذكر شيء عن قطر في الفترة التي نحن بصددها الان . اما البحرين فقد كانت في ذلك الوقت مستقلة يحكمها العرب الهوله . وفي

سنة ١٧٥٣ استولى عليها شيخ بوشهر بمعاونة مير ريق وبذلك اصبحت تابعة لايران بطريق غير مباشر .

الكويت :

أما ميناء الكويت فكان في هذه الفترة غامض الوضع وغير بارز وكان تحت حكم اسرة من العتيبي ، وقد قامت علاقات صداقة بينهم وبين رئيس البعثة الهولندية التي اقامت في جزيرة خارج ما بين سنتي ١٧٥٣ و ١٧٦٠ .

شئون العراق التركي ١٧٢٢ – ١٧٦٣ :

كانت الحملات التي ارسلها نادر شاه مدة توليه الحكم بهدف ضم العراق التركي الى الامبراطورية الايرانية هي الظاهرة البارزة في العلاقات الخارجية للامبراطورية فيما بين سنتي ١٧٢٢–١٧٦٣ .

ففي سنة ١٧٣٣ حاول نادر شاه بنفسه الاستيلاء على بغداد ولكن لم يفلح في ذلك ، ثم عاود الكرة حوالي سنة ١٧٣٥ ثم في سنة ١٧٤٣ متقدماً على رأس قواته لاحتلال البصرة ، ولكنه هزم في المرة الاولى ، واكره على التقهقر في الثانية ، وكانت وكالة شركة الهند الشرقية قد انشئت في البصرة حوالي عام ١٧٢٣ . على أن العلاقات لم تكن عموماً طيبة بين موظفي الشركة والسلطات التركية المحلية . وفي هذه الفترة بالذات لم تكن هناك احداث سياسية على جانب من الاهمية ، وقد اضطر الهولنديون الذين كانت لهم وكالة ايضاً في البصرة الى مغادرتها حوالي سنة ١٧٥٢ عقب نزاع قام بين وكيلهم المقيم وبين الحاكم التركي ولم يحاولوا العودة بعد ذلك الى العراق ، وفي سنة ١٧٥٥ اعيد افتتاح مقيمية فرنسية في البصرة بعد اغلاقها فترة من الزمن ، وقد ورد تفصيل عن التاريخ العام والداخلي للعراق التركي في الفصل الخاص بهذا الاقليم .

احوال منطقتى الساحل الايرانى عربستان ومكران
١٧٢٢ ـ ١٧٦٣

تناولنا في الفصول السابقة حوادث ذلك القسم من الساحل الايراني الداخل في نطاق حكومة اقليم فارس ، ويبقى الان بيان ما يتعلق بمقاطعتي عربستان ومكران .

عربستان :

يبدو انه لم تحدث في هذه الفترة في عربستان احداث مهمة الا ما كان من ارتفاع شأن احد شيوخ قبائلها ارتفاعاً موقتاً لا يحسد عليه وذلك بعيد سقوط اصفهان بأيدي الافغانيين .

مكران الايرانية :

في سنة ١٧٣٩ قام محمد تقي خان،والي نادر شاه علي فارس،بغزو مكران الايرانية ولكنه لم يلبث ان انسحب منها . وبذلك عادت البلاد مستقلة تماماً وان كانت تابعة للشاه اسمياً ويجد القارىء التفاصيل في الفصول المستقلة عن تاريخ عربستان ومكران الايرانية .

تاريخ الخليج من وقت انشاء القيادة العامة البريطانية مؤقتا فى البصرة الى بداية العهد النابليونى ١٧٦٣ - ١٧٩٧(١)

تتطلب دراسة الفترة من سنة ١٧٦٣ الى ١٧٩٧ في الخليج من وجهة النظر البريطانية ان تؤخذ بعين الاعتبار احداث معينة كانت تجري في نفس الفترة في اماكن اخرى بعيدة عن الخليج نفسه كالهند واوربا ، وسنشير الى ذلك كلما دعا الامر لكي نوضح مدى النشاط البريطاني او توقفه في هذا الميدان الذي تهمنا دراسته .

الشئون والمصالح البريطانية العامة قبل غزو ايران للعراق التركى ١٧٦٣ - ١٧٧٥

مراكز القوى الوطنية في الخليج ١٧٦٣ - ١٧٦٥ :

في سنة ١٧٦٣ كان كريم خان ، وكيل ايران يمثل اقوى ادارة قامت في الخليج ، وكانت قاعدته الاساسية شيراز ثم بسط نفوذه على البلاد جميعاً فيما عدا بعض المناطق البعيدة المتطرفة وكان من الجهات القليلة التي لم تخضع له كاملا تلك المتاخمة للخليج مثل عربستان وكان

---

(١) المراجع الخاصة بهذه الفترة موضحة فى الفصول التالية ، وهى تشتمل على تواريخ مستقلة لكل قسم من أقسام الخليج ، وأهم هذه المراجع عن الخليج عموما هو « الملخص الرسمى عن البيانات الخاصة بعلاقة شركة الهند الشرقية مع بلاد العرب التركية سنة ١٧٧٤ ومختارات مستر ج٠أ٠ سالـدانا من أوراق الدولة في بومباى بشأن علاقة شركة الهند الشرقية مع الخليج مع ملخص الاحداث من سنة ١٦٠٠ الى سنة ١٨٠٠ المطبوع سنة ١٩٠٥ ٠

العراق التركي وهو ثاني قوة في الخليج حجماً وقوة حكومة تحت حكم علي باشا . وكان مركز هذا الرجل في الداخل دقيقاً وحرجاً بحيث لا يسمح له بالتأثير في الاحداث الخارجية، اذ كان مشغولا مدة حكمه القصيرة بقمع حركات التمرد في الداخل . وكانت الكويت قد بدأت في البروز لكن سكانها من العتوب لم يكن لهم أثر ظاهر في شئون الخليج . اما الزبارة في قطر فهي لم تظهر للوجود حتى سنة ١٧٦٦ . وحتى بعد ظهورها لبضع سنوات لم تكن موقعاً هاماً ، وكانت جزر البحرين ما تزال تابعة لايران بواسطة شيخ البحرين ، وكانت القوى الاخرى الوحيدة ذات الوزن الى جانب ايران وتركيا تتمثل في امامة عمان التي كانت قد تخلصت منذ سنوات قليلة من الاستعباد الايراني ،وكانت ما تزال فياضة بروح الكراهية لايران ، وملأى بالشعور بالوطنية . وكانت موارد الامام البحرية مهما تبلغ قلة رجالها العسكريين الممكن تركيزهم في البر العماني تضارع سائر القوى البحرية لسائر موانىء الخليج مجتمعة ، لكن قدرة الامام للقيام بعمليات بحرية خارجية تحدها حاجاته للدفاع عن حدوده الشمالية الغربية امام القواسم الذين كاد يكون في حرب دائمة لا تفتر معهم.

وضع البريطانيين في الهند سنة ١٧٦٣ — ١٧٧٥ :

كان النفوذ البريطاني الى ذلك الوقت في الخليج يتمثل كليه في شركة الهند الشرقية التي كانت خالصة اذ ذاك من اية مشاكل اخرى في العالم . وكان تقدم المراهطة قد توقف مؤقتاً عندما هزمهم الافغانيون في بانيبات سنة ١٧٦١ . وقد تضاءلت الاخطار التي كانت تواجه البريطانيين في البنغال بعد معركة بكسر سنة ١٧٦٤ . وفي سنة ١٧٦٥ انتهت الى ايدي الانجليز ادارة العائدات في ذلك الاقليم .

على ان نهاية حرب ميسور الاولى ١٧٦٩ لم تكن في صالح البريطانيين بل حتى ان توسع مصالحهم في الهند في عهد كلايف وورن هيستنجز لا بد قد صرف انظار شركة الهند الشرقية عن الاهتمام بشئون ايران وبلاد العرب .

نقل وكالة الخليج من بندر عباس الى البصرة عام ١٧٦٣ :

في اوائل عام ١٧٦٣ نقلت الوكالة او المؤسسة البريطانية الرئيسية في الخليج من بندر عباس حيث توقفت اعمالها هناك . وبدلا من مركزها السابق المنعزل حيث تسود الاضطرابات المحلية الدائمة ، اصبحت الان الان في مركز هام من الناحيتين التجارية والسياسية . وكان الموقع الجديد هو البصرة في العراق التركي حيث ضم الى الوكالة المقيمية البريطانية التي كانت من قبل تتبع الوكالة في بندر عباس . وفي سنة ١٧٦٤ تم اعتراف الباب العالي بها على انها قنصلية مشمولة بنظام الامتيازات . وقد كلف مستر برايس الذي اوفد خصيصاً من الهند لافتتاح عمل الوكالة الجديدة بالتفاوض ايضاً لانشاء مقيمية اخرى في بو شهر ، وقد ادى هذه المهمة بنجاح . ولكن رغم موطىء القدم الذي احتفظت به بريطانيا في ايران فقد تحولت سياسة الوكالة لبضع سنوات من ذلك التاريخ الى المحاسنة مع المناطق التركية المجاورة ،مما اثار نوعاً من العداوة مع ايران ، والواقع ان انتقال الوكالة من ارض ايرانية الى ارض تركية كان حادثاً سياسياً له مغزى مقصود .

عروض كريم خان على البريطانيين للمساعدات البحرية ١٧٦٣ — ١٧٦٤ :

كان كريم خان من جانبه تواقاً الى الاحتفاظ بعلاقات مودة مع ممثلي شركة الهند الشرقية لانه كان يعلم بأنه بغير معاونة القوة البحرية فان من العسير عليه اخضاع قبائل الساحل الفارسي ، لذلك منح الوكالة امتيازات تجارية في ايران واذن لها بفتح وكالة في بوشهر تماماً كما كانت ترغب . وعندما منحها هذا الامتياز في سنة ١٧٦٣ لمح الى أنه سيكون مسروراً لو دفع نفقات للسفن البحرية البريطانية اذا ما ساعدته في اخضاع المير مهنا صاحب ريق ، وهو زعيم دائم الثورة والنهب على ساحل ايران شمال بو شهر ، وكان يرفض الولاء له .

وفي سنة ١٧٦٤ تقدم بطلب معونة مدمرة او اثنتين ضد الثائر نفسه كما عرض أيضاً تخصيص سفينتين بصفة دائمة لحفظ الامن في الخليج، وتطوع بتسليم مدينة ريق لشركة الهند الشرقية . ولكن يبدو ان حكومة بمباي لم تهتم بهذه المقترحات ولكنها وافقت على وضع احدى السفن تحت تصرف الوكيل شريطة ان تستعمل بالكيفية التي تضمن مصالح الشركة ولا تؤدي الى تعكير الجو التجاري .

هجوم بريطاني ايراني فاشل على المير مهنا في ريق سنة ١٧٦٥ :

في سنة ١٧٦٥ كان كريم خان ما يزال مشغولا في توحيد المملكة الايرانية بضم المناطق المجاورة التي لا تخضع لسلطانه ، لذلك قاد بشخصه حملة ضد قبيلة كعب في عربستان مستنداً الى وعد من الاتراك بمساعدته في اخضاع تلك القبيلة العربية ، كما انه عمد في نفس الوقت الى طلب مساعدة السفن البريطانية لسفن من بو شهر كان قائد جنده امير كوهنه خان على وشك استخدامها في عمليات حربية برية ضد المير مهنا . ووجه الوكيل طلبه هذا الى مستر جيرفس المقيم البريطاني في بو شهر الذي احال الطلب الى البصرة مقترحاً اعارته السفينة « تارتار » التي كانت راسية في البصرة بناء على موافقة حكومة بمباي . وقد وافق مستر رنش الوكيل في البصرة والمجلس على الاقتراح ، غير انهم ترددوا في تنفيذ المطلوب منهم بسبب الحقد وسواه من الاسباب . ويمكننا ان نرى من تراخيهم في عمل اللازم في تلك الظروف تضاح الخيوط الاولى في التحامل على كريم خان التي ادت فيما بعد الى متاعب كثيرة .

في شهر يونيو سنة ١٧٦٥ قامت السفينة « تارتار » مع اسطول بو شهر بحملات على جزيرة خارَج التي نزل فيها مير مهنا ، الامر الذي هدّد موقعه وسفنه في ريق ولكن البحارة الايرانيين كانوا اما اشد حذراً ممّا يجب او جبناء ، ولم يكن في مقدور السفينة « تارتار » وحدها ان

ان تقوم بالمهمة كلها فتوقفت الحملة ضد المير مهنا ، وفي نفس الوقت كان كريم خان قد دمر عاصمة اقليم بني كعب كما دمر بعض مرافق الري هناك غير ان تخلف الاتراك عن القيام بالمساعدة الموعودة اعطى الثائرين فرصة النجاة من العقاب والهرب الى الجانب الغربي من شط العرب .

فشل حملة الانجليز والاتراك على قبيلة بني كعب ١٧٦٥-١٧٦٦:

في يوليو سنة ١٧٦٥ وبعد ايام قليلة من توقف حرب الانجليز والايرانيين ضد المير مهنا واجه الموقف السياسي في الخليج وضعاً جديداً مفاجئاً اذ استولى رجال قبيلة كعب على ثلاث سفن بريطانية بالتتابع في شط العرب وهي « سالي » ذات الصارين ، وبخت لا يحمل اسما تابع لمقيمية البصرة ثم السفينة « فورت وليام » ذات الصواري الثلاثة ، وليس هناك ما يلقي ضوءاً على الدوافع التي حفزت بني كعب للقيام بعملهم ، وعما اذا كان الامر مجرد اعمال قرصنة فردية ام ان بني كعب اصبحوا منذ الهجوم الايراني - البريطاني على خارج يعتبرون الانجليز حلفاء دائمين لعدوهم كريم خان ، وعلى الرغم من ادراك الوكيل والمجلس في البصرة بأن كريم خان يزعم ان قبيلة كعب من رعاياه استناداً الى غزوه ارضهم ، فانهما اي الوكيل والمجلس توجها الى تركيا للمطالبة باصلاح الاوضاع ، وهو عمل متحيز ضد ايران . وسرعان ما تم الاتفاق في البصرة على قيام حملة مشتركة ضد بني كعب يقوم بها الجيش التركي والاسطول الانجليزي ، وقد وافقت حكومة بمباي على هذا الاجراء ، واعدت اكبر حملة عرفت منذ سنوات طويلة حيث ابحرت من الهند الى الخليج اربع سفن اوربية الصنع وفصائل صغيرة من الجنود الاوروبيين المشاة والمدفعية ، وحين وصلت الحملة الى البصرة لم يكن الاتراك قد اكملوا استعداداتهم بعد ، ثم بدأ البريطانيون عملياتهم الحربية منفردين من خور موسم ولكن في مايو سنة ١٧٦٦ مني الانجليز بهزيمة كادت تقضي عليهم فاضطروا الى التقهقر ، واخيراً

وبعد فترة غير قصيرة وبعد الاتفاق على ان يدفع الاتراك ١٠٠٠ تومان شهرياً مساعدة للاسطول البريطاني اذا بقي بعد نهاية شهر يونيو — قام الاتراك وحدهم باعمال الميدان كله براً وبحراً ، في الفترة التالية ، اي في شهر يونيو واغسطس وسبتمبر . وقد بذلت محاولة لاستعادة السفينتين « سالي » و « فورت وليام » من ايدي بني كعب لكن نتيجتها كانت تدمير السفينتين في مرساهما .

وبعد ذلك في ٢٣ سبتمبر سنة ١٧٦٦ حاول الانجليز اقتحام بعض معاقل بني كعب بدون مساندة الاتراك الذين تظاهروا بانتظار المعونة من الحكومة الايرانية ، وكانت النتيجة كارثة فادحة اذ قتل كابتن بروور قائد العمليات العسكرية مع مجموعة كبيرة وخسر الانجليز عدداً من مدافع الميدان وصناديق الذخيرة .

تدخل كريم خان بين البريطانيين والاتراك من ناحية وبني كعب من الناحية الاخرى ١٧٦٦ :

في هذه الضائقة الحرجة تدخل كريم خان مؤكداً ان بني كعب من رعايا ايران ، وان من الواجب جلاء البريطانيين والاتراك عن المنطقة الايرانية لكنه وعد بتعويضهم عن الخسائر التي لحقت بهم من جراء حملتهم على هذه القبيلة ، وهنا تجدر بنا الاشارة الى ان الاتراك كانوا على غير وئام مع بني كعب في السنوات القليلة السابقة . وساهموا في حملات البريطانيين ضدهم سنة ١٧٦١—١٧٦٢ وسنة ١٧٦٣ ، ١٧٦٥ . وفي اكتوبر سنة ١٧٦٦ عقب تدخل كريم خان رفض الاتراك الاستمرار في الحرب وانسحبوا الى داخل حدودهم رغم احتجاج الوكيل والمجلس في البصرة . وبذلك انتهت الحملة المشتركة ضد كعب ، وفي اوائل سنة ١٧٦٧ ارسلت من بومباي نجدات لا تقل في ضخامتها عن الحملة الاولى ولكن قبل وصولها الى البصرة كانت المشكلة قد اتخذت شكلا جديداً بحيث لم يكن من الممكن استئناف العمليات الحربية الناشطة بشكل ملائم .

تسوية الامور بين البريطانيين وكريم خان ١٧٦٧–١٧٦٨ :

كان التغير في الموقف ناتجاً عن وصول موفد ايراني الى البصرة يحمل مقترحات من كريم خان لعرضها على البريطانيين والاتراك . وكنتيجة لذلك الاتصال بالبريطانيين توجه مستر سكيب من وكالة البصرة الى شيراز في شهر ابريل سنة ١٧٦٧ موفداً بتعليمات متناقضة ومحيرة من كل من حكومة بومباي، ومن رئيسه المباشر مستر مور الذي كان قد حل مكان مستر فرنش وكيلا في البصرة وعلى الرغم من دعوة الوكيل الايراني لارسال مندوب اوروبي الى شيراز فان مستر سكيب لم يلق استقبالا حسناً في اول الامر لكنه في النهاية استطاع ان يصل الى تسوية لا بأس بها .

لكن مستر مور كان يبغض كلا من كريم خان ومستر سكيب ، لذلك فقد حول اقتراحات التسوية المعروضة الى بومباي بدلا من اقرارها مباشرة . وزاد على ذلك ان اقترح قيام حملة عسكرية مشتركة بين شركة الهند الشرقية والمير مهنا ضد كريم خان ، ولكن حكومة بمباي بعد ان قامت بدراسة الموقف طلبت عودة مستر سكيب لزيارة اخرى لشيراز ليقبل التسوية المعروضة او اية شروط اخرى قد يرغب فيها كريم خان . واعطى سكيب صلاحية مطلقة لاتخاذ اي موقف او اجراء الا معاداة كريم خان . وفي ١٤ ابريل سنة ١٧٦٨ وصل مستر سكيب الى اتفاق مع الوكيل ، من شروطه انه في مقابل قيام البريطانيين باخضاع المير مهنا وبذل كل جهد ممكن في ذلك فان على كريم خان ان يحصل على تعويض لهم نظير ما اصابهم من جراء اعتداء قبيلة بني كعب كما يسلمهم جزيرة خارج اذا تم الاستيلاء عليها في عملياته الحربية . وهنا يجب ان نشير الى ان المير مهنا كان قد انتزع جزيرة خارج من الهولنديين في مطلع سنة ١٧٦٦ واتخذها مركز اقامته بدلا من ريق . وقد احتوت الاتفاقية مع كريم خان بنوداً اخرى لصالح البريطانيين سوى ما ذكرنا لكنها لم تشر اية اشارة لشيء عن تذليل العقبات التجارية التي كان

يشكو منها موظفو شركة الهند الشرقية .

حملة بريطانية غير رسمية على هرمز وفقدان السفينة ديفيانس سنة ١٧٦٧ :

بينما كانت هذه الامور موضع الدراسة خطر ببال الوكيل والمجلس ان ينتفعوا من القوة الموجودة في الخليج والتي كانت عاطلة عن العمل فوجهوا قسماً منها ضد شيخ هرمز بمناسبة حادثة قرصنة وقتل وقع فيها الاعتداء على السفينة البريطانية « اسلام اباد » سنة ١٧٦٥ وقيل ان الشيخ كان له دور فيها .

وعلى الرغم مما زعم من حجج لتبرير هذه الحملة فانها كانت غارة قرصنة ليس إلا ، ولكنها توقفت قبل الوصول الى هدفها بسبب انفجار حدث في السفينة « ديفيانس » وهي القطعة الرئيسية في الحملة فدمرها تدميراً تاماً . وقضى على معظم بحارتها بما فيهم حوالي ١٧٠ من الاوربيين . وقد زعم الوكيل والمجلس انهم قاموا بهذا العمل بناء على رغبة كريم خان ، ولكن مستر سكيب نفى هذا الزعم كما ان كريم خان حين وصلته انباء ما حدث افصح عن استيائه لمحاولة التدخل من جانب البريطانيين في شئون احد رعايا ايران .

غارة بريطانية غير مجدية على خارَج سنة ١٧٦٨ :

لم يحل ذلك الحادث المؤسف دون قيام البريطانيين بغارة على جزيرة خارَج وفقاً لاتفاقيتهم مع كريم خان لكن هذه الغارة التي استمرت من اليوم العشرين الى التاسع والعشرين من شهر مايو سنة ١٧٦٨ اديرت باهمال واضح ، وتوقفت بشكل مشين بسبب حادث وقع للفرقة المسئولة عن توفير المياه . وفي اغسطس التالي كان كريم خان على استعداد للاشتراك مع البريطانيين ضد مير مهنا ، لكن الوكيل البريطاني والمجلس في البصرة قطعوا المفاوضات معه متسرعين وارسلوا في استدعاء مستر سكيب من شيراز ، وفي الوقت ذاته فان مير مهنا الذي كان من

قبل رغم كونه قرصاناً خطيراً، يتحاشى الغارة على السفن البريطانية ، عدل عن موقفه حيال الانجليز فاستولى بعض اتباعه على السفينة التجارية «سبيدول».

انسحاب المقيمية البريطانية من بو شهر سنة ١٧٦٩ :

في مستهل عام ١٧٦٩ قامت ثورة في جزيرة خارَج انتهت بخلع المير مهنا من الرئاسة وارساله الى المنفى ، وكان الوكيل والمجلس في البصرة حريصين على منع سقوط الجزيرة في يد كريم خان فحاولوا املاء اوامرهم على المير مجيد ، وامروا قائد اسطول الشركة بأن يدمر سفنه او سفن بني كعب اذا سنحت له فرصة مواتية . وكان مستر مورلي المقيم في بو شهر يتوقع حدوث مشاكل مع الحكومة الايرانية من جراء هذه الاحداث وغيرها فانسحب من ايران ومعه جميع موظفيه وتوقفت جميع المحادثات الودية المباشرة بين البريطانيين والوكيل الايراني كريم خان . وجاء هذا الانسحاب من بو شهر متفقاً مع وجهة نظر مجلس المديرين في لندن الذين اخذوا برأي مستر مورلي الى حد بعيد واعتبروا كريم خان ، بناء على هذا الرأي ، رجلا غير اهل للثقة . غير أن حكومة بومباي عارضت هذا الاجراء وامرت الوكيل ببدء مفاوضات لاعادة انشاء المقيمية في بو شهر . على ان مستر مورلي لم يعدم الوسيلة لتأجيل تنفيذ تلك التعليمات حتى سنة ١٧٧٠ حين صدر قرار من مجلس المديرين بمنع العودة الى بو شهر احتجاجاً على فرض كريم خان بعض العراقيل والقيود على التجارة البريطانية لصالح ايران فوافقوا على رأي مستر مورلي وكان عكس رأي حكومة بومباي، اذ كان يعتقد ان تجارة الشركة في الخليج يمكن ان تسير بايسر سبيل وتحقق اوفر الربح عن طريق مستوطنة او وكالة واحدة في البصرة .

حوادث القرصنة من سفن خارَج على السفن البريطانية ، واقتراح حملة على ايران سنة ١٧٧٠ :

في صيف سنة ١٧٧٠ استولت بعض السفن من خارَج على السفينة

البريطانية « بريطانيا » وسفينة اخرى ترفع العلم البريطاني وساقوهما الى ريق حيث تم حجزهما هناك ، ولما فشل الوكيل والمجلس في البصرة في الحصول على تسوية للموضوع رفعا تقريراً يعزوان فيه احتجاز السفينتين الى اوامر كريم خان ، واقترحا علاجاً للوضع ان تقوم حملة كبيرة الى الخليج تحمل ٥٠٠ جندي اوربي و ١٦٠٠ من الجنود الهنود على الاقل لإنزال العقاب بكريم خان ولاستئصال القرصنة من جذورها . لكن مجلس المديرين رغم عدم رغبة اعضائه في اتخاذ وسائل الصلح مع كريم خان فانهم كانوا ايضاً غير راغبين في الحرب معه فامروا بالامتناع عن معاداته واقترحوا العودة الى نظام حماية السفن التجارية بواسطة البحرية الملكية ، ومجموعة من وحدات النقل في الخليج . وكان نفوذ الوكيل الايراني قد استقر عن ذي قبل على السواحل الفارسية فوصلت قواته الى تانجستان وداشتي سنة ١٧٦٥ كما خضعت له لار وبندر عباس سنة ١٧٦٦ واخمدت مظاهر عدم الولاء له في بو شهر وكانجون في سنة ١٧٦٧ — لكن بني كعب ظلوا في الواقع العملي مستقلين خارج نفوذه .

استيلاء سفن ريق على السفينة « تاجر » واحتجاز مستر بومونت ومستر جرين في ايران سنة ١٧٧٣ :

وفي سنة ١٧٧٣ انتشر وباء الطاعون في البصرة فغادرها مستر مورلي وموظفوه الى بومباي ، ولكن عندما كانو في طريقهم عند شط العرب استولى قراصنة ريق على احدى سفنهم المدعوة « تاجر » وكان على ظهرها مستر بومونت ومستر جرين فاخذوهما اسيرين . وواضح من ظروف الحادث المفاجئة ان كريم خان لم يكن له يد في تدبيره ولكنه استغله لصالحه حتى انه ضم السفينة « تاجر » الى اسطول ايران في الخليج واحتجز بومونت وجرين في شيراز كي يستطيع ان يضغط على البريطانيين ويدفعهم الى التفاهم معه .

وحدث في ربيع سنة ١٧٧٤ ، بعد عودة الوكيل من بومباي الى

البصرة . ان سمح للرهائن بالانتقال من شيراز الى بو شهر في حماية شيخ بو شهر ، وهناك بقيا حتى شهر سبتمبر التالي حيث سمح لمستر بومونت بالذهاب الى البصرة ليحمل عرضاً الى الشركة باطلاق سراحه هو وزميله واعادة السفينة « تايجر » مقابل اعادة شركة الهند الشرقية فرعها في بو شهر ، ثم جاءت التعليمات من بومباي للوكيل وللمجلس بعدم التعامل بأي شكل مع كريم خان قبل اطلاق سراح بومونت وجرين . لذلك لم يقبلوا مناقشة العروض المقدمة اليهم ، وبقي بومونت في الاسر .

مشكلات بين الوكيل الايراني وامام عمان ١٧٦٩ – ١٧٧٤ :

وبينما كانت العلاقات بين كريم خان والبريطانيين تسير على النحو المذكور قامت مشكلات حادة بينه وبين امام عمان ، والسبب الرئيسي لذلك هو مطالبة كريم خان في سنة ١٧٦٩ بدفع الجزية التي كانت تدفعها عمان لايران ايام نادر شاه . وما كان للامام احمد وهو نفسه محرر عمان من حكم الايرانيـــين ان يستجيب لمثل ذلك الطلب ، فكانت النتيجة قيام نزاع بحري مزمن بين الطرفين ، وقفت بريطانيا بمعزل عنه رغم ان علاقاتها عندئذ بكريم خان لم تكن ودية .

وفي سنة ١٧٧٠ هدد الامام بو شهر باسطول بحري . وفي سنة ١٧٧٣ عاونه الشيخ القاسمي وشيخ هرمز اللذان لم يكونا عادة على وفاق معه ، فاصاب سواحل ايران ببعض الاضرار .

وفي نهاية سنة ١٧٧٣ تجمع في كانجون اسطول بحري ايراني بما فيه السفينة البريطانية المغتصبة « تايجر » للعمل ضد الامام ، لكن رجال بني كعب الذين استدعوا للسير تخلفوا ، كما رفضت بعض الفرق من القبائل مهاجمة الامام مع انها كانت تهيأت لذلك .

واخفق فيما بعد شيخ بو شهر الذي كلفه كريم خان سنة ١٧٧٤ باجراء المفاوضات نيابة عنه في الوصول الى اية تسوية . وكان كريم خان قبل ذلك بقليل قد عرض على الاتراك والبريطانيين عقد تحالف بحري معه لكن الانجليز رفضوا الفكرة بينما وعد الاتراك وعوداً لم يتبعها اي عمل .

الشئون العامة والمصالح البريطانية
اثناء حصار واحتلال الايرانيين للبصرة
١٧٧٥ ـ ١٧٧٩

أسباب الحرب بين ايران وتركيا :

حدث غير مرة واحدة منذ نهاية عام ١٧٧٣ ان اوشكت الحرب على الاندلاع بين ايران وتركيا . وفي مارس سنة ١٧٧٥ بدأ كريم خان بالعدوان فارسل اخاه صادق خان على رأس قوة كبيرة الى البصرة . وليس من اليسير ان نعرف بدقة اسباب اعلان الوكيل الايراني هذه الحرب . لكن السبب الذي أعلنه من جانبه هو سوء معاملة الحكومة التركية للشيعة الايرانيين الذين يحجون الى الاماكن المقدسة في العراق . على انه في الواقع كان تواقاً للثأر من الاتراك الذين هزموه مراراً في كردستان ، وربما كان مدفوعاً برغبته في مد حدود ايران ، ثم هناك ما يشير الى اعتقاده ان وضع يده على البصرة يساعده في اخضاع عمان التي كانت اغلب تجارتها مع هذا الميناء ، كما يساعده كذلك على احباط السياسة التي اتبعها الوكيل البريطاني مؤخراً في البصرة ، والتي تهدف الى مقاطعة الموانيء الايرانية وجعل البصرة مركزاً رئيسياً للتجارة .

مسلك ممثلي شركة الهند الشرقية وامام عمان حيال الحرب بين الاتراك والايرانيين :

حاصر الايرانيون البصرة في ٧ ابريل سنة ١٧٧٥ ، وقاومت المدينة ببسالة تحت امرة سليمان اغا المتسلم التركي ، وظلت كذلك لم تستسلم حتى يوم ١٦ ابريل سنة ١٧٧٦ .

كان سلوك مستر مور ومساعديه حيال الحصار سلوكاً خاطئاً قصير النظر كما يتصور المرء من دراسته مسالكهم السابقة حيال كريم خان ، وان كان الرأي العام في البصرة قد عدهم المسئولين عن حصار المدينة ،

فهم في اول الامر اعلنوا انهم يقفون على الحياد التام ، وكانت هذه لا شك هي السياسة الحكيمة الواجبة الاتباع ، ولكنه ما كاد يظهر اسطول تابع لبني كعب في النهر لمعاونة الجيش الايراني حتى بادروا بارسال سفنهم لمهاجمة الاسطول القادم ، كما ساهموا جدياً في الدفاع حتى زادت همة المتسلم لتحدي الايرانيين باندفاع تبين فيما بعد انه لم يكن اندفاعاً حصيفاً لكنه لدى وصول اسطول بو شهر من اسفل البصرة للاشتراك مع اسطول بني كعب ، الذي كان قد اشرف فعلا على المدينة ، بدأت مخاوف الوكيل والمجلس .

وفي يوم ١١ ابريل سنة ١٧٧٥ غادروا البصرة الى بو شهر تاركين وراءهم مقر الشركة وبضائعها بغير حماية .

وفي طريقهم الى الخليج اشتبكوا مع اسطول بو شهر ، الذي كان متوجهاً الى اعلى النهر ، وطاردوه الى مصب نهر قارون .

ووصلت معونة أخرى اكثر نفعاً للاتراك من امام عمان الذي هزم اسطوله القوي في شهر اغسطس سنة ١٧٧٥ قسماً من الاسطول الايراني وفتح الملاحة في شط العرب ، وعاون المدافعين عن البصرة على اعادة تموين المدينة .

عودة العلاقات بين البريطانيين وكريم خان سنة ١٧٧٥ :

وفي نفس الوقت ، بل وفي نفس اليوم ، الذي بدأ فيه حصار مدينة البصرة ، وصل الى بو شهر مستر جاردن مبعوثاً من حكومة بمباي الى كريم خان للبحث في محاولة استئناف العلاقات الودية بين الجانبين . فاذا لم يتهيأ له ذلك بأية وسيلة أخرى ، فقد كان لديه تفويض باعادة انشاء وكالة بريطانية في بو شهر رغم مخالفة هذا العمل لقرار مجلس المديرين . وقد كان لمستر جاردن من اللباقة في الانتفاع بامكاناته ، ما استطاع به التوصل لاطلاق سراح مستر بومونت . واعادة السفينة تايجر ، وفي وضع ترتيبات لتأمين سلامة ممتلكات الشركة في البصرة ،

في حالة سقوطها في يد الايرانيين ، لكنه لم يتعرض لموضوع المطالبة المعلقة بالخسائر الناتجة عن حوادث القرصنة التي قام بها رجال بني كعب في سنة ١٧٦٥ ، وربما كان ذلك لاقتناعه بمضي زمن طويل على وقوعها ، وعدم جدوى اثارتها في مثل ذلك الوقت .

وضع البريطانيين مدة احتلال الايرانيين لها ١٧٧٥–١٧٧٩ :

عند استسلام البصرة جرى تسليم الوكالة الى ممثلي شركة الهند الشرقية ووجدت على حالتها دون ان تحدث بها اية اضرار . ولكن نوع الحكومة التي شكلها الايرانيون ، وهي حكومة احتلال عسكرية لمواجهة الاهالي ، لم تكن مما يناسب ظروف التجارة ، وكان عنف الحاكم الايراني صادق خان سبباً في كثير من شكاوى الشركة .

لكن كريم خان كان دائماً على استعداد لتصحيح الاوضاع كلما بلغ علمه شيء من ذلك ، ولكن الوضع العام في البصرة لم يكن مشجعاً على وجه الاجمال حتى ان مجلس مديري شركة الهند الشرقية تدارس في وقت ما امر الانسحاب منها كلية ، لكن ما حصل بالفعل هو تخفيض وكالة البصرة الى درجة المقيمية .

أما في بو شهر حيث الادارة المحلية كانت مواتية متعاطفة كتعاطف كريم خان نفسه فان كل شيء كان يسير بحالة طبيعية ، الى آخر حكم ذلك الرجل .

آثار احتلال الايرانيين للبصرة على اماكن اخرى في الخليج وشئون متنوعة ١٧٦٦ – ١٧٧٩ :

كان من النتائج ذات الاهمية التي اسفر عنها احتلال الايرانيين للبصرة هجرة عدد من التجار الى الكويت ، وخروج عدد آخر من الكويت الى الزبارة في قطر ، لعدم شعورهم بالامن حتى في الكويت . وادى هذا بدوره الى نمو التجارة والازدهار بشكل عام ، في هذين الميناءين العربيين .

وكان التأثير أشد وضوحاً في الزبارة ، مما لفت انظار الايرانيين اليها وفي سنة ١٧٧٧ وما تلاها من سنين حاولوا الاستيلاء عليها دون جدوى .

وفي نهاية الفترة التي نحن بصددها اي في ١٧٧٨–١٧٨٠ كان القواسم في رأس الخيمة قد بدأوا الاسراف في عمليات قرصنة بلا تمييز . وما لبثوا الا سنوات قلائل حتى ذاعت شهرتهم ، ولكن لا احد يعلم على وجه اليقين مدى العلاقة بين تلك القرصنة والاوضاع السياسية العامة في الخليج، ذلك بأن المشاكل التي ثارت لاحقاً بين بني كعب ورعايا شيخ بو شهر سنة ١٧٧٧–١٧٧٨ ، والاعتداءات المتكررة من سنة ١٧٧٥–١٧٧٩ بين امام عمان من جهة وكل من شيخ القواسم وشيخ هرمز من الجهة الاخرى تبدو كحوادث منعزلة لا علاقة لها بموضوع البصرة وسقوطها .

الشئون العامة والمصالح البريطانية بعد انسحاب الايرانيين من البصرة ١٧٧٩ ــ ١٧٩٧

انحلال ايران بعد وفاة كريم خان :

ما ان توفي كريم خان سنة ١٧٧٩ حتى بدأت ايران تتراجع عن مركز الصدارة والقوة بين بلدان الخليج . وبعد فترة قليلة أصبحت من أكثر هذه البلدان ضعفاً وأسوأها نظاماً . فقد نشأت المنازعات بين ورثة كريم خان انفسهم على العرش حتى تلاحق منهم عليه خلال ثماني عشرة سنة سبعة من افراد الاسرة ، الذين فقدوا كل نفوذهم في الخارج ، بل ان اقاليم ومقاطعات ايران الداخلية ذاتها خرجت عن دائرة سلطانهم ، لتجتمع تحت اول ملك من اسرة كاجار الذي خلفهم في الحكم سنة ١٧٩٧ .

ضياع البصرة من ايران سنة ١٧٧٩ والبحرين سنة ١٧٨٣ والسلطة الفعلية في بندر عباس وملحقاتها سنة ١٧٩٤ :

حالما علم صادق خان بوفاة اخيه انسحب من البصرة ، لرغبته في تثبيت حقه شخصياً في العرش ، ولحاجته الى الحامية التي تحتل البصرة في هذا الامر ، وبذلك عادت البصرة دون حرب الى السلطة التركية .

ويبدو ان صادق خان قد تعمد هذا الامر تعمداً ، وادت المقيمية البريطانية دوراً هاماً في تقديم العون لادارة عربية اخذت على عاتقها موقتاً تصريف الامور وحماية المدينة ، في الفترة ما بين انسحاب الايرانيين وعودة الاتراك .

وكانت البحرين ثاني منطقة تفقدها ايران من توابعها ، وقد هاجمها العرب اولا من البر الغربي سنة ١٧٨٢ ، ثم حاول شيخ بوشهر ــ وهو حاكم البحرين من قبل ايران ــ ان يثأر من المنطقة العربية المجاورة وهي الزبارة ، ولكنه فشل . ثم عبر العتوب المنتصرون البحر

الى البحرين وتبعتهم جماعة من العرب الاخرين ، واضطروا حامية شيخ بو شهر الى التسليم ، واستولوا على السلطة .

وفي سنة ١٧٩٤ ، انتقل تأجير بندر عباس وتوابعها من يد حاكم الاقليم الايراني الى سلطنة عمان ، وهكذا انتقل الحكم الفعلي على المراكز والجزر التي شملها عقد التأجير الى سلطنة أجنبية .

وقد اندلعت الاضطرابات والحرب الاهلية في ايران لدى وفاة الوكيل وكان انتشارها بنفس القوة في البلاد الواقعة على الخليج ، وفي المناطق الداخلية الاخرى من ايران على السواء .

الحالة الداخلية في ايران والعراق التركي وعمان عقب وفاة الوكيل في ايران :

وفي سنة ١٧٧٩ استولى خان تانجستان على بو شهر او بالاحرى سلبها وسرعان ما دمر الخان تحالف من مشايخ البلاد البحرية فيما بين ريق وعسيلوه .

وفي سنة ١٧٨٠ نشب قتال بين زعماء هرمز والمشارقة ، وكذلك بين زعماء عسيلوه وطاهري ، وفي سنة ١٧٩١–١٧٩٢ ايد امير ريق وخان خشت الحاكم الشرعي لشيراز لطف علي خان بينما ايد شيخ بو شهر مناوئي لطف علي خان فكانت النتيجة ان اصبحت المنطقة مسرحاً لغارات متبادلة بين الفريقين .

وفي العراق التركي قامت ثورة او ثورتان ضد باشا بغداد . وفي سنة ١٧٨٧ اغتصب شيخ المنتفق مدينة البصرة وحكمها بضعة شهور ، ولكن ما لبث ان ثبت نفوذ الحاكم سليمان باشا تدريجياً . وكانت الاوضاع السياسية عموماً اكثر استقراراً منها في ايران .

وفي سنتي ١٧٨٤ و ١٧٩١ حدثت بعض المناوشات من جانب بني كعب من جهة ايران ، ولكن حدث ما هو اكثر ازعاجاً وخطراً وهو عدوان الوهابيين من الحدود الغربية .

ففي سنة ١٧٨٤ بعد جيل من النماء والانتشار في نجد ، بدأ هؤلاء المتحمسون يفرضون انفسهم على حدود باشوية بغداد ، وفيما بين عامي ١٧٩٣ و ١٧٩٥ اثارت غاراتهم على الكويت حالة من الرعب ، وما إن حل عام ١٧٩٥ حتى كانوا قد احتلوا قسماً من الاحساء في المناطق التي كانت تحت حكم « بني خالد » .

وكانت امامة عمان قد انقسمت في سنة ١٧٩٣ الى ثلاث امارات ، اهمها سلطنة عاصمتها مسقط ، وهي التي خلفت الامامة في الاسطول البحري بكل جدارة بل حتى تمكن حاكمها سعيد سلطان من ضم بعض موانىء مكران لسلطنته ، مثل جوادر وشاهبار ، كما اكره الايرانيين على تأجيره بندر عباس وميناب والجزر المجاورة .

مشكلات شركة الهند الشرقية في الشرق وفي بريطانيا : ١٧٧٩ — ١٧٩٧

وحدثت في هذه الفترة سلسلة من الحروب غير الحاسمة في الهند أثقلت كاهل شركة الهند الشرقية ، الامر الذي عرقل نشاطها في الخليج . ومن بين هذه المضايقات حروب المراهطة الاولى والثانية من سنة ١٧٧٥ الى سنة ١٧٨٢ التي لم تسفر عن كبير فائدة للبريطانيين وكذلك حرب ميسوري الثانية من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٤ التي انتهت الى اعادة اوضاع المتحاربين الى ما كانت عليه ، وحرب ميسوري الثالثة من سنة ١٧٩٠ الى سنة ١٧٩٢ التي انتهت الى سلخ نصف ممتلكات سلطان تيبو ، وظل رغم ذلك عدواً له خطره .

وفي الوطن الام اضطرت الشركة لمواجهة احداث معاكسة منها الحركة التي انتهت بمشروع قانون فوكس للهند سنة ١٧٨٣ ومحاكمة وارن هيستنجز بناء على الاتهام الذي تقدم به كل من فوكس وبيرك وشريدان عام ١٧٨٨ وهي المحاكمة التي لم تنته الا في سنة ١٧٩٥ .

الخصومة بين البريطانيين والفرنسيين في الشرق ١٧٧٨ – ١٧٨٣ و ١٧٩٣ – ١٧٩٧ :

فيما بين ١٧٧٨–١٧٨٣ ونتيجة لموقف الفرنسيين المؤيد لثورة سكان المستعمرات البريطانية في امريكا الشمالية ضـــد بلدهم الام بريطانيا اندلعت نار الحرب بين بريطانيا وفرنسا في الشرق ، حيث اعادت بريطانيا، احتلال بوند شيري التي كانت فرنسا تحتفظ بها مجردة من السلاح بمـــوجب معاهدة باريس سنه ١٧٦٣ ودام الاحتـــلال الانجليزي الجديد حتى سنة ١٧٨٣ .

وفي سنة ١٧٨١ اثناء حرب ميسوري الثانية جرى قتال شديد مع الفرنسيين بقيادة سفرون في المياه الهندية .

وفي سنة ١٧٩٣ وبعد قيام الثورة الفرنسية ، أعلنت بريطانيا الحرب على فرنسا في اوربا ، ثم تلت ذلك المناوشات في الهند ، وقبل نهاية ذلك العام استسلمت بوند شيري مرة أخرى للقوات البريطانية ، كما استسلمت مراكز النفوذ الفرنسي في تشاندارناجار ، وكاريكال ، وماهي .

وفي نفس الوقت كانت السفن الحربية الفرنسية والسفن التجارية الملحقة بها ، قد بدأت من مواقعها في جزر الموريشيوس تشن غاراتها على التجارة البريطانية في البحار الشرقية ، وفي شتاء ١٧٩٣–١٧٩٤ توجهت مجموعة من السفن الحربية البريطانية الى مياه جاوه للتصدي لتلك الحملات .

وفي سنة ١٧٩٥ انضمت هولندا الى الحرب في جانب فرنسا وكانت النتيجة ان انتزعت حملة بريطانية في ١٧٩٥–١٧٩٦ جزيرة سيلان من قبضة الهولنديين .

وفي سنة ١٧٩٦–١٧٩٧ بدأ العملاء الفرنسيون في الظهور في ايران، وفي الخليج ، وفي سنة ١٧٩٧ استمر البريطانيون في عملياتهم ضد الممتلكات الهولندية في جزر الهند الشرقية .

سياسة بريطانيا والعلاقات مع الخليج ١٧٧٩ – ١٧٩٧ :

ان مصاعب بريطانيا المشار اليها مع القوى المحلية في الهند ومع الفرنسيين تفسر هي والاوضاع القلقة لحكومة ايران عندئذ ما اعترى السياسة البريطانية في الخليج انذاك من ضعف وتردد .

ولقد كانت علاقة بريطانيا بدول الخليج عموماً في وضع معقول الى حد ما لكن ظروف ذلك العصر غير المواتية جعلت من المستحيل صيرورتها علاقة وثيقة او دائمة الود . ولقد كان جعفر خان حاكم شيراز من سنة ١٧٨٥ الى ١٧٨٩ ، ميالا الى مصالح شركة الهند الشرقية فأصدر في عام واحد فرمانين لحماية التجارة البريطانية في ايران ، ولما خلفه ولده لطف علي خان ، سار على نهجه في التودد للبريطانيين .

لكن التوتر الشديد كان بين سنة ١٧٩١ الى ١٧٩٥ طابع العلاقات بين المقيم البريطاني في البصرة وبين باشا بغداد ، وفي سنة ١٧٩٣ نقلت المقيمية الى الكويت ، حيث بقيت حتى سنة ١٧٩٥ ، لكن الخلاف كان في طبيعته شخصياً لذلك عادت الصداقة بعد انتهائه الى مجراها المألوف ، غير ان نذير مستقبل مزعج بدأ في هجمتين جريئتين قامت بهما قبيلة القواسم في البحر ، حيث استولوا سنة ١٧٩٧ على السفينة البريطانية « باسين » ، كما هاجموا المدمرة البريطانية «فايبر» . لكن اهمية وخطورة هذه الاحداث – التي كانت طليعة عصر الارهاب الذي اشاعه القواسم فيما بعد – لم يتفهمها احد في ذلك الوقت .

مصالح الهولنديين وأعمالهم فى الخليج
١٧٦٣ ـ ١٧٦٦

مستوطنة الهولنديين الوحيدة في خارّج :

كان الاوان قد آن لاختفاء النفوذ الهولندي والتجارة الهولندية ، من مياه وشواطىء الخليج اسوة بما حصل للبرتغاليين من قبل .

فبعد انسحاب الهولنديين من البصرة حوالي سنة ١٧٥٢ ، ومن بو شهر سنة ١٧٥٣ او ١٧٥٤ ومن بندر عباس سنة ١٧٥٨–١٧٥٩ ، لم يبق لهم في الخليج موقع الا خارّج الذي اقاموا التحصينات به سنة ١٧٥٣ لكن وكالتهم في هذا الموقع رغم ما انفق عليها بسخاء بل وباسراف لم تحقق اية فوائد ملموسة لشركة الهند الشرقية الهولندية .

الهولنديون يفقدون خارّج سنة ١٧٦٦ :

في سنة ١٧٦٥ تورط الهولنديون في خارّج في مناوشات المير مهنا في ريق ، وكانوا حتى ذلك الحين يتحاشون ذلك .

وفي بداية العام التالي استسلم حصن الهولنديين للمير مهنا الذي استمات للاستيلاء عليه ومن ثم قام بطرد الهولنديين منه ومن سائر الجزيرة (خارّج) ولم تحاول الحكومة الهولندية او شركة الهند الشرقية اعادة تأسيس وكالتها هناك ربما لقلة فائدتها التجارية ولشدة الاخطار التي تحيط بها .

مصالح الفرنسيين وأعمالهم فى الخليج
١٧٦٣ ـ ١٧٩٧

المؤسسات السياسية الفرنسية ١٧٦٣ – ١٧٩٧ :

خلال الفترة التي انقضت بين حرب السبع سنوات والثورة الفرنسية ، يبدو ان فرنسا ظلت كشأنها سابقاً بغير ممثلين رسميين في ايران . وكان لها في البصرة سنة ١٧٦٥ مقيم او قنصل ، لم يكن يقوم بعمل تجاري ، كما لم يكن راتبه يدفع بانتظام ، وكان المتسلم في سنة ١٧٦٥ قد قرر ان يعامله في الحفلات الرسمية في مرتبة دون مرتبة المقيم البريطاني هناك ، وكان قس الروم الكاثوليك في البصرة عادة من الفرنسيين ، وكان قبل الثورة الفرنسية يقوم في الغالب الى جانب اعماله الدينية ، باعباء الاعمال القنصلية في مقر حكومة الباشا .

وبعد الثورة الفرنسية او على الاقل في سنة ١٧٩٦–١٧٩٧ أصبح الممثل الفرنسي في بغداد من غير رجال الدين ، وكان يسمى « مبعوث العلاقات التجارية » ولكن يبدو ان مركزه لم يكن يختلف عن مركز القنصل العادي في شيء .

معاملات الفرنسيين مع سلطنة عمان ١٧٦٣ – ١٧٩٣ :

في ذلك الوقت كانت الحكومة الفرنسية على علاقات ودية مع حاكم عمان واتصالها به بواسطة قنصلها في بغداد ، ووكلائها في جزر الموريشيوس ولكن هذه العلاقات المتبادلة توقفت منذ سنة ١٧٨١ الى ١٧٩٠ في أعقاب احتجاز احدى السفن الخاصة الفرنسية سفينة حربية للامام .

وفي سنة ١٧٨٥ طلبت بعثة فرنسية من الموريشيوس الاذن لها بتأسيس وكالة فرنسية في مسقط ، ولكن حظ مسعاهم من النجاح لم يكن احسن من حظ مسعى البريطانيين لنفس الهدف . وفي نفس التاريخ

على وجه التقريب .

نشاط الفرنسيين في الخليج ١٧٦٣ — ١٧٩٢ :

بدأت في الخليج بعد اعلان بريطانيا الحرب على فرنسا سنة ١٧٩٣ ، وانضمام هولندا الى صف فرنسا سنة ١٧٩٥،مرحلة قلق ودسائس ومؤامرات في البلاد المجاورة للخليج ، ولكن حتى سنة ١٧٩٧ لم تتخذ بريطانيا اية خطوة حاسمة بسبب انهماكها بمشكلات الهند ، وسيلان ، وجزر الهند الشرقية الهولندية .

بعثة بروجيير واوليفييه الى تركيا وايران من سنة ١٧٩٣الى١٧٩٨ :

كانت اهم البعثات السياسية التي ارسلتها فرنسا الى الشرق الاوسط في ذلك الوقت تتألف من المواطنين بروجيير واوليفيه ، من كبار علماء التاريخ الطبيعي .

وقد مكثت البعثة خمس سنوات في تركيا ومصر وايران من سنة ١٧٩٣ حتى ١٧٩٨ ويرد سجل مسهب عن نشاطها في كتاب(١) مسيو اوليفييه عضو البعثة .

ويبدو ان اهتمام هذين العضوين المندوبين ، فيما عدا زيارتهما القصيرة لايران ، كان مركزاً في دراسات عن السياسة والتجارة والتاريخ الطبيعي ، اكثر منه الى المفاوضات العملية ، وكان وصولهما الى اسطنبول في مايو سنة ١٧٩٣ ، وبقيا فيها حتى شهر نوفمبر من نفس السنة . وكان في العاصمة التركية مبعوث فرنسي فوق العادة ،هو المواطن ديسكورشيه ، لكن الباب العالي لم يكن يعترف به كمندوب للثورة ، وكانت الجالية الفرنسية في القسطنطينية منقسمة فيما بينها حول قضايا السياسة الفرنسية .

وامضى بروجيير واوليفييه القسم الاكبر من سنة ١٧٩٤ في المناطق

---

(١) رحلة دكتور ج٠أ٠ اوليفييه في الامبراطورية العثمانية ومصر وايران سنة ١٨٠٧ (بالفرنسية) .

التركية من الشام ، ومن ديسمبر ١٧٩٤ الى ما يو ١٧٩٥ في مصر . وفي آخر أغسطس سنة ١٧٩٥ بارحا القسطنطينية بعد عودتهما اليها من رحلة لايران .

وكان المواطن الفرنسي فيرنيناك الذي خلف ديكورشيه فيما بعد قد ضم للوفد الذي زود بالمال وبخطابات الى باشا بغداد ، والى رئيس وزراء ايران ، كما حملا رسالة شفوية من الباب العالي الى حكومة ايران ، ثم بقيا في حلب من منتصف نوفمبر سنة ١٧٩٥ الى آخر فبراير سنة ١٧٩٦ وكان هذا التأخير بناء على نصائح من اصدقائهما بضرورة اتمام رحلتهما في قافلة منتظمة ، والا فتك بهما البدو من أجراء القنصل البريطاني في حلب ، ويظهر انهما ، وقد ضرب لهمـــا مثل بما وقع للمسيو بوريل دي بورج ، اقتنعا بعدم المجازفة .

وصل بروجيير واوليفييه الى بغداد في اوائل بريل سنة ١٧٩٦ ، وبقيا هناك حوالي ستة اسابيع ، اتصلا فيها بسليمان باشا ، الذي كان من حسن طالعهما قد شفي بعلاجهما من مرض مزمن كان يشكو منه . وفي بغداد تشاورا مع مواطنيهما روسو واوتراي وكان اولهما « مبعوث العلاقات التجارية » في بغداد ، وكان الثاني تاجراً ، وفي نفس الوقت طبيباً لحاشية الباشا .

وهنا ايضاً انضم اليهما مسيو كارامان وهو شاب فرنسي ليعمل معهما كاتباً ومترجماً ، ثم غادروا بغداد مرة أخرى يوم ١٨ مايو سنة ١٧٩٦ ، ووصلوا طهران في اليوم الثاني من يوليو . وكان اغا محمد خان حاكم ايران قد ذهب الى خراسان ، فقررا البقاء في احدى القرى قرب العاصمة ، انتظار لعودته حيث شغلا نفسيهما بدراساتهما في علوم الاحياء . وفي الوقت ذاته عاد آغا خان محمد الى طهران في العشرين من سبتمبر وبعد يومين بدأ المبعوثان الفرنسيان سلسلة من المحادثات ، مع حاجي ابراهيم رئيس وزرائه ، وقدما اليه كتاب التوصية ، والتعارف ، الذي اعطاه لهما مسيو فيرنيناك ، وكتاباً آخر من باشا بغداد .

وفي ١٤ اكتوبر بعد ان اتما مأموريتهما مع الوزير ، وحصلا على البيانات الهامة الكافية عن تاريخ ايران الحديث ، شرعا في السفر عائدين الى بلادهما ، ومكثا في بغداد في الفترة ما بين منتصف سنة ١٧٩٦ الى اوائل شهر مايو ١٧٩٧ انتظاراً لتكامل القافلة التي سيسيران معها . وفي اكتوبر سنة ١٧٩٧ وصلا الى القسطنطينية بعد ان مرا في الطريق بجزيرة قبرص وبعض آسيا الصغرى ، وهناك بقيا فترة من الزمن لضرورة الحصول على نماذج هامة كانا قد تركاها مودعة في اماكن مختلفة .

وقد تسببت وفاة السفير الفرنسي مسيو اوبرت دو بايي في تعقيد سفرهما بحراً الى فرنسا ، وهو تعقيد كان بوسع المستر سميث السفير البريطاني حله لو قبل اعطاءهما تصاريح بسلامة المرور البحري ، لذلك لم يغادرا القسطنطينية الا يوم ٣٠ مايو سنة ١٧٨٩ ، وظلا يتعثران في الطريق حتى وصلا انكونا في التاسع عشر من سبتمبر ، وفي يوم ٣ اكتوبر توفي مسيو بروجيير بالحمى في اثيونا ، وعاد مسيو اوليفييه وحده الى فرنسا .

يتضح بجلاء من التراخي الذي اتسمت به رحلة هذين المبعوثين . واهتمامهما بأمور لا تتصل بالسياسة الامن بعيد ، او لا تتصل بها على الاطلاق، ان هذه الرحلة ما كان لها ان تحقق أي هدف محدد واضح . وكان القصد السياسي العام من اولى مراحل الرحلة في الامبراطورية العثمانية هو البحث عن اي مجال يمكن لفرنسا ان تستغل امكاناتها في الدولة العثمانية ، وقد اوصت البعثة في هذا الصدد بضرورة احتلال فرنسا لمصر .

لم تكن الرحلة الى طهران سنة ١٧٩٦ جزءاً من المخطط الاصلي للرحلة ويحتمل ان تكون تقررت بناء على توصية معينة — كما يبدو ذلك من مذكرات مختلفة لمسيو اولفييه يمكننا الربط بينها — تهدف اولا الى اقامة تحالف بين ايران وتركيا ضد روسيا ، وثانياً لانعاش النفوذ الفرنسي في ايران .

وبما ان المبعوثين قد حصلا على وعد بسفر سفير ايراني الى القسطنطينية فيمكن اعتبارهما نجحا الى حد ما في تحقيق الهدف الاول . اما فيما يتعلق بالهدف الثاني فاذا صح ان ما نستنتجه هو الذي حدث فعلا ، فانه يمكن القول ان التوفيق لم يحالفهما ، اذ كانت هناك عند زيارتهما لطهران معاهدتان قائمتان بين فرنسا وايران ، ابرمت الاخيرة منهما في باريس ، ووقع عليها سفير ايراني ، ولكن لم تتخذ اية خطوات لتجديد هاتين المعاهدتين ، كما لم تتخذ اية اجراءات لانشاء او استئناف مؤسسات فرنسية في أصفهان او في شيراز ، او على الخليج ، كذلك كان الشأن بالنسبة لتسليم جزيرة خارج لفرنسا ، وهي الامور التي كانت فيما يبدو –على الاقل– تداعب خيال مسيو اوليفييه (١) الذي يوضح ذلك بأنه هو وزميله تعمدا عدم اثارة هذه المشكلات نظراً للانطباع السيء الذي كوناه عن ايران كدولة .

لكن هناك امرين يبدو انهما كانا ضمن اسباب انتهاء المفاوضات عند الحد الذي وقفت عنده – الاول عدم وصول الهدايا التي كانت معدة للبلاط في الوقت المناسب(٢) ، والثاني انهما لم يقابلا

(١) أنظر كتاب رحلة الجزء الثالث ص ٨٨ – ٨٩ .

(٢) كانت الهدايا عبارة عن جواهر كان المفروض أن تصل من القسطنطينية بعد وصول المبعوثين ، وارسلت الى بغداد مع شريف هندى ، على أن يقوم مبعوث العلاقات التجارية الفرنسى بعمل ترتيب ارسالها بعد ذلك وأنظر حاشية ص ٤٤ – ٤٥ المجلد الثانى من كتاب تاريخ كاح عن الحرب فى افغانستان ، وفيه تلميح عن بعثة بروجيير واوليفييه ويذكر المؤلف بناء على تقارير سير ج. مالكولم أن أهداف هذه البعثة كانت (١) اقناع اغا محمد خان بالاستيلاء على البصرة وبغداد (٢) تحريضه على مساعدة تيبو سلطان ضد البريطانيين . (٣) الحصول على موافقته على عودة المؤسسات الفرنسية فى بندر عباس وهو ينسب عدم توفيق البعثة فى مهمتها الى حد كبير الى عدم تمتعها بالشخصية الدبلوماسية ، فقد كان اوليفييه رجلا وافر الذكاء يليق للاعمال العامة ، ولكن يجب الاعتراف بأن وصوله الى طهران دون اصطحاب الهدايا المناسبة اللازمة ينم عن عدم نضجه السياسى .

آغا محمد خان نفسه .

احتياطات البريطانيين ضد خطط الفرنسيين سنة ١٧٩٦ :

كان المقيم البريطاني في البصرة قد تلقى معلومات مبكرة يحتمل ان تكون من القنصل البريطاني في حلب ، عن وجود بروجيير واوليفييه فيها في اوائل سنة ١٧٩٦ ، فارسل بدوره الى حكومة بومباي ان قصد المبعوثين «هو انتحال صفة علماء النبات والطبيعة في رحلة من بغداد الى ايران ومنها يتسللان الى الهند » .

وبناء على ذلك كتب مستر جونثان دنكان محافظ بمباي الى مستر هانكي سميث المقيم البريطاني في بو شهر ، يأمره بالتعاون مع مندوبي الشركة في البصرة لتتبع حركات بروجيير واوليفييه ، وان يقبض عليهما اذا أمكنه ذلك ويرسلهما الى بمباي مع كافة اوراقهما .

لقد جاء ذكر وجود مندوبين فرنسيين يجوبون الشرق الاوسط في تلك الفترة ، في التعليمات التي كلف الملازم سكنر بحملها في سفينته الى مستر هانكي سميث ،وكانت هذه التعليمات تأمره بعمل تحريات دقيقة عن وجود اشخاص في مسقط فرنسيين يعملون في خدمة فرنسا — واذا وجد ان ذلك صحيح فعليه ان يطلب الى السلطات المحلية تسليمهم اليه .

وكان الافراد الثلاثة المقصودون اساساً بالقبض عليهم ، هم مسيو ديكورش والمحتمل ان يكون هو المبعوث الفرنسي فوق العادة لدى الباب العالي ومستر همفريز وهو بريطاني متمرد زامل الاول في السفر ، والاب دي بوشامب ويحتمل ان يكون هو القسيس الذي اصبح فيما بعد ممثل فرنسا في بغداد .

وكان من المظنون سفر هؤلاء الثلاثة في طريقهم الى موريتس ، حيث كان من المقرر ان يشغل الاب دي بوشامب وظيفة رسمية . وكان الملازم سكنر مفوضاً في دفع مبلغ ٨٠٠٠ روبية عن تسليم كل واحد من هؤلاء

الثلاثة الى حاكم مسقط ، وكذلك من ١٠٠٠ الى ٣٠٠٠ روبية عن كل شخص فرنسي آخر يحتمل وجوده هناك . ولا يبدو ان اية نتيجة حصلت عن رحلة الملازم سكنر ، سوى انه في يناير سنة ١٧٩٧ ارسل السيد سلطان كتاباً الى بومباي جاء فيه : ان التقرير الذي وصل الرياسة عن وجود ثلاثة من الفرنسيين في منطقة عمان يمدون حكومتهم بمعلومات ضارة بشركة الهند الشرقية ، تقرير لا اساس له من الصحة .

وفي سنة ١٧٩٧ ذاعت اشاعة بأن سفناً فرنسية وهولندية ، سمح لها السيد سلطان بالتردد على مسقط ترفع اعلاماً عربية ، ويبدو ان حاكم بومباي قد آخذ المندوب الوطني لشركة الهند الشرقية ، لاهماله في ابلاغ هذه الواقعة ، وتقصيره في الاحتجاج لدى السيد سلطان نفسه بهذا الصدد.

ولا يعرف الوضع الذي كان البريطانيون يريدون من السيد سلطان اتخاذه لمنع الاوروبيين من اساءة استعمال رفع اعلامه على سفنهم عبر البحار ، لان هذا هو السبب الحقيقي الذي ضايق البريطانيين . وكان رجل امريكي هو الكابتن كراوتش قد وصل بسفينته « لاتشمس » من بتافيا الى مسقط ومنها الى موريشوس ، ويبدو انه كان محل شك في مساعدته للفرنسيين .

وفي سنة ١٧٩٨ نتج عن اعتقال الفرنسيين في لانال(١) لولدي مستر هانكي سميث المقيم البريطاني في بو شهر —ونقلهما الى موريشوس — ان انكشفت تدابير الفرنسيين — للحصول على المعلومات بواسطة العرب الذين يزورون مسقط ، وكان طبيعياً ان تكون تحركات السفن البريطانية من الهند الى الخليج من المواضيع الهامة التي يدرسها الجواسيس الفرنسيون .

---

(١) يحتمل أن تكون لوريل

نشـاط القوى الوطنية الهندية فى الخليج
١٧٦٣ ـ ١٧٩٧

حيدر علي وتيبو سلطان من ميسور :

دأب حكام ولاية ميسور في الهند ، وبالذات حيدر علي ، الذي حكم حتى سنة ١٧٨٢ ، ثم ولده تيبو سلطان من ذلك العام وما بعده ، على استغلال الفرصة المتاحة لهما في الخليج لتوسيع نفوذهما هناك ، وذلك لعدائهما للبريطانيين ، اذ قامت بينهم ثلاثة حروب بسبب تجريد البريطانيين اياه من نصف ممتلكاته ، الى جانب الزامه بدفع تعويض قدره ثلاثة ملايين من الجنيهات ، الامر الذي كان يستوجب بالضرورة تزايد عدائه للبريطانيين .

وفي مطلع عام ١٧٧٤ زار سفير من قبل حيدر علي بلاط كريم خان في شيراز حاملا هدايا ، وحاول ان يؤمن لسيده في مقابل عون بحري لايران مصاهرة اسرة الوكيل الحاكم في ايران ، ومستوطنة تجارية هناك . وقد ذكر ان كريم خان في الوقت الذي رفض في رده موضوع المصاهرة ، منح بندر عباس لحاكم ميسور ، ولكن الواقع ان هذه المفاوضات لم تنته الى نتيجة ملحوظة . وكان يظن ان المفاوضات لو انتهت الى غير ذلك ، لوجد حكام ميسور في شيخ هرمز جاراً مزعجاً لهم في المركز الجديد .

وفي مايو سنة ١٧٧٦ علم ان السفير نفسه او سفيراً آخر من قبل حيدر علي كان في مسقط ، وحوالي ذلك الوقت نفسه(١) وصل الى مسقط رجل قيل عنه إنه سفير مغولي من قبل تيبو صاحب حاكم مانجالور وقتئذ ، واستقبله الامام استقبالا حسناً ، ومنحه ارضاً لاقامة منزل ،

---

(١) لا يمكن تحديد التاريخ و « مبعوث المغول » الذى أقام في مسقط ربما كان هو نفسه أحد سفيرى ميسور في ايران ·

وكان المقصود ان تكون هذه البعثة الى مسقط دائمة ، فلم تسحب في خلال الفترة التي نحن بصددها ، غير انه بحلول سنة ١٧٩٧ أصبح المبعوث ينعت بأنه وكيل السلطان تيبو . وكانت هذه هي الصفة الحقيقية له ، والواقع كان هناك فعلا اتصال تجاري بين مناطق ميسوري ومسقط ، اذ كانت خمس او ست سفن تحمل علم ميسوري تزور العاصمة العمانية كل سنة .

امبراطور المغول :

في هذه المناسبة يمكننا ان نشير الى زيارة الى بلاط جعفر خان حاكم جنوب ايران ، قرب نهاية عام ١٧٨٦ قام بها رجلان بريطانيان هما ميجر جون موريسون وكابتن جورج بجز ، وكان الميجور كبير السن ، وكان سابقاً من موظفي شركة الهند الشرقية في البنغال ، وقدم نفسه على أن يعمل في خدمة امبراطور المغول الشاه علم ، وانه حضر نيابة عنه لعقد معاهدة تجارية مع ايران بمعاونة شخص سماه باسم غفور بك زعم أنه كان يتوقع قدومه من دلهي . اما الضابط الشاب فقد ظهر انه لا يعدو ان يكون مرافقاً للميجور ، وكان هذان الرجلان قد غادرا بريطانيا في اغسطس سنة ١٧٨٥ ، واتخذا في رحلتهما طريق القسطنطينية وبغداد واصفهان الى شيراز ، وكان هناك امر مريب في سلوكهما ، فوضعهما المقيم البريطاني تحت مراقبة دقيقة . واتضح له ان الميجور موريسون قدم مقترحات ما الى جعفر خان ، وسلمه قائمة باسماء بعض الضباط ، ولكن المقيم علم في ذات الوقت ايضاً ان الخان بغض النظر عن خطة الميجور موريسون قد فكر ملياً فيها بما يوافق فهم ذلك الضابط لكنه لم يصدر عن أي جواب محدد ، وقبيل نهاية يناير سنة ١٧٨٧ غادر الميجور موريسون الذي كان في البداية يتحدث عن رحلة له الى دلهي عن طريق السند او جوجارات ، بو شهر قاصداً البصرة مع الكابتن بيجز وقصده الواضح هو العودة الى انجلترا .

الاجراءات البريطانية الادارية والرسمية فى الخليج
١٧٦٣ – ١٧٩٧

مؤسسات شركة الهند الشرقية في الخليج ١٧٦٣–١٧٩٧ :

عقب تخفيض مركز البصرة من وكالة الى مقيمية سنة ١٧٧٨ كما ذكرنا سابقاً كانت مؤسسات شركة الهند الشرقية في الخليج مكونة من وكالتين كل منهما مستقلة ادارياً عن الاخرى في البصرة وفي بو شهر ، ومن وكالة وطنية في مسقط اذ لم تكن حكومة مسقط قد وافقت بعد على رغبة البريطانيين في انشاء مقيمية دائمة .

جمارك وقنصليات شركة الهند الشرقية ١٧٦٣–١٧٩٧ :

وفي سنة ١٧٨٣ اضيف الى مؤسسات الشركة وكالة وطنية في بغداد . وكانت البضائع التي يستوردها التجار البريطانيون في العراق التركي او في ايران ، تدفع عنها رسوم جمركية الى شركة الهند الشرقية بواسطة مندوبيها المحليين ، وذلك بخلاف الضرائب التي كانت تتقاضاها حكومات هذه الدول .

وكان حق تحصيل هذه الرسوم على شكل الضريبة القنصلية معترفاً به في تركيا حسب نصوص الامتيازات الاجنبية ، وقد تم الاعتراف بوكلاء شركة الهند الشرقية في البصرة كقناصل في وقت مبكر هو سنة ١٧٦٤ .

أما في ايران فكان هذا الحق معترفاً به كأمر واقع او على الاقل لم يقم عليه اعتراض من السلطات الوطنية ، وكان المتبع في حساب ايرادات الشركة ان تقسم هذه الرسوم الى ضرائب جمركية ، وضرائب قنصلية ، كان النوع الاول منها بنسبة ٣٪ من قيمة البضاعة ويدخل الخزانة العامة ؛ بينما كان القسم الثاني بواقع ٢٪ ويوزع مناصفة بين

حاكم بومباي وبين الوكيل(١) او المقيم في الميناء الذي يتم فيه التحصيل .

على انه في المدة من ١٧٧٣–١٧٧٥ تقريباً كان مجموع ما تحصله الشركة من الرسوم في البصرة هو ٦٪ وليس ٥٪ ، ومن سنة ١٧٨٤ يبدو ان نصف ضريبة القنصلية كانت تسجل لحساب الشركة نفسها بدلا من حساب موظفيها .

انشاء القسم السري والسياسي لحكومة بومباي ١٧٨٥ :

في اليوم الحادي عشر من يناير سنة ١٧٨٥ قررت حكومة بومباي فصل القسم السري والسياسي من عملها عن باقي الجهاز الحكومي . وقامت في ذلك اليوم ادارة سرية وسياسية مستقلة عن الادارة العامة ، وعين مستر جيمس بيك اول سكرتير لها ، وكان من ضمن الذين وافقوا على قرار انشاء هذا القسم مستر بودام الوكيل المقيم والمحافظ (٢) ويحتمل ان يكون هو نفسه الذي زار مسقط في سنة ١٧٦٩ — كما كان ضمن الموقعين ايضاً بريجادير جنرال نلسن ، وهو لا شك الضابط الذي قاد العمليات الحربية البرية عند مهاجمة البريطانيين لخارج في سنة١٧٦٨ .

وقد اخطرت بهذا الاجراء الجديد جميع الجهات التابعة للحكومة الرئيسية بما في ذلك موظفو الخليج .

الخدمات التي قام بها الاسطول الملكي في الخليج . :

يبدو انه في هذه الفترة بدأ استخدام الاسطول الملكي في الخليج لمعاونة بحرية شركة الهند الشرقية ، وقد يعزو الوكيل والمجلس ما ابداه شيخ بو شهر في سنة ١٧٧٠ من رغبة في عودة المقيمية بعد سحبها من مينائه في السنة السابقة — الى « خوفه عند سماعه بوصول احدى سفن

---

(١) أثناء الفترة التى كانت فيها المقيمية فى بوشهر تابعة لوكالة البصرة كان نصف الحصيلة المحلية يرسل الى المقيم .
(١) أنظر الفصل الخاص بتاريخ سلطنة عمان .

الاسطول الملكي الى الخليج » .

وفي سنة ١٧٧١ عندما الح الوكيل والمجلس في طلب حملة قوية الى الخليج للقصاص من كريم خان ، وللقضاء على القرصنة اجاز مجلس المديرين في لندن الامر التالي الذي نال شهرة عظيمة لشبه اسلوبه باسلوب الروايات .

« اذا فشلت جميع الجهود المبذولة لقمع اتجاهات القرصنة لدى الايرانيين والسلطات الاخرى في الخليج ، في تحصيل تعويضات عن الاضرار الناتجة عن القرصنة ، فان عليكم ابلاغ ذلك الى الرياسة لتعرض الامر على قائد الاسطول الملكي في جزر الهند الشرقية لمحاولة الحصول على المعونة في الظروف والاحوال التي تقتضيها كل حالة بمفردها » .

وفي ابريل سنة ١٧٧٣ وقبل ايام قليلة من الانسحاب المؤقت لوكالة الشركة من البصرة ، زارت ذلك الميناء السفينة الحربية الصغيرة «سوالو» التي يبدو من اسم قائدها سيرجون كلارك انها احدى قطع الاسطول الملكي ، رغم انها كانت تحمل شحنة من البضائع الواردة من سورات .

لكن السفينة الوحيدة التابعة للبحرية الملكية التي وردت تفاصيل زيارتها للخليج هي السفينة « سيهورس » بقيادة الكابتن جورج فارمر التي وصلت بو شهر من بومباي ومسقط في الثاني عشر من مايو سنة ١٧٧٥ بعدما بدأ الايرانيون حصارهم للبصرة ، والانسحاب الثاني المؤقت للوكالة البريطانية منها .

وكان الكابتن فارمر قد تلقى تعليمات من قائده سير ادوارد هيوز : « ان يعاون شركة الهند الشرقية في اي مكان يتواجد فيه وحيث يكون للشركة وكالة او مستودعات وحين يطلب موظفو الشركة معونته » .

وبناء على هذه الاوامر عرض الكابتن خدماته على السفن البريطانية الذاهبة الى البصرة ، وحمايتها هناك ، برغم الحصار المضروب عليها ، ولكن الوكيل البريطاني الذي كان قد وصل الى بو شهر لم يقبل هذا

العرض ، والدليل على وجود حساسيات بشأن التعاون بين البحرية الملكية والشركة ظاهر من حرص الكابتن فارمر على اصطحابه رجلا معه يدعى « مستر بارسونز » ليكون شاهد عدل له عند المستر مور على اطاعة الكابتن لاوامر مور .

وفي ١٥ يوليو غادرت السفينة « سي هورس »(١) بو شهر مع سفن اخرى كثيرة كان الكابتن فارمر قد تعهد بحمايتها اثناء رحلتها الى الهند ضد المراهطة . وفي يوم ٣١ من الشهر نفسه ، وصلت السفينة الى مسقط ، حيث كان بحارتها البالغ عددهم ١٧٠ قد عانوا كثيراً من التعب نتيجة للحر الشديد ، ولرداءة الماء الذي وضع لهم على السفينة عند مغادرتها بو شهر ، وكانوا يتساقطون على ظهر السفينة من شدة الاعياء ، وقد بلغ عدد المرضى منهم ٥٠ رجلا ولم تحدث اية وفيات ، على انه بعد ايام من مغادرة السفينة لمسقط كتب مستر بارسونز وهو المسافر العادي الوحيد على السفينة ما لاحظه فقال : « انه من دواعي سروري العظيم ان ارى النشاط العظيم الذي ابداه رجالنا البحريون في أداء واجباتهم على مستوى طيب ، وان ارى تبدل احوالهم من الشحوب والوهن ، الى النضرة والحيوية ، فقد استعادوا من القوة ما يمكنهم من أداء ضعف الواجبات المنوطة بهم ، وقد كنا عندما بارحنا مسقط لا نجد الرجال اللازمين لاداء الاعمال العادية المطلوبة فوق السفينة من شدة الحرارة ، والآن كل رجل على ظهر السفينة يتحمل اعباءه بهمة فائقة ، ويستطيع ان يرتدي معطفاً او هو يرتديه فعلا » .

بريد الصحراء :

منذ ايام حرب السنوات السبع مع فرنسا ، كان الطريق بين الهند

---

(١) هناك تفاصيل على درجة بالغة الاهمية فاتت المعاصرين ، ذلك ان هوراشيو نلسون كان ينتمي في ذلك الحين الى السفينة سي هورس وربما كان قد شارك في هذه الرحلة ــ (راجع هامش ص ١٢٦٠ من النص الانجليزي لهذا الكتاب) .

واوربا مروراً بالبصرة وحلب هو الذي يسلكه رجال شركة الهند الشرقية بل حتى ورجال الحكومة البريطانية باعتباره طريقاً اميناً وقصيراً ، ويبدو ان البريد البري او « بريد الصحراء » ، كما كانوا يسمونه كان يتولاه موظفو الشركة في البصرة بالاشتراك مع القنصل البريطاني في حلب وفي الفترة القلقة في ختام القرن الثامن عشر كان السهر على استمرار هذا الطريق من اهم واجبات وكيل الشركة في البصرة .

وفي أثناء احتلال الايرانيين للبصرة بين سنتي ١٧٧٦ و ١٧٧٩ ، وكذلك لدى انتقال المقيمية البريطانية موقتاً الى الكويت ، اصبحت محطة النهاية من الناحية الشرقية لهذا الخط في الكويت بدلا من البصرة . لكن تشغيل الطريق لم يكن مرضياً ، كما كان في الاحوال العادية لاسباب عديدة ، وكانت العلاقات الودية التي كان البريطانيون يحرصون على رعايتها مع قبائل العرب مثل قبائل المنتفك ، وحتى مع الوهابيين في داخل الجزيرة العربية الذين بدأ بظهورهم تشويش الاوضاع في المنطقة كافية عموماً لضمان سلامة البريد البريطاني .

الجوازات والقوافل البحرية بين عام ١٧٦٧ – ١٧٧١ :

نشطت القرصنة في السنوات التي تلت نجاح المير مهنا في تحدي البريطانيين والايرانيين سنة ١٧٦٥ ، وبعد فشل الحملة البريطانية التركية ضد قبيلة كعب قطاع الطريق سنة ١٧٦٦ ، ثم ازداد نشاطها بعد سنة ١٧٦٩ بمناسبة الحرب بين كريم خان وامام عمان ، فاضطر مندوبو شركة الهند الشرقية الى التفكير في الوسائل المختلفة المناسبة لحماية المشحونات البحرية عموماً .

وفي سنة ١٧٦٧ رأى الوكيل والمجلس في البصرة ، بعد ان شمخت رؤوسهم لوضع مجموعة بحرية في الخليج تحت امرتهم ،ان يُعطوا اعلاماً بريطانية وتصريحات للمرور للوطنين من اصحاب السفن الذين طلبوا ذلك نظير دفع مبلغ ١٠٠ روبية عن كل سفينة سنوياً ، واتخذوا ذلك

دون الرجوع الى رؤسائهم .

ومن الواضح ان المسؤولين المحليين كانوا يتكهنون بأن تلك الجوازات ستكفل، بغير ان تحدث ازعاجاً لهم ، حماية السفن من ان يسلبها رعايا بعض صغار المشايخ، فضلا عما تغل للشركة من ارباح طيبة ، ولما صدرت التعليمات الى المقيم البريطاني في بوشهر بتنفيذ هذا النظام رأى ان يزيد عليه ، فاقترح ان تحصل نفس الرسوم التي يدفعها التجار البريطانيون الى الشركة من التجار الوطنيين الذين يحصلون على تصريح بريطاني للمرور . ولكن الوكيل بدعم من المجلس لم يوافق على ذلك ، لانه رأى ان التجار الوطنيين الذين يدفعون ٨٪ او ٩٪ من قيمة بضائعهم ضريبة جمركية للادارة الايرانية لا يعقل ان يطالبوا بدفع المزيد فوق ذلك ، ولما وصل الاجراء الذي اتخذته الوكالة برمته الى علم مجلس مديري الشركة صدر بشأنه القرار التالي :

« في كتابكم المؤرخ ١٥ نوفمبر تشيرون الى قرار اتخذتموه ونفذتموه باعطاء تصاريح ممهورة بخاتم الشركة الى السفن والزوارق العاملة في الخليج في مقابل دفع مبلغ مائة روبية سنوياً لحمايتهم من ان ينهبهم كثير من شيوخ العرب ، وقد يكون هذا الاجراء في صالح هؤلاء التجار الى حد ما ، لكنه بالنسبة لموظفي الشركة سيكون عظيم الضرر وغير مقبول ، ذلك ان مير مهنا رغم زعمه احترام هذه التصاريح في الوقت الحاضر ، فانه يمكنكم الحكم بأنه لن يستمر طويلا على هذه الحال ، لانه يعتمد اساساً على نهب نفس هؤلاء الناس الذين ترغبون انتم في حمايتهم . وثمة اعتبار آخر ، هو ان المير مهنا ما هو الا واحد من كثيرين في أدنى الخليج ممن يحترفون نفس العمل والذين سليحون بعد الآن على المزيد منه ولا سيما بعد ان رأوا فشلنا في البصرة وهي المرة الاولى التي يرون فيها شاهداً حياً على فشل عسكري لنا .

وعليكم ان تتوقعوا انكم ستتلقون باستمرار شكاوى من عدم احترام التصاريح ، دون ان يكون لكم حول لتصحيح الامور الا اذا

بقي الاسطول طول العام في الخليج ، والى جانب ذلك فان الامر يقتضينا ان نصبح في حالة حرب دائمة مع جميع العرب ، واذا نحن لم نلق بالا لمهانة تلحق بجوازاتنا فان كرامتنا ستضيع لا محالة .

وعلى اية حال فهذا اسوأ اجراء شاذ قمتم به ونفذتموه دون تعليمات من رؤسائكم . ومن العسير ان نشك بعد هذا النقد اللاذع الذي صدر في ٢ مارس سنة ١٧٦٨ في ان مشروع الوكالة لمنح الاعلام والتصاريح قد توقف تنفيذه ، لكن يبدو ان بعض التأخير حصل في ابلاغ اوامر مجلس المديرين بدليل انه في شهر سبتمبر سنة ١٧٦٩ استفسر الوكيل والمجلس في البصرة من حكومة بومباي « عما اذا كانت طراداتنا عليها أن تبحر وتحمي السفن ضد اي عدوان اذا وقع خلاف مع « الخان » (١) الا اذا كانت تلك السفن لديها تصاريح واعلام بريطانية – والى اي مدى يؤثر حصول هذه السفن على التصاريح على مصالح شركة الهند ؟ . »

على ان حماية التجارة ، بقدر ما كانت تتولاه الشركة في ذلك الوقت ، بدأت تعتمد على سلسلة من القوافل البحرية التي استمرت حوالي سنتين او ثلاث في الوقت الذي كانت فيه الحال في الخليج في أسوأ أوضاعها من ١٧٦٩–١٧٧١ ، والتي انتفع بها التجار على قدر ما كان يسمح لهم بذلك .

وفي ربيع سنة ١٧٦٩ انقسم اسطول شركة الهند الشرقية المحلي قسمين ، استخدم احدهما كلية لحماية القوافل في مياه الخليج ، ثم أصدرت حكومة بومباي بعد ذلك اوامرها بتركيز موضع السفينة«دريك» في مسقط في شهري ابريل وديسمبر لحماية السفن الهندية طوال رحلتها من موانىء الهند الى البصرة .

وفي خريف ١٧٦٩ قرر الوكيل والمجلس في البصرة عدم اتخاذ اي اجراء خاص لابحار قافلة لسفن البن كالمعتاد سنوياً من مسقط الى

---

(١) كريم خان حاكم ايران .

البصرة ، خشية إغضاب كريم خان ، الذي كان في حرب مع الامام . وكانوا يظنون ان باستطاعة الامام نفسه توفير الحماية الكافية لهذه السفن ، او اذا لم يكن ذلك ممكناً ، فان من الممكن ان تنتظر السفن على الاقل الى ان تعود السفينة «دريك» الى مسقط في موعدها المعتاد .

وفي صيف سنة ١٧٧١ بعد اعتداء القراصنة على السفينة «بريطانيا» استخدم عدد كبير من السفن في اعمال القوافل في الخليج بما فيها « ريزوليوشن » و « اكسبديشن » و « بمباي » و « دولفن » و « فوكس » وقد ارسلت السفينتان اكسبديشن وفوكس مرة خصيصاً الى مسقط لاحضار بعض السفن التي كانت محجوزة في ذلك الوقت .

سلوك موظفي شركة الهند الشرقية واحوال العمل :

حدث في أثناء الفترة الثانية لحكم كلايف في البنغال ، من سنة ١٧٦٥ الى ١٧٦٧ ان خطر لاول مرة لمـــوظفي شركة الهند الشرقية مزاولة أعمال تجارية خاصة او قبول الهدايا ، وقد زيدت مرتباتهم بدرجة كبيرة من حصيلة احتكار تجارة الملح ، ولم يطبق هذا الاجراء على مؤسسات الشركة في الخليج ، فمما لا شك فيه انه لم تكن هناك ضرورة لتنفيذه في هذه المنطقة لان موظفيها لم تكن لديهم سلطات تنفيذية او ادارية ، واستمر موظفو الشركة يزاولون التجارة الخاصة بهم علناً لبضع سنين بعد انتهاء الفترة التي نحن الان بصددها .

وقد نسبت اعمال وتصرفات خطيرة الى السادة شو وجاردن ومستر سكب من وكالة البصرة واجرى فيها التحقيق في السنوات من ١٧٦١ الى ١٧٦٨ ومن ١٧٦٨ الى ١٧٦٩ . ولكن في كلتا القضيتين لم يثبت ارتكاب اعمال مخلة بالامانة ، وثبت ان الاتهامات كانت تعزى الى احقاد وحزازات شخصية .

وفي سنة ١٧٦٧ صدر الامر الغريب التالي من الحاكم والمجلس في بمباي الى الوكيل والمجلس في البصرة ، ومن الواضح انه كان بسبب

اساءات سابقة وهو يقول « لقد وجدت مخالفات خطيرة نتيجة السماح لقائدي السفينة في ايران بالطعام على حساب الشركة الموقرة دون اي تحديد وقد قررنا انه سيسمح لهم بالخصم على حساب الشركة لما قيمته روبيتان عن كل يوم لكل رجل سواء من الاوربيين او الاتراك او الايرانيين ، ممن تدعو الضرورة الى اطعامهم علـى موائدهـم ويجب ردها لهم بموجب هذه التعليمات ، وعليكم مراجعة الحسابات الخاصة بسفنهم قبل عودتها الى الهند » .

التجارة الخارجية في الخليج ١٧٦٣ ـ ١٧٩٧

ظروف غير موفقة للتجارة الخارجية في هذه الفترة :

تتميز الفترة التي نحن بصددها عموماً بعدم التوفيق التجاري في الخليج ، وكان اهم الاسباب لذلك ، هي الاحوال السياسية وعوامل أخرى ليست لها صفة الاستمرار والدوام ، من ذلك نشاط القرصنة التي مارسها رجال قبيلة بني كعب من اتباع المير مهنا وبعض مشايخ الخليج والقواسم الذين برزوا في ذلك الميدان ، كذلك زوال البعثة التجارية الهولندية من جزيرة خارج ، وندرة البهارات في كل من ايران والعراق التركي ، والخسائر الناجمة عن انتشار الطاعون في العراق التركي سنة ١٧٧٣ ، ثم حصار الايرانيين للبصرة واحتلالهم لها ، وما كان من حكمهم للمدينة من سنة ١٧٧٦ الى سنة ١٧٧٩ ، واخيراً وليس آخراً الحروب الاهلية التي قامت في ايران بصفة تكاد تكون مستمرة بعد وفاة كريم خان في سنة ١٧٧٩ . كل هذه كانت عوامل هامة تحول دون التجارة وازدهارها . وكان من نتيجة نشاط القرصنة ان ازدادت اجور شحن البضائع التي يتقاضاها اصحاب السفن ، وفي نفس الوقت دفعت

الى توقف السفن غير المسلحة ، او ذات التسليح الضعيف عن الملاحة في الخليج ، وقد اصبحت ندرة البهارات ظاهرة ملحوظة . وثمة اسباب اقتصادية ايضاً — فلم تكن هناك منتجات محلية كافية للتصدير ، بحيث تحقق التوازن مع البضائع المستوردة كما انه مما لا شك فيه ان خزن البضائع نتيجة عدم الاستقرار ، كان له اثره في الحالة التجارية . وحتى في أيام كريم خان كان هناك نقص كبير في النقد في ايران لدرجة دعته لان يحظر خروج النقد . وكان من نتائج سياسته هذه ، ان الميزان التجاري بدأ فيه بعض الميل لصالح ايران ، ويرى البعض ان هذه النتيجة تبرر السياسة التي اتبعها .

وبعد ذلك حوالي سنة ١٧٩٠ جاء في التقارير(١) ان تسعة اعشار التجارة الواردة من الهند الى ايران كانت تُدفع نقداً،وقد قدر البعض التزيف النقدي من ايران لصالح الهند بما يعادل خسائر الاخيرة من منهوبات نادر شاه الايراني منها .

لم يكن من اليسير الحصول على الذهب من تركيا ، وكان التعامل النقدي في غير صالحها ، فالمدفوعات للعملاء كان يؤديها التجار العرب والاتراك في أغلب الاحيان بالعملات البندقية او الهولندية او الهنغارية .

وكان للاحداث السيئة التي مرت بالبصرة بين سنة ١٧٧٣—١٧٧٩ اثرها في انكماش تجارتها ، وفي وضعها التجاري ، اذ تجنبها تجار منطقة الخليج العليا ، الذين كانو قد تعودوا الذهاب اليها بوصفها مركزاً هاماً للشراء وكانوا يحملون معهم النقد من مختلف مناطق الامبراطورية التركية .

---

(١) يرى كابتن ج · مالكولم سنة ١٨٠٠ ان القسم الذى كانت تدفع ايران ثمنه من البهارات والسبائك يقدر بمبلغ ٨٠٠ر٠٠٠ روبية أى أربعة اعشار الواردات — كما قدرت صادرات البصرة من البهارات والسبائك سنويا بمبلغ مليون روبية وجملة الصادرات ثلاثة ملايين روبية ·

وكان من عوامل الافقار لاقاليم الخليج بصفة عامة تلك الحروب التي دامت سنين عديدة ، فأساءت الى الصناعات واوقفت طرق المواصلات في ايران .

وكان ينظر عموماً الى حج الشيعة الى النجف وكربلاء على انه استنزاف للثروة الايرانية دون ما يقابلها من دخل ، بل اتضح جلياً في تلك الفترة ان ما تفقده ايران في هذا السبيل كان مجرد عملية نقل الثروة الى العراق التركي دون ان يحتسب ضمن التجارة العامة في الخليج .

صادرات الخليج :

كان اللؤلؤ أثمن صادرات الخليج في ذلك الوقت ، كما هو الحال حتى في وقتنا الحاضر ، وقد قدرت قيمة تجارة اللؤلؤ التي كانت مركزة في جزر البحرين ، بمبلغ نصف مليون(١) روبية هندية فقط في سنة ١٧٩٠ . ومما ذكر بشأن هذا الفرع من التجارة ما يأتي :

« كان القسم الاكبر من اللؤلؤ(٢) ينقل من البحرين الى سورات مباشرة ، ومن البحرين الى ميناء مخا عن طريق مسقط والى بو شهر وسندي ، والى سورات وكلكتا ، ومن الاربعة بلاد الاخيرة يوزع في قندهار وملتان وبلاد التتر والهند والصين » .

وكانت الكميات الباقية ترسل الى اسواق الخليج ، وبعضها يجد طريقه الى اسواق اوربا عبر بلدان الشرق الادنى .

وكانت صادرات ايران الحقيقية تتكون من النحاس الخردة والعقاقير وماء الورد ، والفواكه المجففة والحرير الخام ، والقطن الخام ،

---

(١) يذكر كابتن ج٠مالكولم فى مذكراته بعد سنة ١٧٩٠ بعشر سنوات فقط ان قيمة صادرات اللؤلؤ السنوية تبلغ مليون روبية ٠

(٢) فى سائر المصطلحات التجارية ، وهو أمر يبدو من باب التصنع العجيب ، كانت كلمة لؤلؤ تعامل ك « اسم جمع » ٠

والكبريت ، والملح الجيلي ، كما كانت صادرات العراق التركي تتكون من التمر بما قيمته أكثر من نصف مليون روبيه هنديه سنوياً . ومن النحاس الخرده والحديد والعفص والتبغ والافيون والصمغ والاوتار والبوص ، كما كان يصدر كثير من الخيول الى سورات وجوجارات في الهند . هذا علاوة على تجارة الترانزيت التي كانت تمر بطريق البصرة وتتكون من مصنوعات كثيرة ومواد اخرى واردة من اوربا ، واقاليم تركيه أخرى بعيدة عن بغداد في طريقها الى بلاد الخليج والهند .

استيرادات الخليج :

كانت اهم الواردات عن طريق الخليج الى كل من ايران والعراق التركي ، تتألف من خردوات (الاقمشة المختلفة) وتأتي من البنغال ، والشيت الملون من « كوروماندل » ، وملابس الاطفال من « مدراس » وخيوط القطن ، والمصنوعات القطنية المختلفة من « مالابار وبروش وكامبي وسورات ، وجوجارات » ، والبضائع الصوفية والحريرية ، والبن العربي وسكر النبات والسكر ، والبهارات ، والتوابل والعطور والنيلة ، والعقاقير ، والخزف الصيني ، والمعادن من بريطانيا .

وكانت الورادات من البضائع الهندية تتألف من اقمشة الموسلين والمنسوجات القطنية الرفيعة من البنغال ومدراس ، ومن الاقمشة القطنية السميكة من سورات لاستهلاك العرب .

وبحلول سنة ١٧٨٩ كانت المبيعات من البضائع الصوفية الانجليزية ، قد هبطت الي ربع ما كانت عليه قبل ذلك بعشرين عاماً ، وما لبثت ان توقفت تقريباً في سنة ١٧٩٦ ، والاسباب الرئيسية(١) لذلك ترجع فيما

(١) هذه هى الاسباب التى ذكرها السائح الفرنسى مسيو اوليفييه وهو يذكر ان المبيعات السابقة من الصوف البريطانى كانت تقوم بها شركة الهند الشرقية مدفوعة بالتزامها من جانب الحكومة
←

يبدو الى ارتفاع اسعارها ، ومزاحمة الانواع الفرنسية الرخيصة الثمن ، والجيدة النوع . وكانت البضائع الحريرية البنغالية تلقى تفضيلا في العراق البّركي عن نظائرها من الصين ومن جيلان .

وكانت تجارة البن تتم بكميات كبرى واثمان مواتية ، فكان يقدر ان نصف محصول البن اليمني يباع في الخليج ، كما كانت منطقة الخليج تمد جميع البلاد المجاورة لها واقساماً من اوربا بهذه السلعة اليمانية كما كان السكر الامريكي عندما تنخفض اسعاره يفضل على سكر شرقي الهند ، اما سكر باتافيا ، والبنغال فقد كانت لهما مكانة هامة ضمن المبيعات .

وكانت النيلة الهندية تكتسح نظيرتها الامريكية في اسواق الخليج ، وكان قد بدأ انتاج الصبغات محلياً في منطقة « شوشتار» في عربستان .

توزيع وتنسيق التجارة الخارجية في الخليج :

ونحن نجد ان الكابتن ج. مالكولم في تقريره الذي كتبه عام ١٨٠٠ بعد انتهاء الفترة التي نحن بصددها بزمن قليل ، وقبل حصول اي تغيير ملحوظ على الاوضاع القائمة آنذاك ، يلقي الاضواء على توزيع التجارة الخارجية في ذلك الحين .

البريطانية بتصريف كمية محددة من المصنوعات البريطانية ، وللوفاء بهذا التعهد كانت الشركة تبيع ذلك القدر من المصنوعات مع تحملها بعض الخسائر سنويا ـ فلما توقف نظام بيع هـذه المصنوعات بالخسارة نتيجة لتعديل الاتفاق السابق ، توقف أيضا بيع هذه الاقمشة ـ كما يذكر ذلك المصدر ـ لعدم قدرتها على منافسة الاصواف الفرنسية .

ويقول كاتب هذا الكتاب انه لم يجد ما يؤيد زعم اوليفييه في هذا التفسير ضمن المصادر البريطانية الرسمية أو غير الرسمية .

ويذكر اوليفييه أن المصنوعات الفرنسية من الاصواف والساتان والقطيفة والاقمشة الموشاه بالذهب والفضة والدنتيلا ، كانت تلقى رواجا فى بلاد الخليج ، وكان قسم منها يصل حتى الى « قندهار » .

وطبقاً لما جاء في هذا المصدر ، كانت جملة تجارة الخليج من صادرات وواردات ما قيمته ١٦٠ لاك من الروبيات سنوياً ، والقسم الاكبر منها مع الهند ، وكانت الواردات السنوية من الهند تقدر بمبلغ ٢٠ لاك من الروبيات يقابلها من الصادرات ما قيمته ١٢ لاك من البضائع و ٨ لكوك من البهارات والذهب .

وكانت واردات العراق التركي من الهند تبلغ ٢٠ لاك سنوياً تدفع في شكل بضائع بما قيمته ٣٠ مليوناً ، وبهارات وذهب بمقدار عشرة لكوك . وكانت البحرين وباقي بلاد الساحل العربي مع الخليج تستورد من البضائع الهندية ما قيمته ١٠ لكوك سنوياً ،وتصدر من اللؤلؤ بنفس القيمة .

اما البن العربي الذي يصل الى الخليج سنوياً فكانت قيمته تقدر ب ٢٠ لاكا من الروبيات ، وكانت مسقط والبصرة هما اهم موانيء التجارة الخارجية ، فكان القسم الاكبر من تجارة الوارد والصادر عن طريق هذين الميناءين ، كما قدر ان اكثر من نصف الواردات الهندية الى البصرة وبو شهر ومعظم الاستيرادات في البحرين كانت تصل عن طريق مسقط وبالمثل كانت جميع البضائع الواردة من اوربا واسيا الصغرى ، وما الى ذلك ، ترد الى مركزها الرئيسي في البصرة حيث يتم توزيعها .

وكانت بو شهر في ذلك الوقت هي المكان الوحيد في ايران الذي يناظر البصرة في العراق التركي،وكانت البحرين تمد الاحساء والجزيرة العربية عن طريق الزبارة والقطيف — اما مسقط فكانت الميناء الخاص بتجارة الترانزيت . وكانت بو شهر والكويت في بعض الاوقات تعتبر مراكز لتهريب البضائع الى العراق التركي واحياناً الى اوروبا عن طريق العراق .

اما نقل البضائع بين الهند والخليج فكان يـتم بواسـطة سـفن للتجار الاوروبيين في الشرق وبعضه الاخر في سفن لتجار مسلمين من صورات والباقي في سفن لتجار عرب من مسقط .

وكان توزيع البضائع من مسقط يتم اولا عن طريق البحر ولكن بعد احتلال العرب للبحرين في سنة ١٧٨٣ تولى « العتوب » بنجاح شئون هذه الحرفة وقاموا بقسم كبير من نقل التجارة بين مسقط والبصرة، كما شرعوا في القيام برحلات لحسابهم من والى الهند .

وقد اصبح للعتوب مكانتهم في البحر بعد كسرهم شوكة القراصنة الذين كانوا يهاجمون سفنهم ، وظلت البحرية التجارية لمسقط تمثل القسم الاكبر من سفن دول الخليج ، وكانت تتألف من سفن تدعى البغلة والسنبوك والبوم (١) وانواع اخرى صغيرة وقوية ، واهل مسقط يعتبرون من انشط التجار المغامرين، ولو انهم لم يكونوا من امهر رجال البحر .

المواصلات التجارية :

كانت الرحلات البحرية فيما بين الهند الى البصرة ذهاباً وعودة تعتبر مأمونة طوال العام ، حتى في الزمن الذي كانت فيه السفن ما زالت شراعية ، غير انه من يونيو الى سبتمبر كان هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية يعوق الرحلات المباشرة بين الهند ومسقط ، وكانت الرحلة تتطلب المثابرة والمهارة والسفن القوية ، وفي شهري يونيو ويوليو — نظراً لاستمرار هبوب الرياح الشمالية — كانت الرحلة من مسقط الى أعالي الخليج شاقة وعاصفة .

وفي سنة ١٧٩٠ كانت هناك تعريفة محدودة عن اجور نقل البضائع في الزوارق التي تقطع انهار العراق التركي وعربستان ، وكانت الوحدة المحتسبة في تلك هي « البالة » ووزنها ٣٠٠ الى ٤٠٠ رطل انجليزي ، وأجرة شحن البالة من البصرة ١٢ روبية هندية بطريق نهر دجلة الى

---

(١) اصطلح الغربيون على اطلاق اسم (Dhow) على مراكب الخليج الكبيرة التى كانت تستعمل للاسفار مثل البغلـــة والسنبوك والبوم . (المترجم)

بغداد و ١٥ روبية بطريق نهر الفرات الى الحلة و ٤ روبيات هندية الى شوستار بطريق نهر قارون . وكانت هذه الفئات شاملة للرسوم الجمركية التي تدفع الى السلطات المحلية علاوة على اجور الشحن ، وكانت تكاليف نقل البضائع من الحلة الى بغداد برا على البغال او الجمال ٤ روبيات للبالة الواحدة ، وكان من الميسور في تلك الاونة نقل التجارة من الكويت او البصرة الى حلب بواسطة القوافل ، وكانت اجرة نقل حمل البعير من وزن ٧٠٠ رطل انجليزي بما في ذلك ثمن هدايا المشايخ هو ١٣٠ روبية هندية للاقمشة و ٩٠ روبية للبضاعة الثقيلة شاملة وكانت اجور النقل الى بغداد نصف اجرة النقل الى حلب ، وكانت رحلة القافلة من الكويت الى بغداد تستغرق حوالي ثلاثين يوماً ، ومن الكويت الى حلب حوالي ٨٠ يوماً .

توصيات لزيادة التجارة البريطانية في الخليج سنة ١٧٩٠ :

ان معلوماتنا عن ظروف التجارة في الخليج في ذلك الوقت مستمدة في أغلبها من تقرير عن التجارة اعده الساده مانستي وجونز من مقيمية البصرة سنة ١٧٩٠ . ولعل القارىء يهمه ان يعرف موجزاً لتوصياتهما بشأن زيادة حجم التجارة البريطانية .

تشير هذه التوصيات الى تصدير وتوريد بعض اصناف معينة بذاتها ولم يكن واضعا التقرير يائسين من مستقبل تجارة الاصواف البريطانية الا انهما اكدا ضرورة خفض اسعارها نسبياً ، واختيار الالوان المناسبة ووصول الشحنات الى السوق المحلية سنوياً في شهر اكتوبر على الاكثر . وكانا يعتقدان ان مصنوعات الحديد والزجاج بمقدورها ان تدر ربحاً اكثر ، وان السجاد الانجليزي ذا الاسعار المعتدلة يمكن ان يلقى رواجاً في السوق . ومن بين اهم الصادرات التي اشار التقرير لها العقاقير الايرانية التي لم تحظ بالعناية الكافية ، ولكنهما لم يلقيا بالا الى ان صوف كرمان الذي تزداد الحاجة اليه لصناعة الشالات يمكن الحصول عليه بعد ان منع

جعفر خان تصديره بكميات تزيد عن ٣٠٠٠ وحدة وزن تبريزي سنوياً واشارا الى صناعة الانبذة باعتبارها قابلة للنمو المطرد ، واقترحا دراسة انواع الاصباغ التي يستعملها الايرانيون في صناعة السجاد ، حيث كانت تفوق في ثباتها الاصباغ التي كان يستعملها صناع السجاد في ولتن واكسمنستر .

وبالنسبه للاساليب التجارية في المستقبل ، فقد اقترحا التخلي بعض الشيء عن مبدأ عدم فتح حساب للعملاء المحليين ، وعن تخفيف اجراءات المقايضة كما اقترحا ان يمنح موظفو الشركة في الخليج شيئاً من حرية التصرف في هذه الامور . وبذلك يمكن الحصول على طلبات من تجار موثوق بهم ، ممن كانوا عاجزين عن الدفع النقدي في حالة ندرة البهارات . وقد اقترحت تعديلات على الضرائب القنصيلة بمعدل ٢٪ وكانت هذه تجبى في بو شهر والبصرة وتقسم من بعد مناصفة بين المقيم المحلي وحاكم بومباي، وقد أصبح نصفها منذ سنة ١٧٨٤ يضاف لايراد الشركة . لقد كانت هذه الضريبة تفرض فقط على بضائع تجار الخليج من البريطانيين الذين راح عددهم يتناقص منذ سنة ١٧٨٠ مما نتج عنه تضاؤل حصيلة الضريبة ، لذلك نصح ما نسبي وجونز بأن تفرض هذه الضريبة القنصلية ايضاً على التجار الارمن والمسلمين المقيمين في مستوطنات الشركة في الهند . وكان هؤلاء ينقلون معظم التجارة التي تشحن تحت العلم البريطاني ويقودها بحارة بريطانيون . كما ذكر ان الواردات الى البصرة وبو شهر ، التي ترفع العلم البريطاني كانت تقدر بنحو ٢٠ لاك من الروبيات سنة ١٧٨٧ وعلى ذلك فان توسيع دائرة الضريبة القنصلية ، يمكن الشركة من الحصول على ميزات هامة خصوصاً اذا عم السلام وساعد على ازدهار التجارة .

توصيات بشأن الوظائف :

وفي تقرير سنة ١٧٩٠ اقتراحات بتعديلات كثيرة في الوظائف الرسمية للشركة .

هناك اقتراح بجعل المقيم في بوشهر « مقيماً في ايران » وله الاختيار في الاقامة اما في بو شهر او في شيراز عاصمة البلاد . وان يعين له كاتب يؤدي عنه الاعمال الروتينية في بو شهر ، واخصائي في المشروبات يقيم ايضاً كمستشار للمقيمية في تجارة المشروبات ، وان تقام وكالة بريطانية في مسقط لو امكن ، فهذه مركز تجاري هام وموقع ممتاز لدراسة تجارة الخليج كلها ، كذلك ان يعاد تنظيم وكالة كانت قد فتحت في سند ، ويعمل بها موظف متنقل ، مهمته ان يزور مولتان ، وقندهار اذا دعت الضرورة . واوصت هذه المذكرة ايضاً بتفضيل طريق تجارة مسقط وافغانستان مروراً بوادي الهندوس الذي كان تجار بو شهر قد استطاعوا ان يقطعوه بنجاح ، واقترح ايضاً ان يجعل الصوف والمعادن البضائع المستعملة في التجارب التجارية ، واشارت المذكرة أيضاً لضرورة ارسال موظف مدني من بومباي ليزورايران ويدرس على الطبيعة موارد التصدير والاستيراد في كل اقاليم المملكة ، ثم يكتب تقريراً مفصلا بنتائج دراسته .

ولسنا نعرف الى اي حد تقبلت شركة الهند الشرقية توصيات مذكرة السيدين مانستي وجونز ومن بين الاستنتاجات التي ختم التقرير بها ما يلي :

« ويرجو كاتبا هذا التقرير ان يؤكدا ، قبل اختتامه ، بأن نجاح التجارة البريطانية عموماً في جزيرة العرب وايران ، ونجاح الخطط التي ضمناها التقرير سيكون كله رهناً بمسلك المسئولين عنه ، ونأمل بأن يركز هؤلاء الموظفون الذين ستناط بهم هذه المهام اهتمامهم على مقاصدهم ونواياهم باعتبارها ، دون نجاحهم ، هي المبدأ المحكم في كفاءتهم خصوصاً وان مهمتهم مفعمة بالحساسية الزائدة والمصائب الكبيرة » .

تاريخ الخليج أثناء الحقبة النابليونية فى الشرق
١٧٩٨ ـ ١٨١٠

ان الحقبة النابليونية في الشرق ـ اذا صح اطلاق هذا الاسم على تلك الفترة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، والتي كانت اسس سياسة بريطانيا الاسيوية خلالها توضع في ضوء علاقات بريطانيا بفرنسا ـ كانت في الخليج حقبة اقصر منها في اوروبا . انها في الخليج تبدأ بغزو نابليون لمصر سنة ١٧٩٨ وتنتهي بطرد الفرنسيين من جزر الموريشيوس في سنة ١٨١٠ . وخلال هذه الفترة كان على حكومة الهند وحكومة صاحبة الجلالة ايضاً ان تواجها مشكلات خطيرة نجمت عن غارات منتظمة من جانب السفن الفرنسية الحربية والخاصة على التجارة البحرية البريطانية ومن جانب القلق العظيم مما كان ينتويه الفرنسيون ، ومما اتضح من أعمال سبق ان قاموا بها في ايران على وجه الخصوص . ثم كان عليهم ايضاً ان يواجهوا مستوى خطيراً من الاحداث المحلية في الخليج نتيجة ظهور القرصنة وانتشارها السريع بين قبائل العرب التي اعتادت ركوب متن البحار والتي شجعها وزاد منها ظهور الوهابيين النجديين بشراستهم وتعصبهم على طول ساحل الخليج .

هجوم الفرنسيين على التجارة البحرية البريطانية فى الشرق واجراءات بريطـانيا الدفاعية
١٧٩٨ ـ ١٨١٠

لم يكن الخليج الا جزءاً صغيراً من ميدان الصراع الانجليزي الفرنسي في بحار الشرق ، وكانت قاعدة فرنسا في هذا الصراع جزر موريشيوس التي يؤهلها موقعها للهجوم على العديد من الطرق التجارية البحرية الهامة .

وكانت اولى السفن التي استولى عليها الفرنسيون في هذه المنطقة السفينة « بيرل » في سنة ١٧٩٩ التي سنشير اليها في تاريخ سلطنة عمان ، وقد استولوا عليها بعد معركة دارت بين سفينة حربية فرنسية واخرى بريطانية ، دمرت خلالهما السفينتان كلاهما غير ان الفرنسيين مع ذلك استطاعوا سوق غنيمتهم البريطانية الى مسقط . وفي سنة ١٨٠٣ استطاع الطراد الفرنسي لافورتين ان يستولي على السفينة الصغيرة (فلاي) التابعة لشركة الهند الشرقية ، ازاء ساحل جزيرة قيس ووصل بها الى بو شهر . ولم تكن هذه هي السفينة الوحيدة التي استطاع هذا الطراد الفرنسي وقائده القوي « كابتن سركوف » الاستيلاء عليها في مياه الخليج . ولم تكن اليقظة تنقص الحكومة البريطانية اوشركة الهند الشرقية لكن جهودهما ما كان لها ان تحقق النجاح الكامل طالما ظل الفرنسيون يحتلون جزر موريشيوس . وفي سنة ١٧٩٨ كان اسطول بريطاني صغير يراقب مضيق باب المندب واسطول آخر يرسو على ساحل مالابار . وفي سنة ١٧٩٩ ارسلت قوة بحرية بريطانية لتقوم بجولة في البحر الاحمر ، وقامت قوات من بومباي باحتلال جزيرة بريم من ٣ مايو الى اول سبتمبر ثم نقلت القوات الى عدن وبقيت بها حتى مارس سنة ١٨٠٠ . وفي اواخر سنة ١٨٠٠ بدأت سفينتان حربيتان فرنسيتان تراقبان حركة السفن الوطنية فيما حول عدن ، وانتشرت مخاوف في الخليج بسبب نشاط السفينتين لكنهما لم تظهرا مرة اخرى في هذا الجزء من الخليج والحقيقة ان طرد الاسطول الفرنسي من مصر في سنة ١٨٠١ قد احدث بعض التغيير في الموقف في بحار الهند . وفي سنة ١٨٩٧ وحدها قدرت الخسائر التي احدثتها السفن الحربية الفرنسية بميناء كلكتا بمبلغ ٣٠٠ الف جنيه . وأخيراً حين استسلمت جزر الموريشيوس وقائدها الجنرال دي كين لقوة بحرية وعسكرية يقودها الجنرال ابر كرومبي في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨١٠ ، توقف نشاط الفرنسيين المؤذي في المياه الشرقية .

خطط الفرنسيين وأعمالهم فى الشرق
والاجراءات المضادة لبريطانيا وحكومة الهند
١٧٩٨ ـ ١٨١٠

لقد كان اخطر من الاضرار التي احاقت بالتجارة البريطانية في البحر تلك المخاوف التي اثارتها خطط ومطامح نابليون التي لا تنتهي عند حد ، لا سيما بعد غزوه مصر في سنة ١٧٩٨ ، حين بدأت سياسته لفتح آسيا توتي اولى ثمارها (١) وكانت ثمة دلائل لا شك فيها كالبعثات الفرنسية وغيرها تشير الى ان منطقة الشرق الاوسط واقعة في مخطط بونابرت ، ولقد اقتضت جرأته ونجاح خططه ذلك النجاح الرائع في اوروبا ضرورة التنبه لوضع حد لما يمكنه ان يحقق ، او حتى يحاول أن يحقق في آسيا .

الاحوال الداخلية هذا الوقت في الهند وافغانستان ١٧٩٨-١٧٩٩ :

وفي الهند حيث كان تيبو سلطان ميسور مـا يـزال عدواً خطيراً للحكومة البريطانية ، وحيث كان ثمة امراء محليون ساخطون ، بدا أن مسرح الاحداث في بداية هذه الفترة كان مهيأ لسهولة بث الدسائس ضد بريطانيا وكانت القلاقل في الهند تزداد نتيجة تهديد سنوي بالغزو من « مان شاه » حاكم افغانستان ، وكانت الحكومة البريطانية لا تستطيع ان تدرك بوضوح عجزه عن تنفيذ تهديداته تلك نتيجة وضعه المهتز في الداخل . فخشيت اذا دخل بجيوشه البلاد ان يجد تأييداً من بعض الامراء المسلمين الذين سيجدون فيه منقذاً من البريطانيين والمراهطة على السواء ،

(١) فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٠٠ ، كتب كابتن مالكولم من اصفهان : « ان هؤلاء الاوغاد الفرنسيين سيقنعون الاتراك بأنهم أشد الناس صداقة لهم ، وهم لو نجحوا فى تثبيت قواعدهم فى مصر بأى شكل ، فيجب أن ننظر حولنا بحذر فى كل اتجاه ، وفى اتجاه الخليج يجب أن ننظر بحذر أكثر » .

ووقع في ايدي البريطانين عند اعتراض سفينة فرنسية خطاب كتبه بونابرت الى سلطان عمان من القاهرة بتاريخ يناير ١٧٩٩ وبداخله خطاب مغلق معنون للسلطان تيبو يعده فيه بونابرت بتقديم العون له من فرنسا اذا وقف ضد بريطانيا . وكان السلطان تيبو من ناحيته نشيطاً في البحث عمن يؤيده ضد البريطانين كائناً من كان . وقد ارسل قبل موته بقليل سفراء الى كابول وطهران والقسطنطينية . وفي نيسان ١٧٩٩ وصل جميعهم الى مسقط التي كانت وقتئذ هي مقر الممثل السياسي لحكومة ميسوري وتقدمت السفارة المتوجهة الى كابول من مسقط الى سونمياني وبعد ذلك انقطعت اخبارها . اما المبعوثون الى طهران والقسطنطينية فقد نقلتهم سفينة عمانية الى بو شهر والبصرة على التوالي حيث نزلوا في الميناءين . اما المبعوثون الى الباب العالي فقد استطاع المقيم البريطاني في البصرة اقناعهم بالعودة الى الهند بسبب وفاة سيدهم الذي وافاه الاجل اثناء سقوط « سيرانجاباتام » في مايو سنة ١٧٩٩ . اما الموفدون الى ملك ايران فلم يكن لسفارتهم اثر ما . وكان واضحاً ان الشاه استقبلهم كاجراء شكلي فقط . ولهذا السبب لم يتمكنوا من مفاتحة احد بموضوع رحلتهم .

افتتاح مقيمية بريطانية في بغداد ١٧٩٨ :

وفي صيف سنة ١٧٩٨ وقبل ان يخطو الفرنسيون اية خطى حاسمة في ميدان الشرق الاوسط ، فتحت مقيمية بريطانية في بغداد يرئسها مستر هارفورد جونز (اللورد بعد ذلك) واحد العاملين في مكتب الهند ، وكان الهدف من هذا الاجراء هو السيطرة على باشا بغداد ، ومن ثم صد النفوذ البونابرتي من الامتداد نحو الشرق . وكانت الحكومتان البريطانية والتركية عندئذ يجمعهما تحالف غير رسمي ضد فرنسا ، وفي سنة ١٧٩٩ عقد بينهما حلف دفاعي مشترك كان هدفه الاول هو طرد الفرنسيين من مصر ، وفي نفس الوقت صدرت الاوامر من الباب العالي بالقبض على القنصل الفرنسي والرعايا الفرنسيين في البصرة وارسالهم اسرى الى القسطنطينية ، ولكن ليس هناك ما يشير الى ان البريطانيين

كانوا مسئولين بأي شكل عن تلك الاجراءات الظالمة الشاذة من جانب حلفائهم الاتراك .

بعثة مهدي علي خان للعمل في الخليج وايران ١٧٩٨–١٧٩٩ :

وبعد افتتاح المقيمية البريطانية في بغداد مباشرة اتخذت خطوة أخرى لحماية المصالح البريطانية في الشرق الاوسط ، وذلك بانتداب مهدي على خان وهو ايراني من اتباع حكومة بومباي ، ممثلا للهند في منطقة الخليج ، وكان الهدف من انتدابه الى جانب عمله على تنشيط التجارة البريطانية في منطقة الخليج ، هو ان يتخذ من الترتيبات ما يحول ان امكن بين حاكم افغانستان وغزو الهند بتحريك جيش ايراني لغزو « هراه » في افغانستان ، وكذلك العمل ضد النفوذ الفرنسي في ايران وعمان ، وكانت التعليمات فيما يتعلق بالموضوع الاول سطحية لكون زعيمي ايران وافغانستان عدوين صريحين ، ولان زمان شاه كان مشلول القوى لكن هذه التعليمات اثمرت في مكان آخر . فقد كان من نتيجتها عقد معاهدة مع سلطان عمان في ١٢ اكتوبر سنة ١٧٩٨ ادخلته الى جانب بريطانيا في صراعها ضد فرنسا بما في ذلك طرد الفرنسيين من اقاليم عمان ، ومنح البريطانيين حق اتخاذ قاعدة لهم في بندر عباس التي كانت مؤجرة للسلطان من حاكم ايران . كما تم ايضاً اقناع شاه ايران باصدار مرسوم بالقبض على اي مواطن فرنسي . في أي جزء من اقاليم ايران .

بعثة كابتن مالكولم الاولى الى الخليج وايران .. وانشاء وكالة بريطانية سياسية في مسقط ١٧٩٩ – ١٨٠١ :

وتلت بعثة مهدي علي خان بعثة اخرى برآسة كابتن مالكولم من مكتب الهند السياسي ، وكانت اهدافها تطابق بدقة اهداف سابقتها ، وقد ارسلت بمبادرة من لورد موننجتون حاكم الهند ، وفي ١٧ يناير سنة ١٨٠٠ استطاع كابتن مالكولم تجديد اتفاقية مع سلطان عمان سنة ١٧٩٨ كما حصل منه ايضاً على امتياز لانشاء وكالة سياسية يرئسها موظف

اوروبي في مسقط . وقد عين لها « دكتور بوجل » مباشرة ، وعلى الاثر اختفى الممثل السياسي لحكومة ميسوري القديمة في مسقط . وفي يناير ١٨٠١ استطاع كابتن مالكولم عقد معاهدة مع شاه ايران تحدد فيما يتعلق بالفرنسيين عدم السماح لهم بأية قواعد في ايران واشتراك ايران وبريطانيا في صدهم لو تمكنوا من الاستيلاء على موطىء قدم لهم بالقوة او الغدر ، كما عقد ايضاً معاهدة تجارية مع شاه ايران ليس فيها ما يخرج عن المألوف . ورغم ان مالكولم مر بالعراق التركي في طريقه الى الخليج ذات مرة . الا ان علاقاته بباشا بغداد لم تزد عن حد المجاملات الرسمية .

وفي سنة ١٨٠٢ اوفد الشاه تاجراً ايرانياً هو « حاجي خليل خان » الى الهند للحصول على تصديق الحاكم العام في الهند على المعاهدات التي عقدها كابتن مالكولم في العام السابق .

بعثة حاجي خليل خان ومحمد نبي خان الى الهند ١٨٠٢ ، ١٨٠٥ : ١٨٠٧

لكن هذا المبعوث قتل صدفة ـ ولسوء الحظ ـ خلال شجار وقع في بومباي بين خدمه وبين حرس شرف حكومة الهند ، وتوقفت المفاوضات رغم ان شاه ايران تلقى خبر موت مبعوثه بهدوء غريب .

وفي سنة ١٨٠٥ أرسل الشاه مبعوثاً آخر الى الهند هو تاجر ايراني ايضاً يدعى محمد نبي خان خلفاً لقريبه الذي مات ، لكن حكومة الهند ، بعد تغير المسئول الاول فيها لم ترحب بالبعثة ذلك الترحيب العاطفي الذي كان يبديه كابتن مالكولم . وفي سنة ١٨٠٧ رفعت القضية كلها لحكومة صاحبة الجلالة ، وكان ردها فاتراً كرد حكومة بومباي ، فرجعت البعثة الايرانية الثانية الى ايران دون الحصول على التصديق على المعاهدات .

مؤامرات فرنسا في ايران ... بعثة الكولونيل روميو م. جوبرت :

وفي نفس الوقت تقريباً ... كانت ثمة مراسلات منتظمة انتهت بتبادل التمثيل السياسي بين فرنسا وايران ، ويبدو ان الخطوة الاولى اتخذها عن فرنسا وسطاء حامت الشبه حول اشخاصهم مما جعل الايرانيون يعاملونهم بريبة واضحة .

ميرزا محمد رضا ومعاهدة فنكنشتاين وقطع العلاقات بين بريطانيا والباب العالي ١٨٠١ – ١٨٠٧ :

وفي سنة ١٨٠٤ اقترحت فرنسا الاشتراك مع ايران في عمل ضد روسيا التي كانت ايران في حالة حرب معها حينذاك ، غير ان الشاه رفض ذلك الاقتراح رغم انه قدم بطريقة اصولية ، وقد يكون امله المتشبث في عون من بريطانيا هو سبب رفضه عون الفرنسيين .

وفي سنة ١٨٠٥ قام كولونيل روميو بزيارة رسمية لطهران مبعوثاً عن بونابرت وتلاه في العام التالي مسيو جوبرت الذي اقنع شاه ايران بأن يرسل مبعوثاً رسمياً هو ميرزا محمد رضا الى اوربا لعقد معاهدة مع بونابرت ... وكانت نتيجة بعثة ميرزا محمد هي عقد معاهدة فنكنشتين في مايو سنة ١٨٠٧ التي بمقتضاها تحالفت فرنسا على قدم المساواة مع ايران ضد روسيا عدوهما المشترك ولكن في سنة ١٨٠٧ و ١٨٠٨ كررت الحكومة الايرانية مرتين محاولتها لاقناع المقيم البريطاني في بو شهر بأن تقارب ايران مع فرنسا لا يعني على الاطلاق نيلا من العلاقات الودية مع بريطانيا .

وفي اوائل سنة ١٨٠٧ حدثت قطيعة بين انجلترا والباب العالي نتيجة تواد ظهر فجأة بين الباب العالي وفرنسا . وفي اوروبا كانت هناك حالة حرب اسمية بين انجلترا وتركيا ظلت قائمة حتى اوائل سنة ١٨٠٩ ، ولكن باشا بغداد لما كان يرى من وجود اسطول انجليزي قوي في منطقة الخليج سنة ١٨٠٧ قرر ان يتجاهل العداء القائم بين انجلترا وتركيا ،

فظلت الامور في العراق التركي تسير في مجراها الودي المألوف .

علاقة فرنسا بسلطنة عمان ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ :

وبالنسبة لعمان ايضاً كانت فرنسا تفصح عن سياسات لا شك في صلتها بمخططها الكبير في ايران ، لكن سياستها فشلت في البداية نتيجة تمسك « السيد سلطان » باتفاقيتين لسنة ١٧٩٨ و ١٨٠٠ مع بريطانيا ، وفي سنة ١٨٠٣ ارسل مسيو كوفيناك خصيصاً كمبعوث من جنرال دي كين حاكم الموريشيوس الفرنسي الى مسقط بهدف اقامة قنصلية فرنسية ووكالة سياسية لكن السيد سلطان رفض مجرد مناقشة هذا الامر وعادت البعثة الفرنسية خائبة ، غير ان السيد سعيد بن سلطان وخليفته وقعا سنة ١٨٠٧–١٨٠٨ معاهدة مع فرنسا وافتتحت قنصلية فرنسية في مسقط عهد الى مسيو دالون بالاشراف عليها فازدادت يقظة بريطانيا وحكومة الهند لنجاح فرنسا مع شاه ايران (١) .

بعثة (الجنرال) مالكولم الثانية الى الخليج ١٨٠٨ ، واقتراح بريطانيا احتلال خارج وبعثة سير ه. جونز الى ايران ١٨٠٨–١٨٠٩ :

ونتج عن ذلك تجهيز بعثتين بريطانيتين منفصلتين وفي وقت واحد الى الخليج وايران فراحت كل تنافس الاخرى . وقد بدأت اولا في لندن ترتيبات ارسال بعثة سير ه. جونز . ولكن بعثة الجنرال مالكولم،

---

(١) ينحصر اهتمامنا هنا بمنطقة الخليج فقط ، لكننا نشير أيضا الى ان حكومة الهند ارسلت في سنة ١٨٠٨ بعثات لحكام لاهور وكابول والسند واشار كل من هؤلاء المبعوثين في البداية الى خطر النفوذ الفرنسي .. لكن البعثات لدى الحاكمين الاخيرين استطاعت أن تتوصل الى معاهدات فيها نصوص معادية لفرنسا .. وكانت بعثة السند برياسة كابتن سيتون المقيم في مسقط . لكنه اساء التصرف ، فاصبح مستر ن.ه. سميث المقيم في بوشهر هو المسؤول عن البعثة وكان يرئس بعثتي لاهور وكابول السيدان ميتكالف والفينستون على التوالي .

وقد بدأت من مكان اقرب لهدفها ، فقدوصلت من الهند اولا .فبعد المرور بمسقط ، وصل جنرال مالكولم الى بو شهر في مايو سنة ١٨٠٨ غير انه لم يستطع صبراً على وجود بعثة فرنسية كانت قد وصلت قبله ، ولا استطاع ان يتغلب تدريجياً على اثرها السيء بالنسبة له في طهران . وحين طلب اليه بدء المفاوضات مع الامير ،حاكم شيراز ، رفض وغادر ايران الى الهند في يوليو ، ويبدو ان التعليمات الصادرة من لورد منتو الى الجنرال مالكولم لم تكن محددة تحديداً واضحاً ، وإن كان واضحاً في مقاصدها قيامه بدراسة الموقف السياسي في ايران ، واتخاذ الترتيبات اللازمة لطرد الفرنسيين منها لو امكن ، وعمل ما يكفل صدّهم لو حاولوا اتخاذ قاعدة لهم في منطقة الخليج . والواقع انه كان خلال الفترة الطويلة التي قضاها في عمله بالخليج يتمتع بنفوذ على افراد بعثته(١) وعلى موظفي حكومة الهند ومؤسساتها في تلك المنطقة .. كما كان ايضاً ذا حظوة لدى باشا بغداد .

وحين وصلت الى الهند انباء فشل جنرال مالكولم صدر تفويض الحاكم العام للسير هـ. جونز الذي كان منتظراً في بومباي بالتحرك الى ايران ففعل دون تأخير . ثم صدرت له اوامر جديدة من الجنرال مالكولم بمجرد وصول الاخير الى كلكتا ، لكنها لم تصل بومباي الا بعد رحيل جونز ، وكانت تأمره بالبقاء في بومباي ، وقد حولت حكومة الهند اهتمامها بعد ذلك الى خطة – اشرنا اليها من قبل – تقضي باستملاك جزيرة ما في الخليج ، غير ان هذه الخطة التي كانت من قبل تبحث على اسس تجارية ، وعلى ضوء الحصول على اتفاق معالحكومة الايرانية ، أصبحت الآن ضرورة عسكرية يباح فيها استعمال القوة . وكانت حكومة بومبي قد اقترحت فعلا في سنة ١٧٩٩ ضرورة وجود قاعدة بريطانية في خارج او في هرمز . وفي سنة ١٨٠٠–١٨٠١ حاول

(١) وقد احتج مستر مانستي ، وهو رجل فظيع كان وقتها مقيما بريطانيا فى البصرة بعبارات جوفاء على اخضاعه لاوامر مالكولم .

كابتن مالكولم من خلال تعديل المعاهدة التجارية مع ايران الحصول على تنــــازل عن جزر قشم وهانجام وخارّج لكنه اصطدم بعناد « فتح علي شاه » ورفضه وتشككه في نوايا الاقتراح .

أما الآن فقد تقرر ان تقوم قوات يقودها جنرال مالكولم باحتلال جزيرة خارّج دون معارضة من ايران ... احتياطا من تحرك روسيا او فرنسا نحوها خاصة وقد خلقت معاهدة تيليست الــــتي عقــــدت بينهما جواً من التفاهم السياسي بدل الحرب التي كانت قائمة ، وضماناً لسلوك ايران تجاه بريطانيا مسلكاً أكثر احتراماً مما بدا من ايران في معاملة جنرال مالكولم . وفي ربيع سنة ۱۸۰۹ ارسل كابتن جرانت احد ضباط جنرال مالكولم كطليعة للحملة على جزيرة خارّج ، فجاس خلال مكران ومنها سافر براً الى بندر عباس ليقدم تقريراً عن الوضع العسكري لتلك المناطق على ضوء ما يحتمل من وقوع هجوم اوروبي على الهند .

وفي نفس الوقت وصل سير جونز الى ايران ، حيث تبدل الجو كثيراً لصالح بريطانيا ، ذلك ان الشاه قد ايقن ان فرنسا لن تقوم بأي عمل من شأنه كبح جماح حليفتها روسيا ، تلك التي يخشاها الشاه اعظم الخشية ويعيش حالة حرب معها ، عن الهجوم على ايران ، وبدأ نفوذ جنرال جردان الفرنسي يقل في طهران ، ولم يجد سير جونز صعوبة كبيرة في أن يصل العاصمة ، وان يبدأ مفاوضاته ويتمها بنجاح على ان اهم إرباك كان يتعرض له على حد وصفه كان خطة الغزو المرتقب من جنرال مالكولم على خارّج ، وهي خطة اصبحت حكومة ايران مدركة لها ؛ وكذلك الاوامر الصريحة التي وصلته من لورد منتو بترك ايران . ومع ذلك فقد استطاع ان يتخذ بعض الاجراءات التي ربما كان من الممكن ان تؤمن ولو موافقة وقتية من جانب ايران على احتلال البريطانيين خارّج حتى لو ان حكومة الهند لم ترسل حملة جنرال مالكولم نظراً للاخبار الواردة الى شبه الجزيرة الهندية عن المتاعب التي اصبح يواجهها بونابرت ، وهكذا تجاهل تماماً الامر الصريح من لورد منتو

بقطع مهمته في ايران ، ناظراً اليه كمجرد امر شكلي طالما ان مهمته كانت تقترب من النجاح ، وكان مكلفاً بها من حكومة صاحبة الجلالة . وقد كوفيء على اصراره العنيد بنجاح مهمته ، ففي ١٢ مارس سنة ١٨٠٩ تم توقيع معاهدة تمهيدية مع ايران الغى الشاه بموجبها كل ترتيباته السابقة ، مهما كانت ، مع الدول الاوروبية الاخرى ، وتعهد بقفل طريق ايران في وجه اي جيش لدولة اوربية يتقدم نحو الهند ، وذلك في مقابل عون عسكري من بريطانيا او بدل ذلك معونات مالية مشفوعة ببعثة تدريبية وتموينات وذخائر في حالة هجوم اية دولة اوربية على اراضي ايران . ويظل الالتزام قائماً على بريطانيا حتى لو كانت الدولة الاوربية التي قد تغزو ايران في حالة سلم مع بريطانيا ، شريطة ان تتوسط بريطانيا اولا للبحث عن طريقة ودية لتسوية هذا الموقف بين ايران والدولة المعتدية . وتضمنت المعاهدة كذلك شرطاً خاصاً بمقاومة الخطر القديم الذي كان يتمثل في احتمال غزو افغانستان للهند . وسافر مستر موريز سكرتير البعثة على وجه السرعة الى انجلترا ليكمل التصديق على المعاهدة التي حملها معه ، وقد صحبه مبعوث ايراني هو « ميرزا عبد الحسن » ، كانت مهمته ان يعرف بما يكفي لتطمين سيده عن الكيفية التي سيتم بموجبها دفع المعونة الانجليزية له اذا ما اصبحت متحققة . وقرب نهاية ابريل سنة ١٨٠٩ غادر آخر دبلوماسي فرنسي طهران ، وفي نهاية سنة ١٨١٠ اغلقت القنصلية الفرنسية في مسقط ابوابها . وعلى رغم الفزع المرعب الذي اثارته اعمال فرنسا اول الامر في الهند البريطانية ، فقد يبدو ان سياسة بونابرت — خاصة بعد فشل حملته على مصر — كانت تهدف الى ابقاء بريطانيا قلقة مفزعة على مصالحها في الشرق ، اكثر مما ترمي حقيقة الى شن غارة خطيرة على الممتلكات الانجليزية في الهند .

بعثة جنرال مالكولم الثالثة الى ايران ١٨١٠ :

وفي اوائل سنة ١٨١٠ عاد لورد منتو فارسل جنرال مالكولم الى

الخليــــج مرة اخرى كدليل على قبول حكومة الهند للمعاهدة التي عقدها سير جونز ولاستعادة هيبة حكومة الهند في ايران بعد ان عانت من طرد بعثتها السابقة من ايران وما أعقبها من نجاح ساحق حققه مبعوث منافس، ولكي يكون للحاكم العام ممثل في مكان الاحداث مستعد لان يقوم بواجبات المبعوث الدائم لدى البلاط الايراني اذا ما وافقت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية على اقتراحه بأن يوكل له تعيين الممثل البريطاني في ايران ، كذلك طلب الى مالكولم بذل الجهد للقيام بدراسة جغرافية لايران والبلدان المجاورة لها ... وتمكينا له من اداء مهمته ، ورغبة في احاطة بعثته بكل ما يمكن من دواعي النجاح ، زود جنرال مالكولم بمجموعة كبيرة منتقاه من الضباط والمسئولين اللامعين . على ان حكومة صاحبة الجلالة رأت ان يظل تعيين سفير في ايران منوطاً بها في انجلترا ، وبعد ذلك عاد جنرال مالكولم الى الهند من زيارته التي اقتصرت على الرسميات في الدعوات وفي هذه المرة ايضاً مر ببغداد في عودته ، لكن ثورة داخلية كانت ناشبة في ذلك الوقت حول مقر الباشا ، مما عطل كل اتصال سياسي بالحكومة المحلية هناك .



اضطراب الاوضاع فى الخليج
١٧٩٨ ـ ١٨٠٥

فيما كانت بريطانيا تركز اهتمامها على خطط بونابرت الفعلية او الوهمية في تركيا وايران وافغانستان وجزيرة العرب كانت حالة من التفكك الشامل والاضطراب تجتاح منطقة الخليج ، وهي حالة كلف الخلاص منها بريطانيا الكثير الطائل من الجهد العسكري والمال بحيث تخطى ذلك كل ما كان ممكناً ان ينجم عن الرعب المؤقت عن هجوم فرنسي على الهند . وكانت عوامل الاضطراب عديدة ... لكن اهمها فيما يبدو كان الاضطراب والنهب اللذان سببهما بعض قبائل العرب البحرية خاصة القواسم(١) ، والتزايد المخيف لقوة الوهابيين في نجد واواسط الجزيرة ثم ظهورهم نهائياً على ساحل الخليج ، وطموح سيد عمان وقوته البحرية وضعف امارة البحرين العربية . ولو ادركت حكومة الهند في اوائل القرن التاسع عشر الخطورة الحقيقية الكامنة في هذا الموقف ، ولو انها وجهت مزيداً من الاهتمام الى الاعراض الاولى لهذا الاضطراب البحري في الخليج . وقليلا من الاهتمام بالسياسة العليا في عواصم الشرق الاوسط ، ولو انها تعرفت على الموقف تعرفاً واقعياً دقيقاً دون التعرف العام الغامض اذن لكان ممكناً ان تصون بطريقة افضل مصالح الامبراطورية البريطانية المباشرة في المنطقة . لكن هذا الموقف ربما كان من النوع الذي كانت فيه الحكمة امام الاحداث نوعاً من الاستبصار الذي يفوق قدرة الانسان . ومحتمل ايضاً انه لو لم تؤسس

---

(١) يجب ملاحظة أن تعبير « القواسم » كان يستخدم في ذلك الحين استخداما عاما يشمل كل قبائل الساحل الشمالى الغربى لعمان (بما فيه قبيلة القواسم الفعلية ٠٠) التى تشتغل بالقرصنة وبتعبير آخر ٠٠ كان يقصد به كل سكان الموانىء الاخرى على الساحل عدا دبى وأبو ظبى ٠ « القراصنة : مصطلح يطلقة المؤلف في كثير من الاحيان على مجاهدى الخليج ـ المترجم » ٠

تلك البعثات السياسية البريطانية في ايران على النحو الذي شرحناه انفاً لكان موقف بريطانيا في ايران اضعف بكثير مما هو عليه الان .

ازدياد قوة الوهابيين في نجد وامتدادها الى البحر الاحمر والخليج ١٧٩٨ — ١٨٠٥ :

بدأت حركة الوهابيين - كما هو مذكور بالتفصيل في الجزء الخاص بتاريخ نجد — في وسط الجزيرة حوالي منتصف القرن الثامن عشر . ورغم انها بدأت جماعة دينية الا انها سرعان ما تحولت الى حركة سياسية دنيوية ، وكانت نتيجتها قيام دولة متعصبة عدوانية . بل دولة نهابة أيضاً ، تذرعت بوسائل الدين لكي تسلب وتنهب وترتكب المذابح في البلاد التي تجاورها(١) ، والتي اخفقت في التصدي للوهابيين بالنظر الى فقدانها الحماسة والتنظيم العسكري . وقبل بداية الفترة التي نتعرض لها الآن ، كان الوهابيون قد بدأوا من جهات متعاكسة يشنون الحرب على شريف مكة ، ويضايقون شيخ الكويت واستطاعوا ايضاً السيطرة على جزء من اقليم الأحساء الذي كان يحكمه بنو خالد على الضفة الغربية من الخليج . وقد ارسل باشا بغداد حملة عليهم في سنة ١٧٩٨ لان حدوده المواجهة لصحراء العرب ظلت تتعرض لغاراتهم زمناً طويلا ، ووصلت حملته الى واحة الأحساء لكنها لم تتقدم الى ابعد منها باتجاه عاصمتهم الدرعية واحدقت بالقائد التركي لدى انسحابه الى العراق قوات كبيرة من الوهابيين ، وعقدت بين الطرفين هدنة لمدة ٦ سنوات صدق عليها باشا بغداد فيما بعد لكن الوهابيين لم يلتزموا بها .

وفي سنة ١٨٠٠ احتل الوهابيون ميناء القطيف وبهذا اكتملت سيطرتهم على اقليم الأحساء ووصلوا شواطيء الخليج بالفعل واحتلوا في

---

(١) (يتضح من تعليقات المؤلف أنه ليس جاهلا فقط بالحركات الاسلامية وروح الاسلام ، ولكنه حاقد على ذلك حقدا لا يخفى على القارىء — المترجم) .

نفس السنة واحة البريمي ومنها بدأوا يهددون ساحل القرصنة وسلطنة عمان على السواء . وبحلول سنة ١٨٠٣ اكتملت لهم السيطرة على كل رقعة الساحل العربي من الخليج الممتدة من الكويت الى سلطنة عمان بما فيها البحرين ، ولكن تأثيرهم على الكويت وعمان نفسيهما لم يكن ملموساً .

وفي سنة ١٨٠١ فوجئت مدينة كربلاء البعيدة في العراق التركي – وفيها محج الشيعة للحسين – بهجوم ساحق من جانب الوهابيين الذين اوقعوا مجزرة رهيبة بالسكان العزل بعد ان تم لهم الاستيلاء على المدينة ، وقد اثارت الحادثة سخطاً عظيماً في ايران على باشا بغداد لافتقاره الى اليقظة والحذر . وفي سنة ١٨٠٢ ارسل الباشا حملة اخرى انتقامية ضد الوهابيين لكنها لم تفعل اكثر من سابقتها واندفع الوهابيون الذين كانوا بطاقتهم العجيبة تلك الايام قادرين على تحقيق اشق الخطط مهما كانت ابعادها ومصاعبها ، فوصلوا في الحجاز الى مكة المكرمة وامتلكوها . وفي سنة ١٨٠٤ دخلوا المدينة المنورة ايضاً ومنها بدأوا يرسلون الحملات الى الاقاليم البعيدة في اليمن . وعلى اطراف هذه الدولة الواسعة ساد الخوف حتى لم يكن احد من حكام العراق التركي او الكويت او عمان يهنأ بلحظة من الراحة .

المشكلات القائمة بين دول عمان وايران ، وتركيا والبحرين ١٨٠٥ – ١٨٩٨ :

كانت الخلافات والمشاكل سائدة بين الدول الكبيرة في منطقة الخليج رغم ما يتهدد سلامتها الاقليمية بل واستقلالها جميعاً فيما عدا ايران من تقدم الوهابيين . ففي سنة ١٧٩٨ كان يسود العلاقات بين سيد عمان وباشا بغداد توتر ناشىء عن مطالبة مالية للاول منهما على الثاني ، بحيث وصل الامر بسيد عمان ان يعد العدة لمحاصرة البصرة ولكنهما أخيراً استطاعا التوصل إلى عقد اتفاقية بينهما دون تدخل المقيم البريطاني في البصرة الذي رغب الاتراك اليه التوسط لفض الخلاف . وفي سنة ١٧٩٩ قام سيد عمان ـ بتحريض من حاكم اقليم فارس الايراني ـ بهجوم على سفن البحرين

التي كان يطمع في ضم مشيختها الى حكمه ، لكن شيخ بو شهر استطاع ان يقنع حاكم البحرين ان يضع نفسه تحت الحماية الايرانية . وسار السيد سلطان حينئذ لينتقم لنفسه من خديعة الايرانيين ، فقام باحتلال جزيرة خارج التي كانت تملكها ايران لكنها كانت جزءاً من حكومة بو شهر وظل مسيطراً عليها حتى العام التالي . وفي سنة ١٨٠٠–١٨٠١ نجح حاكم عمان نجاحاً تاماً في الاستيلاء – لفترة طويلة نوعاً – على جزر البحرين ، وفي سنة ١٨٠٢ وبعد طرده منها حاول التشبث بها مرة أخرى ، لكنه فشل نهائياً وانسحب ووقعت جزر البحرين تحت سيطرة الوهابيين . وفي نهاية سنة ١٨٠٤ – حين مات السيد سلطان في مسقط – استولت قبيلة « بني معن » – وهي قبيلة عربية لكنها رعية ايرانية – على بندر عباس وما جاوره ، وكان هذا الميناء تحت سيطرة عمان بمقتضى عقد امتياز باجارة من الحكومة الايرانية ، وهكذا نشأت مشكلة أخرى خطيرة تهدد أمن الخليج .

انتشار القرصنة في المنطقة السفلى من الخليج ١٧٩٨ – ١٨٠٥ :

وفي هذه الظروف من الاضطراب والاختلاط تشجع قراصنة العرب الذين يبدو انهم كانوا منهمكين بهدوء في الاعتداء على سفن محلية فبدأوا يوجهون نشاطهم نحو السفن البريطانية ، وقد اشرنا من قبل الى حادثة استيلائهم على السفينة البريطانية (ياسين) والى محاولة القواسم دون استفزاز من احد الاعتداء على السفينة « فايبر » سنة ١٧٩٧ ... وهاتان الحادثتان كانتا طليعة الشر المحدق بمنطقة الخليج ، ولانستطيع الا القول بأن الاهمال الذي واجهت به السلطات البريطانية المسؤولة كلا من هاتين الحادثتين كان حافزاً لحوادث اكثر عنفاً . ولم تقتصر الحوادث غير الشرعية التالية في الخليج على القرصنة فقط ولكن شملت النهب أيضاً ، فقد حدث ان جنحت السفينتان البريطانيتان « هكتور » و (البرت) في سنة ١٨٠٣ على الساحل الايراني ، فقام شيخ « نخيلوه» واعرابه بنهبهما . وقد امكن الحصول على بعض التعويض عن هذه الحادثة بعد

سنتين من وقوعها ، وذلك عن طريق الحكومة الايرانية وشيخ بو شهر . وفي سنة ١٨٠٤ كان طاقم بحارة السفينة (فلاي)، التي كان الفرنسيون قد استولوا عليها كما سبق واشرنا ،في طريقهم الى الهند على ظهر سفينة وطنية ابتاعوها في بوشهر فهاجمهم القراصنة العرب واسرهم القواسم الذين امتنعوا عن اطلاق سراح الاسرى في حينه . وفي سنة ١٨٠٥ استولى القواسم على السفينتين (شانون) و (تريمر) وهما سفينتان تجاريتان للمستر مانستي المقيم البريطاني في البصرة ، وفي نفس السنة ايضاً حاول القواسم ايضاً ان يستولوا على سفينة شركة الهند التجارية الضخمة (مورننجتون) واعدوا لذلك اسطولا من سفنهم ، لكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها وتكبدوا بعض الخسائر قبل انسحابهم .

الحملة البريطانية الاولى على القواسم ومعاهدة السلم ١٨٠٥ ـ ١٨٠٦

كانت خسارة السفينتين (شانون) و (تريمر) افدح من ان تتجاهل ، فاصدر حاكم بومباي امراً الى كابتن سيتون المقيم العام في البصرة ، بناء على اقتراح هذا الاخير نفسه ، بأن يتعاون مع سلطان عمان الذي كانت له مظالمه من القواسم على موضوع قصاص تلك القبيلة المتمردة . وفي اوائل يونيو سنة ١٨٠٥ ابحر كابتن سيتون ، على السفينة « مورننجتون » واتصل بالسيد « بدر » تجاه جزيرة « قشم » ولكن قبل القيام بأي عمل مشترك ضد القواسم استعاد الحليفان بالقوة ميناء بندر عباس وما حوله من اقاليم كانت من قبل مؤجرة من ايران لسلطان عمان، ثم خسرتها عمان كما اشرنا من قبل لدى وفاة سيد سلطان . وكان هذا التصرف مثار غضب في ايران ولا شك انه لا تفلح لتبريره المسوغات

التي ساقها كابتن سيتون ، بان انتباهه كان مركزاً كلية في هدفه الوحيد وهـو انجـاح الحملة المشتركة وفق ما امرت به حكومته . واخيراً لاحت في اواخر يوليو امام الحلفاء فرصة لمحاصرة اسطول للقواسم في راس قشم فانتهزوها بغير تأخير ، لكن سلطان عمان كان فاتراً حيال عقد معاهدة شاملة وسريعة مع القواسم ، كما يبدو ان المقيم البريطاني ايضاً قد اهتم اكثر مما يجب باعتذاراتهم الحارة ووعودهم الكثيرة بدفع التعويضات . اما حكومة بومباي فيبدو انها اسرفت في تثمين قيمة الدرس الذي لقيه القواسم ، لذلك جنحت في البداية الى فرض شروط رهيبة وقاسية من اجل الصلح ، ولكن حين تحققت من استحالة تنفيذ مثل تلك الشروط دون استمرار القتال ، وافقت على ان ينص في المعاهدة على اعادة هيكلي السفينتين (شانون) و (تريمر) بعد ان نهب منهما كل ما له قيمة . وتنازلت الحكومة الهندية ايضاً عن مطالب التعويضات لقاء تعهد من القواسم بدون ضمانات بحسن السلوك في المستقبل . وكان تاريخ ما سمي بهذه المعاهدة هو ٦ فبراير سنة ١٨٠٦ وقد كان في الموضوع نقطة ذات بال الا وهي الشك في علاقة امير الوهابيين بالموضوع ، فقد استند القواسم الى املائه في تبرير بعض اعمالهم اللاحقة ، وعبثاً حاول المستر مانيستي ان ينجح في أخذ تعويضات منه مع انه ارسل له مبعوثاً خاصاً . وفي ذلك الوقت كان يسود منطقة الخليج تصوير مبالغ فيه لقوة الوهابيين واستغله القواسم بذكاء كي يقنعوا البريطانيين بالقبول بتسوية غير مجزية . لقد كانت حصيلة تلك الاجراءات الروتينية ، وما واكبها من تعليمات واوامر للمقيم البريطاني بتلافي الاحتكاك بالوهابيين والايرانيين والاتراك ، وكذلك ما حصل من خلاف في الرأي بين المقيم وزميله في البصرة والمحمرة تأجيل الفصل الحاسم مع القبائل الى ان وجدت القرصنة جواً افضل في المستقبل لتعود الى الحياة الناشطة .

انتعاش القرصنة على نطاق أوسع بعد خمود مؤقت
١٨٠٦ ـ ١٨٠٩

اذعن القواسم فهدأوا سنتين ، وربما كان مسلكهم هذا ناتجاً من رسو اسطول بريطاني كبير في الخليج خلال ١٨٠٧ ــ١٨٠٨ خلال الحرب بين بريطانيا وتركيا في اوربا . وقد ادت سياسة حكومة بومباي التي حظرت،باوامر من رئيسها مستر دنكان الطيب القلب، على ضباط السفن البحرية بالا يبدأوا اطلاق النار على سفن[1] العرب حتى لو اقتربت منهم بما يوحي بالخطر،ادت الى تشجيع القواسم على استئناف عمليات القرصنة فوقعت سلسلة من الاعتداءات المحزنة والمهينة نتيجة تلك السياسة المتسامحة.ففي ابريل سنة ١٨٠٨ هاجمت اربع سفن عربية السفينة لايفلي ، على ساحل جوجارات لكنها استطاعت الدفاع عن نفسها، ورغم ان المعتدين اكتُشفوا في مورات لكن فرصة الانتقام منهم اهملت بلا مبرر ، وفي نفس السنة استطاع قراصنة العرب الاستيلاء على عدد من السفن المدنية الهندية في مياه الهند كما استولى القواسم ايضاً على سفينة تجارية تدعى « منيرفا » يملكها مستر مانيستي المقيم البريطاني في البصرة ، وقتلوا معظم ضباطها وبحارتها واسرت زوجة الملازم السياسي تيلور ولم يطلق سراحها الا بالفدية . كما ان مساعد قبطان الباخرة ، واحد البحارة أُخذا الى رأس الخيمة ولم تعرف اية معلومات عنهما بعد ذلك على الاطلاق ، وفي اكتوبر سنة ١٨٠٨ استولى العرب على المدمرة البريطانية (سلف) التي كانت تصحب بعثة سير هـ. جونز الى ايران وقتلوا معظم

---

(١) (لا بد أن القارىء لاحظ وصف المؤلفلبنى قومه بطيبة القلب والتسامح في حين أنه وصف العرب بالعـــدوان والقرصــنة ــ المترجم) .

رجالها ، لكن سفينة صاحبة الجلالة (نيريرا) التي ظهرت لحسن الحظ في الموقع استطاعت ان تخلص تلك المدمرة من سفن القراصنة . وفي نفس الوقت تقريباً اطاحت اربع سفن من سفن القراصنة بسفينة الشركة (نوتيلس) ، لكن قائدها تجاهل عن حكمة اوامر بومباي بعدم البدء باطلاق النار وبرهن على ان سفينته كانت اقوى من سفن مهاجميه .

في ذلك الوقت بلغ اسطول القواسم ٦٣ سفينة كبيرة ، وعدداً كبيراً من السفن الصغيرة وعليها جميعاً عدد يقدر بحوالي ١٩ الف رجل ، وقد طلب شيخ القواسم بتبجح ان تدفع له في بومباي اتاوة مقابل تعهده بضمان سلامة التجارة البريطانية في الخليج . وفي يونيو سنة ١٨٠٩ استولى قراصنة القواسم ايضاً على السفينة (داريا دولت) وهي سفينة انجليزية يقودها ضابط انجليزي . وكان رحمة بن جابر وهو عتوبي من قطر يمارس القرصنة ولكنه كان من الحصافة بحيث كان يتجنب مداهمة السفن التي ترفع العلم البريطاني .



الحملة البريطانية الثانية على القواسم ونتائجها ★
١٨٠٩ ـ ١٨١٠

وبلغ جور القواسم الآن أقصى حدوده فقامت حكومة الهند في سبتمبر سنة ١٨٠٩ بحملة بحرية وعسكرية مشتركة ضدهم تحركت من بومباي بقيادة كابتن « وينوايت » وكولونيل د. سميث من البحرية البريطانية ، وكان الهدف الاول للحملة هو القضاء على القراصنة بتحطيم كل سفنهم التي تلتقي بها ، وفرض اتفاقية على القبائل المشتغلة بالقرصنة تضمن سلامة الملاحة والخليج مستقبلا . وكانت قوة الحملة تتكون من سفينتين من البحرية البريطانية وعشر سفن من اسطول شركة الهند الشرقية و ١٠٠٠ جندي وضابط بريطاني من بينهم افراد الفرقة ٦٥ وبعض الفرقة ٤٧ مشاة الى جانب بعض جنود المدفعية ، وقوة مساوية من الجنود الهنود. وكانت اول نقطة للهجوم هي عاصمة القواسم في رأس الخيمة التي اطلقت عليها نيران الاسطول في ١٢ فبراير سنة ١٨٠٩ ثم استولى عليها الجنود بعد قتال من بيت لبيت داخل البلدة ... ولم تتكبد الحملة خسائر كبيرة . واستطاع الاسطول البريطاني بعدئذ تدمير حوالي ثلاثين سفينة حربية كبيرة كانت في الميناء . وفي يوم ١٤ ونتيجة انذار بتقدم قوة من الوهابيين ساد الذعر المهاجمين (بكسر الجيم) ، الذين كانت قيادتهم البريطانية قد امرتهم بعدم الاحتكاك بهم فاسرع جنودهم الى ظهور السفن ، كما اسرع القواسم الذين لم تنكسر قواهم المعنوية فعادوا الى مدينتهم محتلينها من الانجليز .

وقام الاسطول بعدها بزيارة الى لنجة على الساحل الايراني حيث استطاع تدمير بعض سفن القراصنة العرب التي كانت فيها . واستمرت

★ هذه طبعا هى الرواية الانجليزية لهذه الاحداث وتخالف عنها الرواية العربية كثيرا . (المترجم)

العمليات بعد ذلك على قلعة « لافت » في جزيرة قشم وانتهت باجلاء العدو عنها . وكان القتال في « لافت » هو اقسى مراحل هذه الحملة. ففيه خسر البريطانيون ١١ قتيلا و ٥٥ جريحاً .

وفي يناير سنة ١٨١٠ قام الكولونيل سميث – بطلب من السيد في عمان بحملة على ميناء شناص وكان من اهداف الحملة استعادة بعض ما ضاع من املاك السيد وتم الهجوم بمعاونة العمانيين وكانت تحمي الميناء حامية قوية تابعة للوهابيين وقد دافعت عنه دفاعاً مستميتاً ولم يغامر السيد باعادة احتلال ذلك المكان ... ولدى انسحاب البريطانيين والسيد معهم الى ظهور السفن بعد انتهاء العمليات ... ظهرت قوة كبيرة من الوهابيين قادمة من البريمي واستطاعت ان توقع الهزيمة ببعض قوات الحملة التي كانت ما تزال على الشاطيء ، وليس واضحاً ما قدمه الكولونيل سميث من مبررات لمخالفة التعليمات الصادرة اليه بتحاشي الاصطدام المباشر مع الوهابيين . ويحتمل ان يكون ذلك الحظر قاصراً تطبيقه على القواسم والقراصنة دون العمانيين .

وبعد معركة « شناص » عادت الحملة البريطانية لزيارة شاطيء القرصنة وساحل فارس ودمرت السفن التي صادفتها في طريقتها خاصة في «الرمس» لكن اساطيل عجمان والشارقة استطاعت التخفي ولم يصادف البريطانيون منها الا أربعاً فقط من سفن الشارقة طاردوها وحرقوها في موقع « موغوه » ولم تجد الحملة سفناً ذات بال في أي من « موغوه ونخيلوه والشارقة وكنج وباند معلم » ، وهي مواقع كانت كلها تدين بالولاء للقراصنة او المشبوهين .

ورجع جانب من الحملة الى الهند في فبراير سنة ١٨١٠ عقب انتهاء هذه الاعمال مباشرة ، ومضى الجزء الاول منها الى الخليج في ابريل وذلك بعد عدة عمليات قامت بها ضد رحمة بن جابر في قطر بناء على اقتراح المقيم البريطاني في بو شهر ، ودون اذن من حكومة الهند، ولقد اخفقت الحملة في الحصول من القبائل العربية على اعتراف بالهزيمة او

اقرار رسمي بالكف عن الاعمال العدائية في المستقبل . وهكذا ظل السلم في البحر مهمة قائمة لم تنجز ... وقد ارسل خطاب الى امير الوهابيين في الموضوع فبعث برد يعلن فيه حياده بالنسبة للبريطانيين مؤكداً انه طلب الى اتباعه الا يهاجموا السفن البريطانية .

التجارة البريطانية في الخليج ١٧٩٨ ـ ١٨١٠

موضوع التجارة البريطانية في الخليج خلال هذه الفترة يرد بالتفصيل في تاريخ الساحل الايراني والعراق التركي وبالتالي فلا حاجة للتوسع فيه هنا .

في ايران بشكل خاص ازدهرت التجارة البريطانية عموماً ازدهاراً شاملا ، وذلك نتيجة النظام الذي استطاع الكاجاريون ترسيخ دعائمه بعد مئات سنين عديدة من الفوضى ... وقامت شركة الهند الشرقية بجهد طيب لتنشيط تجارتها في هذه المنطقة ، وكان لبعثة « مهدي علي خان » الى ايران في سنة ١٧٩٨ — ١٧٩٩ جانبها التجاري الهام ، كذلك كان شأن بعثة الكابتن ج. مالكولم في سنة ١٧٩٩ — ١٨٠١ ، وقد اعد السيدان مايستر وفوست الخبيران من بومباي تقارير ضافية وشاملة عن تجارة الخليج في سنة ١٧٩٩ ، بالاضافة الى التقارير التي كتبها كابتن مالكولم اثناء اقامته في ايران سنة ١٨٠٠ . وكان من اهم صادرات العراق التركي وايران في تلك الحقبة الخيول التي كانت تستخدم في فرق الخيالة التابعين لحكومة الملك ولشركة الهند الشرقية في الهند ، وكانت بضائع التجار الوطنيين في العراق التركي تعاني من الضرائب الباهظة عن التصدير والاستيراد والنقل وقد خفضت قيمة النقد التركي تخفيضاً موئساً فهبطت قيمة القرش في البصرة سنة ١٧٨٣ الى ١٠٪ من الجنيه الاسترليني والى ٤٪ في استنبول سنة ١٧٨١ .

الهيئات السياسية البريطانية فى الخليج
١٧٩٨ ـ ١٨١٠

حكومة بومباي توظف السيد مهدي علي خان في ايران سنة ١٧٩٨ــ ١٨٠٣ ثم معاملته التالية بعد ذلك ١٨٠٣ــ١٨٠٤ :

يبقى القليل مما يشار اليه خاصاً بامور السياسة البريطانية الرسمية ومنطقة الخليج خلال هذه الفترة اللهم الا ما كان من التعين الاستثنائي للسيد مهدي علي خان كمقيم بريطاني في بوشهر ومبعوث للبلاط الايراني ، والاسلوب الذي كان مطبقاً هناك في معاملته .

ولقد كان مهدي علي خان تابعاً لمستر دنكان ، حاكم بومباي ، اما بقية تفاصيل حياته فموجودة في مكان آخر عند الحديث عن بعثته . كان مهدي اثناء وظيفته بالمقيمية البريطانية في بو شهر يتقاضى الراتب المعتاد لها الى جانب السماح له بنسبة اضافية من الارباح على ما يزيد عن أرباح تجارة شركة الهند الشرقية بسبب جهوده ، وكان يأخذ ايضاً عمولة تجارية نسبتها ١٠٪ على التوريدات الموفرة لبواخر الشركة . لكنه لم يكن يتعاطى اكراميات عن بعثته التي يبدو انه هو الذي اقترحها ، ولكن نفقاته الفعلية على شئون البعثة الرسمية كانت تدفع له .. وفي سنة ١٨٠١ وهو ما يزال على رأس عمله في بو شهر اوفدته حكومة الهند في مهمة الى « مخا » في البحر الاحمر ، واثناء غيابه في هذه المهمة قام باجراءات غريبة في بو شهر وصدقت عليها ادارة الشركة . فقد عين اومدوتيتيجوار اغا محمد جعفر ،وزوبدوتيتيجوار آغا محمد حسين وخوجا اراتون لحراسة مقر الشركة وصيانة ممتلكاتها وصدرت اليهم التعليمات بالتزام منتهى الحرص والدقة في اداء اعمالهم ، ويقوم اومدوتيتيجوار بعمل النائب او الوكيل،وزوبدوتيتيجوار كوزير له ، وخوجا اراتون بالمسئولية التامة عن حراسة جميع ما في المبنى من اموال او بضائع ، وكان لزاماً عليهم

بذل الجهد في بيع موجودات البضائع بمجرد زوال الطاعون الذي كان منتشراً وقتذاك ، وبنفس اسعار السنة السابقة دون انقاص او زيادة دينار واحد وستنظر الشركة بتقدير عظيم لهم لو استطاعوا ان يبيعوا كمية كبيرة من البضائع قبل عودته،وفي حالة وصول الطاعون الى بوشهر عليهم ان ينقلوا بضائع الشركة الى حيث ينقل ملاكيتيجوار وحاجي اسماعيل املاكهما وعائلاتهما .... ويبقوا معهما ، وفيما يتعلق بتسليم البضائع التي تباع فلا يجوز اخراجها الا باذونات خاصة تقدم الى حرس الشركة موقعة من الموظفين الثلاثة المشار اليهم معاً ، ويجب وضع جميع ما يستلزم من التجار من أثمان البضائع المبيعة ، والتي يجب دفعها فور استحقاقها ، في خزانة تحت مسئولية خوجا اراتون ، على ان يقوم حرس الشركة بدوريات منتظمة لحراستها ليل نهار ، وعلى كل من الموظفين الثلاثة المشار اليهم ان يكتب قائمة خاصة به عن كل المبالغ التي تدخل الخزانة ، وطوال مدة اقامة كابتن مالكولم في ايران ، عليهم ان يعتبروا طلباته واوامره كأنها صادرة عن حكومة بومبي ، وعليهم ان يراعوا عدم الانحراف عن منطوق طلباته وان تنفذ حرفياً كما يطلبها .

وجاء في التعليمات ايضاً ، طبقاً لتقاليد المقيمية ما يلي : « في كل يوم أحد يجب ان يظل العلم مرفوعاً من شروق الشمس لغروبها ، وحين تلوح في الافق سفينة تحمل العلم البريطاني ، يجب الرد عليها برفع العلم البريطاني في المفوضية ، وفي ايام الاعياد التقليدية الثلاثة ، وهي عيد الميلاد ، ورأس السنة الجديدة ، ويوم ميلاد صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى ، يجب ان تقام الاحتفالات المعتادة وتوزع العطايا على حرس الشركة ...... الخ . »

وفي سنة ١٨٠٣ ارغم مهدي على خان على الاستقالة من عمله ، ذلك بأن أكاذيبه التي كان يفتريها بنية حسنة خدمة لمصالح رؤسائه أصبحت مدعاة للفضيحة ومثاراً لمشاكل دبلوماسية كثيرة ، وعقب

استقالته تقرر له معاش شهري قدره ٨٠٠ روبية ، وحين مات في يوليو ١٨٠٤ ولم يخلف وراءه املاكاً تذكر ظلت الشركة تصرف مبلغ ٥٠٠ روبية لورثته كل شهر ، وتعهد صديقه مستر دنكان بتحمل نفقات نقل جثته الى النجف لتدفن هناك اذا رفضت الشركة ان تدفع هذا المبلغ الذي يصل الى ٢٠ الف روبية . وواضح ان مستر دنكان هو الذي اوصى بأن يصحب مستر هينشو الجثة حتى النجف . وكتب مستر دنكان عن مهدي علي خان قائلا : « لقد كان ذلك مني علامة تقدير لن اندم عليها حيال واجبات رجل غير عادي وقف مواهبه جميعاً لمدة ثمانية عشر عاماً كاملا وفي مختلف الظروف لخدمة المصالح البريطانية في هذا الجزء من آسيا الذي يمتد من انهار الجانج الى بحر قزوين والبحر الاحمر ، واعترفت الشركة في لندن بأعماله هذه غير مرة واحدة واشارت في ملاحظتها الاخيرة عن هذا الموضوع الى النتائج الفعلية التي تحققت عن الرحلة التي تطوع للقيام بها في هذا الجزء من العالم والى زيادة مبيعات الشركة هناك وتنشيط تصريف بضائعها الصوفية ، الامر الذي جعلني اوصي بالموافقة على تخصيص شيء نمنحه كشعار لتقديرنا له وحيث ان الفرصة لتطبيق تلك التوصيات قد تولت فلا اقل من موافقة الشركة الموقرة على انفاق بعض المال من اجل قبر يليق بالرجل في موته » .

مسائل اخرى :

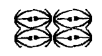
أما حالة مبنى المفوضية في بو شهر سنة ١٧٩٨ ، فيكفي هذا الطلب الذي طلبه مستر هانكي من الحكومة عقب الاضطرابات المحلية التي حدثت في هذه السنة وهذا نصه : « ارجو ان تسمحوا لي بأن اوكد مرة أخرى ان تعزيز قوة الحرس هنا ضرورة ملحة لحراسة هذا المبنى المتداعي الذي يغري مظهره الرعاع المتوحشين الذين سكنوا هذه المنطقة مؤخراً » .

وظلت البصرة هي المركز الذي تصل عن طريقه آخر أخبار اوربا

الى البريطانيين في الهند . لذا نجد المقيم العام في البصرة يذيل رسالة له الى الحاكم والمجلس في بومباي بتاريخ ١٠/١٠/١٧٩٩ بقوله « ولي الشرف أيضاً ان ارسل لعظمتكم اعداداً من جريدة شركة لويد المسماة « بريد المساء — ايفننج بوست » عن المدة من ١٢ الى ٢٩ يوليو الماضي ، وأعداد « جورنال دي فرانكفورت عن المدة من ٢٢ يوليو الى ٩ اغسطس ،وفي المجموعتين عدد من التقارير الهامة لي الشرف ان الفت نظر عظمتكم اليها » .

تبعية الهيئات السياسية في الخليج لحكومة بومباي ١٨٠٦ :

وفي سنة ١٨٠٦ تقرر الحاق المقيميات في بغداد وبو شهر في سائر الشئون بحكومة بومباي ، ومنع المقيمون من كتابة مراسلاتهم مباشرة لحكومة الهند ، حيث انهم فيما يبدو كانوا من قبل يفعلون ذلك على هواهم .



تاريخ الخليج من نهاية الحقبة النابليونية فى الشرق الى استتباب الامن البحرى نهائيـا فيه ١٨١٠ ـ ١٨٣٦

تميزت الفترة التالية من تاريخ الخليج ببعدها نسبياً عن سياسات تصارع النفوذ بين الدول الاوربية وبزيادة الاهتمام الذي نظرت به بريطانيا الى المشاكل المحلية في المنطقة خصوصاً مكافحة القرصنة . لقد انتهت الحرب الايرانيـة – الروسية التي نشبت سنة ١٨٠٤ نهايـة غـير حاسمة بمعاهـدة « جولستان » في سنـة ١٨١٣ ، وزال من الجـو خطر فرنسا . وفي الهنـد باستثناء ، حرب اليوركا سنة ١٨١٤–١٨١٥ ، واضطرابات البنداري والمراهطة في سنة ١٨١٧ ، فان السلم والهدوء كانا سائدين في ربوعها بشكل عام . وقرب نهاية هذه الفترة فقط ، وبعد ان استطاعت روسيا ان تهزم كلا من ايران وتركيا عسكرياً ، كما استطاعت بمعاهدة « تركمانشاه » في سنة ١٨٢٨ ومعاهدة انقرا سكليسي في سنة ١٨٣٣ ، ان تكتسب نفوذاً كبيراً في المنطقة ، وان يتخوف منها السياسيون والمخططون في الهند تماماً ، كما تخوفوا من فرنسا من قبل (١) .

وعقدت بين بريطانيا وايران معاهدة سنة ١٨١٤ على غرار معاهدتهما لسنة ١٨٠٩ ، لكنها هذه المرة موجهة عموماً ضد روسيا بدلا من فرنسا وجاء ذلك بعد سنة من عقد معاهدة جولستان بين ايران وروسيا . وكانت هذه المعاهدة تلزم ايران بأن تشترك في صد أي هجوم

(١) نستطيع أن نلمس هذا الخوف المرضي من روسيا الذى ساد في هذه الفترة من أعمال عـدد من المؤلفين المعاصرين ٠٠ منهم ويل ستيد في كتاب « رحلات في جزيـرة العرب » ٠ الجزء الاول ص ٤٠٠ ـ ٤٠٤ ، وفي كتاب مينجان : « رحلـة الشتاء » الجزء الثانى ص ١٤٤ ـ ١٧١ ٠

من جانب اية دولة اوربية على الهند ، في مقابل ان تقدم انجلترا عونها الفعلي لايران اذا حدث اي غزو لاراضيها من جانب اية دولة اوربية . وقد عدلت هذه المعاهدة تعديلا كبيراً في سنة ١٨٢٨ بما أخلى ساحة بريطانيا من هذا الالتزام الاخير وذلك بموافقة ايران مقابل تعويض مادي . واخيراً في سنة ١٨٣٤ ونتيجة تغير الشاه في ايران تعاهدت بريطانيا وروسيا معاً على احترام استقلال ايران وسلامة اراضيها ، لكن هذه الاتفاقية لم تكن سوى فاتحة ازمة حادة خطيرة بين البلدين بصدد ايران .



وصول قوة الوهابيين الى حدها الاقصى ثم انهيارها وزوالها المؤقت ١٨١٠ ـ ١٨١٩

مكانة الوهابيين سنة ١٨١٠ :

في سنة ١٨١٠ ، وعقب الحملة البريطانية الثانية على القواسم مباشرة وصلت دولة الوهابيين ونفوذها القوي في شئون الخليج حدهما الاقصى.. لكن تدهور هذا النفوذ كان قريباً ، وان لم تتضح هذه الصورة بعد ، فقد كان الوهابيون يسيطرون — دون منازع — لا على وسط جزيرة العرب فقط بل على اجزاء كثيرة من الحجاز ايضاً بما فيها الاماكن المقدسة في مكة والمدينة . وكذلك اقسام من اليمن على الاقل .

وفي طريق الشام كانوا قد سيطروا — فيما يبدو — على واحة جوف العامر ، كما كانت جيوشهم تقوم من وقت لآخر بتهديد باشوية بغداد بل وبغداد نفسها ، في بعض الاحيان ، وظلت الكويت تدفع عن نفسها هجماتهم ومحاولاتهم احتلالها ، لكن الحسا وقطر والبحرين سقطت جميعاً أمام جحافلهم واصبحت جزءاً من الدولة الوهابية يحكمها مسئول وهابي في البحرين . وكان الوهابيون قد عززوا مراكزهم في عمان بأن احتلت قواتهم — من قاعدتهم المتقدمة في البريمي — بعض القلاع في اقليم الشمايلية ، كما ان نفوذهم على ساحل القرصنة قليلا ما تأثر بسيطرة بريطانيا على قاعدة رأس الخيمة . ورغم ان البريطانيين والعمانيين قد استولوا على ميناء شناص امامهم ، وبعد ان طردوا حاميتهم منه ، الا ان الوهابيين عادوا فيما بعد فاحتلوه . وكان موقفهم من السيد في عمان موقف التهديد البالغ .

تقدم المصريين في غرب الجزيرة والانكماش التدريجي لنفوذ الوهابيين في منطقة الخليج ١٨١١ — ١٨١٥ :

وفي سنة ١٨١١ بدأ محمد علي ، باشا مصر عملياته ضد الوهابيين

لاستعادة الاراضي التركية على البحر الاحمر ، وكان لعمله هذه تأثيره المباشر على الجانب الآخر من شبه الجزيرة ، حيث وجد الوهابيون ان عليهم تخفيف قبضتهم عن الاماكن التي يسيطرون عليها . وقبل نهاية السنة هاجم سيد عمان قطر والبحرين وطرد الوهابيين منهما ، غير ان قائدهم النشيط (مطلق) في البريمي استطاع — على الرغم من كل شيء — ان يغزو سلطنة عمان ويستولي على قلعة سمايل في قلب البلاد . وفي سنة ١٨١١ او ١٨١٢ وكعرض من اعراض القلق لدى الوهابيين او على الاقل كدليل على رغبتهم في الخروج عن سياسة العزلة المطلقة التي كانوا يلتزمونها — ارسل امير الوهابيين مبعوثاً الى الحكومة الايرانية في اقليم فارس . غير ان هذه البعثة لم تحقق اية نتائج . وفي سنة ١٨١٢ — وبعد كارثة رهيبة — استطاعت القوات المصرية طرد الوهابيين من المدينة المنورة وفي العام التالي استعادت مكة وجدة والطائف لكنها فشلت في حملتها على « ترابة » ، وفي فتح طريق الحج الى مكة الذي اغلقه الوهابيون من سنة ١٨٠٢ الى ذلك الحين في وجه العالم الاسلامي كله .

وعلى الرغم من سوء هذا الموقف بالنسبة للوهابيين ، وعلى الرغم من امدادات الاسلحة التي تلقاها سلطان عمان من حكومة ايران ، فقد نجح قائد الوهابيين في البريمي سنة ١٨١٢—١٨١٣ في غزو سلطنة عمان واكتساح اقاليم مسقط وشرقي صحار وجعلان واجتياحها بالسيف والنار ، كذلك نجح ايضاً في أن يضم الى جانب الوهابيين قبيلتين من القبائل الكبيرة في شرقي عمان بعد انضمامهما للمذهب الوهابي ، وقرب نهاية سنة ١٨١٣ وبعد غزوة ناجحة على اقليم الباطنة لقي امير الوهابيين « مطلق » مصرعه أثناء اشتباك مع احدى القبائل داخل عمان ، ولم يعد خافياً عندئذ ضعف مركز الوهابيين شرقي شبه الجزيرة . وفي سنة ١٨١٤ منيت دولة الوهابيين بخسارة ضخمة بموت اميرها « سعود » الذي كان زعيماً ذا كفاءات سياسية وادارية كبيرة ، وبعدها بدأت احوال الدولة بشكل عام — نتيجة فقدان القيادة القوية وعناد القوات المصرية في هجماتها على غرب شبه

الجزيرة – تنحدر من سيء الى اسوأ . وفي سبتمبر سنة ١٨١٤ استطاع الوهابيون بقيادة قائد محلي من هناك هزيمة القوات المصرية في الظهران ... غير ان هذا كان آخر انتصار يحرزه الوهابيون . ففي ١٥ يناير استدرجت قوات امير الوهابيين حيث قضي عليها في مكان يسمى « بيسال » داخل اقليم الحجاز ، واعقب ذلك سقوط « ترابة » ، بل ووصلت الحملة الى امكنة بعيدة جداً مثل رانيه وبيشه .

القوات المصرية تغزو القصيم للمرة الاولى سنة ١٨١٥ :

وانتقل ميدان المعارك بعد ذلك الى الشمال حيث ظن طوسون باشا – ابن محمد علي – ان الفرصة ملائمة للتقدم ، فتقدم من المدينة بقوات قليلة لا تتجاوز الف رجل الى « الرّس » في القصيم . وكانت هذه الحركة التي اتخذت دون التزام باوامر محمد علي حركة خطيرة في الحقيقة ، غير ان امير الوهابيين خاف تقدم المصريين فوافق على انسحابهم من القصيم في مقابل ان يتنازل عن مطالبته بمكة والمدينة ، وان يعترف اعترافاً عاماً بسيادة سلطان تركيا عليها، وان يجعل الحدود بينه وبين الاراضي التي تسيطر عليها القوات المصرية خطاً يمر بمنطقة «الحناكية » واستمرت حملة طوسون باشا وسط الجزيرة من منتصف مارس الى آخر يونيو سنة ١٨١٥ ولم يصدق محمد علي على المعاهدة التي عقدها طوسون مع الوهابيين ، ربما غضبه من عصيان ابنه لاوامره وفشل حملته ، ولكن الاغلب انه وجد شروطها لا تلائمه .

القوات المصرية تغزو القصيم للمرة الثانية وتفتح نجد ١٨١٧–١٨١٨ :

وفي العام التالي ١٨١٦ ارسل محمد علي ابنه ابراهيم باشا على رأس حملة كبيرة ، واصدر له اوامر واضحة بالقضاء على الوهابيين بمهاجمة عاصمتهم « الدرعية » ، لكن العمليات لم تبدأ فعلا الا في سنة ١٨١٧ حين وصل ابراهيم باشا الى منطقة«الحناكية» وبدأ اعماله ضد القبائل المعادية في المنطقة وفي اتجاه جبل شمر ، ووقع اول اشتباك نظامي بين الطرفين

في منطقة جبل «ماويه» حيث هاجم الامير عبدالله قوة مصرية ومني بهزيمة فادحة ، وتقدم بعدها ابراهيم باشا الى « الرس » حيث ضرب حصاراً حولها دام ثلاثة أشهر او اربعة فقد خلالها كثيراً من الرجال والجرحى وكميات هائلة من الذخيرة ، لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها غير انه استطاع بعد ذلك الاستيلاء دون صعوبة على مناطق خبره وعنيزة ثم دان له اقليم القصيم كله .

وسقطت شقرا في الوشم في يناير سنة ١٨١٨ بعد حصار قصير ، وكانت اول مكان يسقط في جنوبي نجد ، وارتكبت القوات المصرية مذبحة في ضرومة نتيجة استفزازها بهجوم غير منظم وقع عليها . وفي ١٦ ابريل سنة ١٨١٨ بدأ ابراهيم باشا اعماله العسكرية على الدرعية .. واستمر حصارها بدرجات متفاوتة من النجاح ، كانت القوات المصرية تصاب احياناً فيه بخسائر كبيرة ، حتى ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨ . وفيه استسلم الامير عبدالله ، وارسل اسيراً الى القسطنطينية حيث اعدمه السلطان برغم الامال التي كان يمنى بها في العفو عنه ، اما الدرعية فهي بعد ان نهبت نهباً كاملا ، دمرت تدميراً تاماً ، كما دمرت كل تحصينات الاقاليم المهزومة .

القوات المصرية تحتل نجد والأحساء ١٨١٨ – ١٨١٩ :

وتقدمت القوات المصرية بعد تدمير عاصمة الوهابيين الى الأحساء، حيث اقامت فيها كما فعلت في نجد مواقع عسكرية هنا وهناك . وقامت هذه القوات بعدة حملات على القبائل الموالية للوهابيين لكنها لم تتمكن من تأمين السيطرة الكاملة على البلاد . وفي معظم الحـــالات اخفق المصريون في تفهم البيئة السياسية التي حولهم . واصبحت عملية الاحتلال الدائم عملية مرهقة ، فانسحبت القوات المصرية من الأحساء في يوليو سنة ١٨١٩ وتركت الاقليم لحكامه قبل الوهابيين من بني خالد على ان يبقى تابعاً للباب العالي ، وفي الشهر التالي لذلك صحب ابراهيم باشا بنفسه معظم

قوات الاحتلال المصرية ، التي لم تزد على بضعة آلاف ، منسحباً من نجد الى الحجاز . ويبدو ان ثمة حامية مصرية بقيت في نجد حتى سنة ١٨٢٤ وبعد هذا التاريخ لا نقف على أي ذكر لها ، لكن سيادة تركيا ظلت قائمة بعد رحيل المصريين بل واستمر امير الوهابيين يدفع جزية أسمية للسلطان في كل سنة .

تجدد القرصنة ، وأعمال أخرى فى منطقة الخليج ١٨١١ ـ ١٨١٩

وسرعان ما تبددت آثار الحملة التأديبية التي شنتها بريطانيا على القواسم في سنة ١٨٠٩–١٨٠١ ، وانتعشت عمليات القرصنة انتعاشاً شديداً ، كما انها بدأت في الوقت الذي كان فيه الوهابيون في وضع سيء ، حيث تقلص نفوذهم المحلي الى حد الزوال ، الامر الذي يوضح ان عداوة هذه القبائل العربية وجشعها كانا الدافع الاول لهذه الاضطرابات في مياه الخليج ، وليس مرد ذلك الى تحريض الوهابيين لهم ، او استكراههم اياهم على القرصنة كما كانوا من قبل يزعمون .

وكانت القوة الوحيدة في منطقة الخليج التي تقف ضد الوهابيين والقواسم على السواء هي سلطنة عمان التي استمرت في حرب دائمة مع هذين الطرفين .

دور سلطان عمان ضد الوهابيين في قطر والبحرين سنة ١٨١١ والحرب بينه وبين القواسم ١٨١٣ – ١٨١٤ :

ففي سنة ١٨١١ ادى السيد سعيد دوراً ناشطاً في اكراه الوهابيين على رفع قبضتهم عن قطر والبحرين ، واصبح امير الوهابيين المقيم في

البحرين اسيراً لديه ، او على وجه التحديد لدى حلفائه آل خليفة في البحرين ، ويحتمل ان آل خليفة كما أكد سلطان عمان نفسه ، قد دفعوا للاقرار بتبعيتهم السياسية لمسقط اعترافاً بالجميل ، او خضوعاً لحكم الضرورة ، وفي سنة ١٨١٣ ظل سلطان عمان على تراسل دائم مع محمد علي باشا حاكم مصر بشأن الاجراءات التي يمكن اتخاذها ضد الوهابيين والقواسم . وفي هذا العام نفسه ، والذي يليه ، وبعد ان فشل في ضمان عون البريطانيين له بهذا الصدد حاول السلطان الاستيلاء على عاصمة القواسم في رأس الخيمة .. لكن عمله لم يسفر الا عن عقد معاهدة —سرعان ما اهملت—تعهد فيها القواسم بأن يحجبوا نشاطهم عن مجرد مناطق معينة من الساحل كان السلطان يدعي حمايته لها .

موقف الحكومة البريطانية من الوهابيين والقواسم ١٨١١ — ١٨١٤ :

لم يكن موقف حكومة الهند حيال الوهابيين والقواسم في السنوات العصيبة التي أعقبت حملة ١٨٠٩—١٨١٠ محدداً ، وربما بسبب هذا التردد نفسه ضاعت نتائج كل العمليات السابقة . ولم يقصر مبعوث الوهابيين الذي زار ايران في سنة ١٨١١ او ١٨١٢ في ان يقدم للمقيم البريطاني في بو شهر عروضاً لقيام علاقات الصداقة والتجارة المتبادلة بين الدولتين ، غير ان حكومة الهند ترددت في القطع بهذا الامر حتى سنة ١٨١٤ حين قررت دون اجحاف ببقاء او زيادة روابط الصداقة والاتصال ، ان تتحاشى الدخول في معاهدة مع امير الوهابيين ، وقبل أن يرسل سلطان عمان حملته على راس الخيمة في سنة ١٨١٤ حاول ان يقنع السلطات البريطانية في الهند بالاشتراك معه في العمل ضد القواسم ، وكان يجادل ايضاً بأن اتفاقيتي ١٧٩٨ و ١٨٠٠ بينه وبين الدولة البريطانية يشكلان تحالفاً دفاعياً هجومياً بينهما مما يستحيل معه على بريطانيا ان ترفض مطلبه ، ولكن الحكومة البريطانية لم توافق على قناعاته تلك .... ولم تقدم اليه أي نوع من المعونة البحرية او العسكرية ، غير ان المقيم البريطاني في الخليج — باوامر من حكومته — رافق الاسطول

العماني الى رأس الخيمة في مناسبتين غير انه لم تبد فرصة مواتية كان معها مأمولا في تدخل ناجح من جانبه لنصرة المصالح البريطانية . وقرب نهاية سنة ١٨١٤ ، ونتيجـــة طلب تقدم به المقيم البريطـــاني بالتعويض عن حادثة معينة ، وصل الى بو شهر مبعوث يحمل اليه خطابات من امير الوهابيين وشيخ القواسم ويعرض مبدئياً شروط اتفاقية يتوقف بمقتضاها القواسم عن اعتداءاتهم على السفن التي ترفع العلم البريطاني ، ويعيدون بعض الممتلكات التي كانوا قد استولوا عليها من السفن البريطانية ، وأن يتخذوا لهم علماً مميزاً يرفعونه على سفنهم ... لكن هذه التعهدات ظلت حروفاً ميته لم تنفذ .

القواسم يعودون الى القرصنة ١٨١١ ـ ١٨١٦ :

وفي ظروف هذا الجهد الفاشل من سلطان عمان ، والتراخي الواضح من الحكومة البريطانية عادت اعمال القرصنة من جانب القواسم للظهور وسرعان ما تضاعفت بشكل سريع ، على ان سنتي ١٨١٠ و ١٨١١ مرتا بهدوء ولكن في ١٨١٢ بدأت امارات تشير الى تجدد القرصنة .

١٨١٣ :

وفي سنة ١٨١٣ هاجم القواسم ونهبوا عدة سفن وطنية تابعة لمينائي البصرة وكانجون ، ولقيت عدة سفن هندية ترفع العلم البريطاني أيضاً نفس المصير ، وبقيت سفن أخرى محبوسة في موانىء الهند لا تستطيع الخروج الى البحر لازدياد الاخطار فيه .

١٨١٤ :

وفي سنة ١٨١٤ اغار شيخ الشارقة على سفينة للاهالي ترفع العلم البريطاني وتدعى « احمد شاه » فيما كانت جانحة قرب جزيرة قيس ، ونقل بعض الاسلاب الى رأس الخيمة ، من قبل القواسم الذين يظن انهم كانوا مشتركين في هذا العمل . وكانت هذه الحادثة هي التي ادت الى

المراسلات المتبادلة في نفس السنة بين المقيم البريطاني في بو شهر وزعماء الوهابيين والقواسم . وفي نفس الوقت تقريباً تم الاستيلاء على سفينة ايرانية بين مسقط وبندر عباس . وفي اغسطس ١٨١٤ استولى القراصنة العرب على سفينة وطنية صغيرة تجاه بوربندر وارسل المقيم العام قارباً يحمل رسالة منه الى شيخ القواسم بهذا الصدد ، لكن هذا القارب – وعلى الرغم من المعاهدة الاولية التي عقدها رسولهم في بو شهر – صادرَه القواسم في رأس الخيمة .

وكان هذا العمل اعلاناً للحرب لا شك فيه ، لذلك لا ندهش لازدياد الاعتداءات البحرية وتكرارها على السفن البريطانية في ١٨١٥ و ١٨١٦ . ففي السنة الاولى استولى القواسم على سفينة لسلطان عمان كانت محملة ببضائع لشركة الهند الشرقية بالقرب من موجو وبمساعدة اهل هذا المكان او معرفتهم على الاقل ، كما استولى القواسم ايضاً على ست سفن وطنية في المياه الهندية ، وكادوا يستولون على السفينة كارولين وهي سفينة العلم لسلطان عمان بل وجرح السيد نفسه حين التقت هذه السفينة باسطول كبير للقراصنة خارج قريات . كما تغلب القراصنة على سفينة هندية بريطانية بالقرب من مسقط ، واختطفوا او قتلوا سائر بحارتها ، وفي يناير ١٨١٦ استولى قراصنة رأس الخيمة على سفينة شركة الهند الشرقية الصغيرة المسلحة « داريا دولت » وقتلوا معظم من كانوا على ظهرها او جرحوهم . وكانوا جميعاً من الهنود . وفي نفس الشهر قام اسطول كبير يملكه القواسم بمطاردة طراد شركة الهند الشرقية « اوروا » . وهو يحرس سفينة تحمل كنزاً لسلطان عمان في الخليج ، لكن اسطول القواسم تراجع بعد ان تكبد خسائر ضخمة ، كما فشلت ايضاً الهجمات التي قام بها قراصنة القواسم على السفن الامريكية « بيرشيا » و «ماكولاي» و « سنترا » لكن القواسم جرؤوا على ان ينهبوا سفينة فرنسية تجارية كانت في طريقها من جزر موريشيوس الى البصرة في حراسة سفينة حربية فرنسية . وكان من بين ضحايا حوادث القرصنة العربية المتلاحقة سفينة

مجهولة الاسم ترفع علماً بريطانياً ولم يعرف مصيرها ، ولم يبق واحد من بحارتها على قيد الحياة . كذلك ايضا استطاعوا الاستيلاء على قارب مسلح (تيرو) كانت تملكه شركة الهند الشرقية ، وفي آخر نفس السنة استولى القواسم على ثلاث سفن وطنية من صورات في مياه البحر الاحمر وكلفت هذه الحادثة أصحاب السفن خسارة قدرت بحوالي ١٢ لاكاً من الروبيات . هذا الى جانب قتل معظم بحارة السفينة .

وربما لم تكن هذه القائمة التي ذكرناها شاملة بالنسبة لكل السفن البريطانية ، والهندية وهي لا تدخل في حسابها — بطبيعة الحال — الاعتداءات على السفن العربية والايرانية ، مما لم تكن السلطات البريطانية في ذلك الوقت ترى انها تعنيها ، ونجحت هذه الغارات المتكررة من جانب القواسم ، بما تحققه من ارباح واسلاب — في ان تهدم اخلاقيات بعض مشايخ العرب على الساحل الايراني المقابل ، واصبحت جزر البحرين سوقاً عظيماً لتوزيع الاسلاب التي يحصل عليها القواسم قوة وقسراً .

هجوم سلطان عمان على البحرين وما قام به المقيم البريطاني في الخليج بهذا الصدد ١٨١٦ :

وأدت حملة قام بها سلطان عمان على البحرين صيف سنة ١٨١٦ الى فترة استراحة بين فصول مأساة السلب التي يمثلها قراصنة القواسم . وكانت عملية السلطان سعيد في البحرين سنة ١٨١١ معاونة للاسرة العتوبية الحاكمة ضد الوهابيين . اما الآن ، وقد انكر هؤلاء ولاءهم السياسي للسلطان ، فقد عاد هذا مرة أخرى الى مسرح الاحداث على شكل حليف لايران ولعدو العتوب اللدود القرصان رحمة بن جابر ، بينما راح العتوب يبحثون عن تحالف مع الوهابيين اعدائهم القدامى .. ومع القواسم ايضاً . وراح سلطان عمان يشجعه الاعتقاد بأن الحكومة البريطانية تشجع عمله وتؤيده ... لكن المقيم في الخليج — الذي زار البحرين اثناء إعداد الحملة العمانية — استطاع ان يقنع شيخ البحرين بأن بريطانيا ستقف في هذا الصراع موقف الحياد المتعاطف علماً بأن

ذلك انطوى على التخلي عن تنفيذ اتفاقية عقدت بدون تخويل بعقدها من قبل .

ورفض السيد سعيد عرضاً بالوساطة من جانب البريطانيين وانزل جنوده مباشرة على جزيرة المحرق ... لكنه طرد سريعاً فتقهقر عائداً الى سفنه بعد ان تكبد خسائر جمة . على ان ضعف امارة البحرين ظل على الدوام يغري جيرانها الاقوياء بالاعتداء عليها .

طلب بريطانيا التعويض من شيخ القواسم ١٨١٦ :

لقد أدت حادثة البحر الاحمر الخطيرة بكل ما فيها من نُذُر بمدى ما يمكن ان تصل اليه القرصنة في الخليج اذا هي تركت لشأنها ، الى ان تصدر حكومة الهند اوامرها بضرورة طلب تعويض غير مشروط من شيخ القواسم في نوفمبر سنة ١٨١٦ وقام المقيم العام في الخليج بتقديم الطلب ، وقد اصطحب معه سفينة من سفن البحرية البريطانية وثلاث سفن تابعة لشركة الهند الشرقية الى رأس الخيمة ، ورفض شيخ القواسم طلب التعويض بعناد وصلف اديا بالمقيم ، رغم عدم صدور اوامر من حكومته اليه بذلك ، الى ان يقوم بهجوم بحري مباشر على رأس الخيمة ، وتم هذا العمل في اول ديسمبر سنة ١٨١٦ . واستمر ضرب المدفعية زمناً طويلا على نطاق واسع ، ثم توقف دون ان يحقق اية نتائج .. وارسلت سفينتان بعد ذلك لطلب التعويض من الشارقة ولنجة لكنهما لم تحققا نجاحاً اكثر مما حققته زيارة الاسطول كله لرأس الخيمة . وكان اسطول رأس الخيمة وحده عندئذ يتكون من ٦٠ سفينة كبيرة ، وكان في موانىء القرصنة في الشارقة والرّمس ولنجة حوالي ٤٠ سفينة من حجم اصغر . وهذا العدد الكبير كان معظمه في البحر وكثيراً ما شاهدت الطرادات البريطانية بعض سفنه هنا وهناك لكنها في العادة كانت تحرص على عدم الاشتباك معها نظراً لتفوقها الكبير في الفنون الملاحية .

استمرار غارات القواسم : ١٨١٧ – ١٨١٩ :

وربما لم تمر تلك المظاهرة ضد رأس الخيمة بلا نتائج على الاطلاق ، فقد حصل فعلا نقص في العامين التاليين ، في غارات القواسم على السفن البريطانية غير انه في نهاية سنة ١٨١٧ غـزا اسطول القواسم جزيرة الشيخ شعيب وهدد « عسيلوه » و « كانجون » و « ديِّر » غزواً أثار الفزع في بو شهر . وفي نفس الوقت ايضاً استولى القواسم على سفينتين للاهالي تجاه ديو ، بالاضافة الى السفينة (مصطفى) وهي سفينة عربية كانت ترفع العلم البريطاني ، استولوا عليها على مسافة ٧٠ ميلا فقط من بومباي . وفي نهاية سنة ١٨١٨ تمكنت مدمرة شركة الهند الشرقية (انتيلوب) ان تقاتل القواصنة قتالا عنيفاً معرضة نفسها للخطر لتنقذ سفينة سلطان عمان (رحماني) وسفينة اخرى صغيرة كانت سفن القراصنة في معركة معها . كما حدثت اشتباكات لا يكاد يحصيها الحصر بين سفن القراصنة القواسم وسفن حكومة صاحبة الجلالة وشركة الهند البريطانية .

الحملة البريطانية الثالثة على القواسم ، والمعاهدة التالية لها ، وما يتعلق بها ١٨١٩ – ١٨٢٠

الاعداد للحملة ١٨١٩ :

وأخيراً وبعد تسوية ناجحة لعدد من الاضطرابات الداخلية في الهند فيما بين ١٨١٤ و ١٨١٧ قررت الحكومة البريطانية في تلك البلاد ان تضع حداً لنشاط القراصنة في الخليج .

وفي ربيع سنة ١٨١٩ ارسل كابتن « سادلير » كطليعة من بومباي ليبحث اجراءات التعاون مع البريطانيين ضد القواسم وكذلك امكانية التعاون مع القوات المصرية التي كانت عندئذ تحتل نجد والاحساء ،وفوض كابتن سادلير ان يعرض على قائد القوات المصرية اعطاءه رأس الخيمة لاغرائه على المشاركة في الحملة . وقد تم التوصل الى اتفاق مرض مع السيد سعيد ، ولكن التفاهم مع المصريين لم يكن ممكناً منذ البداية فقد جلا هؤلاء نهائياً من جميع مواقعهم في الاحساء ومن بعض مواقعهم في نجد قبل ان يحين موعد الحملة البريطانية في خريف سنة ١٨١٩ . وارسل الدكتور جوكس مبعوثاً خاصاً الى حاكم اقليم فارس الايراني ليطمئنه على اهداف هذه الحملة . كما تم ايضاً تقديم عدد من التفسيرات والايضاحات لشاه ايران عن طريق المبعوث البريطاني في طهران .

أعمال الحملة ١٨١٩ – ١٨٢٠ :

وكانت العمارة البريطانية التي ابحرت من الهند في اوائل نوفمبر سنة ١٨١٩ تحت القيادة العسكرية والسياسية للجنرال « سير دبليوجرانت كير » تتكون من ثلاث سفن من البحرية البريطانية ، وست سفن من بحرية شركة الهند التجارية وقوة برية قوامها ٣٠٠٠ رجل تضم بعض رجال المدفعية البريطانية ، وبعض الفرقة ٤٧ و ٦٥ مشاه الى جانب فرقة كاملة وبعض الافراد من المشاة الهنود ، وانضم اليها سلطان عمان

بسفينتين و ٦٠٠ رجل قبل وصولها الى رأس الخيمة كما تقدم جيش عماني ايضاً عن طريق البر الى ميدان المعركة للمساعدة . لكنه وصل متأخراً أكثر من اللازم .

كما انضم الملازم « بروس » – المقيم البريطاني في بو شهر – الى اركان حرب الجنرال جرانت كير كمستشار سياسي له . وفي ٣ ديسمبر تم نزول الجنود على مدينة رأس الخيمة ، وفي ٩ ديسمبر تم احتلالها بعد حصار قصير لعبت فيه المدفعية دوراً رئيسياً ، وقد مني العدو بخسائر جسيمة في هذا القتال ، وكانت الخسائر التي مني بها البريطانيون تافهة بالقياس اليها ، واستولت الحملة على الحصن الجبلي « الظاية » – بالقرب من الرّمس – في ٢٢ ديسمبر حين القى حوالي ٤٠٠ رجل مقاتل سلاحهم وسلموا كأسرى حرب . وانتهت العمليات الهامة بعدها ، وفي يناير سنة ١٨٢٠ اقيمت قلعة بريطانية وضعت بها حامية بريطانية في رأس الخيمة ، كما زارت الحملة ايضاً موانيء القراصنة الاخرى وقامت بعملية مسح لكل استحكاماتهم وسفنهم الكبرى ، وتقدم جزء من الاسطول ايضاً الى جزر البحرين حيث استولى على او دمر بعض سفن القراصنة التي كانت لاجئة هناك ، واتخذت نفس الاجراءات ايضاً في موانيء لنجة وموغو وعسالو وكانجون على الجانب الايراني من الخليج .

التسوية مع القواسم وتوقيع معاهدة هامة للصلح : ١٨٢٠ :

وأدى هذا العمل الحاسم الى استسلام سريع من جانب كل مشايخ العرب على ساحل القراصنة ، وفي ٨ يناير ١٨٢٠ عقدت معاهدة عامة للصلح اصبح كل هؤلاء المشايخ اطرافاً فيها بتواريخ مختلفة . كما انضم اليها ايضاً مشايخ العتوب في البحرين . وفي هذه المعاهدة تعهد الموقعون عليها ورعاياهم بأن يكفوا في المستقبل عن ممارسة « السلب والقرصنة » باعتبارهما اعمالا ليس لها صفة الحرب السافرة او مشروعيتها . واتخذت اجراءات عديدة لضمان التزامهم بهذه النصوص الجديدة . منها ان

يكون للقبيلة علم موحد متميز يرفع على سفنها ، وان يتم العمل باوراق للسفن لضمان التعرف على هويتها ، وكان في المعاهدة ايضاً نص ضد هذا العمل غير الانساني الذي كان مألوفاً وقتئذ وهو ذبح اسرى الحرب ، ونص ايضاً ضد تجارة الرقيق . وكان واضحاً على اي حال في ذهن القائد البريطاني ان السلم في المستقبل سيعتمد على قدرة بريطانيا على ردع هذه الاعمال ومعاقبة مرتكبيها أكثر من اعتماده على الاوراق التي وقعها مشايخ القواسم وغيرهم من رؤساء القبائل . ولحسن الحظ فقد اقرت السلطات البريطانية في الهند السياسة التي تضمنتها هذه المعاهدة ، ولم تسمح بعدها لاي عمل من اعمال القرصنة في الخليج ان يمر دون انذار سريع وعقاب رادع . وانتهت تماماً هذه الحقبة التي ساد فيها العنف والخروج عن القانون ... لكن المراقبة اليقظة الى جانب بعض الاجراءات العملية العرضية في مناسبات عديدة ظلت ضرورية زمناً طويلا للحيلولة دون تجدد القرصنة .

خضوع مشايخ البحرين لسلطان عمان ١٨٢٠ :

ولم يهمل سلطان عمان الفرصة التي اتاحها له ارتباطه الوثيق مع البريطانيين في حملة ١٨١٩ ـ ١٨٢٠ ليعاود تأكيد مطالبه باحقيته في حكم جزر البحرين ، ورغم ان البريطانيين قد حرصوا على ان يتجنبوا حتى مجرد الظهور بمظهر المؤيدين لمزاعم السلطان ، الا ان آل خليفة حكـــام البحرين مسهم الرعب من السلطان فسارعوا الى ارسال مندوب الى مسقط تعهد نيابة عن مرسليه بدفع جزية سنوية قدرها ٣٠ الف روبية .

وقد سخطت حكومة اقليم فارس الايرانية التي كان السيد يعتمد عليها في مواصلة عملياته في البحرين على هذه الاتفاقية لانه لم يكن لها دور فيها .

فترة الاحتياطات الخاصة ضد القرصنة
بعد الحملة مباشرة ١٨٢٠ ـ ١٨٢٣

وجود حامية بريطانية في الخليج ١٨٢٠ ــ ١٨٢٢ :

كان يعتبر مرغوباً فيه لعدة سنوات وجود قاعدة بريطانية دائمة للعمل في منطقة الخليج ، وقد قدم هذا الاقتراح لاول مرة في معرض بحث مشكلة التجارة والخطط المتوقعة من جانب الدول الاوربية في ايران . ولكن مع ظهور القرصنة ازدادت اهمية هذا الاقتراح من حيث المزايا العسكرية التي يقدمها خاصة بالنسبة للامارات والدول الصغيرة في المنطقة . وقد رأينا كيف بذل جهد فاشل سنة ١٨٠١(١) للحصول على تنازل عن بعض الجزر التي لو اتيحت حيازتها لنجح المشروع . وفي سنة ١٨٠٨ ــ ١٨٠٩ كان التفكير جارياً لاستملاك جزيرة خارج ، واوشكت حكومة الهند ان تتم الامر ، وقد صدرت اوامر لقواد حملة سنة ١٨٠٩ــ١٨١٠ بالتماس جزيرة مناسبة تصلح مكاناً لقاعدة بريطانية (٢) .

---

(١) راجع بعثة مالكولم الى الخليج ١٨٠٨ فيما سبق .

(٢) صدرت الاوامر في سنة ١٨٠٩ على النحو الآتى :

« لا شك في أن حكومة الهند ستسعد كثيرا للاسترشاد برأيكم في انسب الاماكن من موانىء منطقة الخليج التى تشيرون علينا باحتلالها واتخاذها قاعدة للعمل البحرى أكثر من مسقط مع مراعاة أن تكون في موقع أكثر تحكما في مدخل الخليج ، وأوفق مستقبلا لهدف مكافحة القرصنة ... ونرجو أن تلحقوا برأيكم هذا اراءكم فيما يتعلق بالقوات الضرورية للسيطرة على هذا المكان ليس بالنسبة الى الدول القائمة في منطقة الخليج فقط ، بل وأيضا بالنسبة الى الدول الاوربية التى قد تتدخل أحيانا في هذه المنطقة ، حيث لا يمكن السماح أن تتجاوز سفنهم المتواجدة ، بحال من الاحوال ، سفينتين

ولكن يبدو ان هؤلاء القادة لم يتخذوا اي اجراء بصدد هذا الامر اما مشروع « القاعدة البريطانية المركزية » في الخليج التي قد تحل في النهاية محل وكالة شركة الهند الشرقية في بوشهر بل وفي البصرة ايضاً وتصلح لجميع الاهداف فقد عاد الحديث فيه بمناسبة حملة ١٨١٩—١٨٢٠ وقد صدرت تعليمات لسير و. جرانت كير قبل رحيله من الهند بان يكتب تقريراً عن هذا الموضوع خاصة فيما يتعلق بجزر قشم وهانجام . وفي النهاية وعندما ثبت أن الاجراءات البريطانية لاقامة حامية بريطانية دائمة في رأس الخيمة غير مناسبة ، اقترح الجنرال نقل هذه القوات الى جزيرة قشم لكنه لم يوافق على الاقتراح القائل بسرعة نقل المقيمية البريطانية في الخليج الى نفس المكان . واستفاد البريطانيون من مطالبة سلطان عمان بحقه في ملكيته جزيرة قشم لحسابه الخاص — لا ايجاراً من الحكومة الايرانية كما هو الحال بالنسبة لبندر عباس — فحصلوا منه على اذن كتابي باحتلال الجزيرة .

وفي يوليو ١٨٢٠ نقلت الحامية البريطانية التي كانت في رأس الخيمة الى مدينة قشم .. ولكن ثبت ان هذه المكان غير صحي وحرارته لا تطاق وبعد تجربة اقامة القاعدة في كل من دايرستان وسالاج على الساحل الجنوبي لهذه الجزيرة وثبات ان ايا منهما ليس مناسباً . نقلت الحامية البريطانية الى باسيدو في اوائل سنة ١٨٢٢ .

واثار احتلال جزيرة قشم ، كما كان متوقعاً ، معارضة عنيفة من جانب ايران التي انكرت على السلطان انكاراً تاماً حقه في السيادة على جزيرة قشم ، بل وردت زاعمة ان ممتلكات السلطان في البلاد العربية ما

حربيتين فرنسيتين ما دامت لنا السيطرة البحرية . ان نقل المقيمية من مسقط هو أفضل اجراء بالنظر الى ما حدث لنا من اصابات مؤسفة في ذلك الموقع المؤذى للصحة ومن مكاننا الجديد نستطيع أن نحصل على كل ما نريد بوساطة سمسار محلى يشرف عليه مقيم بريطاني في الميناء المجاور الجديد » .

هي الا جزء متمم لايران.لكنه يبدو ان دكتور جوكس الذي ارسل الى شيراز في صيف سنة ١٨٢١ لتوضيح الامور نجح في حمل الحكومة الايرانية في اقليم فارس على قبول الامر الواقع حول احتلال البريطانيين للجزيرة ... ولكن كل الحجج التي ساقها الممثل البريطاني في طهران لم تفلح في اقناع الشاه او وزرائه ، واستمروا يطالبون — كما كانوا منذ البداية — باجلاء الحامية البريطانية عنها . واخيراً اتخذ المسؤولون في الهند قرارهم بأنه من الافضل ان تجلو القوات البريطانية عن هذه الجزيرة بدل ان تصبح مجالا للخلاف الدائم مع ايران ، لكن قطع العلاقات المفاجىء بين شاه ايران والقائم بالاعمال البريطاني في طهران في ربيع سنة ١٨٢٢ جعل من غير الملائم رضوخ حكومة الهند لمطالب ايران في الانسحاب فتأجل تنفيذه الى نهاية سنة ١٨٢٢ او بداية ١٨٢٣ .. واخيراً تم انتقال حامية قشم — التي لم تكن بالفعل تؤدي عملا ما — الى الهند .

حملتان بريطانيتان على قبيلة بني بو علي في سلطنة عمان ١٨٢٠—١٨٢١

وقد نشبت حرب صغيرة لكنها خطيرة ولا ضرورة لها في سنة ١٨٢٠—١٨٢١ ، وكشفت بوضوح الاهمية البالغة لوجود قوة بحرية متنقلة في منطقة الخليج تتلقى اوامر من مسئول سياسي له سلطة شخصية واسعة . فقد قتل ابناء بو علي في اقليم جعلان بعمان — وكانوا في ذلك الوقت متمردين على سلطان عمان — مبعوثاً ارسله اليهم الكابتن طومسون المسئول السياسي والقائد العسكري في قشم بشأن حادثة قرصنة وبعدها سرعان ماشجعه هذا الضابط على التحالف مع السيد سعيد وانضم اليه بقوات تصل حوالي ٤٠٠ من الجنود الهنود وقاما بهجوم على عاصمة بني بو علي في داخل عمان الى ما وراء ميناء صور ، وكانت النتيجة كارثة رهيبة ابيدت فيها هذه المجموعة من الجنود البريطانيين مع ضباطها ، وبعض جنود السلطان فوقعوا بين قتيل واسير . وكان كابتن طومسون والسيد سعيد نفساهما محظوظين اذ استطاعا الفرار .

وبمجرد ان علمت حكومة بومباي بالامر ، عزلت كابتن طومسون من منصبه لكنها وجدت من الضروري ان تؤكد هيبة بريطانيا العسكرية في المنطقة ، فارسلت حملة الى صور يقودها جنرال ل. سميث الذي كانت له خبرة سابقة بالقتال ضد العرب في رأس الخيمة سنة ١٨٠٩–١٨١٠ . ووصلت الحملة الى عمان في نهاية يناير ١٨٢١ وكانت تتكون من حوالي ١٣٠٠ جندي بريطاني من مدفعية بومباي والفرقة ٦٥ التابعة لصاحب الجلالة ، والفرقة الاوربية في الهند، الى جانب اكثر من ١٥٠٠ جندي هندي ، وتقدمت في اوائل فبراير الى مقر قبيلة بني بو علي ، وفي ٢ مارس دارت معركة رهيبة في نفس مكان المعركة السابقة . وبلغت خسائر البريطانيين حوالي ٢٠٠ رجل بين قتيل وجريح . اما خسارة العدو فقد تجاوزت هذا الرقم من القتلى فقط ... وكانت نتيجة المعركة استسلام القبيلة نهائيا ونفي عدد من رجالها موقتاً الى الهند .

قطع العلاقات مع باشا بغداد ١٨٢٠ – ١٨٢٢ :

وأثناء انهماك البريطانيين في العمل على تدعيم نتائج حملة سنة ١٨١٩ – ١٨٢٠ في منطقة الخليج السفلى وخليج عمان ، حدثت ازمة في العراق التركي كادت لولا نفوذ مستر ريتشي المقيم البريطاني في بغداد تؤدي الى اوخم العواقب . وقد اثارها صلف باشا بغداد الذي اصر على تجاهل حقوق وامتيازات الرعايا البريطانيين في باشوية بغداد والمكفولة بالمعاهدات ، بل وزاد ابعد من ذلك بأن ضاعف الضرائب على التجار البريطانيين بغير وجه حق ... وفي سنة ١٨٢٠ ونتيجة هذه المعاملة التعسفية انتقلت الوكالة البريطانية في البصرة موقتاً الى « المحمرة » .

وفي ربيع سنة ١٨٢١ حاصرت القوات التركية مقيمية بغداد زمناً بهدف ارهاب المقيم البريطاني بل وحتى القبض عليه واستطاع مستر ريتشي بحصافة وحزم ان يتسلل من ذلك المأزق ويلجأ الى ايران عن طريق البصرة ، وظل هناك حتى مات بالكوليرا في خريف نفس السنة . وقدم كابتن تيلور الذي خلف مستر ريتشي بامر من حكومة الهند طلباً

بالتعويض عن الخسائر ووَقْف تلك المظالم وعَـمَـدَ الى نقل الهيئة السياسية البريطانية كلها من العراق التركي الى الكويت حيث ظل بها من نهاية سنة ١٨٢١ الى ابريل سنة ١٨٢٢ . وقد ضمنت التسوية التي تمت بسبب اجراءات تيلور صيانة المصالح البريطانية في باشوية بغداد . وفي سنة ١٨٢٣ استطاع كابتن تيلور ان يحصل من الباشا على وثيقة رسمية بتفاصيل تلك التسوية .

شكاوى الحكومة الايرانية من المقيمية البريطانية في بوشهر واتفاقية غير مرخص بها من المقيم تؤدي لعزله ١٨٢٠ – ١٨٢٢ :

وفي نفس الوقت الذي حدثت فيه تلك المشكلات في بغداد قامت مشكلة أخرى بين الحكومة الايرانية والمقيم البريطاني ، الملازم بروس ، في بو شهر وكان السبب هو نجاح سلطان عمان في انتزاع اعتراف من مشايخ البحرين بتبعيتهم السياسية له . وعزت الحكومة الايرانية خطأ هذا الاجراء الى تأثير الملازم بروس الذي كان قد قام بزيارةللبحرين اثناء الحملة البريطانية على القواسم . واستطاع الملازم بروس ان يبرىء نفسه ، امام السلطات البريطانية من التهم العديدة التي وجهتها اليه حكومة ايران ، طالبة استدعاءه لبلاده على اساسها ، ولذلك قررت الحكومة البريطانية ابقاء بروس في منصبه وتجاهل تلك الاتهامات . ولكن في سنة ١٨٢٢ ، وبعد عودته الى ايران في زيارة لبومباي استدرجته حكومة شيراز – ربما بتطميعه بتسوية الامور معهم – لعقد معاهدة خرقاء لم يكن مخولا عقدها ، ولم تصدق عليها حكومة بومباي . وحتمت هذه الحادثة عزله عن وظيفته في بو شهر ، وكانت هذه الاتفاقية الملغاة – وهي مذكورة بالتفصيل في الجزء الخاص بتاريخ الساحل الايراني والبحرين تتعارض مع السياسة البريطانية تعارضاً تاماً ، وتناقض المصالح البريطانية في الخليج في صدد امور من نوع مركز البحرين السياسي ، ومطالب التعويضات الناشئة عن الحملة البريطانية في ١٨١٩ – ١٨٢٠ ...الخ.

وكان من شأن هذه المعاهدة لو تمت تقييد حكومة الهند بامداد

السلطات الايرانية بمعونات بحرية اذا هي طلبت ذلك في ظروف معينة .

الاجراءات البحرية التي اتخذها البريطانيون لاستتباب الامن في مياه الخليج ١٨٢٢ – ١٨٢٣ :

ولدى جلاء الحامية البريطانية عن جزيرة قشم بعد اقامتها بها زمناً .. كان لا بد من اتخاذ احتياطات بحرية كثيرة خشية تجدد اعمال القرصنة .

وكانت اهم هذه الاحتياطات هي استمرار طواف قافلة من ثلاث الى اربع من سفن شركة الهند دائماً على شاطىء القرصنة ، وكانت الشركة قد خصصت ٦ قطع من بحريتها للعمل في منطقة الخليج وصدرت الاوامر بأنه اذا صدرت اعمال القرصنة عن مواطنين من الساحل الايراني فيجب على المسئولين السياسيين والضباط البحريين البريطانيين الا يردوا على تلك الاعمال في المستقبل بالعنف مباشرة وانما يجب ابلاغ الامر الى السلطات المحلية الايرانية . فقد ثبت ان الحكومة الايرانية ، منذ الحملة على القواسم ، كانت تواقة ، فعلا وباخلاص من جانبها لمعاقبة مرتكبي هذه الاعمال من رعاياها . وكانت مسقط ، اول الامر ، هي نقطة التقاء سفن حكومة الهند العاملة في الخليج او الزائرة له . ولكن تبين بعد ذلك انها بعيدة بعداً كبيراً عن الميدان الفعلي للنشاط البحري البريطاني في الخليج . فاتخذ قرار بابدالها بميناء « موغوه » الذي انشىء فيه مخزن كبير للبضائع ، وعين فيه وكيل سياسي لبريطانيا من اهل البلاد وظل النظام معمولا به لفترة ، غير انه في خريف سنة ١٨٢٣ ، ومن جراء التحسب من اعتراضات الحكومة الايرانية اتخذ ميناء « باسيدو » في جزيرة قشم قاعدة للعمليات البحرية البريطانية في منطقة الخليج .

تعليمات خاصة للمقيم البريطاني في منطقة الخليج وقيامه بجولة على الساحل العربي ١٨٢٣ :

وعند انسحاب الحامية البريطانية من قشم ، نقلت حكومة الهند مسئولية الاشراف على كل منطقة الخليج الى المقيم البريطاني في بو شهر ،

وصدرت التعليمات للملازم ماكلويد – الذي خلف كابتن بروس – بتفاصيل الاسلوب الذي عليه اتباعه في تصريف واجباته لا سيما فيما يختص بمعاهدة السلام البحري لسنة ١٨٢٠ . وكان عليه ان يوضح متطلبات تلك المعاهدة التي لم تكن واضحة تماماً للموقعين عليها كما ان عليه ضمان تنفيذ احكامها ، ولا سيما الشرط المتعلق بضرورة رفع اعلام مميزة على السفن ، الامر الذي كان قد اهمل ، وكذلك ان يبين ان انسحاب الحامية البريطانية التي كانت مقيمة في منطقة الخليج لم يكن ناشئاً عن فقد الحكومة البريطانية اهتمامها بهذه المنطقة او بضمان استتباب الامن في مياهها . كما صدرت اليه توجيهات ايضاً بأن يقوم باتصال شخصي مع مختلف المشايخ على الساحل العربي على ان يختبر بنفسه الحالة السياسية القائمة . وان يرتب اموره بحيث يستطيع الحصول على معلومات منتظمة عما يجري بها من احداث . وقام الملازم ماكلويد بتنفيذ هذه المهام بنجاح جدير بالاعجاب ، فقام في يناير سنة ١٨٢٣ برحلة استكشافية على طول الساحل العربي تقريباً زار خلالها كل موانىء القرصنة في قطر والبحرين .

ثم كتب عن رحلته تقريراً مطولا يشرح فيه بالتفصيل ، ولاول مرة اوضاع السياسات المحلية في هذه المنطقة ، وعرض الملازم ماكلويد بعض المشاكل الخاصة بتفسير نصوص معاهدة سنة ١٨٢٠ التي استطاع أن يلمسها اثناء جولته تلك ، ووضعت الحكومة لها الحلول فوراً . ويمكننا القول بأن العمل السياسي في المنطقة قد تجدد اثناء هذه الفترة ، أو بعدها بقليل ، وظل هو النمط السائد فيما بعد ، ويبدو ان وكيلا اهلياً عن مقيمية بو شهر قد استقر في الشارقة سنة ١٨٢٣ بناء على اوامر من الملازم ماكلويد بنقله من القطيف التي كان مقيماً بها من قبل .

فترة التأسيس المتدرج لاستقرار النظام البحري ١٨٢٤ ـ ١٨٣٦

الفصول الاخيرة من تاريخ القرصنة ١٨٢٤ ــ ١٨٣٥ :

ظلت بعض مساءات القرصنة تقع عرضاً بين حين وآخر لكنها كانت مقصورة بشكل دائم على السفن الاهلية غير ان هذه الحوادث كانت كلها من النوع الذي لم تكن حكومة الهند تلقي له بالا على الاطلاق قبل حملة سنة ١٨١٩ ــ ١٨٢٠ . ومهما يكن من شيء فالقليل من تلك الحوادث لا يستأهل الذكر وليس هو من نوع العمليات الحربية . لكن مرتكبيه كانوا بعض بحارة السفن الذين دفعهم الاضطراب السياسي ــ لا الرغبة في السلب والنهب ــ الى ارتكاب هذه الاعمال .

واكثر من ذلك اننا لا نكاد نجد حالة واحدة نجا الآثمون فيها نجاة تامة من العقاب .

وفي سنة ١٨٢٧ قام بعض رجال القبائل من قطر والبحرين بعملية قرصنة وقتل على سفينة من بوشهر كانت في طريقها الى « الديلم » فاوقفوها وارتكبوا فعلتهم خارج « جناوه » وفي العام التالي تم القبض على رئيس العصابة على الشاطىء الايراني وسلم للمقيم البريطاني . وبعد ان وضع في حراسة شيخ بو شهر استطاع لسوء الحظ ان يهرب من سجنه خلال ثورة سياسية حدثت في المدينة . وفي سنة ١٨٢٨ ، ارتكب حادث رهيب سنة ١٨٢٨ من قبل سفينة من رأس الخيمة على قارب من صحار ، وقد اغرق القراصنة بحارة القارب الاربعة عشر قذفاً من قاربهم الى البحر كما اغرقوا القارب ايضاً بعد ان نهبوا ما كان فيه . وفي هذه الحادثة ارغمت السلطات السياسية البريطانية شيخ القواسم على ان يقبض على المجرمين ويعاقبهم ، وقد اعاد الشيخ واحداً منهم ، كما سلم السلطات البريطانية سفن المعتدين لتدميرها ، واعاد ما استطاع استعادته من

الاشياء المنهوبة .

وكانت الجريمة الوحيد ة ضد السفن البريطانيـــة النــــزول على ظهر السفينة (سنبري) في الشارقة سنة ١٨٢٩ ، وبيع الحمولة المنهوبة للشيخ ، غير انه كفر عن هذا العمل بحرق قارب اشتبه بتورطـه في الجريمة ، وان جاء ذلك نتيجة سوء تفاهم ، كما جلد صاحب القارب بأمر الشيخ . وفي سنة ١٨٣١ راح شيخ عجمان – الذي كان في ذلك الوقت مشتبكاً في حرب ضد صحار – يلقي القبض دون تمييز على كل السفن التي يجدها في كل مناطق عمان ، حتى انه استولى على أكثر من اثنتي عشرة سفينة ليست لاهل صحار ، لكن البحرية البريطانية قامت بزيارة هذا المكان في سنة ١٨٣٢ وارغمت الشيخ على التعويض على سائر المتضررين من مظالمه هذه . وفي سنة ١٨٣٤ هبط عدد قطع الاسطول البريطاني العامل في منطقة الخليج الى سفينتين فقط ، ليس بسبب ما ذكرناه عن ندرة المخالفات البحرية ، وانما ايضاً من جراء الصراع العنيف الذي نشب بين الشارقة – اقوى امارات القرصنة على الساحل – وابو ظبي الامارة التالية لها في القوة . حيث ان قبيلة « بني ياس » من ابو ظبي ، وممن لم يوصموا من قبل بالقرصنة اندفعوا الآن في هذا التيار الآثم ، وبعد ان اقترفوا عدداً من الفظائع والمذابح واعمال السلب راحوا يجربون حظهم مع القوة البحرية الصغيرة التابعة لشركة الهند الشرقية في منطقة الخليج ، وكان البريطانيون اكثر شوقاً منهم الى هذا اللقاء .

وفي ١٦ ابريل سنة ١٨٣٥ استطاعت سفينة الشركة الحربية « الفينستون » ان تهزم وحدها ست سفن لقراصنة « بني ياس » فدمرت اثنتين منها تدميراً تاماً واحدثت بالباقيات خسائر فادحة ، واستطاعت تخليص سفينة ايرانية كبيرة كان القراصنة قد استولوا عليها مؤخراً . وكان اذلال هذه القبيلة بالغاً حداً جعلها تستسلم تماماً ودون اية معارضة للشروط التي تملى عليها ، وتعهد افرادها بأن يسلموا ١٥ سفينة كانوا قد استولوا عليها الى جانب جزء كبير من حمولتها وان يدفعوا مبلغ ١٠

آلاف دولار كتعويض نقدي ، وان يتعهدوا بدفع مبلغ اضافي قدره ١٦٠٠ دولار . كما قاموا ايضاً باطلاق سراح جميع الاسرى الذين كانوا قد اسروهم ، وسلموا ايضاً رجلين من رجال القبيلة تزعما غارات القرصنة . وقد نفى احدهما الى بومباي حيث حوكم بتهمة القرصنة وحكم علية بالنفي مدى الحياة . ثم ارتكب « بنو ياس » بعدها حوادث قرصنة اخرى ما بين ١٨٣١ – ١٨٣٥ في دبي وابـــو ظبي ولكن امكن الحصول على تعويضات منهم عن كل هذه الحوادث .

ويمكننا ان نعتبر هذا العقاب الرادع الذي لقيه القراصنة في سنة ١٨٣٥ ضربة الموت للقرصنة في الخليج ، لأنها منذ ذلك التاريخ لم تقم لها قائمة بأي شكل مخطر او مزعج .

تاريخ القرصان رحمة بن جابر واعماله ١٨٢٤ – ١٨٢٦ :

ولن تكتمل حكاية الاحداث في الخليج في هذه الفترة دون الاشارة الى القرصان العتبي رحمة بن جابر . وهو شخصية غريبة الى ابعد حدود الغرابة ، مغامر الى اقصى حدود المغامرة ، وقد تردد اسمه فيما سبق غير مرة واحدة ، فقد استطاع أن ينجو بجلده من قصاص الحملة البريطانية على القواسم في سنة ١٨٠٩ – ١٨١٠ ومن ذلك الوقت ولعدة سنوات تالية ظل رحمة على صلة وثيقة بالوهابيين ، مندفعاً بشدة عدائة لآل خليفة مشايخ البحرين . وحين اعد سلطان عمان عدته لمهاجمة البحرين في سنة ١٨١٦ ووقف الوهابيون الى جانب آل خليفة ، خرج رحمة عن حلفائه وانضم الى حاكم عمان ونتيجة لذلك طرده الوهابيون – في نفس السنة – من قلعته الرئيسية في الدمام على ساحل الاحساء وارغموه على التراجع الى بو شهر حيث ظل تحت حماية ايران سنة ١٨١٨ . وبعدها رجع الى الاحساء ليعاون القوات المصرية في عملياتها ضد الوهابيين وكافأه هؤلاء بعد انتصارهم بأن اعادوا له وضعه في الدمام . وفي سنة ١٨١٩ كان متوقعاً من رحمه بن جابر ان يتعاون بصفته حليفاً سياسياً

لسلطان عمان ، وعدواً للقواسم الوهابيين ، مع الحملة البريطانية التي خرجت متجهة الى رأس الخيمة في نفس السنة ، ولكنه بدل ذلك بدأ في اوائل سنة ١٨٢٠ بالاتصال بحاكم فارس الايراني في محاولة فاشلة لاحباط خطط حاكم عمان ضد البحرين بانزال قوات ايرانية على هذه الجزر . واصدر قائد الحملة البريطانية امراً بتدمير سفن رحمة بن جابر لكن الامر لم ينفذ نظراً لتمتعه بحماية ايران . وفي ابريل سنة ١٨٢٠ رفض رحمة ، على اساس من ارتباطه بايران ، ان يدخل طرفاً في معاهدة الصلح الشاملة بين الحكومة البريطانية ومشايخ العرب في الخليج .

وفي سنة ١٨٢٢ قدم كل من رحمة بن جابر وآل خليفة مشايخ البحرين خلافاتهما للتحكيم لدى ممثلي بريطانيــا في الخليج ، وبعد محاولات فاشلة لعقد الصلح بينهما بذلها الكولونيل كينيث والملازم ماكلويد . استطاع كولونيل ستانس اخيراً ان يعقد بينهما معاهدة صلح في فبراير سنة ١٨٢٤ ، ووجه رحمة جهوده بعد ذلك لميناء القطيف فحاصره وهاجمه وحطم السفن الموجودة فيه لبرغم سكانها على دفع الجزية او الاتاوة ، وظل يواصل اعماله هذه خلال سنة ١٨٢٥ برغم تحذيرات المسئولين السياسيين البريطانيين بل وتهديداتهم له ، تلك التهديدات التي كانت تنم عن اعتبارهم اعمال رحمة من باب القرصنة دون الحرب النظامية .

ثم تجدد الخلاف بين رحمة وآل خليفه . ورفض المقيم البريطاني التوسط بينهما الا على اساس شرط ما كان رحمه بن جابر ليقبل به . وهو ان يكون اهل القطيف طرفاً في اي معاهدة تعقد بين رحمة وآل خليفة ، وظلت اعمال العداء مستمرة بينهما حتى انتهت بتحطيم رحمة بن جابر وسفنه في اشتباك مع سفينة يقودها واحد من آل خليفه . وفي اواخر حياته أصبح رحمة حاكماً صغيراً في الدمام أكثر منه قرصاناً وكان حريصاً دائماً على الا يقوم بأي عدوان ضد الحكومة البريطانية او الرعايا البريطانيين ، لكن موته على اي حال ادى الى مزيد من استقرار

الامور في منطقة الخليج .

انبعاث نفوذ الوهابيين في منطقة الخليج ١٨٢٤ – ١٨٣٣ :

وحين تم انسحاب آخر حامية من القوات المصرية في نجد سنة ١٨٢٤ او حوالي ذلك ، بدأ نفوذ الوهابيين وسلطانهم في منطقة الخليج ينتعش مرة أخرى . لكن اسم الدولة الوهابية لم يعد الان يثير الفزع الاسطوري الذي كان يثيره من قبل .... ولم تعد سياستها سوى سياسة دولة دنيوية شأن سواها من الدول . وفي سنة ١٨٢٥ اعترف شيخ الشارقة بخوفه الشديد من تقدم الوهابيين وطلب عون الحكومة البريطانية ، وفي سنة ١٨٣٠ فقط ، وبعد ست سنوات من الصراع مع بني خالد استطاع الوهابيون استعادة سيطرتهم على منطقة الاحساء، وعادوا مرة أخرى ليصبحوا قوة هامة من القوى على مسرح الخليج . وفي سنة ١٨٣٠ أيضاً تم تحالف بينهم وبين سلطان عمان افزع مشايخ البحرين فزعاً جعلهم ، بعد يأسهم من عون الحكومة البريطانية لهم ، يخضعون لامير الوهابيين خضوعاً تاماً ويتعهدون بدفع الجزية له في المستقبل . وكان ثمة اضطراب واضح في منطقة ساحل القرصنة ، حيث اعلن مشايخ عجمان وام القوين ولاءهم للوهابيين ، لكن هؤلاء لم يتخذوا اية خطوة للافادة من هذه الفرصة . وفي سنة ١٨٣١ أبدى تركي بن عبدالله امير الوهابيين في مراسلات ودية الى حكومة بومباي كشفت عن تهذيبه وصفاء خلقه رغبة في قيام العلاقات الحسنة . ورغم ان الامير لم يجب الى طلبه عقد معاهده رسمية بين الطرفين الا ان الرد كان ودياً . وفي سنة ١٨٣٣ حين فشل سلطان عمان في ان يكتسب عون البريطانيين لاستخلاص اراضيه التي سيطر عليها الوهابيون، اقتدى بمشايخ البحرين في دفع الجزية لهم ، وفي سنة ١٨٣٤ تدخل ممثل الوهابيين في « البريمي » في صراع كان قائماً بين مشايخ الشارقة وابو ظبي وهما أكبر الامارات على ساحل القراصنة . لكن نوعاً من الانتقاص حصل لهيبة الوهابيين في منطقة

البحرين ، حيث استطاع شيخها في سنة ١٨٣٣ ان يطرح ولاءه للوهابيين ، ثم استطاع في سنة ١٨٤٣ ان يخلص جزيرة تاروت من بين ايديهم ويحاصر موانىء ساحل الاحساء .

مشكلة بن سلطان عمان وباشا بغداد ١٨٢٥ — ١٨٢٦ :

وفي بداية انبعاث نشاط الوهابيين ، حدثت مشكلة بين سلطان عمان وباشا بغداد، وكان السبب في الخلاف ان السلطان طالب الباشا بمعونة مالية رغم انها فرضت لجده مقابل معاونته للاتراك ضد الايرانيين اثناء حصار البصرة سنة ١٧٧٥ — ١٧٧٦ لكن الباشا اوقفها بعد ذلك ، وفي سنة ١٨٢٦ انفذ السيد سعيد حصاراً للبصرة كان وضع خططه في سنة ١٨٢٥ . ووجد باشا بغداد نفسه مرغماً — بعد ان رفض وساطة البريطانيين — على قبول مطلب سلطان عمان ، فدفع له مبلغاً ملموساً من متأخرات تلك المعونة المالية .

طلب باشا بغداد المعونة العسكرية من السلطات البريطانية ١٨٢٧ — ١٨٢٨ :

وفي سنة ١٨٢٧ وجه الباب العالي تعليمات الى باشا بغداد بدافع الخطر الذي كان يتهدد الامبراطورية التركية من جانب روسيا باعداد جيش قوي في العراق التركي ، وبعث هذا الى السلطاتالبريطانية في الهند طالباً منها فريقاً من الضباط البريطانيين ليقوموا بالتعليم والتدريب والاشراف على الشعب الفنية للجيش ، الى جانب امدادات من الجنود والذخائر ، وثلاث سفن حربية من حجم متوسط ، ولم يكن من شأن الشروط التي عرضها الباشا ان تكلف حكومة الهند كثيراً لو وافقت على طلبه . ومع ان حكومة بومباي ايدت مطلب باشا بغداد تأييداً قوياً ، الا ان حكومة الهند رفضت الطلب على أساس ما تصورته من عدم وجود علاقات مرضية بين الحكومة البريطانية والباب العالي ، وكان قراراً اسف له مجلس ادارة شركة الهند الشرقية اسفاً عميقاً ، فقد كان هذا

المجلس يعتقد انه – باستثناء المعونة البحرية – لم يكن في طلب الباشا ما يبرر تفويت الفرصة التي انطوى عليها ، فهو يوفر نفوذاً بريطانياً في العراق التركي ، كما يمكن لبريطانيا موقعاً ملائماً تراقب منه نشاط روسيا في الشرق الاوسط مراقبة دقيقة، ولم يجدد باشا بغداد طلبه كما كان مجلس المديرين يأمل منه ان يفعل .

اضطرابات على الساحل الايراني ومهاجمة المقيمية البريطانية في بوشهر واعمال سلطان عمان ١٨٢٦ – ١٨٣٢ :

وحين كان الوهابيون يبذلون جهودهم لتدعيم مكانتهم من جديد على السواحل الغربية للخليج تدخلت الحكومة الايرانية ، منتهزة فرصة العداء بين سلطان عمان والاسرة العربية الحاكمة في بو شهر ، وكذلك العداوات داخل تلك الاسرة فحققت ايران شيئاً من النجاح في فرض سيطرتها الادارية على بو شهر وما حولها .

وفي سبتمبر سنة ١٨٢٦ استطاع سلطان عمان ان يأسر شيخ بو شهر في البحر واحتفظ به سجيناً في مسقط حتى مايو سنة ١٨٢٧ ، واثناء سجنه حدث صراع بين افراد اسرته على حكم بو شهر ، وحدث عرضاً خلال الشغب بين المتنازعين ان اهين المقيم البريطاني فيما كان يحاول التوسط بين افراد الاسرة ، ونقلت المقيمية بعد قليل من مدينة بو شهر الى مكان قريب منها . ولكنها عادت الى مكانها بعد ذلك نتيجة توسط من جانب الحاكم الايراني في فارس ، وفي سنة ١٨٢٧ ارسل شاه ايران مبعوثاً خاصاً من طهران للتحقيق في الاهانة الحاصلة وترضية المندوب السياسي البريطاني .

وحوالي نهاية سنة ١٨٢٨ عين تيمور ميرزا – ابن الامير الحاكم في فارس – حاكماً لبو شهر خلفاً لتلك الاسرة العربية التي كانت تتوارث الحكم . وكان هذا قد زوج اخته لسلطان عمان مؤخراً . لذلك عمل السلطان على تثبيت دعائم حكمه . وفي سنة ١٨٣٠ اعادت الحكومة

الايرانية شيخ بوشهر الى مكانه القديم ، واضطرت السلطات البريطانية لمنع السيد سعيد من تقديم العون لصهره تيمور ميرزا الذي كان ينوي مقاومة عزله، على ان والد تيمور ميرزا ارسل سنة ١٨٣٢ ابنه الآخر « رضا كولي ميرزا » لاستلام مقاليد الحكم في بوشهر . وقام شيخ القواسم بمظاهرة بحرية امام الميناء انتصاراً لشيخ بوشهر ، لكن المقيم البريطاني احبط محاولة القواسم وارغم شيخهم على الانسحاب حين هدده باستخدام القوة ضده . وفي اوائل سنة ١٨٣٣ ارغم الامير الايراني على الانسحاب من بوشهر نتيجة تمرد داخلي حدث ضده بزعامة « جمال خان» في بوشهر ومشايخ تانجستان وداشتستان ، ولكن في اواخر نفس السنة تفكك التحالف بين هذه الاطراف ، واستطاع الموالون للامير استعادة سيطرتهم على المدينة دون صعوبة . وقد مارس المقيم البريطاني نفوذه اثناء هذا الصراع لمنع تفاقمه ، وقد اظهر الطرفان تفهماً لقيمة التدخل البريطاني حيث طلب شيخ بوشهر في سنة ١٨٢٨ ان يشمل بالحماية البريطانية ، كما ان حاكم فارس راح في سنة ١٨٣٢ يجادل بحجة سخيفة في امر مظاهرة القواسم البحرية تجاه بوشهر قائلا انه كان من واجب الحكومة البريطانية بموجب معاهدتها مع ايران حماية الساحل الايراني من كل هجوم بحري كائناً من كان الذي يشنه .

هجوم سلطان عمان على البحرين والاضطرابات التي نتجت عن ذلك في مياه الخليج ١٨٢٨ — ١٨٢٩ :

وفي خريف سنة ١٨٢٨ قام سلطان عمان — دون معونة من جانب الوهابيين او الايرانيين هذه المرة — ولكن بدعم من بني ياس بابو ظبي ، بهجوم خطير لاخضاع مشايخ البحرين الذين كانوا قد رفضوا منذ زمن بعيد تبعيتهم السياسية لمسقط التي كانوا قد قبلوها في سنة ١٨٢٠ . لكن آل خليفة استطاعوا ان يثبتوا في وجه هذا الهجوم ويصدوه مكبدين الغزاة خسائر كبيرة بلغت سفينتين كبيرتين واكثر من ٥٠٠ رجل . وتردد

بعدها ان بني ياس كانوا ممالئين لآل خليفة وانهم غدروا بحليفهم السلطان.

أما مدى اعتماد دول الخليج في ذلك الوقت على حماية بريطانيا فيما يتعلق بالخلافات البحرية بين احداها والاخرى فذلك تصوره لنا الشكوى التي تقدم بها شيخ البحرين — وهو احد الموقعين على معاهدة الصلح الشاملة — ضد شيخ ابو ظبي — وهو ايضاً من الموقعين على نفس المعاهدة — لاشتراكه في حملة سلطان عمان على البحرين . واجيب على شكواه بان هذه الحالة يجب اعتبارها حالة حرب سافرة . وهي بالتالي تخرج عن نطاق المعاهدة . ونتيجة لذلك اعد شيخ البحرين اسطولا للانتقام من سلطان عمان ، وفي مثل هذه الاحداث — سواء جاء ذلك نتيجة الاستفزاز اوالخطأ — فقد كان لا بد من وقوع احداث يصعب فيها التمييز الدقيق بين ما هوعمليات حربية او اعمال قرصنة . وكان اول هذه الاعمال ان قام اسطول العتوب بنهب واغراق سفينة محايدة لاهل مرباط ، وتحتم على المقيم ان يدعم شيخ البحرين — بوسيلة من وسائل عرض القوة المسلحة-على دفع تعويض جزئي لاصحاب هذه السفينة . وفي سنة ١٨٢٩ وبشيء من الضغط من جانب المقيم البريطاني على شيخ البحرين — امكن عقد صلح بينه وبين سلطان عمان . كان الشرط الرئيسي فيه هو اعتراف السيد سعيد باستقلال البحرين .

تمرد في قطر ضد سلطة مشايخ البحرين ١٨٣٥ :

وحدثت حادثة اخرى هددت امن الخليج تهديداً خطيراً في سنة ١٨٣٥ وذلك عندما تمرد اهل « الحويلة » في قطر ، وكانت وقتذاك تابعة للبحرين ، وانضم اليهم بعض الاعضاء الساخطين من الاسرة الحاكمة في البحرين وعدد من الوهابيين وراحوا يقومون باعتداءات ومشاغبات في البحار ، وكانت النتيجة المباشرة لهذا العمل هي انفصال عدد كبير من آل بن علي وآل بوعينين تحت قيادة قائد جريء ونشيط هو « عيسى بن طريف » وساروا الى ابو ظبي ، حيث اصبحوا — من

وقتها – خاضعين لمعاهدة الصلح العامة .

الهدنة البحرية الاولى ١٨٣٥ والخط التحديدي ١٨٣٦ :

وفيما كانت معاهدة الصلح العامة لسنة ١٨٢٠ ، تمنع «النهب والقرصنة» الا انها لم تكن تحول دون الاعمال الحربية في البحر ، ومن هنا كان وجه النقص فيها لا سيما في منطقة ما كان ايسر نشوب الحرب فيها بين الدول العربية الصغيرة وما كان اسهل ايضاً – كما اوضحت أمثلة كثيرة – ان يتحول اي عمل حربي من هذا النوع الى قرصنة تصيب المحايدين في هذا الصراع .. ولم تكن هذه المعاهدة بالتالي كافية للحفاظ على امن البحار حفاظاً كافياً وشاملا . وسرعان ما اتضحت عيوب هذا النظام القائم على الاغتصاب المتبادل لهؤلاء الاكثر ذكاء بين الموقعين على المعاهدة . وقد اتضح هذا بمجرد ان بدأوا ينعمون بالسلم الذي تضمنته نصوصها ، وشاعت بين هؤلاء ايضاً رغبة في ضرورة وضع مزيد من القيود على استخدام القوة ، ذلك بأنه حين تشب الحرب البحرية في شهور الصيف ، فانها كانت تشوش على غواصي اللؤلؤ وقد تعطل تماماً رحلات قبائل العرب في البحار وهي المورد الرئيسي لجوابي البحار من العرب . وكان واضحاً انه لو حصرت الحرب في غير شهور موسم اللؤلؤ فلا شك في ان هذا يعود بفائدة كبرى على الجميع حتى على المتحاربين انفسهم ،وبناء عليه بادر المقيم البريطاني في بوشهر كابتن هينيل سنة ١٨٢٥ الى معالجة الموضوع عقب آخر حادثة قرصنة ارتكبها بنو ياس ، واستطاع اخيراً ان ينجح في عقد هدنة بحرية يلتزم بها مشايخ العرب على ساحل القرصنة ورعاياهم تمتد من ٢١ مايو الى ٢١ نوفمبر من تلك السنة ، وتلقىّ كل الذين يهمهم الامر عقد الهدنة بارتياح ، وقد كانت هذه مجرد البداية في سلسلة من الهدنات ادت معاً – الى جانب معاهدة الصلح الشاملة لسنة ١٨٢٠ – الى قيام حالة من الامن البحري الكامل في منطقة الخليج . ومن هذه السنة ١٨٣٥ وصاعداً يحق لنا الآن ان

نستبدل اسم « ساحل القراصنة » باسم « ساحل عمان المتصالح » .

وفي سنة ١٨٣٦ اضافت السلطات البريطانية تحديداً آخر ضد العمليات العدوانية في البحر ، وطلبت الى القبائل العربية الالتزام به ضمن المياه المجاورة لاراضيها ، وخلال الشهور غير الخاضعة للهدنة وان لم يدخل هذا التحديد في معاهدة موقعة . ومع ان مجلس مديري شركة الهند الشرقية كان قد بين في سنة ١٨٣٤ انه ليس معقولا ان تفرض الحماية على كل القبائل العربية « وهو ما يفهم ضمناً من حظرنا سائر الحروب وقبول التحكيم في سائر المنازعات»الا ان شيوخ القبائل افهموا بأن اي خروج على المعاهدة يجب ابلاغه الى السلطات البريطانية التي ستعاقب الخارجين وكأنهم ارتكبوا اعمال القرصنة ، غير ان نجاح تلك الاجراءات قد برر مخالفة تلك الاوامر لسياسة الشركة الاصلية .

مشروعات بريطانيا في العراق التركي ١٨٣٤ — ١٨٣٦ :

ويبدو ان تطور الامور في العراق التركي كان في ذلك الوقت امراً تهتم له الحكومة البريطانية ... وذلك لاهداف اقتصادية واهداف سياسية على السواء ، فقد كانت بريطانيا تبحث عن افضل وسائل الاتصال البريدي بالهند . ويبدو انها كانت تفترض ان خير اتصال من ذلك النوع انما يتم عن طريق البحر الاحمر فالطريق البري عبر مصر ، كذلك يبدو ان الحكومة البريطانية كانت ايضاً متأثرة بمنافسة روسيا المخوفة لها على النفوذ في منطقة الشرق الاوسط . وفي نهاية سنة ١٨٣٤ رفع الرحالة مستر ج. ب. فريزر تقريره الذي كلفته الحكومة البريطانية باعداده عن طبيعة الاوضاع الادارية والاقتصادية في العراق التركي . وفي أوائل سنة ١٨٣٥ خرجت من انجلترا بموافقة الباب العالي حملة تجريبية يقودها الكولونيل ف. ر. شيزني متجهة صوب البلاد العربية الخاضعة للاتراك ، وقد وافق البرلمان الانجليزي على تخصيص مبلغ ٢٠ الف جنيه انجليزي لتكاليفها ، كما دفعت شركة الهند الشرقية خمسة آلاف

جنيه اخرى ، وكان الهدف المعلن للرحلة تجربة امكانات الملاحة التجارية في نهر الفرات . وانزلت باخرتان نهريتان في اعلى الفرات في سنة ١٨٣٥ — ١٨٣٦ ، لكن احداهما — وهي الباخرة « دجلة » فقدت لسوء الحظ في عاصفة هوجاء خلال بضعة اسابيع من قيام الرحلة التجريبية ، وبقيت الباخرة الاخرى « الفرات » تقوم برحلات في دجلة والفرات وشط العرب ، ومسحت هذه الانهار مسحاً كاملا طوال ما تبقى من تلك السنة . ولكن في ديسمبر انتهت الحملة ، وبعدها انتقلت ملكية الباخرة « الفرات » من الحكومة البريطانية الى شركة الهند الشرقية . ولا يمكننا القول بأن هذه التجربة — من حيث هدفها الرئيسي وهو اقامة مواصلات سريعة ومضمونة بين الهند وبريطانيا — قد حققت النجاح ... وفي سنة ١٨٣٧ اصبحت الحكومة البريطانية تستخدم رسمياً طريق البحر الاحمر ، الذي كان الطريق الافضل لنقل البضائع والمسافرين .

التجارة البريطانية فى الخليج ١٨١٠ ـ ١٨٣٦

تميزت التجارة البريطانية في الخليج ، خلال الفترة التي نحن بصددها بتوقف التجارة التي كان يمارسها موظفو شركة الهند الشرقية لحساب الشركة كما توقفت ايضاً التجارة التي كان مصرحاً لهم بممارستها لحسابهم ايضاً . وقد كانت اول قيود وضعت على التجارة الخاصة لموظفي الشركة في مقيمية مسقط حيث فرض الحظر مبكراً في سنة ١٨٠٥ ثم أكد مرة أخرى في مناسبة تعيين مقيم جديد سنة ١٨٠٩ ، لكن الامر الحاسم لوقف كل انواع النشاطات التجارية الخاصة التي يمارسها المسئولون السياسيون من كل الرتب والوظائف ، لم يصدر الا سنة ١٨٢٢ شاملا مقيمية بو شهر التي كانت مثل تلك التجارة الخاصة ما تزال مسموحاً بها فيها حتى ذلك الوقت.وقد تركت فرصة مناسبة من الوقت للذين تأثروا بالحظر لتصفية اعمالهم التجارية . كما زيدت المرتبات الرسمية لبعضهم كتعويض لهم . وفي سنة ١٨١٣ الغي احتكار التجارة الذي كانت تتمتع به شركة الهند الشرقية باعتبارها شركة مساهمة ، ويبدو — من نص ورد في مراسلات رسمية — ان تجارة الخليج قد تركت مفتوحة للجميع بقرار من حكومة بومباي مؤرخ في ٢ يوليو سنة ١٨١١ ، ولكن بقي جزء من التجارة يمارس باسم الشركة حتى سنة ١٨١٩ . وكانت اثمان هذه المبيعات تورد لمقيمية بو شهر على دفعات لا يوماً بيوم كما كان الامر من قبل . وبعد سنة ١٨١٩ لا نجد اية اشارة لتجارة شركة الهند الشرقية ، ويبدو انها انتهت تماماً من التجارة الخاصة لموظفيها ، الامر الذي يبدو بعده ان ممثلي الشركة لا جرم كانوا في معظم الحالات ضباطاً ليس لهم في التجارة معرفة ولا خبرة .

المنشآت البريطانية والتنظيم الرسمى فى الخليج
١٨١٠ - ١٨٣٦

في بداية سنة ١٨١٠ كان لحكومة الهند اربع مقيميات في بغداد والبصرة وبو شهر ومسقط ، وقد اصبحت المقيميات الثلاث الاولى في العراق التركي وايران تابعة لحكومة بومباي اعتباراً من سنة ١٨٠٦ ، اما مقيمية مسقط فقد كانت كذلك في وقت سابق لذلك التاريخ ، لكن هذه المفوضية كانت شاغرة في ذلك الوقت لوفاة القائم بأعمالها . وكانت سائر الاعمال ذات الطابع الخليجي المحلي ، كالحملة على القواسم في سنة ١٨٠٩ — ١٨١٠ ، من مسئولية حكومة بومباي .

ادماج مقيمية مسقط في مقيمية بوشهر ومقيمية بغداد في مقيميةالبصرة :

وقد بدأ التفكير في مسألة خفض المؤسسات البريطانية السياسية في منطقة الخليج ابتداء من سنة ١٨٠٩ — ١٨١٠ نتيجة زوال الخطر الفرنسي ، وبعدها قررت حكومة الهند ان يقتصر تمثيلها السياسي في منطقة الخليج — لو امكن — على مقيمية واحدة ، لكن عملية التخفيض المرغوبة هذه كانت أخطر واهم من ان تتم دفعة واحدة على الرغم من الضربة التي وجهت للقرصنة في حملة ١٨٠٩—١٨١٠ ضد القواسم . وفي يناير ١٨١٠ اوصى جنرال مالكولم — الذي كان في ذلك الوقت قد بدأ بعثته الثالثة لايران — ان تلغى مقيمية مسقط وان يعهد بمسئولية رعاية المصالح البريطانية في سلطنة عمان وفي الساحل العربي الى مقيم بو شهر على ان يزود هذا المقيم بالمساعدين الذين يمكنونه من القيام بالواجبات الجديدة التي ستلقى على عاتقه . وقبلت حكومة الهند توصيته على الفور ، وصدرت الاوامر مباشرة لمستر هانكي سميث مقيم بوشهر — الذي كان يصحب جنرال مالكولم في رحلته من بومباي الى الخليج — بأن يتولى

الاشراف على المصالح البريطانية في مسقط ، وتم تزويده بمساعدين من مكتب الخدمات المدنية هما مستر بابنجتون ومستر ويليامز الى جانب مساعده الموجود في بوشهر (الملازم بروس) . غير انه لم يكلف — كما اقترح جنرال مالكولم — بأن يبدأ مفاوضات مع القبائل العربية بشأن نتائج الحملة ضد القرصنة التي كانت تنفذ ذلك الوقت ... وربما كان السبب ان حكومة الهند لم تكن — حتى ذلك الحين — قد آمنت بعد بضرورة قيام معاهدة تنتظم القبائل في هذه المنطقة جميعاً . وفي اول مايو سنة ١٨١٠ ابلغ مستر سميث حكومة بومباي ان « الاثر السيء لمناخ مسقط الموخم ارغمه على ان يستقيل من وظيفته هناك » ، ونحن نستدل من هذا على ان الحكومة كانت قد اقترحت اقامته بها ، وسمحت له الحكومة بالتخلي عن مسئوليات ذلك الجزء من عمله ، واصدرت تعليماتها لمساعديه مستر بابنجتون ومستر ويليامز بالاقامة في بو شهر ، وامرتهما بأن يعدا نفسيهما « للعمل مستقبلا في منطقة الخليج ، وذلك بتعلم العربية والفارسية » . وفي نفس الوقت بدأ البحث عن مكان ذي مناخ افضل من مسقط يمكن الاشراف منه على المصالح البريطانية في عمان . وليس صعباً ان نفهم الهلع الذي كان يأخذ بموظفي شركة الهند الشرقية من مسقط ، فقد كان مناخها قاتلا للمقيمين الاربعة الذين عملوا بها منذ انشاء مقيمتها في سنة ١٨٠٠ . وحين انسحب مستر سميث الى بو شهر وظل مقيماً بها لمدة عام بعد ذلك ، عهد بشئون عمان الى وكيل من أهل البلاد كما كان الامر من قبل .

أما مقيمية بغداد — التي انشئت في سنة ١٧٩٨ ، فقد الغيت ، وأصبح المقيم البريطاني في البصرة مسئولا عن كل المهام السياسية في العراق التركي ، لكن هذا التغيير بسبب استمرار المقيم البريطاني في اتخاذ بغداد مقراً له ، انما كان في حقيقة الواقع الغاء لمقيمية البصرة التي لم يكن يقيم فيها سوى مساعد سياسي اوروبي .

خفض درجة مقيمية بوشهر ١٨١١ :

وفي ٢٩ مارس سنة ١٨١١ استقال مستر هـ. سميث ، الذي كان عضواً في الخدمة المدنية ، من مقيمية بوشهر ، وكان على الحكومة ان تواجه مشكلة تعيين خلف له . وكان رأي حكومة بومباي في سنة ١٨٠١ — استناداً الى وجود جنرال مالكولم في بعثته الثالثة الى الشاه ، ثم استناداً بعد ذلك الى تعيين سير جور اوسيلي ممثلا للحكومة البريطانية في طهران — ان تجرد مقيمية بوشهر من طابعها السياسي وتصبح مقيمية تجارية فقط يعين فيها مسئول براتب اقل من راتب مستر سميث . وعلى هذا الاساس خفضت حكومة بومباي لدى مبارحة سميث حرس المقيمية العسكرية في بوشهر ، واصدرت اوامرها للملازم بروس — مساعد مستر سميث الذي عهدت اليه بالمسئولية هناك — بأن تكون مراسلاته في المستقبل معها لا مع حكومة الهند ، ولكن يبدو ان بروس لم يلتزم بهذا الامر(١) . واوصت حكومة الهند بأن يبقى الملازم بروس في المكان الشاغر برحيل مستر سميث(٢) ، على ان يتقاضى راتباً اقل مما كان يتقاضاه هذا الاخير ، واكثر مما يتقاضاه المقيم التجاري في العادة بسبب بعض المسئوليات السياسية التي كان ما يزال عليه الاضطلاع بها . واوصت الحكومة بنوع من المعاملة المتحررة له من جانب حكومة بومباي ، غير ان هذه الحكومة الاخيرة اساءت فهم التعليمات ، فوضعت خطة تساوي مقيمية بوشهر بغيرها من المقيميات السياسية في الهند ، ووجدت حكومة الهند نفسها مضطرة لان تحتج على بعض المطالب

---

(١) من هذا نستطيع أن نفهم أن أوامر سنة ١٨٠٦ لا بد كانت قد الغيت، ربما نتيجة السلطات الواسعة العامة التي خولت للجنرال مالكولم — مبعوث الحاكم العام — في بعثته الثانية سنة ١٨٠٨ .

(٢) ظل الملازم بروس أكثر من اثنى عشر عاما مساعدا في بوشهر وقد عمل كمقيم فيها خلال جزء كبير من هذه الفترة .

المكلفة لحكومة بومباي مثل طلب هذه تعين موظف من مكتب الخدمات المدنية في بوشهر ، نتيجة سوء الفهم المشار اليه ، كما رفضت حكومة الهند مقارنة مقيمية بوشهر بمقيمية بغداد ، وظلت تطالب بالمركز للملازم بروس، لكن حكومة بومباي، وان ظلت مستمسكة بما كانت قد اقترحته من تخفيض مهام مقيمية بوشهر كان يبدو انها تريد ان تعهد بالوظيفة الى مستر فلور من مكتب الخدمات المدنية ، مجادلة بأن « اوامر مجلس الادارة الموقر ، وحجج مكتب الخدمات المدنية(١) جميعاً تحول دون تحقيق آمال مستر بروس في أن يصبح أكثر من مساعد في بوشهر ، ونحن لولا طول مدة خدمته في هذه المنطقة ، لالغينا وظيفته المساعد في هذه المقيمية » . ولكن مستر فلور هذا لم يأت الى الخليج ابداً ، وظل مستر بروس يقوم بأعمال المقيم في بوشهر من رحيل مستر سميث في سنة ١٨١١ حتى نقل مستر بروس نفسه من بوشهر في ١٨٢٢ ، وكان طوال هذه المدة مسئولا عن جميع المصالح البريطانية في منطقة الخليج كلها باستثناء العراق التركي ، واعتباراً من ٤ يوليو سنة ١٨١٢ ، أصبحت مقيمية بوشهر تابعة لحكومة بومباي ، التي كانت تتولى دفع نفقاتها .

إن سُلّم الرواتب التي يتقاضاها المسئولون السياسيون في ذلك الوقت يمكن وجـــوده في المراسلات الخاصة بهذه الحالة والمتبادلة بين حكومة الهند وحكومة بومباي ، ونستطيع أن نشير اليها هنا لمقارنتها بمستوى الرواتب المطبقة حالياً . كان راتب المقيم في بوشهر بصفته ممثل تجاري لا يتعدى ٦٠٠ روبية في الشهر ، لكن مستر سميث — من حيث هو مقيم سياسي وتجاري — كان يتقاضى راتباً قدره ١٥٠٠ روبية في الشهر الى جانب ١٢٠٠روبية كل شهر «للمصروفات الطارئة وبدل الضيافة»(٢)

(١) كان الملازم بروس ضابطا في بحرية شركة الهند الشرقية .

(٢) يبدو أن هذه كانت تشمل ايجار المنزل.. واجر الخدم.. الخ

اضيف اليها لاحقاً ٥٠٠ روبية شهرياً بعد الغاء مقيمية مسقط ، فأصبح إجمالي راتبة ٣٢٠٠ روبية في الشهر . اما الراتب الاصلي الذي اقترحته حكومة بومباي في سنة ١٨١١ فكان ٢٩٥٠ روبية ، لكنها عادت فانقصته الى ٢٣٠٠ روبية منها ١٦٩٠ روبية هي راتب المقيم وعلاواته الشخصية ، اما الراتب الذي تقرر لمستر بروس فكان هو راتب المقيم التجاري أي ٦٠٠ روبية في الشهر الى جانب نفس المصاريف الاضافية التي كانت مقررة لمستر سميث وقدرها ١٢٠٠ روبية فيصبح اجمالي راتبه مبلغ ١٨٠٠ روبية في الشهر . اما راتب المساعد السياسي في منطقة الخليج فيبدو انه كان ٤٠٠ او ٥٠٠ روبية في الشهر ، وكان يسمح للمساعد في بوشهر – طوال استمرار تجارة شركة الهند الشرقية – بالحصول على عمولة تجارية قدرها ٢٪ على المنتجات الايرانية التي يدبر امر شرائها .

تحويل مقيمية البصرة الى وكالة سياسية لجزيرة العرب التركية ١٨١٢ :

وفي سنة ١٨١٢ تغير لقب « المقيم في البصرة » – نظراً لانه لم يعد متسقاً مع الحقائق الموجودة بالفعل – ليصبح « الوكيل السياسي في جزيرة العرب التركية » ، وكان المسئول عنها حراً في ان يختار الاقامة في بغداد او في البصرة ، وان يجعل مساعده في المكان الذي لم يشأ ان يقيم هو فيه ، وكان المسئول الذي يختار الاقامة في بغداد يطلق عليه عادة اسم « مقيم بغداد » .

التنظيم المؤقت او الاسمي في ١٨٢٢ :

وفي مايو سنة ١٨٢٢ صدرت اوامر لتنفيذ سياسة التوفير والاصلاح التي طالما بحثت من قبل بوضع كل المصالح البريطانية في منطقة الخليج والعراق التركي تحت اشراف ومسئولية رجل واحد ، وكان مستر ريتش المقيم في بغداد – او على وجه التحديد الوكيل السياسي في جزيرة العرب

التركية – قد توفي مؤخراً ، فصدرت الاوامر للكابتن بروس المقيم في بوشهر . بأن يتولى المسئولية عن هذه المقيميات المشتركة بمجرد ان يصفي الاعمال التجارية التي كان يمارسها لحسابه الخاص في بوشهر شأن جميع المسئولين السياسيين في ذلك الوقت ، وذلك بعد صدور الاوامر بايقافها بالنسبة لكل موظف سياسي ، وبالنظر الى الخسارة التي كان لا بد ان تصيبه من جراء ذلك ، رفع راتبه (ربما من ٦٠٠ روبية) الى ١٢٠٠ روبية في الشهر . وتلقى كابتن تيلور الوكيل السياسي العامل في العراق التركي – الذي عين مساعداً للكابتن بروس – زيادة في راتبه لنفس السبب فوصل الى ٦٠٠ روبية في الشهر . وخول « المقيم السياسي في خليج ايران » – وهذا هو لقبه – بأن يتخذ جزيرة قشم – وكان بها حامية بريطانية في ذلك الوقت – او البصرة مقراً له . وعند انتقاله من بوشهر – تنفيذاً للتعليمات الصادرة اليه – كان عليه ان يترك فيها مقيماً من اهلها . ولكن في اول نوفمبر سنة ١٨٢٢ ، وربما قبل تنفيذ الاوامر الجديدة ، عزل كابتن بروس عن منصبه لانه عقد اتفاقية مع حكومة شيراز دون صلاحية تخوله ذلك ، والغت حكومة الهند اوامرها بدمج المفوضيات على اساس « ان قواتنا سيتم نقلها من جزيرة قشم ، ولا بد ان يوجه الملازم ماكلويد كل اهتمامه لعقد المصالحات بين القبائل العربية .. » ، ونلاحظ ان القائد العسكري للحامية البريطانية التي كانت مقيمة في قشم من ١٨٢٠ الى ١٨٢٢ كانت له ايضاً صلاحيات سياسية .

اعادة افتتاح الوكالة السياسية في جزيرة العرب التركية وتاريخها التالي ١٨٢٢ – ١٨٣٢ :

واعيد افتتاح الوكالة السياسية في جزيرة العرب التركية (او في البصرة) كما تسمى ايضاً ، وعين كابتن تيلور وكيلا لها براتب قدره ٨٠٠ روبية في الشهر مع علاوة ضيافة قدرها ٦٠٠ روبية زيدت الى ١٠٠٠ روبية في سنة ١٨٢٤ . وفي سنة ١٨٢٤ ايضاً اصبح الوكيل

السياسي في جزيرة العرب التركية خاضعاً – في بعض الاعتبارات – لمقيم بوشهر واصبح عليه ان يلتزم بتعليماته في كل المشكلات التي تتعلق بالنشاط البحري على الساحلين العربي والايراني ، كما امر أيضاً بأن يقدم اليه نسخاً من كل المراسلات التي يحررها ، ولكنه فيما يتعلق بأمور العراق التركي ظل حراً في العمل ، ملتزماً بقيد واحد فقط هو انه دون موافقة مقيم بوشهر لا يستطيع ان يتخذ خطوة تكون لها اثار عامة على المصالح البريطانية في منطقة الخليج . وبعد سنة ١٨٢٨ كان الوكيل السياسي في العراق التركي يقيم احياناً في بغداد حيث يمكنه تصريف الشئون السياسية بيسر اكثر مما لو كان في البصرة ، ومن سنة ١٨٣٢ وصاعداً يبدو لنا ان بغداد قد اصبحت هي المقر الرئيسي بشكل منتظم وبلغت التكاليف الفعلية للوكالة السياسية في جزيرة العرب التركية مبلغ ٦٠,٠٦٨ روبية عن السنة من ١ فبراير ١٨٢٨ الى ٣١ يناير ١٨٢٩ وكانت ما تزال في البصرة . وكانت هذه المصاريف تشمل اجور العاملين بها واجر ضابط عسكري بريطاني كان مسئولا عن حراسة الوكالة ... وطبيب جراح يعمل بها ايضاً .

لقد كانت لمقيمية بوشهر ، بالنظر الى المهام العديدة التي كان على المقيم المسئول فيها ان يؤديها حيال مكافحة القرصنة شهرة واهمية أكثر من الوكالة السياسية في العراق التركي التي كانت خاضعة لبوشهر في عدة اعتبارات كما راينا .. غير ان راتب المقيم في بوشهر لم يكن يختلف عن راتب سواه من المسئولين في البصرة او بغداد . فقد كان الملازم ماكلويد – الذي مات بالحمى سنة ١٨٢٣ بعد سنة من تعيينه – يتقاضى بدل سفر قدره ٥٠٠ روبية في الشهر اثناء الفترات التي كان فيها بعيداً عن مقره الرسمي وذلك بهدف تشجيع المقيم على ان يقوم برحلات خاصة الى موانىء المشايخ الموقعين على معاهدة ١٨٢٠ . وكان كولونيل ستانوس الذي خلف الملازم ماكلويد يتقاضى راتباً شهرياً قدره ١٥٠٠

روبية الى جانب مصاريف ضيافة قدرها ٦٠٠ روبية . وفي نوفمبر ١٨٣١ — وبناء على اوامر صادرة عن مجلس مديري شركة الهند الشرقية بأن يعهد بالمقيمية الى موظف من المكتب المدني — عهد بها الى مستر بلين الذي كان يتقاضى — بشكل شخصي — راتباً قدره ٢٨٠٠ روبية في الشهر . وقد حل مستر بلين محل دكتور ماكنيل في مكتب بومباي الطبي ، واصبح هذا الموظف فيما بعد في منصب عال وزيراً بريطانياً مفوضاً في طهران . وقد بلغت مصاريف مقيمية بوشهر عن السنة المنقضية من ١ مايو ١٨٢٩ الى ٣٠ ابريل ١٨٣٠ مبلغ ٧٨,٥٢٤ روبية ، وفي بوشهر كما في العراق التركي كان يرئس حرس المقيمية ضابط بريطاني ، وكان بها ايضاً طبيب مدني ، ومما هو جدير بالملاحظة انه ما بين سنة ١٨٢٣ و ١٨٣٤ كانت وظيفة المبعوث البريطاني الى طهران تتم بترشيحات من حكومة الهند ، دون الحكومة البريطانية ، وقد عين اولا سير ج. ماكدونالد كينير ثم سير ج. كامبل ، وربما يرتبط بهذا التغيير بالخطة التي اقترحها مجلس المديرين في سنة ١٨٣٤ بتخفيض الانفاق السياسي في منطقة الخليج وذلك بخفض درجة المسئول في بوشهر من مقيم الى مساعد للمبعوث البريطاني في طهران ، على ان يظل لذلك المساعد حرية التصرف (الى جانب حريته في ان يكتب مباشرة الى حكومة بومباي في حالة الضرورة) في المشكلات الخاصة بدول الخليج العربية . غير ان حكومة بومباي احتجت احتجاجاً شديداً على هذا الاجراء الشاذ الذي كانت ترى انه سيؤدي بالضرورة الى ترشيح موظفين قليلي الخبرة في ذلك المنصب الدقيق .. منصب ممثل المصالح البريطانية في بوشهر ، وهو منصب ستزداد المصاعب أمامه عند تطبيق ما كان الحاكم العام في الهند ينوبه من نقل مهمة الاشراف على السلم البحري من البحرية الهندية للبحرية الملكية البريطانية . وكانت حكومة بومباي لا ترى فائدة من ربط القبائل العربية حتى بإشراف غير مباشر للمبعوث البريطاني

في طهران . كما كانوا زاهدين في قبول مسئولية مجـــــزأة تنشأ عن تقارير يرفعها المسئول في بوشهر عن قضايا حوادث العرب في الخليج الى المبعوث في طهران . ورغم هذه الاعتراضات من جانب حكومة بومباي ، ففد تم تنفيذ المشروع المقترح .

ولم تكن بعد قد ماتت فكرة اقامة قاعدة بريطانية على جزيرة في الخليج ، رغم التجارب الحزينة السابقة التي عانتها الحامية البريطانية في قشم ، وفي سنة ١٨٢٧ ، وكنتيجة حتمية للاضطرابات التي حدثت مؤخراً في بوشهر ، صدرت الاوامر لميجور ويلسون المقيم في بوشهر بأن يتفقد عدة اماكن في الخليج يمكن ان تصلح عند الضرورة مقراً لمقيمية بريطانية ويرفع تقريراً بذلك . فاوصى المقيم بجزيرة خارج ، وايد هذه التوصية سير ج. مالكولم حاكم بومباي الذي ظل أكثر من عشرين عاماً يوصي باحتلال بريطانيا تلك الجزيرة . لكن لجنة مالية مدنية كانت قـــد عينت سنة ١٨٣٠ للتحقيق في الشئون المالية للهند البريطانية اوصت برفض فكرة احتلال خارج لانها ستزيد من مصروفات الهند ولا تقللها . وتأيدت وجهة نظر أعضاء هذه اللجنة بتقرير لنائب المقيم في سنة ١٨٣١ اوضح فيه انه بينما يمكن تخفيض النفقات المدنية بمقدار نصف لاك من الروبيات كل سنة باحتلال جزيرة خارج ، الا ان المصروفات العسكرية ستزداد بذلك الاحتلال بمقدار لاكين من الروبيات ، منها لاك ينفق على المنشآت الجديدة التي لا بد منها ، ولاك آخر ينفق على اصلاح هذه المنشآت وترميمها . ومرة اخرى وضع مشروع احتلال جزيرة خارج على الرف .

أما امكانية دمج مقيمية بوشهر والبصرة او بغداد التي كانت موضع نظر سنة ١٨١٠ ، ونفذت مؤقتاً بعد ذلك بقليل ، او كاد يعاد تنفيذها في سنة ١٨٢٢ فظلت موضع النظر حتى وافقت عليها اللجنة المالية مؤيدة بذلك موقف حكومة الهند ، لكن مجلس مديري شركة الهند الشرقية

حين رفع اليه امر اعادة كامل التنظيم الاداري في منطقة الخليج سنة ١٨٣٤ قرر أنه بالنظر للموقف السياسي في الشرق الاوسط فان الغاء المقيمية المنفصلة في منطقة جزيرة العرب التركية امر ليس عملياً في ذلك الوقت على الاطلاق .

تغيرات ادارية ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣٥ ، وهي السنة التي تم فيها اعادة تحويل مسئولية الاشراف على المصالح البريطانية في منطقة الخليج من حكومة الهند الى الحكومة الام ، وعين فيها مستر هـ. اليس كسفير بريطاني في طهران ، اصبح الممثل السياسي البريطاني في العراق التركي الذي ظل منذ سنة ١٨٠٦ (باستثناء فترة انقطاع دامت من ١٨٠٨ الى ١٨١١) خاضعاً لحكومة بومباي ، يخضع الآن مباشرة لحكومة الهند . وكان وضع المقيم في بوشهر هو هذا الوضع بالفعل . وهكذا اصبحت كل المنشآت البريطانية القائمة في منطقة الخليج اعتباراً من ذلك التاريخ تخضع مباشرة لسيطرة حكومة الهند(١) ، وفي سنة ١٨٣٥ اقترح الغاء وظيفة مساعد المقيم في بوشهر ، لكن هذا الالغاء ارجىء ، ثم عدل عنه فيما بعد .

المسح البحري والنهري ١٨١٠ — ١٨٣٦ :

وخلال الفترة التي نحن بصددها ، تم أول مسح بحري منظم لمنطقة الخليج ، وكانت هناك خرائط من النوع الذي يرشد السفن في الخليج مستخدمة منذ سنة ١٧٨٥ . وقد قام الملازم جون ماكلويد ، وهو مساح في بحرية شركة الهند الشرقية لم يأخذ هذا الفن عن احد ، بعمل دؤوب استمر ثلاث سنوات في تصحيح تلك الخرائط وكانت نتيجة هذا

---

(١) كانت المراسلات ، على أى حال ، ترسل مختومة عن طريق حكومة بومباى ، ولم ينتقل الاشراف الكامل الى حكومة الهند الا في سنة ١٨٧٣ .

التطوع من جانبه اعداد خريطة كبيرة لكل الجانب الشمالي الشرقي لهذا البحر ولشط العرب صعوداً حتى البصرة ، الى جانب إعداد مذكرة وافية عنه ، وخرائط تفصيلية لموانىء مسقط والبصرة وغيرهما ، ولكن ظل الجزء الجنوبي الغربي من الشواطىء العربية للخليج مجهولا الى حد كبير ، بحيث انه في سنة ١٨١٠ وحين صدرت الاوامر لقواد الحملة البريطانية على القواسم، كانت الخريطة الوحيدة المتوفرة لدى حكومة بومباي هي « تخطيط طوبوغرافي » قام به رجل اسمه السيد تقي ؛ يحدد على وجه التقريب مواقع ثماني او تسع موانىء للقراصنة جنوب غرب رأس الخيمة . وفي سنة ١٨١١ ارسل ضابط مساح على ظهر سفينة شركة الهند الشرقية « بنارس » في جولة بالخليج.. لكن طبيعة المهام التي كانت هذه السفينة مكلفة بها جعلت قيامه بعملية مسح منظم امراً مستحيلا. وفي سنة ١٨١٥ اصدر مجلس مديري الشركة الهند الشرقية اوامره بضرورة اجراء مسح منظم للمنطقة . غير ان خطر القراصنة جعل تنفيذ هذه الاوامر مستحيلا مرة اخرى . وفي سنة ١٨١٧ اعد الملازم تانر من بحرية بومباي مذكرة مرفق بها مسح لشواطىء اللؤلؤ في جزر البحرين مع مذكرات تفصيلية عنها ؛ ولكن لم يتم مسح منظم وسليم للمياه الجنوبية والغربية في الخليج الا بعد الحملة على القواسم سنة ١٨٢٠ . وبدأت عملية المسح من منطقة رأس مسندم وتولاها الكابتن ب . موجان على السفينة « ديسكفورى » يعاونه الملازم ج. م. غاي على السفينة « سايكي » ، ونجح الملازم غاي في عملية المسح حتى وصل بها في نوفمبر سنة ١٨٢١ الى حدود قطر ، وفي فبراير سنة ١٨٢٣ تولى مكانه الملازم ج. ب. بروكس واتم هذا مسح الشاطىء العربي في سنة ١٨٢٥ ، وبدأ العمل في اوائل سنة ١٨٢٦ على الشاطىء والجزر الايرانية وظل طوال السنتين التاليتين يعمل في هذا المشروع . وفي سنة ١٨٢٨ بدأت عملية المسح تحت قيادته في خليج عمان ، ثم اتمها الملازم س. ب. هنيس من

ساحل مكران الى كراتشي في سنة ١٨٢٩ ، وكان الساحل المواجه من عمان قد تم مسحه من قبل حتى مسقط . وكانت عملية المسح البحري لمنطقة الخليج – نظراً لصغر السفن المستخدمة – عملية مرهقة ومؤلمة الى ابعد الحدود .. وقد مات عدد كبير من القائمين بهذه العملية او ساءت صحتهم كثيراً نتيجة المناخ والصعوبات التي واجهوها .

وتجد في مكان آخر من هذا الكتاب وصفاً لاعمال المسح لخدمة الملاحة في العراق التي قامت بها بعثة الكولونيل شيزني سنة ١٨٣٦ .

تاريخ الخليج من استتباب الامن فى البحار بشكل نهائى حتى اقامة مواصلات تجارية وبريدية منتظمة ١٨٣٦ – ١٨٦٢

تميزت الفترة التالية لتوقف اعمال القرصنة في منطقة الخليج بانتقال هذه المنطقة – ببحارها وشطآنها – من حالة الغموض البدائي الذي كان يكتنفها منذ اتصالها بالبريطانيين الى حالة التحضر النسبي التي تتمتع بها اليوم ، وقد اسهمت في احداث هذا التغيير نشاطات السلم والحرب ومتطلبات التجارة والديبلوماسية والاستراتيجية العسكرية .

صراع السياسة البريطانية والروسية في ايران وافغانستان حتى سنة ١٨٤٢

أشرنا من قبل الى الاهتمام الذي كان يوليه القائمون على مصالح الهند البريطانية من ضباط بحريين وعسكريين ومسئولين سياسيين لنشاط روسيا فيما وراء حدود منطقة القوقاز وبحر قزوين .

أهداف السياسة البريطانية والروسية في ايران وافغانستان :

وكانت الخطة التي يبدو ان روسيا تحاول تنفيذها هي كسر الحائط المتمثل في مملكتي ايران وافغانستان والمغلق لسائر الطرق المفضية من اراضيها الى الهند البريطانية . وكانت السياسة الروسية حريصة على ان لا تحاول تنفيذ مآربها بسرعة او وضوح اكثر من اللازم . لكن الشك في ان روسيا كان لديها مثل هذه الخطة هو تجاهل لدلائل واضحة كثيرة، واتهام لذكاء السياسيين المسئولين عن السياسة البريطانية في الشرق ، وعن الاصرار على تلك السياسة.ومحتمل انه لم تكن لدى السياسيين البريطانيين ولا الروس فكرة واضحة انذاك عن الصعوبات الطبيعية والسياسية التي تضمها هذه المنطقة الواسعة البدائية غير المتحضرة التي تفصل بين حدودهما .. فلم يكن احد يعرف عن هذه المنطقة المترامية شيئاً عن خبرة عملية، اللهم الا ما جاء نتيجة جولات قام بها بعض الافراد من الرحالة المغامرين . وكانت خطة كل من الطرفين هي موالاة الضغط على خصمه من اجل الاستئثار بالنفوذ السياسي واحباط وسبق خطط منافسة وبينما كان محور العمل الروسي هجومياً فان بريطانيا كانت تتوسل لاغراضها بوسائل دفاعية .

مناقشات حول موضوع السياسة البريطانية في ايران حتى سنة ١٨٣٦ :

وفي سنة ١٨٣٤ سافر دكتور ماكنيل طبيب السفارة البريطانية

بطهران الى انجلترا وبدأ هناك حملة صحفية كبيرة عن خطط التوسع الروسي في آسيا اثارت اهتماماً واسعاً . وعاونه في هذه الحملة رحالتان هما مستر اركورهات ومستر بيلي فريزر ، وقد ظل الاخير فترة بعد ذلك يعمل « كمستشار شرقي » في وزارة الخارجية البريطانية . وقبل ان يعود دكتور ماكنيل الى طهران — وكان قد عين وزيراً مفوضاً بها — نشر كتيباً بعنوان « تقدم روسيا في الشرق » قرر فيه انه من مصلحة السياسة البريطانية ان تحافظ — بأي ثمن مهما كان — على استقلال ايران وتكامل حدودها .

السبب المباشر للازمة الروسية ، البريطانية في ايران ١٨٣٤–١٨٣٦ :

وكان السبب الرئيسي الذي ادى الى طرح قضية روسيا على مستوى الرأي العام ، بعد ان كان وجودها بشكل متستر منذ سنة ١٨٢٨ ، بل حتى منذ سنة ١٨٠٤ ، تولي محمد شاه عرش ايران في سنة ١٨٣٤ ، وكان سلوكه يوحي بتبعيته او امكان تبعيته للسياسة الروسية . وكان فتح علي خان — رغم معاهدة تركمانشاي — يعارض اقامة بعثة روسية دائمة في طهران حتى آخر يوم من حياته ، غير ان حفيده كان اكثر منه تساهلا ، فقد بدا عليه انه يستشير السفير الروسي ، بعد ان عين في بلاطه سفير دائم لروسيا ، بمثل الانطلاق والثقة اللذين كان يتعامل بهما مع السفير البريطاني . ومحتمل ان تكون الحكومة البريطانية قد شجعت ابناء عمومة الشاه ، وهم ابناء حكام فارس ، على ان يصبحوا منافسين على العرش ، وربما أدى استقبالهم الحافل في انجلترا سنة ١٨٣٥ لخلق آثار سيئة في نفس الشاه ، مما ساهم في تنفيره أكثر واكثر عن بريطانيا .

الحملة الايرانية على هـراة ، واحتلال بريطانيا لجزيرة خارج ١٨٣٧ – ١٨٣٨ :

ويجد القارىء تفصيلات عن مدى نفوذ بريطانيا وروسيا في بلاط الشاه ، واختلاف موقف الدولتين من خطة الشاه حيال هراة في الفصل

الخاص بتاريخ الساحل والجزر الايرانية . لقد كان النفوذ الروسي في الاوج وقد ايد الروس فكرة قيام ايران بحمله على هراة ، وكانت هذه المدينة وما حولها جزءاً من افغانستان .. لكنها كانت امارة مستقلة ، يحكمها فرع من اسرة سادوزاي .. ولم يكن يبدو ان هذه الامارة ستستسلم دون بذل جهد عسكري كبير من جانب ايران . ولو ضمت هراة الى ايران ، فسوف تضحي بحكم الامر الواقع تحت نفوذ روسيا . وقد تصبح قاعدة لتنفيذ السياسة الروسية في تخطيطها البعيد ضد افغانستان ، واذا فشلت ايران في ضمها اليها فستضعف وقد تسقط تماماً في ايدى الدولة الاجنبية صاحبة النفوذ الاقوى في عاصمتها . وعلى أي الاحوال ، فلم يكن امام بريطانيا بد من ان تعارض كل تدخل من جانب ايران في أفغانستان .. ولا بد لها بالتالي من ان تقف من الشاه موقف المعارضة ، وقد حاول النفوذ البريطاني بكل الوسائل منع الحملة علي هراة ولكنه فشل ، غير ان الاحتجاجات البريطانية توقفت آخر الامر وحالت دون الشاه وتنفيذ خطته لا سيما حين قامت قوة من الهند باحتلال « خارج » في الخليج (١) .

وربما اسهمت في ذلك ايضاً الاشاعات التي تناثرت عن استعداد بريطانيا لغزو افغانستان .

بعثة بيرنز الى كابول والحرب الافغانية الاولى ١٨٣٧–١٨٤٢ :

ولم يكن لتطور الاحداث في افغانستان علاقة مباشرة تماماً بامور الخليج . ورغم ذلك يجدر بنا ان نشير اليه ، في سنة ١٨٣٧ ارسل لورد اوكلاند

---

(١) أنظر ، سير هـ. رولينسون (انجلترا وروسيا في الشرق ، ص ٥٩) وهو يشك في وجود أى ارتباط حقيقى بين احتلال بريطانيا لجزيرة خارج وانسحاب ايران من هراة ، ولكنه في هذا التساؤل يخالف جميع الثقات الذين تناولوا الموضوع. ولا يمكننا أن نشك — من الناحية الاخرى — في أن طبيعة الدفاع الذى أوصى به بوتنجر كان عاملا هاما أكثر فعالية من اى عامل آخر في احباط خطط الغزو الايرانى لهراة .

حاكم عام الهند الملازم بيريز ، الذي اصبح لاحقا سير الكسندر بيرنز الى كابول ، ليبدأ مفاوضات مع دوست محمد خان الحاكم الباركازي في شمال شرقي افغانستان .. لكن هذه البعثة البريطانية فشلت في تحقيق هدفها لغير اعتبار واحد . في حين ان بعثة روسية صغيرة غير رسمية يرئسها ضابط برتبة صغيرة يدعى فيكوفتش ، تخلت عنه حكومته لاحقاً وانتحر ، استطاعت ان تحقق بعض النجاح في كابول . لكنه كان نجاحاً موقتاً . وقرر لورد اوكلاند بعد ذلك ان يطيح بحكم امير كابول ، ويحل محله شاه شجاع ، وهو حاكم سابق لافغانستان ينتمي الى اسرة سادوزي المالكة وكان مقيماً في الهند لسنين طويلة كلاجىء سياسي وسجين لدى السلطات البريطانية ، وحدث غزو بريطاني لافغانستان أعقبته الحرب الافغانية الاولى (١٧٣٨-١٨٤٤) التي أدت الى احتلال كابول وبعض المواقع الافغانية ، واستسلام دوست محمد خان ثم نفيه الى الهند . ولكنها انتهت بكارثة .. فتجددت الاشتباكات العسكرية مرة أخرى بهدف استعادة هيبة الجيوش البريطانية في الشرق . واستطاعت بريطانيا تحقيق هدفها الى ابعد الحدود لكنها عادت فتخلت عن فكرتها في ان تضع حاكماً من اسرة سادوزاي على شعب افغانستان .. وبعدها جلت القوات البريطانية عن البلاد واعيد دست محمد خان الى حكم كابول وما جاورها ، في حين ظلت قندهار وما حولها تحت حكم اعضاء آخرين من اسرة باركازي .. وضمت بعد ذلك بعدة سنوات الى حاكم كابول .

لقد اعتبرت الحرب الافغانية الاولى ، التي حوربت في ظروف متقلبة من جبهة شملت كامل عرض ولايتي البنجاب والسند المستقلتين غلطة سياسية فادحة ومنكرة(١) . وليس بعيداً على اي حال ، انه كان

---

(١) يقال ان دوق ولينجتون كان من أشد نقاد تلك السياسة وأعظمهم شجبا لها .

بالامكان في وقت ابكر استنفار حملات صغرى متلاحقة لصد تآمر روسيا في افغانستان .. لكن المبدأ الاول الذي من اجله قامت تلك الحرب وهو ابعاد النفوذ الروسي عن الهند ، كان مبدأ سليماً ، كما انه يمكن المجادلة بأن الخبرة العسكرية والمعرفة السياسية اللتين افادهما الانجليز كان لهما اثرهما الايجابي لدى تجدد الصراع المرهق الدامي مرة اخرى في ١٨٣٨ – ١٨٤٢ .

استمرار التوتر ، وعقد تسوية نهائية بين بريطانيا وايران ١٨٣٨ – ١٨٤١ :

ولنرجع الآن الى ايران . ان انسحاب القوات الايرانية دون الوصول لهراة لم ينه التوتر القائم بين ايران وبريطانيا .. فقد كان للحكومة البريطانية كثير من الشكاوى الاخرى من حكومة الشاه الى جانب الحملة على هراة . وفي هذه الحالة المائعة غير المحددة للعلاقات بين البلدين سهل ظهور مشاكل اخرى .. منها مشكلتان خرجتا الى الوجود نتيجة أحداث بوشهر ولم يحدث ان اظهر الشاه موقفاً تصالحياً الا في اواخر سنة ١٨٣٩ حين فشلت البعثة التي اوفدها الشاه الى اوروبا واتصلت بمسئولين عديدين عن الشئون الخارجية الى جانب المسئولين في لندن . وفي سنة ١٨٤١ فقط تم توقيع تسوية مرضية بين البلدين تضمنت معاهدة تجارية بينهما وكانت هذه المعاهدة ترفض باصرار قبل ذلك من جانب الشاه ، وبعدها فقط استطاع الوزير الايراني العودة الى طهران التي كان قد غادرها ، وجلا الانجليز عن جزيرة « خارَج » اوائل سنة ١٨٤٢ ، بعد ان رفضت الحكومة البريطانية اقتراحاً سابقاً بشراء تلك الجزيرة لئلا توفر بعملها حجة لروسيا لوضع يدها بنفس الطريقة على اماكن أخرى في الشمال .

انتهاء معارضة روسيا لبريطانيا سنة ١٨٣٨ :

وحين لم يبد كبير أمل في نجاح مخططات روسيا ، بدأ الاتجاه العدائي

من جانبها تجاه بريطانيا وايران وافغانستان في التراخي ، فجددت في سنة ١٨٣٨ تعهدها الذي قدمته للمرة الاولى في سنة ١٨٣٤ — بعدم العدوان على ايران — وبعدها صرح وزير روسي بأن القيصر قد نصح للشاه باجابة مطلب بريطانيا للصلح . ورغم ذلك ، ظلت الحكومة الروسية على اعتقادها بأن ثورة آغا خان ضد الشاه في ١٨٣٨—١٨٣٩ قد رسمت خطوطها في بومباي ، وان الرحالة البريطاني لايارد كان هو المسئول عن تمرد زعيم قبيلة بختياري سنة ١٨٤٠ — ١٨٤١ ، وقد اعطت كارثة الانجليز في كابل في نهاية سنة ١٨٤١ فرصة طيبة لروسيا لاستئناف سياستها تجاه ايران وافغانستان . لكن اتساع العمليات العسكرية البريطانية في افغانستان قدبهرتها ، كما تعلمت ايضاً من فشل البريطانيين الظاهري : هذا الى جانب انها كانت مرهقة في ذلك الوقت بعدد من المشاكل الداخلية في القوقاز وخيوه .

واثناء ما تبقى من عهد محمد شاه ، تعاونت روسيا وبريطانيا بالفعل في تحديد الحدود الايرانية — التركية ، ولدى موته ، تعاون ممثلا البلدين ايضاً في الحيلولة دون الخلاف على وراثة عرشه .

محاولات انشاء اتصال بين الخليج والبحر المتوسط وفتح طريق العراق التركي ١٨٣٧ ـ ١٨٦١

قبل نهاية الفترة السابقة ، كما اشرنا قبلا ، أعدت حملة تحت قيادة الكولونيل شيزني على نفقة حكومة صاحبة الجلالة وشركة الهند الشرقية بهدف احتمال انشاء اتصال بين اوروبا والهند بواسطة البواخر في دجلة والفرات . وكان من السمات المميزة لذلك العصر ان مثل تلك الخطوة من شأنها تقوية تركيا وايران ضد روسيا . وقد فشلت تجربة كولونيل شيزني العظيمة ، ولكن لم يتخل المسئولون عن خطة اقامة الاتصال المذكور .

جهود فاشلة من جانب شركة الهند الشرقية لاستخدام دجلة والفرات كطرق لبواخر اسطولهم الصغير المسلح ، والمحطة البريطانية في بغداد ١٨٣٧ – ١٨٤٢ :

وقد تم نقل باخرة بقيت من حملة كولونيل شيزني الى شركة الهند الشرقية في اوائل سنة ١٨٣٧ واضافت هذه اليها ثلاث سفن تجارية أخرى صالحة للعمل في الانهار وكلها من الحديد ومسلحة تسليحاً كافياً ، ووضعت بعد ذلك في انهار العراق التركي . لكن هذا الاسطول الصغير الذي لم يبد ان وجوده ازعج الباب العالي الغي في صيف سنة ١٨٤٢ . وقد اثبت الفحص الدقيق لنهر الفرات من البصرة الى مسكنة الذي قامت به باخرتان من بواخر ذلك الاسطول عدم صلاحية النهر لملاحة البواخر التي من حجمها . وقد احتجزت واحدة من سفن الاسطول في نهر دجلة لتصبح تحت نزهة للوكالة السياسية البريطانية في بغداد . وقبل ان يعود معظم تلك السفن الى الهند ، قامت ايضاً باستكشاف الاجزاء السفلى من أنهار قارون ودجلة والفرات .

موضوع حقوق بريطانيا في الملاحة التجارية في دجلة ١٨٤٥–١٨٤٦ :

وقد أدى وجود بواخر شركة الهند في انهار العراق التركي الى انبعاث فكرة الملاحة التجارية للسفن الخاصة . وبدأ التجار البريطانيون في بغداد دراسة الامر . غير انهم لم يستطيعوا اتخاذ خطى عملية فيه مباشرة ، لكن نواياهم ادت الى زيادة الاهتمام بمشكلة ظهرت في سنة ١٨٤٥ حول حقوق السفن البريطانية بالملاحة في الميناء الداخلية لما بين النهرين تحت العلم البريطاني . وفي سنة ١٨٤٦ تكللت بالنجاح جهود سفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية للحصول على خطاب من وزير الباب العالي يسمح فيه للسفن التي يملكها البريطانيون — دون تمييز — باستمرار الملاحة في دجلة والفرات وهي ترفع اعلامها الوطنية كما كان الشأن في الماضي .

مشروع مقترح لاقامة خط حديدي في وادى الفرات ١٨٥٦–١٨٥٧ :

وفي سنة ١٨٥٦ — ١٨٥٧ ، وبموافقة حكومة صاحبة الجلالة ، وتأييد شركة الهند الشرقية تكونت شركة بريطانية لانشاء سكة حديد وادي الفرات لربط البحر المتوسط بالخليج ، بل وحصلت الشركة ايضاً من الباب العالي على اذن ببدء عملها . وبعدها حاول القائمون على المشروع — ومن بينهم مستر اندرو صاحب فكرة المشروع والكولونيل شيزني ، قائد حملة ما بين النهرين في سنة ١٨٣٥–١٨٣٧ الحصول على ضمان مالي لمشروعهم من الحكومة البريطانية القائمة وقتذاك . لكنهم فشلوا في الحصول على مثل ذلك الضمان فضاع عليهم امتياز المشروع .

ويجب ملاحظة ان هذا لم يكن اول مشروع لخط حديدي يربط البحر المتوسط بالخليج ، فقد سبقه مشروع آخر حوالي سنة ١٨٤٠ .

وفي سنة ١٨٦١ نزلت الى مياه العراق التركي الباخرة « سيتي اوف لندن » اول باخرة تقوم بنشاط تجاري في مياه دجلة ، وكان يملكها السادة

لنش وشركاه ، وهي مؤسسة بريطانية في بغداد ، لها شركاء آخرون باسم شركة الملاحة البخارية في دجلة والفرات ، شركة مساهمة محدودة . ولما كان خطاب وزير الباب العالي لسنة ١٨٤٦ لا يكفي ضماناً لاستثمار رؤوس اموال كبيرة في هذا المشروع . فقد قام سفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية بجهود كثيرة للحصول على امتياز دائم او فرمان للملاحة البخارية باسم الشركة ، وتم الحصول على وثيقة ، لكنها لم تكن الهدف المنشود ، فلم يكن فيها شيء جديد سوى انها اضافت مزيداً من الخلط والتشويش فيما يتعلق بمشكلة حقوق البريطانيين في الملاحة الداخلية بأنهار العراق .

لقد كان لاتساع شمول الدور الذي قام به البريطانيون لفتح العراق التركي للملاحة ، الى جانب عمليات المسح والاسكشاف التي سنشير لها لاحقاً من التأثير ما ركز في أذهان المسئولين البريطانيين المحليين في ذلك الوقت ان ينظروا الى العراق التركي كما لو كان تقريباً اقليماً تشمله الحماية البريطانية .

اضطراب التوازن السياسى فى منطقة الخليج نتيجة مؤثرات فى وسط الجزيرة العربية ١٨٣٩ ـ ١٨٥٣

خلال هذه الفترة التي نتعرض لها الآن ، اصبحت منطقة وسط الجزيرة بؤرة تمتد منها اشعاعات الاضطراب السياسي الى مختلف مناطق الخليج .

الاعتداءات من جانب مصر ١٨٣٩ ـ ١٨٤٠ :

فتوسع مصر الذي بدأته سنة ١٨٣١ اخذ يهدد المناطق المتاخمة للخليج تهديداً خطيراً ابتداء من سنة ١٨٣٩ ، برغم الضمان الذي قدمه محمد علي لممثل بريطانيا في القاهرة بأن فتوحاته لن تتقدم نحو الشرق . ففي سنة ١٨٣٨ اكتسحت القوات المصرية نجد ، وجعلت عليها اميراً يتبع القاهرة ، وفي نهاية نفس السنة ، او اوائل السنة التالية ، اكتسحت القوات المصرية اقليم الاحساء وموانيه ، واقيمت وكالة سياسية مصرية في الكويت ، ربما كموقع امامي في اتجاه العراق التركي . وسرعان ما كشفت اعمال قائد القوات المصرية في نجد ان هدفه كان اخضاع البحرين وعمان المتصالحة وسلطنة عمان جميعاً وضمها الى مصر .

وقامت حكومة الهند من جانبها ، وهي مدركة بأن توسع محمد علي في تركيا الغربية امر لا ترضى عنه حكومة صاحبة الجلالة ، باصدار اوامرها الى قائد البحرية في جزر الهند الشرقية ، والمقيم العام في الخليج باحباط خطة القوات المصرية . وصدرت الاوامر بتولي القوات البحرية الدفاع عن جزر البحرين كما شجع البريطانيون قبائل ومشايخ عمان المتصالحة للوقوف في وجه المعتدين ، بل وقام ضابط بريطاني بزيارة البريمي ليشجع بني نعيم المقيمين هناك في عدائهم للمصريين . وتم تحالف بين سيد عمان وقريبه حاكم صحار لمقاومة العدوان المصري ، لكن بعض الرؤساء المحليين ـ ومن بينهم مشايخ البحرين وابو ظبي ـ كانوا

مترددين متخوفين يودون الخضوع للمصريين الذين يتصورونهم لا يغلبون لأنهم استطاعوا هزيمة الوهابيين ، بل ان شيخ البحرين قد دخل سراً في مفاوضات مع القائد العام انتهت بأن رضي بدفع الجزية لحكومة القاهرة .

وفي ربيع سنة ١٨٤٠ كان البريطانيون على وشك ان يحاصروا اقليم الاحساء، حين قام المصريون – نتيجة الضغط والالزام من جانب بريطانيا وغيرها من الدول الاوربية في البحر المتوسط – بالانسحاب من الاحساء ونجد ، وانتهى جو الاثارة والاضطراب الذي اثاره وجودهم على الساحل الشرقي لجزيرة العرب .

وتراكمت المشكلات في ١٨٣٩ – ١٨٤٠ ، علاقات غير مؤكدة مع روسيا ، حرب كبرى في افغانستان ، ازمة ديبلوماسية مع ايران ، عدوان مصري في الشام والخليج . ولا بد ان هذا كله كان يربك الحكومة البريطانية ، ولا يمكن لاحد القول الا انها واجهت ذلك الموقف مواجهة شجاعة ناجحة .

اعتداءات الوهابيين ١٨٤٤ – ١٨٥٣ :

فبعد انسحاب المصريين ، تابع الوهابيون سياستهم نحو الامارات العربية في منطقة الخليج ، غير ان اعمال هؤلاء كانت اقل خطورة من المصريين بالنظر الى امكاناتهم المحدودة ، وتنظيمهم غير المحكم ، وجهلهم سياسة اوروبا .. وبالتالي فقد كانت الحكومة البريطانيـة تنظر لهم بشجاعة ولا مبالاة . وفي سنة ١٨٤٣ ابلغ بنو نعيم في البريمي ان بريطانيا لن تساندهم ، ضد الوهابيين كما ساندتهم ضد المصريين ، لكن نفوذ البريطانيين قد تدخل – على اي حال – ليمنع حرباً اهلية في البحرين (١٨٤٢ – ١٨٤٥) كانت على وشك ان توقع تلك الامارة في ايدي الوهابيين . وقد سمح لامير الوهابيين سنة ١٨٤٤ بأن يتملك الدمام عوضاً عن خسارته في البحرين ، وفي المدة من ١٨٤٥ الى ١٨٥٣ ظلت

البحرية البريطانية تقوم بمظاهراتها على الساحل العربي ويسرت لممثل السيد في عمان الحصول على افضل الشروط من وكلاء الوهابيين الذين كانوا يطلبون زيادة الجزية التي تدفعها مسقط ، وكان يبدو انهم مستعدون للوصول بالامور الى حد التطرف .

اتفاقية بين بريطانيا وشيخ البحرين ١٨٦١ :

وفي سنة ١٨٦١ أصبح من الضروري تقييد شيخ البحرين وارغامه على عدم القيام بعمل عدائي ضد ساحل الوهابيين . وانتهزت بريطانيا فرصة حدوث شبه قطيعة في العلاقات بينها وبين شيخ البحرين لترغمه على توقيع اتفاقية تدخل البحرين ضمن الامارات العربية الصغيرة التي تتطلع الى الحماية البريطانية ضد الهجوم من الخارج ، ومن اجل تسوية الخلافات البحرية فيما بينها ، والتي كانت تلزمها ايضاً بالا تكدر صفو السلم في البحار .

مشكلات ايرانية ـ تركية بينها الحدود وفترة التدخل الاوروبي ١٨٣٦ ـ ١٨٥٢

في بداية هذه الفترة التي نتعرض لها ، توترت العلاقات بين تركيا وايران على طول حدودهما المشتركة توتراً كبيراً ، واتخذت بريطانيا وروسيا ، حين هبطت حدة الشكوك المتبادلة بينهما بسبب المشكلات الايرانية والافغانية خطوات ايجابية للتدخل وارغام تلكما الدولتين الشرقيتين الكبيرتين على تسوية مشكلاتهما .

أسباب الخلاف بين تركيا وايران ١٨٣٦ ـ ١٨٤٣ :

وكان من الاسباب الرئيسية للمشكلات طبيعة حدودهما الغامضه ،

الى جانب احتلال الاتراك مؤقتاً للمحمرة في سنة ١٨٣٧ ، واحتلال الايرانيين المؤقت للسليمانية في ١٨٤٠ ، وغارات الاتراك الانتقامية في اتجاه اقليم اردیلان سنة ١٨٤٢ ، والمذبحة التي ارتكبتها القوات التركية في كربلاء سنة ١٨٤٣ ، وقتل فيها ايرانيون كثيرون ... هذا الى جانب استمرار معاملة رعايا ايران معاملة سيئة واضطهاد مصالحهم في تركيا .

لجنة مشتركة ومعاهدة ثانية في ارضروم ١٨٤٣ — ١٨٤٧ :

وكان قد تم بالفعل تشكيل لجنة تركية ايرانية مشتركة مثلت فيها كل من روسيا وانجلترا كدولتين وسيطتين لتسوية كل المشكلات المعلقة بين البلدين حين وقعت مذبحة كربلاء . وبدا لفترة بعد هذه المذبحة ان الحرب بين الدولتين اتية لا مناص منها لولا ان مبعوثاً بريطانيا الى كربلاء يمثل روسيا ايضاً — استطاع ان ينجح في تلافي تلك الازمة بسلام . وعقدت اللجنة المشتركة اجتماعاتها في ارضروم خلال ١٨٤٣ — ١٨٤٤ ، وبعدها استكملت المفاوضات في اوروبا نتيجة اصرار المندوب التركي في اللجنة .

وفي سنة ١٨٤٧ تم توقيع معاهدة ارضرورم الثانية التي حلت سائر خلافات البلدين من حيث المبدأ ، لكنها تركت معظم المسائل التفصيلية لتسويات في المستقبل . وقد اقتضى الحال تقديم ضمانات من السفيرين الروسي والبريطاني في القسطنطينية قبل ان يوقعها المسئولون في الحكومة التركية .

محاولة لتعيين الحدود التركية — الايرانية ١٨٤٨ — ١٨٥٢ :

ثم بذلت محاولة اخرى ، عن طريق لجنة مشتركة جديدة حضرها أيضاً مندوبون عن بريطانيا وروسيا ، لتحديد الحدود الايرانية التركية على الطبيعة ، لكنها لم تستطع ان تحقق نجاحاً يذكر . ومرة أخرى كان السبب هو عناد المندوب التركي وعدم مرونته . وفي سنة ١٨٥٢ انفضت

تلك اللجنة دون ان تحقق شيئاً اللهم الا جمع المعلومات ومسح الاقليم الذي يجب ان يقع به خط الحدود الايرانية-التركية .

وظلت معاملة حكومة العراق التركية لرعايا ايران على حالها السابق من السوء تقريباً رغم نصوص معاهدة ارضروم .

مصاعب بريطانية - ايرانية والحرب الانجلو - ايرانية ومعاهدة الصلح ١٨٥٣ - ١٨٥٧

وسرعان ما اعقبت المحاولات المبذولة من جانب بريطانيا وروسيا للحصول على معاملة افضل للايرانيين من تركيا ازمة ديبلوماسية وعسكرية بين روسيا وتركيا أدت الى ازمة بين روسيا وانجلترا ، ثم الى ازمة ثالثة بين انجلترا وايران .

الحرب الكرمانية ١٨٥٤ - ١٨٥٦ :

ولقد خلقت حرب القرم التي نشبت اساساً بسبب مطالب تعسفية روسية من تركيا توتراً شديداً في منطقة الشرق الاوسط وبذلت روسيا جهوداً كبيرة من جانبها - قبل تدخل بريطانيا وفرنسا في الامور - لاغراء ايران بالانضمام اليها ضد تركيا . وبدا وكأنما جهودها تلك ستكلل بالنجاح في وقت من الاوقات . وحيث كانت تساور تركيا آمال في السيادة على منطقة المحمرة كتلك التي تساور ايران في الاستيلاء على كربلاء والنجف ، فان تركيا ما كانت لتتوقى محاربة ايران ، ولا لتعتبر ذلك يزيد شيئاً الى حربها مع روسيا . غير ان مناورة بحرية صغيرة قامت بها السفن البريطانية المسلحة في منطقة الخليج وشط العرب في اوائل سنة ١٨٥٣ أدت الى حفظ السلام بين الدولتين المسلمتين ، بينما

ظلت حرب القرم ناشبة بين الدول الاوربية التي اشتركت فيها حتى سنة ١٨٥٦ .

مشكلة هراة وخلافات اخرى بين بريطانيا وايران ١٨٥٢–١٨٥٦:

وفي نفس الوقت تقريباً عادت علاقات ايران وبريطانيا الى التفاقم نتيجة تجدد مطامع ايران في السيطرة على هراة ، وهي مطامع كان تحقيقها ما يزال يعتبر من وجهة نظر بريطانيا ضاراً بمصالح الهند البريطانية . وفي سنة ١٨٥٢ احتلت ايران هراة ، لكن بريطانيا استطاعت في سنة ١٨٥٣ ان تستدرجها الى عقد معاهدة تنسحب بمقتضاها من هراة ، وتتعهد بالا تعود الى العدوان عليها في المستقبل .

وفي سنة ١٨٥٤ – ١٨٥٥ كانت معاملة الحكومة الايرانية للوزير البريطاني المفوض في طهران معاملة مهينة الى ابعد الحدود ، ربما نتيجة فكرة لدى المسئولين الايرانيين ان بريطانيا قد انهكتها حرب القرم بحيث لن تقاوم تلك الاهانات ..... وفي نهاية سنة ١٨٥٥ سحب الممثل الديبلوماسي البريطاني من ايران .

وفي سنة ١٨٥٦ عاد الايرانيون الى احتلال هراة ربما نتيجة عدم وجود ممثلين لبريطانيا في ايران ، وبسبب المشاكل التي كانت بريطانيا في ذلك الوقت تواجهها في اوروبا .

الحرب الانجلو–ايرانية ، ومعاهدة الصلح ١٨٥٦–١٨٥٧ :

وأعقبت ذلك حرب قصيرة حاسمة ، ساقت الهزيمة فيها ايران للجثو على ركبتيها ،وكان اتجاه الاتراك في هذه الحرب بسبب امالهم في ان تؤول المحمرة اليهم اتجاهاً محايداً .. لكنه اميل الى صف بريطانيا .. وقد لوحظ ان انتصار بريطانيا الحاسم في هذه الحرب قد قوبل بالابتهاج في العراق التركي .. الى جانب انه زاد من هيبة بريطانيا وسمعتها هناك . وانتهت هذه الحرب بمعاهدة اعترفت فيها ايران باستقلال افغانستان ،

خاصة اقليم هيرات كذلك اعلنت قبولها لكل المقترحات التي يعرضها البريطانيون في الوساطة بينها وبين حاكم هراة . كما سوت هذه المعاهدة ايضاً سائر المشكلات المعلقة بين بريطانيا وايران سواء من حيث المبدأ أو من حيث التفاصيل .

التمرد الهندي ١٨٥٧ — ١٨٥٨ :

وهناك حدث التمرد الخطير في الهند سنة ١٨٥٧—١٨٥٨ . وباستثناء السحب السريع للقوات البريطانية من الميدان الايراني بعد ان انهت اعمالها فيه ، لم يكن لذلك التمرد اثر يذكر في منطقة الخليج .

النشاط الفرنسي في منطقة الخليج
١٨٣٦ ـ ١٨٦١

كانت فرنسا هي الدولة الاوربية الوحيدة الى جانب بريطانيا وروسيا التي لها مصالح في منطقة الخليج ، لكن نشاطها كان سطحياً بشكل عام ومقصوراً على فترة من ١٨٣٩ الى ١٨٤٨ . وقد امتنعت الحكومة الفرنسية في سنة ١٧٣٩ عن تأييد الشاه في مشكلاته مع الحكومة البريطانية ، لكن تلك المشكلات هيأت الفرصة لمبعوث للشاه ليضع معلمين فرنسيين بدل البريطانيين في الجيش الايراني . وفي نفس السنة ـ او في السنة التالية ـ ارسلت بعثة دبلوماسية فرنسية الى بلاط الشاه ، وفي سنة ١٨٤٠ كان في ايران عدد كبير من رجال الفن والدين الى جانب العسكريين من الفرنسيين . ورغم ان البعثة الديبلوماسية الفرنسية قضت عدة سنين في طهران ، الا انها فشلت في تحقيق هدفها الرئيسي الا وهو الحصول على تصديق على معاهدة تجارية . ويجب ان نذكر ان البريطانيين فقط هم الذين استطاعوا التوصل الى مثل هذه المعاهدة مع ايران بعد صعوبات جمة في سنة ١٨٤١ . كذلك هجر معظم المعلمين العسكريين الفرنسيين ايران بعد عشر سنوات من وصولهم ، ولكن في سنة ١٨٥٥ تم أخيراً توقيع معاهدة صداقة وتجارة بين فرنسا وايران ..

أما في سلطنة عمان فقد احرزت جهود الفرنسيين نجاحاً اسرع ، فاستطاعت عقد معاهدة تجارية معها في سنة ١٨٤٤ .

وفي الفترة من ١٨٤١ الى ١٨٤٨ اقحم المقيم الفرنسي العام في بغداد نفسه في امور كثيرة من الشئون الداخلية للعراق التركي خاصة ما كان منها متعلقاً بايران .. كما كانت ثمة دلائل أخرى ايضاً تشير الى ان فرنسا تهدف الى ان تكون لها مصالح سياسية ومادية مزدهرة في العراق التركي . وربما نتيجة تضارب السياستين البريطانية والفرنسية حيال مصر

وتركيا ، كان اتجاه الممثلين الفرنسيين في ايران وبغداد مصطبغاً بعداء البريطانيين وفقدان الثقة بهم . لكن نفوذ فرنسا على العموم — الا ما كان منه متصلا بمصالح كنيسة الروم الكاثوليك — لم تكن له جذور في الواقع المحلي ، وسرعان ما تبدد .



الاجراءات البحرية البريطانية فى منطقة الخليج
١٨٣٦ - ١٨٦١

خلال هذه الفترة التي نتعرض لها الآن ، ظل تنفيذ السياسة البحرية البريطانية ومهامها في منطقة الخليج ملقى على عاتق البحرية الهندية .

أول سفينة بخارية في منطقة الخليج ١٨٣٨ :

وكانت اول سفينة بخارية تزور منطقة الخليج هي السفينة التابعة للفصيل البحري الهندي ، « هيوليندسي » التي زارت ساحل عمان المتصالح في سنة ١٨٣٨ ، واحدثت اثراً مذهلا بين اهل المنطقة بمظهرها الاسطوري وحمولتها الضخمة .

العلاقة بين مركز المقيم السياسي وقائد الفصيل البحري الهندي ١٨٤١ :

لعل خلافاً نشأ عن تحديد علاقة المقيم السياسي في الخليج بقائد الفصيل البحري الهندي هناك ، جعل حكومة الهند تصدر تعليماتها بهذا الصدد في اوائل سنة ١٨٤١ للمشرف على الفصيل البحري الهندي وكان ،اهم ما جاء فيها : « وفي المقام الاول ، يعلن الحاكم الموقر ان سلطة المقيم هي السلطة الاولى في منطقة الخليج ، وتحت تصرفه يوضع الفصيل البحري الهندي المتواجد في اي وقت في الخليج الهندي لتنفيذ اية مهمة يأمره بها المقيم سواء اشتركت في هذا العمل كل سفن الاسطول او بعضها ، وليس لاحد سلطة على المقيم سوى سلطة واحدة هي حكومة الهند التي يعتبر هو ممثلها هناك .

« ومن الناحية الاخرى يكون القائد البحري المتواجد في الموقع مسئولا مسئولية كاملة عن كل التفاصيل الداخلية ، وحفظ النظام ، والتنظيم والمعدات اللازمة لكل سفينة تحت امرته » .

وأضاف خطاب الحكومة الى ذلك قوله بأنه ليس في هذه التعليمات

ما يحط من قيمة البحرية الهندية او استقلالها .. فهذا المقيم ليس في نهاية الامر سوى ممثل الحكومة ، ومن الضروري – للصالح العام – ان يقوم بين الطرفين تفاهم تام ومتبادل .

والنص التالي المأخوذ عن خطاب موجه من حكومة بومباي في اواخر سنة ١٨٤٣ الى المقيم في منطقة الخليج يلقي الضوء على الظروف الصعبة التي كان يتم فيها اداء الواجبات البحرية في ذلك الوقت .

أوامر متعلقة بحجز سفن البحرية الهندية ومنعها عن الحركة في منطقة الخليج ١٨٤٣ :

« وقد كلفت بابلاغكم ان المشرف العام على البحرية الهندية قد وضع مؤخراً تحت ملاحظة الحكومة المساوىء الناجمة عن احتجاز سفن البحرية الهندية في منطقة الخليج والبحر الاحمر لمدة تبلغ في المتوسط سنتين او ثلاث سنوات .

ان الحاكم المعظم بعد دراسة هذا الموضوع مقتنع بأن احتجاز تلك السفن عادة مدمرة لافضل مصالح الاسطول ، مخربة لنظامه وكفاءته ، مسيئة الى صحة البحارة فيه ، ومرتع وخيم لنشوء السخط والتذمر فيه .

وتوضيحاً لتلك المساوىء ، نشير الى حادثة السفينة الحربيـــة « الفينستون » التي عادت مؤخراً الى بومباي . في حالة مهلهلة ، فالبحارة متذمرون اشد التذمر لاحتجازهم زمناً طويلا في منطقة الخليج ، ساخطون على احتجازهم الطويل في ميناء وخيم الهواء ، بدل ان يظلوا دائماً على حركة هي الضمان الوحيد لصحتهم وتجديد طاقاتهم ونشاطاتهم . وعند وصولها – ونظراً للاسباب السابق ذكرها – كانت اشبه شيء بحطام متداع لسفينة قديمة أكثر منها سفينة عاملة في خدمة البحرية الهندية .

« ولا يوافق الحاكم العام على هذا الاجراء الذي تمارسونه باحتجاز سفن الحرب في هذه الموانىء زمناً طويلا بدل جعلها في حركة دائبة

لتحقق الاهداف التي كرست لتحقيقها : القمع الدائم لعمليات القرصنة.. وحماية التجارة البريطانية .

ويرى الحاكم ان تبقى السفن المقيمة في الخليج في حالة حركة دائرية وان تقوم كل سفينة في دورها بالعودة الى بومباي للترميم والصيانة وحفظ النظام » .

واتخذ الحاكم قراراً — فيما يتعلق بالسفن العاملة في منطقة الخليج — بالا تزيد الفترة التي تقضيها السفينة في الخدمة — مرة واحدة — عن اثني عشر شهراً . ولدى انتهاء هذه الفترة — وسواء حل موعد اجازتها ام لم يحل بعد — فعليها ان تعود الى بومباي ، الا تحت ظروف الضرورة الطارئة الملحة . وفي هذه الظروف يستطيع المقيم العام استبقاءها في منطقة الخليج على مسئوليته الخاصة ، ولكن على هذا الاخير ان يعرف ان هذا الاجراء ليس امراً ميسوراً يستطيع ان يمارسه متى شاء .. بل عليه ان يبرق الى حكومته به اذا كان ثمة داع يحتم اجراءه » .

صيانة الامن البحرى وازدياده من ١٨٣٦ ــ ١٨٦١

استتب الامن البحري تماماً في نهاية الفترة السابقة ، ولكن كان يجب دائماً مراقبته واتمامه خلال هذه الفترة التي نتعرض لها .

الهدنات البحرية الموسمية ١٨٣٦ — ١٨٤٢ :

وتواصل تطور نظام الهدنات البحرية الذي بدأ للمرة الاولى لحسن الحظ في سنة ١٨٣٥ . وكانت هذه الهدنات ، التي تحظر على سائر مشايخ عمان المتصالحة ورعاياهم الاشتباكات البحرية وتعاقب من يقوم بها ، قد اعدت في البداية لتشمل موسم صيد اللؤلؤ فقط ، وتتجدد في كل سنة . وبعد ذلك اصبحت هذه الهدنات سارية لمدة اثني عشر شهراً وتتجدد تلقائياً على الدوام ، واخيراً في سنة ١٨٤٣ ، تم عقد هدنة مدتها عشر سنوات مرة واحدة وقعها نفس الموقعين على الهدنات الاولى .

وفي سنة ١٨٣٦ ، قام اسطول البحرية الهندية بعمل عقابي رادع في الدوحة والوكرة والعديد ضد بني ياس من القراصنة والموانىء التي تأويهم.

وفي سنة ١٨٤١ ، أدت بعض طلقات النيران القليلة في الدوحة الى استسلام سفينة من سفن القراصنة ، دمرت بعد استسلامها مباشرة .

وفي سنة ١٨٤٥ ، قامت حملة على جزيرة جنة انتهت بالاستيلاء على سفينة اخرى كانت تستخدم في القرصنة . وكانت هذه عموماً المناسبات الرئيسية التي لزم فيها استخدام القوة ، ولم يقتصر الامر على حصر اعمال الخروج على النظام العام في البحار في نطاق المناطق العربية ، بل ان مشايخ ساحل عمان المتصالحة بدأوا يتفهمون حقيقة واجبهم ، ويتعاونون تعاوناً مثمراً مع الحكومة البريطانية في تقديم المعتدين والخارجين الى العدالة .

اما موضوع السفن الغارقة فقد كان التقدم فيها أكثر بطئاً . فقد استغرقت تسوية مزاعم بنهب سفينة جنحت في هانجام سنة ١٨٣٨ ثلاث

سنوات ولم تتم التسوية في النهاية الا بالاستيلاء على السفن التابعة لجزيرة قشم في موانىء الهند .

معاهدة دائمة للسلم ١٨٥٣ :

وفي سنة ١٨٥٣ اكتسب نظام الهدنة البحرية صفة الديمومة ، وذلك بمعاهدة بين مشايخ عمان المتصالحة لهدنة دائمة على نفس أسس الهدنات الموسمية السابقة .

وفي نهاية سنة ١٨٥٤ تم تسليم سفينة كانت تستخدم في عمليات القرصنة ، ثم دمرت في عنيق على ساحل الاحساء بعد عملية بحرية كبيرة . ويبدو ان صاحب تلك السفينة كان آخر القراصنة المحترفين في منطقة الخليج ، ونحن نتعرف على اختفاء القرصنة بابدال كلمة « قرصنة » في المراسلات الرسمية بتعبير اهدأ وهو « الاضطرابات البحرية » وفي سنة ١٨٥٥ هوجمت سفينة عربية في خور العديد وقتل واحد من بحارتها ، ولقيت سفينة هندية من بومباي معاملة سيئة في الشارقة ، وفي سنة ١٨٥٦ حدث خروج — على مستوى كبير — على القوانين البحرية في ابو ظبي ، وفي سنة ١٨٦٠ حدثت حادثة تدمير سفينة — اسوأ من هذه التي حدثت سنة ١٨٥٥ — في رأس الخيمة . وفي كل هذه الحالات ، امكن الحصول على تعويضات لمستحقيها ، وفي كثير منها تم توقيع العقاب على المجرمين أما الحادثة الخطيرة الوحيدة التي حدثت خلال هذه الفترة فكانت تلك التي قتل فيها رجلان عربيان ، وبعدها استسلم واحد من المجرمين ، ولما كان مواطناً عمانياً ، فقد تم اعدامه في مسقط بأمر من سلطان عمان . كواحد من الاجراءات الانتقامية التي طبقت بسبب الحادث المذكور .

عمليات المسح البحرى ١٨٣٦ ـ ١٨٦٢

بالقدر الذي كانت تسمح به امكانات الضباط والسفن ، ظلت عمليات مسح الخليج وخليج عمان مستمرة على ايدي رجال البحرية الهندية جنباً الى جنب مع بقية مهامهم في المراقبة والحراسة .

وقد بدأ الكابتن هينز عملية مسح للساحل الجنوبي الغربي من جزيرة العرب في سنة ١٨٣٣ ، وا ضطر للتوقف عنه في سنة ١٨٣٧ بسبب مصاعب العمل الكثيرة . وفي سنة ١٨٣٩ الى ١٨٤٤ ونتيجة الحرب في افغانستان والحاجة الى انفاق الاموال في اغراض عامة أخرى — توقفت عملية المسح البحري التي كانت تقوم بها البحرية الهندية توقفاً تاماً . وفي سنة ١٨٣٩ ، ربما كنتيجة لاحتلال جزيرة خارج ، اعد ضابط من البحرية الهندية تقريراً عن ميناء الكويت . وقد بدأت عملية مسح الساحل الجنوبي الشرقي بالجزيرة العرب سنة ١٨٤٤ ، وتم العمل في سنة ١٨٤٨ . وفي سنة ١٨٥٧ ، تقرر اعادة عملية مسح الخليج التي تمت في سنة ١٨٢٠— ١٨٢٨ والتي كانت ناقصة وتشوبها بعض الاخطاء ، وقد عهد بهذا العمل الى الكابتن س. كونستابل يعاونه الملازم أ. و. ستيف ، وقد اكملا عملهما في سنة ١٨٦٠ ، وكانت السفن التي استخدماها هي « الفرات » اولا ، ثم « ماري » بعد ذلك ، وكانت نتيجة عملهما اعداد خريطة عامة لمنطقة الخليج مكونة من لوحتين . وكانت المعالم الاساسية فيها صحيحة لكن كابتن كونستابل نفسه وصفها في سنة ١٨٦٢ بأنها ليست كبيرة بما يكفي . وفي نفس الوقت اتم الملازم هويش من البحرية — الهندية مسح ميناء البحرين .

مسح واستكشاف الارض والانهار
١٨٣٦ – ١٨٦١

استمرت عملية مسح الاراضي والانهار التي بدأتها حملة الكولونيل تشزني في ١٨٣٥–١٨٣٧ بهمة عظيمة خلال أكثر من عشرين عاماً عن طريق ضباط البحرية الهندية مستخدمين الاسطول البريطاني لما بين النهرين او تحت الوكالة السياسية في بغداد ، وامتد عملهم الى عربستان وغيرها على حدود ايران والعراق . وفيما يلي نلخص اهم الاعمال التي قام بها هؤلاء الضباط :

– القائد لنش (١٨٣٧ – ١٨٤٣) :

نهر دجلة من الموصل الى المدائن(١) ، والفرات ادنى مسكنه، ثم مواقع نينوى وبغداد والمدائن وبابل بالمساحة التثليثية .

– الملازم كامبل (١٨٤١ – ١٨٤٢) :

نهر دجلة فيما يلي بغداد، واعالي الفرات حسب تقويم البحر المتوسط .

– القائد ف. جونز (١٨٤٣ – ١٨٥٤) :

زهاب وقناة النهروان القديمة ، والمجرى القديم لدجلة بعد بغداد، والريف بين دجلة والمرتفعات الفارسية من بغداد الى الموصل بالمساحة التثليثية ، والريف من المسيّب الى النجف (فقدت هذه في مكتب الهند) .

– القائد سلبي (١٨٤١ – ١٨٤٢ ، ١٨٥٥ – ١٨٦١) : –

نهر قارون بفروعه وروافده ، واقليم الفرات من بابل الى السماوه ، (بالمساحة التثليثية . وقد فقدت الخريطة في مكتب الهند ثم عثر عليها) .

وفي سنة ١٨٦٢ كانت عملية المسح الرئيسية التي كانت ما تزال مطلوبة هي مسح شط العرب من البصرة الى البحر وقد اعد خرائط هذا النهر القائد ف. جونز والملازم كولنجوود لكنها فقدت في مكاتب الحكومة .

---

(١) ستيسيفون(Ctesiphon) الاسم الاجنبي لبلدة المدائن .

البحـــوث الاثريـــة
١٨٣٦ ـ ١٨٦١

بدأت عملية البحث المنظم عن الآثار القديمة في منطقة الخليج خلال هذه الفترة باشراف البريطانيين . وكان اهم القائمين على هذه البحوث هم : لايارد وراولنسون ولوفتس ، واهم المناطق التي اجريت فيها البحوث هي اشور وبابل وسوسيانا ، وكانت احفل السنوات بهذا النشاط هي الفترة من ١٨٤٥ الى ١٨٥٠ .

التنظيم البريطانى الرسمى واجراءاته
١٨٣٦ ـ ١٨٦٢

انتقال حكومة الهند الى التاج البريطاني : ١٨٥٨ :

في اول نوفمبر سنة ١٨٥٨ ، اقر البرلمان البريطاني قانون الحكم الافضل للهند ، وكان يقضي بأن تنتقل ادارة الهند من شركة الهند الشرقية المعظمة الى حكومة صاحبة الجلالة ، واصبح الحاكم العام في الهند نائب الملك .

الانتقال المؤقت للسفارة البريطانية في طهران الى مكتب الهند ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠ :

أما حق الترشيح للسفارة البريطانية في طهران ومهمة الاشراف عليها مما كان قد نقل الى حكومة صاحبة الجلالة منذ سنة ١٨٥٥ فقد اعيد مرة اخرى ـ كحل وسط ـ من وزارة الخارجية الام الى مكتب الهند .

وكان الوحيد الذي عين خلال استمرار تلك الترتيبات هو سير هـ. راولينسون المقيم السياسي السابق في بغداد . الذي سرعان ما استقال بعد ان انتقلت تبعية تلك الوظيفة الى وزارة الخارجية .

ممثل سياسي بريطاني في مسقط سنة ١٨٤٠ ثم انفصال زنجبار عن سلطنة عمان ١٨٦١ :

وفي سنة ١٨٤٠ — ولمواجهة خطر تآمر القوات المصرية في عمان تم تعيين مقيم بريطاني في مسقط بعد مرور جيل على عهد المقيمية السابقة غير ان الظرف الطارىء لذلك التعيين كان قد انتهى قبل وصول المقيم الى مسقط ، وكان سلطان عمان مقيماً بشكل شبه دائم في جزيرة زنجبار ، فنقل مقر المسئول السياسي البريطاني ايضاً الى تلك الجزيرة .

وفي سنة ١٨٦١ ونتيجة لقرار تحكيم اصدره نائب الملك في الهند حين رفع اليه حكام عمان عندئذ بعض المشاكل القائمة بينهم ، انفصلت زنجبار عن سلطة عمان ، وتقرر ان يدفع سلطان زنجبار ومن يخلفه اعانة سنوية قدرها ٤٠ الف روبية لسلطان عمان ومن يخلفه ، كتعويض لهذا الاخير عن نصيبه النقدي من ممتلكات العائلة هناك . ونتيجة لهذا التغيير ، أعيد تعيين مسئول بريطاني جديد في مسقط .

التمثيل السياسي البريطاني في العراق التركي ١٨٣٩ — ١٨٥١ :

وفي العراق التركي — حيث ظلت المصالح البريطانية في ازدياد خلال هذه الفترة — انشئت شبه قنصلية بريطانية في الموصل سنة ١٨٣٩ وعين لها وكيل اصبحت وظيفته دائمة منذ سنة ١٨٥١ .

تاريخ الخليج منذ بداية المواصلات البحرية البخارية والبريد البحرى الى تولي حكومة الهند مسئوليته السياسية المباشرة ١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

ان السمة الاساسية المميزة لهذه الفترة عن سابقتها هي التحسن العظيم المفاجىء الذي استحدثته بريطانيا في وسائل المواصلات داخل منطقة الخليج وفيما بينها وبين العالم الخارجي والذي لم يطرأ بعده اي تغيير في الشئون الحياتية المحلية لتلك البلاد يضارعه في عمقه وأبعاده مما يجعلنا محقّين لو بدأنا تاريخ الخليج الحديث في سنة ١٨٦٢ .

المواصلات الداخلية والخارجية ١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

البواخر والبريد ١٨٦٢ ـ ١٨٦٨ :

لا يكاد احد يصدق ما كان حقيقة واقعة بالفعل من ان الخطابات الصادرة من بغداد الى الهند قبل سنة ١٨٦٢ كانت تنقل عن طريق الشام فمصر فالبحر الاحمر . والاغرب من ذلك ان الخطابات الصادرة من الهند الى بوشهر كانت في العادة تتبع نفس الطريق بعد ارسالها من بوشهر الى بغداد عن طريق طهران .وهذه الحالة الغريبة للامور ، مما كان يعزى الى قلة عدد ونظام الرحلات البحرية بين الخليج وبومباي حتى بعد القضاء على القرصنة ، تم التغلب عليها عن طريق انشاء خدمة بريدية بخارية تنفق عليها حكومة الهند وتتولاها شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية ابتداء من سنة ١٨٦٢ . وكانت بومباي والبصرة هما المحطتين النهائيتين لذلك الخط ، وقد حدّد عدد الرحلات في البداية بثماني رحلات

في كل سنة ، ولكن ابتداء من سنة ١٨٦٦ اصبحت هذه الرحلة تتم مرة كل اسبوعين . وحيث ان بغداد لم تستفد من ذلك الخط الجديد ، لذلك انشيء خط بريدي بخاري سنة ١٨٦٣ بين البصرة وبغداد باعانة من حكومة الهند وتولته شركة دجلة والفرات للملاحة البخارية . وكانت الرحلات في هذا الخط الجديد تتم مرة كل ستة اسابيع ، ثم اصبحت مرة كل اسبوعين ، ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت ثلاث مرات في كل شهر .

ولمناولة البريد الذي زود بمركبات خاصة افتتحت مكاتب بريدية تابعة للهند البريطانية في اماكن عديدة ، ابتداء بمسقط وبوشهر سنة ١٨٦٤ ، وانتهاء بالبصرة وبغداد سنة ١٨٦٨ .

التلغراف ١٨٦٤ — ١٨٦٩ :

أما الخدمات البرقية فقد بدىء بها قبل ذلك بقليل لكنها لم تتطور بسرعة تطور النقليات والبريد ، فبعد اتمام الخط التلغرافي بين القسطنطينية وبغداد في سنة ١٨٦١ ، باشراف بريطانيا ، كانت ثمة فترة توقفت فيها هذه العمليات . ثم نقلت الخطوط الارضية والكابلات من كراتشي الى جوادر ومنها الى فاو ، ومن بوشهر عن طريق طهران الى خانقين في الفترة من ١٨٦٢ الى ١٨٦٤ . غير انه لم يتم قبل سنة ١٨٦٥ سد الثغرة بين البصرة وبغداد ، وبعدها أصبح ثمة اتصال مباشر بين الهند واوربا عن طريق الفاو وبغداد والقسطنطينية . وكان كامل العمل الفني ، ومعظم الترتيبات السياسية في كل من تركيا وايران على عاتق المسئولين البريطانيين وفي سنة ١٨٦٩ صرفت بريطانيا اعانات مالية لحكام الاقاليم في ايران من اجل حماية الخطوط الارضية التي تمر باقاليمهم .

مشروعات السكك الحديدية والملاحة ١٨٧١ — ١٨٧٣ :

ثم جاء مباشرة دور المواصلات بالسكك الحديدية ذلك بان مستر اندرو واصل مشروعه لاقامة خط حديدي بين الخليج والبحر المتوسط

ذلك المشروع الذي رفع من اهميته التمرد في الهند ثم حفر قناة السويس ، كما كانت الحيلولة دون تحقيق مطامع روسيا في ايران من العوامل التي تؤيد المشروع . وكان من المعتقد به ايضاً ان الباب العالي يؤيد المشروع مع إحداث بعض التغيير في امتداده نحو الشمال . وشكلت الحكومة البريطانية لجنة برلمانية ذات كفاءة كبيرة في سنة ١٨٧١ لتدرس المشروع ، واعدت تقريرها الذي وافقت فيه عليه سنة ١٨٧٢ ، ولكنها تحفظت بالنسبة لطلب تمويله عن طريق ضمان من الحكومة البريطانية ، وفي النهاية لم تتخذ اية خطوات ايجابية .

وفي ١٨٧١ — ١٨٧٣ اقترح انشاء خط حديدي من شوشتار عن طريق اصفهان ، او من ديزفول عن طريق خورم اباد — الى طهران ، بضمان الحكومة الايرانية ، وقد قدم هذا الاقتراح تاجر بريطاني من بو شهر ، غير ان الظروف الاقتصادية السيئة في جنوبي ايران في ذلك الوقت حالت دون الموافقة عليه .

وارتبط بهذا المشروع ايضاً اقتراح بأن يقوم في نهر قارون خط ملاحي بخاري بعون من الحكومة الايرانية .

أحوال ايران وعلاقاتها ١٨٦٢ — ١٨٧٣

الحالة الداخلية في ايران :

خلال القسم الاول من هذه الفترة ، كانت ايران نهباً للقحط ، وا ضطربت الاحوال السياسية فيها بعض الاضطراب نتيجة ذلك . لكن الجهد الذي بذله الشاه شخصياً والمقربون منه استطاع ان يعود تدريجياً بالبلاد الى حالة من الاستقرار النسبي .

علاقة بريطانيا بايران :

واستمرت نتائج الحرب الانجلو – ايرانية تؤثر في العلاقات بين انجلترا وايران . وكانت حكومة الشاه في بعض الاحيان تبدو كما لو كانت قد نسيت الدرس الذي لُقِّنَته من قبل..لكن هذه الفترة اجمالا كانت فترة تحسن في العلاقات ، وبذلت جهود كثيرة للتغلب على ذلك المصدر الدائم للخلاف والتوتر .. الا وهو غموض الحدود الايرانية .

هراة ١٨٦٣ :

كانت هناك مشكلة اقليم هراة المتعبة ، التي ظلت خاضعة لايران رغم معاهدة الصلح لسنة ١٨٥٧ ، وقد انتهت مشكلتها باتحاد افغانستان كلها في امارة واحدة يحكمها دوست محمد خان ، حيث جاءت الخطوة الاخيرة في هذا الصدد بضم هراة الى افغانستان بقوة السلاح سنة ١٨٦٣ .

سجستان ١٨٦٣ – ١٨٧٢ :

وكنتيجة لتوحيد افغانستان ، قام احتكاك بينها وبين ايران على حدود سجستان ، واحتلت القوات الايرانية بالفعل جزءاً من هذا الاقليم كان تابعاً لهراة ، وبعد ذلك سوي الخلاف باجراء عملية تقسيم نتيجة وساطة بريطانية .

مكران ١٨٦٢ – ١٨٧٢ :

لكن مشكلة الحدود الايرانية التي كانت بريطانيا تهتم بها اعظم اهتمام تجددت مرة اخرى في مكران .. وهي منطقة لم تكن حقوقها في الاستقلال محددة تحديداً واضحاً ، ولم تكن اية دولة في بداية الامر تعرف معلومات كافية عن جغرافيتها واحوالها العامة . وفي سنة ١٨٦١ – ١٨٦٢ فهم أن ايران كانت تطالب بكل المنطقة الساحلية غربي السند . وفي سنة ١٨٦٣ زعمت ايضاً ان لها حق ملكية ميناءي شاهبار وجوادر . وفي سنة ١٨٦٤ أصبح اتجاه حكومة الشاه عدائياً نحو اقليم مكران . وفي هذه السنة – ثم مرة أخرى سنة ١٨٦٨–١٨٦٩ – حدث غزو ايراني للدولة

كالات .. التي كانت مشمولة بحماية البريطانيين . واخيراً.. وبعد محاورات طويلة متكررة من جانب الضباط البريطانيين ، بدأت المفاوضات في طهران في سنة ١٨٧٠ وانتهت بتكوين لجنة حدود مشتركة تضم ممثلين عن ايران وبريطانيا وكالات . وفي سنة ١٨٧١ ، تمت الموافقة على اقتراح العضو البريطاني في هذه اللجنة من جانب الشاه بتحفظ واحد فيما يتعلق بكوهاك ، وحدث هذا التقسيم المتفق عليه في الحدود سنة ١٨٧٢ .

وفي سنة ١٨٧٢ ، حققت الحكومة الايرانية مطلبها بأحقية تملكها لشاهبار — التي تقع غربي الحدود بينها وبين كالات والتي كان سلطان عمان ايضاً يزعم انها تابعة له — وذلك بطردها ممثل عمان من هناك .

مسائل عامة :

وكان موقف بريطانيا عموماً من ايران خلال معظم تلك الفترة يتسم بالاهمال واللامبالاة ، فاهملت الحكومة البريطانية أكثر من طلب للعون في تنظيم الجيش الايراني من جانب حكومة الشاه .. وكانت نتيجة ذلك ان انتقل الاشراف على جيش الشاه الى ايدي حكومة أخرى . وفي المدة بين سنة ١٨٧٠ — ١٨٧٢ بذل عدد كبير من فاعلي الخير البريطانيين والهنود بمعاونة المؤسسات البريطانية الرسمية في المنطقة جهوداً كبيرة لتخفيف آثار المجاعة الرهيبة التي اجتاحت جنوب ايران في ذلك الوقت . وفي سنة ١٨٧٢ عندما تولى رئاسة الوزارة في طهران سياسي ايراني مؤيد جداً للبريطانيين تقدمت بريطانيا بمشروع لامتياز احتكاري صناعي ضخم منح لشخص رأسمالي وعرف باسم «امتياز رويتر» لكن هذا الامتياز — لسوء الحظ ورغم انه لم يكن عملياً— ترك آثاره المؤسفة في كل من ايران وروسيا ، وادى سحبه الذي لم يكن منه بد الى نتائج مزعجة تمثلت في مطالبة بريطانيا بتعويض سرعان ما حصلت عليه .

أحوال تركيا وعلاقاتها ١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

وفيما كانت ايران تتقدم بخطى متزنة نحو النظام واستتباب الادارة ، او كانت على الاقل تحافظ على مكانتها ، كانت تركيا تتدهور بسرعة رغم الاصلاحات المزعومة في الداخل وسياسة التوسع الاقليمي في الخارج.

الحالة العامة في تركيا :

ولا شك في ان حرب القرم قد اضرت بتركيا وإن بدت في صالحها . فلدى نهايتها وجدت نفسها تحتل مكانة في اوروبا لا تستطيع إشغالها لاسباب عديدة . ثم ان السفه والعبث بتبذير اموال السوق الاوربي الذي فتح الان امامها ، سارا بها سريعاً نحو خراب مؤكد . وقد ارغمت بحكم الظروف التي وجدت فيها نفسها ، على ان تتبنى اتجاها وسياسة قائمتين على التقدير المبالغ فيه لاهميتها وامكاناتها .. وقبل ان يمضي زمن طويل ، كانت تركيا قد وقعت نهباً لمشكلات مالية عنيفة مستعصية على الحل . وبحلول سنة ١٨٦٦ وصلت الامور فيها حداً جعلها تتوقف لعدة شهور عن دفع رواتب الجنود والموظفين في اقليم بعيد من اقاليمها كالعراق التركي . وقد ضخّمت هذه الاوضاع المالية من سوء الادارة الذي كان سائداً من قبل في ارجاء الامبراطورية .

حكومة العراق التركي :

ولم تكن الحالة السياسية في اقليم العراق التركي بأفضل حالا من اماكن أخرى كما لم يكن ممكناً لها ان تسوء لاكثر مما ساءت في الفترة الماضية . وكان السبب الرئيسي للاضطرابات هو نفس السبب الذي كان من قبل وهوعناد المسئولين الاتراك برغم ضعف وسائلهم لممارسة القهر ، في محاولة السيطرة على القبائل العربية وحكمها . وفي سنة ١٨٦٣—١٨٦٤ بذلت جهود فاشلة لاخضاع قبيلة المنتفق ، وفي ١٨٦٤—١٨٦٦ تم

اخضاع قبائل خزعل بنجاح أكثر ، وفي ١٨٦٥ تمردت قبائل الهماوند الكردية وقبائل عَنَزه العربية على سلطة الحكومة التركية في العراق .

وفي ١٨٦٩ — ١٨٧٢ استطاع مدحت باشا — اول وال لبغداد — ان يحقق موقتاً حالة افضل من النظام والاستقرار . فقد غير شكل نظام الادارة المحلية ليتسق مع نظام اصلاحي راح يطبق في ارجاء الامبراطورية العثمانية كلها . لكن الاصلاحات التي تحققت كانت سطحية برغم حماسة النشاط المبذول . ورغم ان الاشكال الجديدة للعمل اكتسبت صفة دائمة الا ان جوهر تلك الاصلاحات لم يعش الا قليلا بعد ذهاب مدحت باشا .

وابتداء من سنة ١٨٦٣ كان للحكومة التركية بواخر في انهار العراق التركي ، وبدأت هذه البواخر في سنة ١٨٦٧ تمارس نشاطاً تجارياً شبيهاً بنشاط شركة دجلة والفرات للملاحة البخارية ولكن تحت الادارة العثمانية .

ورغم المعارضة العنيدة من جانب السلطات التركية ، فقد نجحت الشركة البريطانية لدجلة والفرات للملاحة في ان تزيد اسطولها العامل — بمعونة من الحكومة البريطانية سنة ١٨٦٤ — حين اضافت اليه باخرة جديدة . وكان موقف حاكم بغداد التركي في ذلك الوقت من المصالح البريطانية موقفاً عدائياً لا مهادنة فيه . ويبدو انـــه كـان وراء ذلك الخوف من ان يستطيع الممثل البريطاني ان يحقق لنفسه نفوذاً كبيراً بين القبائل العربية التي كان الاتراك يسيئون حكمها انذاك ، وامتد ذلك الموقف العدائي ليشمل الموظفين البريطانيين العاملين في مد خطوط التلغراف التركية وشركة دجلة للملاحة البريطانية على السواء .

تركيا تضم اليها قطر والأحساء ١٨٧١ :

وتُصوّر حركات العثمانيين في شرقي الجزيرة العربية تشبثهم بمبدأ التوسع الاقليمي على الرغم من سوء الاحوال وانهيارها في الامبراطورية وكان مدحت باشا والي بغداد واحداً من أقوى القائمين على تنفيذ تلك السياسة .

وفي سنة ١٨٦٦ كانت هناك دلائل تشير الى ان الباب العالي ينوي أن يؤكد قبضته ويدعم سلطانه على الكويت كما لمح الاتراك في سنة ١٨٦٩ الى انهم ينظرون الى البحرين على انها اقليم تابع لهم . وفي اوائل سنة ١٨٧١ فهم ان ثمة محاولة يجري الاستعداد لها من جانب الاتراك لبسط السيادة التركية على وسط الجزيرة والبحرين ومسقط والقبائل العربية في جنوب الجزيرة عموماً . وسرعان ما وجد الاتراك فرصة العمل السريع السافر متاحة لهم حين قدم امير معزول من جنوب نجد طلباً الى الحكومة التركية كي تساعده في العودة الى الحكم على ان يبقى تابعاً لها . وفي صيف سنة ١٨٧١ تم احتلال الاحساء بقوات تركية ارسلت من البصرة عن طريق البحر ، في حين اعتبرت الكويت ـ التي اتخذت قاعدة للعون العسكري والنقل في عملية الاحساء هذه ـ قد ضمت الى تركيا بدورها . وكانت الرياض ـ في وسط الجزيرة ـ هي الهدف الرئيسي للحملة التركية على الاحساء، وكان هذا الاقليم يحكمه مسئولون اتراك الامر الذي خيب آمال الاميرين الاخوين المتنافسين هناك ، لكنه لم يجر أي تقدم فعلي من الاحساء الى الرياض. وقدمت الحكومة البريطانية ـ عن طريق مسئولها السياسي في البحرين سنة ١٨٧١ ـ ١٨٧٢ ـ انذاراً كان كافياً للحيلولة دون الاتراك واتخاذ عمل عدائي فعلي تجاه امارة البحرين .. لكنه لم يقض على تهديداتهم الدائمة لها . ثم رفع العلم التركي على الدوحة في قطر ، وقامت حامية عسكرية تركية باحتلال ذلك المكان فيما بعد . ووضع مدحت باشا في الجريدة الرسمية المدن الرئيسية في عمان المتصالحة ضمن المدن التابعة لاقليم نجد « المهزوم » ، وهو اقليم لم تدخله قواته على الاطلاق، وان كانت قد احتلت جزءاً بعيداً تابعاً له هو الاحساء. وحوالي نفس الوقت الذي بدأ فيه الحكم التركي المباشر في الحسا ، اقيمت قنصلية تركية في بوشهر بايران على الجانب المقابل من الخليج . ربما لتضع تركيا نصب عينيها دائماً شئون البحرين .

ولم تسمح الحكومة البريطانية للاتراك الا باقليم الاحساء الذي كانت قواتهم قد احتلته بالفعل، غير ان ضم ذلك الاقليم وحده الى دولة مثل تركيا كان في حد ذاته شراً يزيد من صعوبة ضمان الاستقرار البحري في مياه الخليج.

العلاقات بين تركيا وايران ١٨٦١ ـ ١٨٧٢

ان اهم حادثة جديرة بالملاحظة في علاقة تركيا بايران اثناء هذه الفترة هي الزيارة التي قام بها الشاه للعراق التركي في شتاء ١٨٧٠–١٨٧١ أثناء زيارتـــه الاماكن المقدسة في الكوفه وكربلاء والنجف وسامراء .

ولم يحدث اي تقدم في تعيين الحدود الايرانية التركية رغم ان الحكومتين البريطانية والروسية طالبتا في سنة ١٨٦٩ بتسوية الامر بين الحكومتين الايرانية والتركية . وفي نفس الوقت تقريباً بدأت منطقة الحدود المتنازع عليها تتسع جنوباً ، وعقدت اتفاقية لضمان الحدود القائمة وقتذاك بالفعل وان لم تكن معروفة على وجه التحديد كاجراء موقت . وفي ١٨٧١ – بمناسبة زيارة الشاه للعراق التركي – بدأت المفاوضات كي تسلم ايران لتركيا قبائل هماوند المتمردة التي هاجرت هجرات جماعية الى ايران حوالي سنة ١٨٦٥ ... لكن المفاوضات المذكورة فشلت ولم تود لنتيجة .

حالة الساحل الغربي للخليج وعلاقاته ١٨٦١ ـ ١٨٧٣

كان الوهابيون هم القوة الاولى التي تسيطر على غرب الخليج حتى طردهم الاتراك من الاحساء سنة ١٨٧١ ،وكانت اعمالهم تسبب مزيد من الاضطرابات احياناً للحكومة البريطانية ، التي كانت مهتمة بحفظ النظام العام في منطقة الخليج وعلى طول شواطئه .

قطع العلاقات بين بريطانيا والوهابيين ١٨٦٥ — ١٨٦٦ :

وفي سنة ١٨٦٤ بدأ الوهابيون يرهقون حاكم سلطنة عمان بمطالبات لزيادة الجزية ، وعرض البريطانيون وساطتهم لتسوية تلك المشكلات ، لكن الوهابيين رفضوا مبدأ الوساطة . وفي ربيع سنة ١٨٦٥ قام المقيم البريطاني في منطقة الخليج بزيارة للامير الوهابي في عاصمته غير ان الوضع الذي وجد كولونيل بيللي نفسه فيه في الرياض حال بينه وبين مناقشة القضايا السياسية . وعقب عودة المقيم الى الخليج تجدد ضغط الوهابيين على سلطنة عمان ، وحدث اعتداء خطير من جانبهم اصاب رعايا الهند البريطانيين في صور ضمن من اصاب . ثم حدثت اغارة اخرى من الوهابيين على ساحل سلطنة عمان ، ووجه انذار بريطاني الى امير الوهابيين في اوائل سنة ١٨٦٦ ، واعدت الترتيبات في حالة عدم تلقي جواب للانذار من الامير بأن تقوم البحرية البريطانية بهجوم على ساحل الاحساء،وفي نفس الوقت يقوم سلطان عمان بمدد بريطاني من السلاح والذخائر بالهجوم على مواقع الوهابيين في البريمي .

غير ان هذه الخطة لم تنفذ نظراً لاغتيال سلطان عمان على يد احد ابنائه . وكان العمل الذي قامت به سفينة بريطانية واحدة في القطيف والدمام عملا غير كاف . غير ان المعتدين الوهابيين في صور لقوا عقاباً رادعاً . واخيراً بدا ان امير الوهابيين راغب في قبول وساطة البريطانيين بينه وبين سلطان عمان ، وان الوقت المتاح للرد على رغبته هذه قصير جداً . وفي سنة ١٨٦٦ تلقى ممثل بريطانيا في منطقة الخليج ضماناً كافياً من امير الوهابيين فيما يتعلق بالمستقبل ، وساد السلم من جديد .

تدمير مشايخ البحرين وابو ظبي للدوحة والو كرة ، ثم ما عمله البريطانيون آنذاك ١٨٦٧ — ١٨٦٨ :

وفي خريف سنة ١٨٦٧ قام مشايخ البحرين وابو ظبي بهجوم غادر ومفاجىء على الدوحة والوكرة في قطر ، وكانتا مستقلتين في ذلك الوقت

عن امارة البحرين ، وتم تدمير البلدين تدميراً تاماً ، وطرد منهما اهلهما بعد ان جردوا من كل ممتلكاتهم ، وقد تأجل عمل البريطانيين بهذا الصدد قليلا – نتيجة الحرب في الحبشة وغير ذلك من الاسباب – وقامت القبائل التي وقع عليها العدوان بمحاولة للانتقام بالاغارة على البحرين . ولكن في الجزء الاخير من سنة ١٨٦٨ قام البريطانيون بعمل عقابي قاس ورادع ضد مرتكبي ذلك العدوان ، فعزل شيخ البحرين وتولى اخوه مكانه ، كما دمرت سفنه الحربية ، وهدم حصنه في ابو ماهر ، وارغم شيخ ابو ظبي على دفع غرامة كبيرة تحت تهديد بتدمير مينائه بمدفعية البحرية البريطانية .

مزاعم حكومة ايران في ملكية البحرين ١٨٦٢ – ١٨٦٩ :

وراحت الحكومة الايرانية – على فترات متقاربة خلال المدة من ١٨٦٢ الى ١٨٦٩ – تجدد مطالبها باحقيتها في البحرين ، لكنها كانت مجرد مطالب كلامية لا اهمية لها من الناحية السياسية .

غزو البحرين عن طريق البر وما عمله البريطانيون آنذاك١٨٦٩ :

وفي سنة ١٨٦٩ حاول شيخ البحرين السابق – بمعاونة مجموعة من الساخطين وحشد من قبائل البدو – غزو الجزيرة الرئيسية في البحرين وقد هزم الشيخ الحاكم وقتل أثناء المعركة ، وظلت البحرين لمدة شهرين او ثلاثة في ايدي هذا الحزب من الساخطين ، وفي اواخر السنة ظهر اسطول بحري بريطاني على مسرح الاحداث ، وقضى على مقاومة هؤلاء المتمردين . وتم القبض على عدد من زعماء التمرد – من بينهم شيخ البحرين السابق – ونفوا الى الهند . وتركت البحرين بعدها يحكمها ابن الشيخ الذي قتل في المعركة .

طرد الوهابيين من البريمي ١٨٦٩ :

وفي سنة ١٨٦٩ طرد الوهابيون الذين لم يتدخلوا في أحداث قطر

والبحرين التي اشرنا اليها من البريمي وهي موقع على الحدود الفاصلة بين عمان المتصالحة وسلطنة عمان كانوا يمارسون نفوذهم منه على الناحيتين معاً . وكان طردهم على يد السلطان الجديد النشيط في عمان . وقد منعت الحرب الاهلية التي قامت في نجد ، الى جانب احتلال الاتراك اي جهد من جانب الوهابيين لاستعادة هذا الموقع .

طلب الوهابيين العون من بريطانيا ١٨٧١ ـ ١٨٧٣ :

وخلال السنتين التاليتين على ضم الاحساء للاتراك ، تقدم امير الوهابيين غير مرة يطلب عون البريطانيين على أساس ان نزول الاتراك على ساحله انما يعد خرقاً للسلم البحري الذي تحاول بريطانيا تحقيقه بكل الطرق ... لكنه اجيب بأنه ليس طرفاً في أي معاهدة مع الحكومة البريطانية ، وبالتالي لا حق له في طلب العون منها .

الحالة فى سلطنة عمان ١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

لا شك في ان احوال سلطنة عمان قد لقيت مزيداً من اهتمام البريطانيين خلال هذه الفترة نتيجة تعيين مسئول سياسي بريطاني في مسقط ، وقد اشرنا قبلا الى توسط البريطانيين في خلافات عمان وامير الوهابيين في ١٨٦٤ ـ ١٨٦٦ .

معونة زنجبار :

وبعد انفصال زنجبار عن عمان بموجب قرار التحكيم من نائب الملك في الهند سنة ١٨٦١ تقرر ان يدفع سلطان زنجبار معونة قدرها ٤٠ الف روبية لسلطان عمان ، وكانت الحكومة البريطانية تعبر انتباهها

بين حين وآخر لموضوع استمرار دفع ذلك المبلغ بانتظام لعمان ، غير انه في المدة من ١٨٦٨ الى ١٨٧١ كان يحكم سلطان لم تعترف الحكومة البريطانية بشرعيته فاعفت لذلك سلطان زنجبار من دفع المعونة المذكورة وحين تولى حاكم معترف به عرش عمان في سنة ١٨٧١ تقاسمت الحكومة البريطانية وحكومة الهند دفع المعونة مناصفة بينهما .

التزام سلطان عمان في بندر عباس ١٨٦٦ — ١٨٦٨ :

وثمة أمر آخر وقف فيه ممثل الحكومة البريطانية الى جانب سلطان عمان ، ذلك هو التزام السلطان باقطاع بندر عباس وما حولها من الحكومة الايرانية . ففي سنة ١٨٦٦ ، انتهى ذلك الالتزام بموت سلطان عمان ، واستعادت الحكومة البريطانية الاقليم المذكور ، ولم تمض الا سنتان قبل ان يتمكن المقيم البريطاني في الخليج ان يحصل على تجديد الامتياز لمدة ثماني سنوات ، لكن حاكماً جديداً ، لم يكن البريطانيون في رضى عنه — تولى حكم عمان ، فانهى الامتياز المذكور ولم تجدد عمان اجارة بندر عباس بعد ذلك .

الدول الاجنبية الاخرى ، غير بريطانيا ، في الخليج ١٨٦٢ - ١٨٧٣

اذا استثنينا روسيا التي كان نفوذها في ايران وتركيا عظيماً ودائماً ولكن اهتمامها لم يكن قد توجه بعد الى الخليج ، فان فرنسا كانت هي الدولة الاجنبية الوحيدة ، الى جانب بريطانيا ، التي كان لها مصالح سياسية في منطقة الخليج .

بيان انجليزي ، فرنسي خاص بعمان وزنجبار ١٨٦٢ :

وفي سنة ١٨٦٢ وقعت الدولتان – بريطانيا وفرنسا – بياناً مشتركاً تلتزمان فيه باحترام استقلال سلطنتي عمان وزنجبار . وكان ذلك البيان الذي لم يثر اهتمام احد او ملاحظته وقت توقيعه ، حيث ظلت حكومة كالهند مثلا لا تعرف شيئاً عنه حتى سنة ١٨٧١ ، قيداً غير ملائم لحركات الموقعين عليه .

وسط الجزيرة :

وهناك من الاسباب ما يدفعنا الى الظن بأن رحلة الرحالة البريطاني مستر و. ج. بالجريف عبر وسط جزيرة العرب سنة ١٨٦٢ قد تمت بمبادرة من الامبراطور الفرنسي لاهداف سياسية .

العراق التركي :

وفي سنة ١٨٦٤ ، ساد الاعتقاد بأن شركة فرنسية قد تقدمت بطلب للحصول على تسهيلات ملاحية في انهار العراق التركي كتلك التي تتمتع بها شركة دجلة والفرات (البريطانية) للملاحة البخارية ، كما طلبت الشركة الفرنسية ايضاً مساواتها التامة بالتجار البريطانيين في الشئون التجارية الصرفة .

واعيد فتح قنصلية فرنسية سنة ١٨٧٠ في البصرة، كانت ظلت سنوات طويلة خالية من أي تمثيل سياسي فرنسي .

ترتيبات البحرية البريطانية فى الخليج
١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

الغاء البحرية الهندية والمصاعب الناجمة عن ذلك ١٨٦٢–١٨٦٨ :

حوالي نهاية سنة ١٨٦٢ استدعيت السفن الهندية التي كانت تعمل في منطقة الخليج الى الهند ، وكان هذا تمهيداً لالغاء الخدمة التي تقوم بها هناك . وفي ٣٠ ابريل سنة ١٨٦٣ انزل علم البحرية الهندية من بومباي وانتهى كل وجود لها . وقد كان مفهوماً في ذلك الوقت ان المهام التي كانت تؤديها سفن البحرية الهندية قبلا ستقع الآن على عاتق سفن البحرية الملكية البريطانية ، لكن عدة سنوات انقضت قبل ان يتم التوصل الى طريقة عاملة لهذه القوة البديلة . واثناء هذه الفترة تدهورت المصالح البريطانية في الخليج تدهوراً واضحاً ، لا في منطقة الخليج فقط . بل وفي البحر الاحمر ايضاً وغيره من الاماكن .

وكانت اهم مساوىء النظام الجديد انه نظراً الى ضيق مدى بحرية شركة الهند الشرقية نسبياً ومحدودية عدد سفنها .. كان يحدث كثيراً ألا توجد سفينة واحدة وقت الحاجة اليها ، وتكررت عملية استدعاء السفن من اماكن أخرى بعيدة ، ولم يكن بوسع أية سفينة من هذه ان تبقى زمناً طويلا في المنطقة ، كما ان ضباط هذه السفن ايضاً ، من حيث تدريبهم وتقاليدهم ، كانوا اقل صلاحية لتأدية المهام السياسية ممن سبقهم من ضباط البحرية الهندية . وأخيراً لان هذه السفن كانت تابعة للبحرية الملكية . لم يكن بوسع السلطات السياسية ان تطلب منها تأدية خدماتها بحرية كاملة . ويبدو ان حكومة صاحبة الجلالة كانت تهدف في البداية الى منع المقيم السياسي في الخليج وفي عدن من استخدام السفن للاغراض العامة ، بالنظر لتغير الاوضاع وانشاء الخدمات البريدية البخارية وتحسينها ، كما كانت تهدف الى منع المقيمين السياسيين من استخدام

السفن الحربية . ورغم ان السفينتين « كلايد » و « هيو روز » التابعتين لبحرية بومباي ظلتا تحلان محل سفن البحرية الهندية ، محتجزتين الى حد ما في منطقة الخليج ، الا ان انسحابهما كان مؤكداً بمجرد الانتهاء من مد اسلاك التلغراف .

: ١٨٦٤

وفي سنة ١٨٦٤ ، ذكر المقيم السياسي في منطقة الخليج في تقريره ان لديه من الاسباب ما يجعله يعتقد بأن تجارة الرقيق كانت ما تزال دائرة على اشدها ، لكنه لم تعد لديه اية امكانات يستطيع بها التعامل مع السفن التي تسهم فيها .

: ١٨٦٥

وفي سنة ١٨٦٥ ذكر انه حين تكلف الحكومة من يشغل منصبه ليكـــون حكماً في سائر خلافات المشايخ على الساحل العربي ، فهو في حقيقة الامر عاجز تماماً عن القيام بشيء نظراً لانه لا يملك اية امكانات للحركة .. وقال انه اثناء موسم صيد اللؤلؤ — من ابريل الى اكتوبر — حين تكثر الخلافات بين هؤلاء كانت سفن البحرية الملكية البريطانية ممنوعة بأوامر صريحة من قيادتها من الطواف في منطقة الخليج وحينها لا يتباطأ العرب عن الاستفادة من عجز المقيم العام عن الحركة .. وربما اسفر ذلك عن ارتكاس الخليج مجدداً في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار لم يعرفها في تاريخه كله .

: ١٨٦٦

وقد تمت العمليات العسكرية ضد الوهابيين في القطيف والدمام على عجلة ، وكانت نتائجها مخيبة للآمال نظراً لان سفينة صاحبة الجلالة « هاي فلاير » — وهي السفينة الوحيدة التي تيسرت لاداء ذلك العمل وقتذاك — لم تستطع ان تبقى طويلا في الخليج . كما ان هذه الحادثة

أيضاً كشف « مساوىء كون قادة سفن صاحبة الجلالة التي تطوف بمنطقة الخليج على غير علم بشئون السياسة المحلية فيه ، وبعادات واحاسيس هذه القبائل العربية التي تعمل في البحر ، وبصعوبة الملاحة في ذلك المكان من العالم » . وكعلاج للمشكلة الاولى عين مساعدان سياسيان اثنان في مفوضية بوشهر ، غير انه كان من الواضح ان احداً منهما لم يكن قادراً على التغلب على مشكلة نقص المعلومات ذات الطابع البحري .

كذلك كشفت الازمات التي حدثت في مسقط سنة ١٨٦٦ عن الخطر الماثل في الحاجة الى وجود قوة بحرية محلية . فلو لم تكن السفينة « بيرينيس» التابعة لبحرية بومباي موجودة قرب مسرح الازمة لاستحال انقاذ الرعايا البريطانيين من مسقط ، فبعد ان وصلت هذه السفينة — واللاجئون على ظهرهـــا — الى خــــور الشام ظهرت سفينتا صاحبة الجلالة « هاي فلاير » و « اوكتافيا » في مسقط . وكانت اوامر القيادة البحرية البريطانية تقضي بعدم استخدام سفنها لحراسة محطات التلغراف . وعلى الرغم من هذه الاوامر فقد ابقيت السفينتان « كلايد » و « هيــو روز » التابعتان لبحرية بومباي في جوادر وخور الشام لتوفير الحماية المطلوبة نتيجة الثورة في عمان .

وبعدها بقليل في نفس السنة ، ارغمت سفينة صاحبة الجلالة « بانتالون » على ترك الخليج فجأة نظراً للحاجة الى خدماتها في ساحل شرق افريقيا ، وتوقفت بالتالي المفاوضات التي كانت دائرة للصلح مع الوهابيين الى جانب التحقيق في عدة حوادث بحرية كانت قد وقعت قبل ذلك.

وقد جاء في تقرير للمقيم عن تلك الاحداث ضمن رسالة منه الى حكومة بومباي ما يلي :

« ولا بد لتنفيذ سياستنا البحرية في منطقة الخليج من ان تبقى سفينة مسلحة رهن استخدام ممثلكم في الخليج .. ويجب ان تكون هذه السفينة مهيأة للعمل على البر ايضاً .. وان تسلح تسليحاً جيداً ويكون العاملون

فيها اوربيين وتكون تحت اوامر الحكومة الهندية . وقد جاءت قوات صاحبة الجلالة الى الهند وبقيت فيها زمناً طويلا تعمل تحت امرة الحكومة الهندية .. وسيسهل العمل كثيراً اذا طبق نفس النظام بالنسبة للسفن الحربية .. واذا لم يتيسر هذا الاجراء ، فيحسن اذن التفكير في الاجراء الذي نقترحه بديلا عنه وهو ان يعمل طاقم من البحارة الهنود على سفن تبنى لحساب حكومة الهند لكنها مصممة في انجلترا ومجهزة بأحدث وسائل تسليح السفن الحربية البريطانية » .

١٨٦٧ – ١٨٦٨ :

وقد ابرزت الاضطرابات التي حدثت على ساحل قطر في اكتوبر سنة ١٨٦٧ عيوب النظام البحري الجديد او بالاحرى الافتقار الى نظام بحري ، فباستثناء القارب المسلح « هيو روز » التابع لبحرية بومباي الذي لا يستطيع ان يبحر لاكثر من ثماني ساعات متواصلة ، وبحارته جميعاً من الهنود ، فان اول سفينة امكن استجلابها لموقع الحوادث كانت السفينة « سند » التابعة ايضاً لبحرية بومباي والتي وصلت الى المكان في حالة سيئة في مايو ١٨٦٨ . وفي الشهر التالي بدت اعراض تجدد نفس الاضطراب على مستوى اشمل وفي نهاية يوليو واوائل اغسطس فقط ، وصلت سفينة صاحبة الجلالة « فيجيلانت » الى الخليج واتاحت القيام بالعمليات التأديبية الرادعة التي كان يجب ان تتم قبل ذلك بعدة شهور .

ترتيبات خاصة من جانب البحرية البريطانية ١٨٦٩ – ١٨٧١ :

واخيراً وفي سنة ١٨٦٩ اتخذت الاجراءات لتسهيل التعاون بين البحرية الملكية والسلطات الهندية السياسية . على اساس تقديم مساعدة سنوية من حكومة الهند قدرها ٧٠ الف جنيه انجليزي ، ووفق ترتيبات معينة بشأن المصاريف على البر وتكاليف اصلاح السفن وترميمها . وقد خصصت القيادة البحرية البريطانية ست سفن من سفن البحرية البريطانية

التابعة لشركة الهند الشرقية لخدمة حكومة الهند . وكانت ثلاث من هذه السفن قوارب مسلحة خصصت للخليج للقيام بأعمال الخفر والحراسة ومنع شيوخ العرب من تهديد الملاحة والتجارة بالقرصنة او ممارسة تجارة الرقيق . وكان على قائد هذا الاسطول الصغير في الخليج ان يضع نفسه تحت امرة المقيم العام وغيره من السياسيين المسئولين عن تنفيذ السياسة البريطانية ، وكان عليه الا يقوم بأي عمل هجومي قبل موافقة المسئولين السياسيين الذين كانوا أكثر منه معرفة بعادات الناس واقدر على الحكم على صلاحية الاسلوب المنتهج مع شيوخ العرب ورعاياهم . وقد خفف من صرامة المبدأ العام القائل بعدم الاشتباك الحربي بغير امر القائد العام للفصيل البحري كلما تعلق الامر بالخليج .

١٨٧١ — ١٨٧٢ :

وبدأ تنفيذ هذه الاجراءات سنة ١٨٧١—١٨٧٢ ، وفي نفس السنة كانت سفن صاحبة الجلالة العاملة في الخليج هي : « بلفينش » و « ميجباي » و « فلتشر » و « لينكس » و « نيمبل » (١) .

طموح بحري من جانب ايران ١٨٦٥ — ١٨٦٩ :

وخلال الفترة التي كانت فيها هيبة بريطانيا البحرية قد وصلت أدنى مراتبها في منطقة الخليج ، عرض شاه ايران فكرة اضطلاعه بدور في المهام التي لا تجد أحداً يقوم بها ، فاقترح ان يقدم عدة سفن حربية صغيرة يقودها ضباط بريطانيون ويعمل عليها طاقم من البحارة الهنود والعرب ، ويبدو ان وزير صاحبة الجلالة المفوض في طهران لم يرفض هذه الفكرة لكن حكومة الهند عارضتها وبدأت بحث فكرة اعادة قسم

---

(١) تجد قائمة باسماء السفن البريطانية المستخدمة في الخليج من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٩٠٥ في كتاب مستر ج٠ا٠ سالدانا : « مختصر الاجراءات البحرية في الخليج ٠٠ » ١٨٦٢ — ١٩٠٦ ، طبعة سنة ١٩٠٦ ، ص ٦ — ١٠ .

من البحرية الهندية لكن الفكرة رفضت بعدئذ . وكان هناك تخوف من احتمال قيام مثل تلك السفن الايرانية بتنفيذ مقاصد ايران في البحرين ، لكنها ايضاً كانت تخشى ان رفضت عرض الشاه ان يلجأ الى فرنسا ، فتقرر ان يسمح له بسفينة واحدة ان لم يكن من ذلك بد . لكن الشاه لم يستمر في مشروعاته البحرية تلك على أية حال ، وحين وضعت سياسة بحرية تقوم بتنفيذها سفن البحرية البريطانية نسي هذا الموضوع وانتهى أمره مؤقتاً .

عمليات المسح البحرية البريطانية فى الخليج ١٨٦١ ـ ١٨٧٣

توقف عمليات المسح البحري توقفاً شاملا ١٨٦١ ـ ١٨٧١ :

لقد أدى الغاء البحرية الهندية ايضاً الى اضمحلال عمليات المسح البحرية التي كان يقوم بها رجال البحرية الهندية في منطقة الخليج .

ويبدو انه كان من الطبيعي ان يترتب على وضع الهند تحت التاج البريطاني في سنة ١٨٥٨ ، وما يتبع ذلك من الغاء البحرية الهندية ، انتقال ابحاث الجغرافيا المائية التي كانت تقوم به حكومة الهند الى قيادة الاسطول البريطاني ، وان بقي مكتب الهند وحكومة الهند يستخدمان كوسيلتي اتصال واشراف في المشروعات الهامة ، ويبدو ان بعض الاجراءات تمت بهذه الكيفية سنة ١٨٦١ ، ولكن لا يبدو واضحاً أن الامبرالية البحرية البريطانية لم تبلغ بالقرار القائل انه مستقبلا « تتولى الامبرالية البريطانية عمليات المسح البحرية التي كانت تقوم بها البحرية الهندية على

نفقة حكومة الامبراطورية » ، علماً بأن الكابتن كونستابل وثلاثة من كبار المساحين في البحرية الهندية قدموا سنة ١٨٦٢ مذكرة لقسم الجغرافيا المائية بالامبرالية عن حالة المسح البحري الهندي وقائمة بالاعمال المطلوب إتمامها . وقد تبين انه لم يتم نشر خرائط موسعة لجزيرة مصيرة والمضائق (وضعت سنة ١٨٤٦) بالاضافة الى خور جرامه وبندر خيران وبندر جصّة (وضعت سنة ٤٩—١٨٤٨)وميناءبوشهر (وضعت سنة ١٨٥٧) وكذلك جزر ديناميات (وضعت سنة ١٨٥٨). ولم تكن هناك عملية مسح لشط العرب،والخريطة التي كانت موجودة لمدخله كانت قديمة وغير دقيقة . كما كان من المطلوب ايضاً اعداد خريطة لساحل مكّران . والنتيجة هي انه خلال السنوات العشر التالية لم تحدث عمليات مسح جديدة ، وضاعت مذكرات وخرائط كثيرة كانت ثمرة جهد طويل من المسح .

استئناف عمليات المسح ١٨٧١ :

وفي سنة ١٨٧١ حين وعت حكومة بومباي ضرورة اجراء عمليات مسح جديدة استشارت كولونيل بيللي المقيم السياسي في الخليج وكولونيل هربرت الوكيل السياسي في العـــراق التركي في الامر فجرت مناقشة عامة للموضوع . واشار كل من هذين المسئولين الى ضرورة مسح ميناء الكويت وخور عبدالله بالنظر لما لم يكن مستبعداً من نشوء حاجة لاقامة محطة للسكك الحديدية في ذلك المكان . واشار المقيم العام أيضاً الى ضرورة مراجعة خرائط الخليج في عدة اماكن . وكانت النتيجة النهائية هي ارسال مستر جيرد لستون الصف ضابط المقيم في البحرية الهندية الى الخليج للقيام بعملية مسح لمياه البحرين وقطر تحت اشراف حكومـــة بومباي ، وفي ١٨٧٢ — ١٨٧٣ كانت عمليات المسح تسير على قدم وساق في هذه المياه .

السياسة البريطانية والمسائل الرسمية فى الخليج
١٨٦٢ ــ ١٨٧٣

كانت هذه الفترة فترة توسع اقتصادي وتجاري عظيم في الخليج ، يرجع اساساً الى وسائل المواصلات البخارية والبريد والبرق وتزايد المصالح البريطانية بمختلف ألوانها وصورها .

مشروع كولونيل بيللي لرأس مسندم ١٨٦٣ :

وقد استمر الكولونيل بيللي مقيماً سياسياً في الخليج طوال هذه الفترة تقريباً ، ولن يكون عبثاً ان نقتبس هنا مقتطفات موسعة من مراسلاته الرسمية فهي تصور لنا اراء هذا الضابط القدير ، والكاتب اللامع ، في القضايا العامة خلال نفس الفترة .

في سنة ١٨٦٣ اعد كولونيل بيللي خطة دقيقة لتثبيت النفوذ البريطاني في منطقة الخليج ، وافضل طريقة لتصويرها هي أن ننقل نسخة من المذكرة التي رفعها بشأنها الى حكومة بومباي :

« مذكرة طي الخطاب رقم ١ ــ أ المؤرخ في ١٢ يناير ١٨٦٣ ..

ان مشكلة تطوير خطوط المواصلات البخارية والبرقية في منطقة الخليج تحظى بدراسة الحكومة ، وانا ارجو السماح لي بأن اضع الملاحظات التالية التي تتصل بهذا الامر من حيث علاقته بالمقيمية السياسية في الخليج . وحتى لا أضيع على الحكومة الموقرة وقتاً أكثر من الضروري ساذكر اقوالي في نتائج محددة ، وسيسهل على الحكومة ــ ان استخدمت الخريطة ــ ان تتتبّع الخطوات التي ادت الى هذه النتائج :

١ ــ ان الاهداف الرئيسية لاقامة مقيمية سياسية في الخليج هي :

مكافحة القرصنة ، ومكافحة تجارة الرقيق ، وتنمية التجارة .

٢ ــ لقد كبح الان جماح القرصنة على المستوى الكبير ، لكن

رؤساء القبائل العربية العاملة في البحر يتطلبون مراقبة دائمة ، وفضاً سريعاً حاسماً وعادلا لخلافاتهم البحرية والا فسيعودون الى اسلوبهم القديم

٣ — ما زالت تجارة الرقيق قائمة .

٤ — أما التجارة ، التي كان يفكر فيها على نطاق محدود في الماضي ، فيتوقع لها ازدياد مطرد ومتعاظم ، وقد كانت التجارة هنا — وستظل — تتكون من بضائع تدخل الخليج في سفن محملة قادمة من اوروبا ،ومن اقاليم الهند شرقاً ، ومن الهند نفسها ... الخ ، ومن بضائع على سفن وطنية تأتي من غربي الهند ومسقط وشرق افريقيا ، ومن خط عدن على ساحل شبه الجزيرة العربية ، ومن بضائع في قوافل تأتي من مشهد وهراة وغيرهما من المواقع في جنوبي آسيا الوسطى عبر سيد الى بندر عباس ، المنفذ الطبيعي لكل هذه التجارة ، وكذلك من بضائع تأتي في قوافل عن طريق طهران واصفهان وشيراز ، ومنها الى بوشهر ، ومن بضائع هابطة في دجلة — سواء في البواخر النهرية او في القوارب — الى البصرة ، وهناك يعاد شحنها على بواخر بحرية او سفن تهبط بها الى الخليج . ومن تجارة اللؤلؤ والاسماك في الخليج نفسه .. خاصة على طول شواطئه الغربية والعربية ، ومن تجارة التمور وغيرها من البضائع القادمة من — او الذاهبة الى — موانيء الساحل الغربى الممتدة بين الكويت او القرين شمالا ورأس الخيمة غرباً .

٥ — وقد انشئت المقيمية اولا في بوشهر ، ربما لاسباب سياسية ولان دواعي الامن لم تتوفر آنذاك لانشائها على الساحل العربي المقابل ، الذي كان مشهوراً بمناخه القاتل .

٦ — ونظرة الى الخريطة ترينا ان بوشهر لم تكن — جغرافياً — افضل الاماكن الملائمة لتحقيق الاهداف التي انشئت المقيمية لتحقيقها . فواضح — بالنظر الى تواجد قراصنة البحر على طول الساحل الغربي الاسفل للخليج ما بين القطيف والبحرين ورأس ماسندم — انه لو كان اختير

للمقيمية أي موقع على طول هذا الساحل لكان أفضل ولا شك من بوشهر شريطة أن يكون مناخه واوضاعه السياسية مواتية .

٧ — ان حقيقة كون بوشهر اختيرت بغير عناية من وجهة النظر البحرية يدل عليها ان الاسطول قد وجد لنفسه موقعاً آخر لانشاء قيادته العامة ضارباً صفحاً على موقع المقيم السياسي ، وقد اختير موقع باسادور — على جزيرة قشم ذات المناخ الوخم ، وظل منذ ذلك الحين يحتفظ بقيادة الاسطول هناك علماً بأنه ليس لنا — فيما اعتقد أي تخويل شرعي بذلك باستثناء اذن شفهي من امام مسقط الذي تنازل لايران عن حقوقه في قشم بموجب معاهدة عقدها مع ايران سنة ١٨٥٦ تخلى بعدها عن مطالبه بالسيطرة على الجزيرة مستأذناً من الشاه استئجارها عدداً محدداً من السنوات . وفي اليوم الذي يزغم فيه ان استئجاره الجزيرة قد انتهى يصبح احتلالنا لباسادور موضع سؤال مرة أخرى . ان طرق بوشهر ليست صالحة لملاحة السفن ، وهذا واضح من حقيقة ان مرساها ضيق وضحل ووسائل اتصاله بالساحل عن طريق القوارب بطيئة ومضطربة واحياناً تتوقف لعدة ايام متوالية . فالمرسى يبعد عن الساحل حوالي اربعة أميال ..

٨ — ونظرة ايضاً الى الخريطة توضح لنا ان بوشهر ليست افضل مكان لمكافحة تجارة الرقيق . فالنقطة الاستراتيجية التي يمكن منها مكافحة هذه التجارة (هذا لو أمكن القضاء عليها بالقوة) هي ذلك المضيق الضيق بين رأس جاشك ورأس مسندم في مدخل الخليج ذلك بأن رسو سفينة بحارية هناك ، وقواربها منتشرة حولها ، يضمن مراقبة كل الاساطيل الداخلة الى الخليج بيسر أكثر مما تستطيعه عشر سفن تطوف في الخليج وراء كل سفينة تستطيع بمجرد دخولها الى الخليج ان تلازم الابحار على الساحل الضحل وتصل لموانيء الرقيق الملاصقة .

٩ — ومن وجهة النظر الحربية ، فان موقعاً مثل رأس مسندم له من الافضلية على بوشهر ما لجبل طارق من ميزات في البحر المتوسط

على موقع في الجزائر او في تونس .

١٠ ــ ولأن الاتصال التلغرافي قد تم الآن ، ولأن من المناسب ان يكون له موقع هنا او هناك ، فيجب على الموقع ان يكون ــ في حالة قطع الاتصال من اي من الجانبين ــ بحيث يوفر الاتصال عوضاً منه بطريق البواخر.. وذلك بالنسبة للمقيمية ومواقع تخزين الفحم على السواء.

١١ ــ ولأن مخازن الفحم امر مهم ، ولا بد ان تتزايد اهميتها مع نمو التجارة وتعاظمها فاننا نشير بأن يكون موقع هذا المخزن عند مدخل الخليج للاسباب الآتية :

توفير جهد ناقلات الفحم وتلافي تعريضها للمخاطر والتأخير ، وكثرة التكاليف باضطرارها للابحار صعداً في الخليج امام ريح غير مواتية واوقات ندرة هبوب الرياح الغربية ، ان كمية الفحم التي تمون بها أي باخرة عند مدخل الخليج (مهما زادت) لا بد ستكفيها الى اقصى مدى لرحلتها حتى بوشهر او القرنة مع العودة . ومدخل الخليج هو النقطة الاولى التي تصلها اية باخرة قادمة من مسافة بعيدة ، حين هي أحوج ما تكون للتزود بالفحم . ومدخل الخليج ايضاً هو منتصف المسافة بين جزر الهند الغربية والبصرة . كذلك فان اعظم صعوبة تواجهها اية سفينة ــ وهذه خبرة مستفادة من تجارة الخليج ــ ليست في الوصول الى مدخل الخليج بل في صعود الخليج وهبوطه ، ويمكننا بالتالي ان نتوقع ــ مع نمو التجارة ــ ان نساعد على هذا النمو بنقل البضائع بسفن شراعية الى رأس موساندوم ومنها توزع حول الخليج ، او يصعد بها في خط بواخر دجلة ، وبنفس الطريقة تجمع البضائع على طول شطآن الخليج ، ويعاد بها الى الميناء المركزي في مسندم ليجري تحميلها من هناك الى الخارج .

١٢ ــ وكذلك فان الاعتبارات السياسية لا تجعل الارض الايرانية صالحة لاهداف اقامة مقيمية ومحطة تلغراف ومخزن فحم وميناء حر للتجارة ، فمواقع الخليج الاخرى أكثر صلاحية لتلك الاغراض :

صحيح ان للايرانيين بعض المزايا ، لكنهم غيورون وضيقو العقول أكثر من اي شعب رأيته خلال ترحال دام اثنين وعشرين عاماً . وكل حكومات العالم تقريباً تقدم امتيازات للممثلين الاجانب المشتغلين بتجارة الجملة .. ولكن ما حقيقة الوضع في بوشهر ؟ .. انهم لم يكونوا يسمحون للمقيم بأن يبني لفنسه منزلا ، رغم اهمية المنزل لصحته ، وحين رفعت المسألة الى انجلترا سمحوا للمقيم بأن يبني منزلا لا يزيد على حجم خيمة ، وقد غامر طبيب المقيمية ايضاً فبنى له منزلا ، فهدم بيته بأوامر من الحكومة الايرانية ، دون مراعاة لشأن المقيم ، وانا اقدم هذه الحقائق فقط توضيحاً لعلاقاتنا السياسية مع ايران بعد اربعين عاماً من التعامل الديبلوماسي والنفقات الباهظة ، واذا سمح لي ان اقرر الحقيقة المجردة على ضوء خبراتي في السفارة بطهران وفي هذه المقيمية ، فانني أقول بأن ايران لن تساورها الثقة ابداً ببريطانيا طالما ظلت الاخيرة تهاجم ايران كلما حاولت ان تعتدي من ناحية الشرق وطالما ظلت بريطانيا متمنعة عن عقد حلف دفاعي مع ايران من ناحية الغرب (تركيا) وما دام الحال كذلك ، فان علاقاتنا بايران قد تتشوش فجأة وبدون سابق انذار ، ولقد تعمد عندئذ تحت تأثير خوفها من روسيا ، او بسبب من مزاجيتها الى قطع اتصالاتنا مع الخليج بتشريعات تسنها وقبل ان تستطيع القوة او الديبلوماسية انقاذ تلك المواصلات .

١٣ — انه في الوقت الحالي ونحن نتدارس سائر علاقاتنا بدول منطقة الخليج ليحسن بالحكومة ان تخصص من وقتها لتضع حلا نهائياً للمشكلات الآتيه :

أولا : المركزية المتمثلة في وجود ميناء حر تتركز فيه التجارة ، ويعاد فيه شحن السفن ويتم فيه افضل توزيع ممكن للبضائع القادمة بعد نقلها الى سفن صغيرة .

وثانياً : في وجود مركز بنفس الموقع للاتصال التلغرافي ، يوفر توفيراً فعالا مواصلات بالسفن البخارية في حالة انقطاع كوابل

التلغراف لسبب من الاسباب .

ثالثاً : يكـــون نفس هذا المركز انسب مكان لانشاء المخـــازن الرئيسية للفحم .

رابعاً : ويكون كذلك انسب موقع للشرطة البحرية المشرفة على امتداد ساحل القراصنة ، وكذلك انسب مكان يؤمن سرعة الاشراف على منازعات القبائل العربية المشتغلة بالبحر ، وبحد ادنى من تكاليف الوقود ، ودون ان يكون على المقيم ان ينتقل الى مكان يبعد كثيراً عن مقر عمله الرسمي .

خامساً : ويكون ايضاً احسن موقع يمكّن المقيم في الخليج من الانطلاق السريع لمعالجة شئون مسقط والخليج ، فاقاليم مسقط مختلطة اشد الاختلاط باقاليم الايرانين والعرب وعلاقاتها السياسية متداخلة معهم اشد التداخل . ولذا فمن الواضح انه افضل من وجهة النظر الاقتصادية — حتى لو استبعدنا بقية الاسباب — ان تكون هذه العلاقات جميعاً تحت اشراف رئاسة واحدة .

سادساً : ان يكون الموقع صالحاً ليصبح مركز اشعاع حضاري وسط خضم الهمجية على طول شاطىء العرب ، يتغلب على هذه الهمجية باستخدام الاساليب اللطيفة والصحية — والطبيعية — لغرس الحضارة ، واظن انكم تجدون ان هذه الوسائل ستكون اقوى واكثر ثباتاً واجل فائدة واعظم نجاحاً في قمع تجارة الرقيق والقرصنة من كل السفن الحربية والانذارات والزيارات الرسمية التي يقوم بها مقيمكم هناك(١).

سابعاً: ان يكون مضموناً عملياً وبقدر الامكان من المشكلات السياسية.

---

(١) (لاحظ الغطرسة والروح العنصرية لدى هذا الموظف البريطانى والتى يعكس بها أراء فجة لاتمت الى الحقيقة بشيء ، كما ينسى أن الذين ملؤا مستعمراتهم في أميركا بالرقيق — وفي ذلك الوقت بالذات — لم يكونوا عربا .« المترجم ») .

ثامناً : ان نمنح فيه حقاً غير منازع بالملكية .

تاسعاً : ان يوفر الرعاية الصحية الكافية والماء النقي ووسائل الامدادات والتموين بقدر الامكان .

عاشراً : ان ييسر رسو السفن بهدوء وسلامة .

حادي عشر : ان يجعلنا – في حالة الحرب – قابضين عملياً على ناصية الخليج ، مداخله ومخارجه .

وفي رأيي ان موقعاً ما بالقرب من رأس مسندم – في ارض حليفنا سلطان مسقط – تتوفر له كل هذه الاعتبارات التي اشرت اليها ، ويجب ان يكون بهذا الموقع ميناؤنا ومقيميتنا السياسية ومحطة تلغرافنا الرئيسية ، ومخزن تموينا الرئيسي بالفحم ، وموقعنا المركزي لمكافحة تجارة الرقيق ، ونقطة انطلاق عامة لنفوذنا في منطقة الخليج ، على ساحل القراصنة وعلى غرب مكران وعلى ساحل مسقط .. هذا الى جانب ملاءمة المناخ هناك الى حد كبير .

وقد وصل الملازم ستيف – من البحرية الهندية – مؤخراً الى بوشهر ، وابلغني ان هذا الموقع يمكن اتخاذه غربي مسندم وانه قام منذ عدة أسابيع – حين كان يؤدي عمله في مركز التلغراف – بزيارة لمكان اسمه – على ما اذكر – راس شيخ ، وهو مكان يمتد منحدراً كاللسان حتى ينتهي بارتفاع قدره حوالي الف قدم ، به مياه نظيفة واراض يمكن زراعتها ، وبه ميناء فسيح تحاصره الارض ، ويؤدي الى مضيق ارضي يبلغ اتساعه حوالي ٤٠٠ ياردة ، وعلى الجانب المقابل له خليج آخر يطل على شرقي مسندم .

وأنا أعتقد ان هذا الموقع –اذا كان صحياً بما يكفي–هو انسب موقع لمقيميتكم في الخليج ومسقط ، ومنه يمكن ادارة العمل السياسي بشكل افضل من ادارته من بوشهر ومسقط كل على حدة . وعلى اية حال فانه في هذا المنعطف الهام من شئون الخليج يحسن بالحكومة ان تجشم نفسها بعض

الجهد وان تنفق بعض المال لتختبر مناخ المنطقة المحيطة برأس مسندم خلال فصل الصيف القادم .. وانا على يقين من استعدادي شخصياً للقيام بدور في هذه التجربة .

و اخيراً ... اذا راقت لكم هذه الخطة التي اقترحها ، فانني اعتقد اننا لن نخسر الكثير في بوشهر ، من الناحية التجارية . وحين يصل خط مواصلات الخليج ودجلة حده الاقصى من التطور ، فلن تستطيع بوشهر ان تستوعب من التجارة شيئاً أكثر مما يتعلق بالمنطقة المحيطة بشيراز . اما من الناحية السياسية ، فان بوشهر تشكل جزءاً من مهام بعثة صاحبة الجلالة في طهران — وانا اظن ان ادارة الشركة لا تفيد الكثير من وجود المقيمية في مدينة بوشهر ، حيث لا يوجد سوى القليل من الاعمال الهامة ، وحيث لصغار الموظفين اشاعات وإرجاف واهواء تضارّ بها مصالح الشركة على المدى الطويل . ويمكن ان تباع مقيمية بوشهر او تنقل كما تهوى الادارة العامة للشركة وكل الخسارة التي قد تنجم هي مجرد بعض الاشياء التي يرتاح لها المقيم بما فيها نزهاته للترويح عن نفسه في الجبال القريبه .

أما المكاسب الرئيسية فهي واضحة على أية حال من قراءة هذه الخطة المقترحة ، والخريطة توضح المكاسب في المستقبل في حالة طروء أية ازمة في خطوط مواصلاتنا في البحر الاحمر » .

الخطاب رقم ٢ — أ المؤرخ في ١ فبراير ١٨٦٣ :

«١— في مذكرة ملحقة بخطابي رقم ١ — أ المؤرخ في ١٣ يناير ١٨٦٣ اقترحت تركيز مبنى المقيمية في الخليج ومحطة التلغراف الرئيسية ومخزن الفحم جميعاً في موقع بالقرب من راس مسندم حيث يمكن هناك اقامة ميناء حر في موقع يتوسط بين طريق نقل العبيد على مدخل الخليج وبين ساحل القراصنة .

٢ — وقد لخصت في مذكرتي تلك بعض الحجج الرئيسية التي تؤيد

تلك الخطة ، وحين أعملت تفكيري في الامر بعد ذلك ازداد اقتناعي بأنه من المتيسر للحكومة ان تقيم — اذا اثبت ان المناخ في منطقة رأس مسندم محتمـــل — مستوطنة يمكن ان تصبح بفضل مركزها الجغرافي وفي ظل حكم متحرر فائقة الأهمية قبل مضي سنوات طويلة ، كما ان من شأنها ان تؤدي الى اكتساب مصالحنا ومركزنا بشكل عام في منطقة الخليج طابعاً خاصاً بها الى جانب مزيد من التنمية لا تتيسر لها جميعاً في الوقت الحالي .. ولن يتيسر لنا تحقيق مثل تلك المكاسب الا اذا اتخذنا اجراء كهذا الذي اقترحته .

٣ — وانني اعتقد ان اقامة هذه القاعدة بالشكل الذي اقترحته سيثبت انه افضل اجراء عملي ممكن لمنع قوافل سفن الرقيق من دخول الخليج ، وكذلك وقف القرصنة والاضطرابات البحرية ايضاً في منطقة الخليج ذاتها ، وتحضر القبائل العربية البحرية ، ومد نفوذ سليم لنا في جزيرة العرب من ناحية وفي مكران الغربية من الناحية الاخرى ، كما انها ستوفر للمشتتين هنا وهناك من تجار هنود وسواهم ملجأ آمناً يمارسون فيه تجارتهم بحرية كاملة . واخيراً سيكون هذا الميناء المقترح حافزاً وانموذجاً تحتذيه حكومات الخليج في انشاء الموانىء المزدهرة وبذلك يكون عليها الاختياربين تقليد نظامنا هذا او خسارة تجارتها وكسادها .

٤ — واذا وافقت الحكومة على هذا الاقتراح ، فمن المسائل التفصيلية التي يجب النظر فيها ما يلي :

أولا : ضرورة الحصول من سلطان مسقط على تصريح كتابي واضح بملكية الموقع الذي ستشغله المستوطنة ، وانا اقترح ان يعهد بهذه الاعمال التمهيدية الى ايد ثابته وخبيرة حتى يمكن اعداد كل شيء بسهولة ويسر . اما اذا حدث زيغ او خطأ في هذا الجزء من العمل فلا شك في ان العمل كله سيتأخر كثيراً .

ثانياً : يجب فحص الاماكن المجاورة لمسندم فحصاً دقيقاً . وذلك لاختيار موقع ملائم لتلك الاهداف التي ذكرنا بالنسبة لامداد المياه وسعة الارض وملائمة الموقع والمرفأ الهادىء المحاط باليابسة .

ثالثاً : يجب تمهيد الارض مسبقاً وبعناية تكفلان استيعاب الاحتياجات المستقبلية فينبغي مثلا رص المحال العامة والمكاتب قدر الامكان وبكيفية تحول دون وقوعها تحت اطلالة موقع بري اوبحري يعلوها ويجب المسارعة لغرس الاشجار او نقلها من الاماكن المجاورة على طول الطرق المقترحة وبالقرب من مجارى المياه دون اضاعة الوقت ، ويمكن الاستعانة بالعبيد الذين تم عتقهم في هذه الاعمال ،وكل يتقاضى حوالي ٣٠ روبية فيالشهر .

رابعاً : وما زال ما بقي من بيوتنا القديمة في المعسكرات في بوشهر صالحاً للعمل كما قيل لي في بومباي ، وهذا ايضاً يمكن الانتفاع به .

خامساً : يجب وضع العلامات المتحركة في الميناء لارشاد السفن ، وان يعين مرسى — بعيد بعض الشيء — خاص برسو سفن صاحبة الجلالة فقط .

سادساً: يمكن —اذا كان هذا الاقتراح عملياً—ان ارى شق طريق كما اتفق(١) يمتد من موقع المستوطنة موازياً للخط الساحلي على طول ما يسمى بمدن القراصنة وحصونهم . كما يجب ايضاً اقامة نزل جيد لدى نهاية هذا الطريق في الموقع نفسه يصلح لنزول كل المسافرين ، وفي ظني ان ما ينتج عن الطريق من تيسير التزاور بين قبائل العرب البحرية من جهة ، ونزلاء المستوطنة الاوروبين من الجهة الاخرى ، سيؤدي الى تحضير هؤلاء

---

(١) من النظرة العجلى التى القيتها أثناء طوافى بهذا الساحل في سنة ١٨٥٧ ، اخشى الا يمكن تنفيذ الطريق بين خليج الفنستون ورأس الخيمة . لكن هذه المسافة قصيرة بطريق البحر ، والساحل من رأس الخيمة امتدادا الى الشمال على طول ساحل القرصنة صالح لشق طريق فيه .

الناس اكثر من اي سبيل آخر ، كما سيفتح ابواب جزيرة العرب امام التجارة والتقدم بما يفوق كل الزيارات الرسمية التي قد يقوم بها المقيم في بوشهر ، وسائر الزيارات السنوية التي قد تمت قبل سنة ١٩٠٠ ، فلا شك ان شيئاً من الخميرة يخمر العجين كله وان الحياة الصحية السليمة بطبيعتها تطارد المرض وتقضي عليه .

سابعاً : ويجب ايضاً اعلان عن هذا الميناء الحر ، وضرورة فتح أبوابه لاقامة كل الناس من كل الشعوب دون شرط الا دفع ايجار او ثمن الارض التي يقيمون عليها ، وان يخضعوا كرعايا لاية اجراءات محلية تفرضها هذه الجماعة على نفسها .

ثامناً : ولسنا بحاجة الى اقامة اسوار على الطريقة التركية ، او نصب الآلات القاذفة للنيران ، ويجب ان يكون دخول المسموح لهم بزيارة المستوطنة دون سلاح ، واذا حدث تمرد او شيء كهذا ، فيجب ايقاع العقاب الرادع بحزم لا يفسح مجالا لمجرد التفكير في رد فعل ثأري .

تاسعاً : ويجب ان يخول الضابط المسئول عن المستوطنة السلطات كاملة حتى يستقر كل شيء ، ولن يكون امامنا فرصة للنجاح اذا أتحنا لصغار المسئولين والموظفين — سواء المقيمين او المتواجدين على السفن بالمماحكة ، والاعتراضات الجدلية على احكام الضابط المسئول .

عاشراً : ويجب ان تتكون القوة البحرية من سفينتين بخاريتين صغيرتين . وعلى المستوى البعيد ستكون السفن المزودة بالماكينات ارخص واقدر على العمل . ويجب الا يكون في هذه الترسانة المسلحة الصغيرة مكان للقب الكومودور او الضابط البحري الاول (وهذا اللقب الاخير ما هو الا تسمية أخرى للكومودور ، ولا اثر له أكثر من التنغيص على الضابط المسمى به بجعله شديد الحساسية على كرامته) . وعلى جميع السفن ان تخضع لضابط المستوطنة ويجب ان تظل تحت تصرفه سواء لمكافحة الرق او للاتصال التلغرافي او مكافحة القرصنة او نقل الرئيس

الى امكنة أخرى في الخليج او للقيام بجولات مختلفة لتحقيق السلم على طول شواطيء اللؤلؤ . ويجب ان تقتصر الحركة على احدى السفينتين بينما تظل الاخرى راسية في الميناء ومستعدة لمواجهة الطوارىء .

حادي عشر : يجب ان تقتصر مهام الادارة العامة وموظفيها في المستوطنة على تذليل المصاعب ، وتحقيق السلم وحماية التجارة الى الحد الذي يساعد على تنميتها وسلامتها ، واقامة مشروعات عامة مربحة كمكاتب التلغراف والبريد والجسور والابار .... الخ اما الامور الاخرى فيجب ترك المستوطنة لنفسها لتستوفيها بمجهودها الذاتي الحر .

ثاني عشر : ويجب ان تكون مسقط – التي تتداخل مصالحها واراضيها بما حــول مسندم – جزءاً من مسئولية قادة المستوطنة ، وينبغي ان يكون هناك وكيل وطني في مدينة مسقط ، ويمكن للمقيم الحالي في الشارقة ان يتحول للاقامة في المستوطنة .

ثالث عشر : يجب ان يكون هناك نائب قنصل تابع للوزير في بوشهر ، ومع تبعيته لوزارة الخارجية الا انه يجب – فيما يتعلق بشئون الخليج – ان يكاتب الرئيس في مســندم .

٥ – وفي اعتقادي ان هذه المستعمرة يمكن ان تزدهر اذا تولاها أي مسئول يديرها بعقل وحصافة ويترك الحرية للناس لادارة شئون تجارتهم .

وربما كان من الافضل تسليم شئون المستوطنة لموظف تلقى تدريباً في الادارة العامة فهو خير من مجرد ديبلوماسي اوعسكري فقط ، فالاول عادة ميال لان لا يرى لزوماً لشيء يفعل بعد ان يكتب آخر كلمة في خطابه ، والثاني قد ينسى عادة بأنه لا يمكن ان يكون هناك تعايش بين القانون العسكري ، وقانون التحقيق في سبب الاعتقال» .

ولا يبدو ان هذه الاقتراحات المستفيضة التي اعمل فيها الكولونيل بيللي فكره طويلا قد لقيت اهتماماً من السلطات العليا ، ولو لقيت منهم

هذا الاهتمام لكان محتملا ان يتغير التاريخ التالي للخليج كله .

تقارير كولونيل بيللي في المشاكل السياسية والتجارية ١٨٦٦-١٨٦٩ :

كما كان الكولونيل بيللي ايضاً مؤلف سلسلة من التقارير الهامة عن التجارة في الخليج من جوانبها السياسية ، ومن هذه التقارير نقتبس النصين التاليين :

الخطاب رقم ٥٥ المؤرخ في ١٢ مايو سنة ١٨٦٦

١ - اود في البداية ان اذكر ان الحالة في الخليج هادئة والتجارة منتعشة بشكل عام .

٢ - ومع ذلك ، ومع ما قد اتهم به من محاولة اقحام سياستي المحلية هنا على السياسات العليا للشركة فانني سأجازف بالقول انه لا يمكن ان تعتبر حدود مسئولياتي الان هي نفسها التي كانت من قبل . تذكرون انكم عندما بدأتم تمثيلكم لمصالحكم هنا كانت حدود اهتماماتكم تتخطى السند والبنجاب لكن نفوذ ادارة الشركة الاوربية ما كان يصل الا نادراً الى آسيا الوسطى ، فلم يكن البخار معروفاً آنذاك ، وكانت تجارتنا تنقل عن طريق السفن الوطنية الى شواطئنا ، او فيما بينها وبين انجلترا عن طريق سفننا الشراعية ذات الاربعة صواري . وكنتم من ذلك المنطلق تنظرون الى مصالحكم ، ولم يحدث أي تغير ثوري في تلك النظرة اذا استثنينا قمع القرصنة بفصيل من البحرية الهندية .

٣ - وحين وصلت الى الخليج في نوفمبر سنة ١٨٦٢ ، لخصت لي الحكومة مصالحها التي تهتم بها في الفقرة التالية ، انها كانت تنطوي على التقلص وليس على التوسع والامتداد في هذه المناطق ، وطبيعي ان تلك النظرة كانت تمليها اعتبارات التوفير والاقتصاد وهذه هي الفقرة المشار اليها : « يبدو لصاحب السمو الحاكم ان المصالح البريطانية .. على الشواطىء الايرانية للخليج تكون ممثلة جداً بتعيين مقيم سياسي

له سلطات القنصل في بوشهر ، عوضاً عن مقيم ومساعد مقيم ، كما ان تخفيض منشآت البحرية الهندية في الخليج ، سيرفع عن كاهل المسئول السياسي في بوشهر جزءاً كبيراً من مهامه كمأمور لدفع النفقات . كذلك وظيفة امين الصندوق (١٢٠ روبية في الشهر) يمكن الغاؤها ، ويمكن للمحاسب ان يتولى عمل امين الصندوق بالاضافة الى اعماله الاساسية » .

٤ — غير ان الاحداث كشفت — فيما بعد — عن ان مصالحنا تماماً في تلك الفترة اخذت تقفز فجأة لآفاق أكثر من المتوقع ، فبينما كان اجمالي

قيمة التجارة من والى بومباي ومدراس وكلكتا	٣,٠٠٠,٠٠٠
من والى باتافيا ، سنغافورة والموريشيوس	١,٥٠٠,٠٠٠
الى ومن كراتشي والبحر الاحمر	٥٠٠,٠٠٠
المجمـــــوع	٥,٠٠٠,٠٠٠

سنة ١٨٤٦ اقل من نصف مليون استرليني فاقت الآن خمسة ملايين ، ولقد تبين للمقيم البريطاني الذي كان مفروضاً ان تنحصر مهام وظيفته على الشواطىء الايرانية ان اهم اعماله واثقل اعبائه هي في الشاطىء العربي .

ولقد أدى الغاء وظيفة مساعد المقيم الى ان يلقى على عاتق المقيم ايضاً تلك الاسفار العديدة الـتي كان بوسـع مساعده ان يقوم بها .. وهكذا تجدون ان معظم الفترة التي قضيتها في عملي كمقيم كان فوق ظهور السفن او في العراء حسب المبين على الهامش .

من ٢٢ فبراير الى ٢٣ مارس سنة ١٨٦٣ ،
من ١٥ يوليوالى ١٠ سبتمبر ١٨٦٣ ،
من ٢ ديسمبر ١٨٦٣ الى ١١ يناير ١٨٦٤ ،
من ٣ الى ٣٠ سبتمبر ١٨٦٤ ،
من ١٢ يناير الى ٢٥ مارس ١٨٦٥ ،
من ٣٠ مارس الى ٢٢ ابريل ١٨٦٥ ،
من ١٤ اكتوبر الى ٢١ ديسمبر ١٨٦٥ ،
مـن ٢٨ ديسـمبر ١٨٦٥ الى ٢١ ابريل ١٨٦٦ ،

كما ادى تخفيض البحرية الهندية ايضاً الذي قصد به رفع بعض العبء عن كاهل المقيم الى الا يجد امامه سوى نفوذه الشخصي والادبي ليسوي به الخلافات على طول ساحل يبلغ أكثر من ١٥٠٠ ميل، بين قبائل كانت لا تنضبط سابقاً الا بالقهر او تظل خارجة على كل قانون، اما القسم المالي، الذي تخلص من المدفوعات العسكرية، فقد القي على عاتقه عبء محطات التلغراف وغيرها من الاعمال المتنوعة . وقد ثبت ان فكرة تخويل المقيم صلاحيات قنصل غير مسموح بها طبقاً للاتفاقية التعاهدية القائمة مع ايران . وفي حقيقة الامر ليس هناك على مدى معرفتي اي قانون تشريعي او قرار حكومي استند اليه في تطبيق اية سلطة قضائية ، او استند اليه في الممارسة العملية لمهام وظيفتي كمحكم في خلافات خرق الهدنة البحرية . وفي نفس الوقت الذي زاد فيه تطور مواصلاتكم البرقية ، افتتحت الخطوط البريدية والبخارية وزاد ايضاً نقل البضائع والمسافرين . وقد ادت ازمة القطن في بومباي الى قفزة مفاجئة في تصدير القطن الايراني الى مئة ضعف عن ذي قبل . وقد تبين ايضاً انه لو فرضت بومباي ضريبة قدرها ١٦٠٠ روبية عن كل كيس من الافيون ، فان ايران ستقدم افيوناً من نفس الدرجة ودون ضريبة على الاطلاق وهكذا نشطت التجارة مع الصين عبر باتافيا . ويبدو ان زراعة القطن المنتشرة هنا بدأت تتناقص ، كما تبين ايضاً ان زراعة القمح بامتداد ساحل الخليج تستطيع ان تسد احتياجاتنا ، ومن هنا نشأت مجدداً تجارة القمح ، وفي نفس الوقت تواصل روسيا مد خطوط تلغراف في الشمال ، كما يتقدم الاوروبيون بافكار حضارية ومشروعات ينفذونها . ومع كل هذه المستحضرات بجيء وكلاء وخبراء يؤدي الاحتكاك بهم الى فتح آفاق جديدة لاذهان الشرقيين تملأ نفوسهم قلقاً وانفعالا . والنتيجة العامة لهذا كله في الوقت الحاضر هي حالة من السخط النسبي والتساؤل يمكننا ان

نسميها بلا مبالغة اتجاهاً ثورياً راد يكاليا يتطلب من كل السلطات المعنية مزيداً من الرقابة والتأهب كان من الممكن تلافيهما لو ظلت المنطقة على حالها من التخلف الاجتماعي والسياسي ، ومن هنا ينطلق جوهر تفكيري.

٥ — ومن الناحية الاخرى ، فانا ادرك الحجج التي تساق لدعم الرأي القائل بعزوف بريطانيا عن اية علاقات في الخارج ، وقصر جهدها على تحصين وضعها وراء حدودها عند نهر الاندوس . غير انني اعتقد ان الدول شأنها شأن الافراد تحتاج اذا ارادت ان تعيش دائماً وحيدة معزولة الى حزم فوق طاقة البشر وقوة غير محدودة ، ولقد ينجح الفرد حقاً في العزلة اذا توفرت له الطاقة داخل نفسه ، لكن حياة الدولة تقتضي عدداً متتابعاً من الحكام ، واذا جاء حاكم فلم يجد في نفسه تلك السمات التي بنيت عليها سياسة من سبقه ، فمحتمل ان تخاطر الدولة لاستعادة نموها الطبيعي باستخدام القوة لتعويض ما يكون قد ضاع عليها من ذلك النمو .

« جانب من الخطاب رقم ١٠٤ المؤرخ في ١٩ يونيو ١٨٦٩

١١ — ربما كانت الحكومة على علم بما اكدته فرنسا من مقاصدها لفتح خط اتصال من السويس الى البصرة بمجرد افتتاح قناة ديلسبس(١) ، وحسبما علمت قام وكيل فرنسي مؤخراً بجولة من مسقط الى شط العرب وقدم تقريراً عن التسهيلات التجارية في منطقة رأس الخليج .

١٢ — وهناك ايضاً احتمال لمد خط حديدي يوصل به خط مواصلات نهرية وقنوات بين رأس الخليج والبحر المتوسط . وقد قمت مؤخراً بمحادثة هامة حول هذا الموضوع مع مدير الشئون العامة التركي في باشوية بغداد .

---

(١) واضح انه يعنى بها قناة السويس التى افتتحت للملاحة في نفس السنة . (المترجم).

١٣ — ولا يستطيع دارس لموضوع التجارة ، ولتطور سير الاحداث السياسية منذ الوقت الذي بدأت فيه عملي في السند سنة ١٨٤١ ، ان يتجاهل الاهمية القصوى لخط يربط كراتشي بأوروبا عن طريق ما يسمى خط الفرات ولا يشترط فيه ان يكون عبر ما يسمى الآن بخط الفرات تماماً بغير انحراف عنه ، وقد يستخدم فيه طريق نهري دجلة والفرات ، وقد تستخدم النهيرات والقنوات ، وقد تستخدم هذه جميعاً ، مع وجود وصلات بينها للسكك الحديدية .

١٤ — ولا احب ان ازعج ادارة الشركة باحصائيات تفصيلية لانني اعرف كيف تضلل الارقام ما لم تكن مبنية على حسابات سليمة ومثل ذلك بالنسبة لتجارة هذه المنطقة غير متيسر الان .

١٥ — غير ان التزايد المستمر في عدد البواخر ، والتناقص النسبي في عدد السفن الوطنية ، ورضى التجار ، وازدياد اسعار النقل على ظهور البغال وزيادة عدد المساكن الصالحة للسكنى في الموانىء ، والارتفاع المطرد في أسعار استئجار الخيول .. كل هذه الاشياء وان كانت لا تسد مسد الاحصاءات الدقيقة الا انها حقائق لا شك في وجودها ، وهي ايضاً لم تكن لتوجد الا مع انتعاش التجارة ، سواء قيدت عنها ارقام احصائية أو لم تقيد .

١٦ — ومن الناحية الاخرى ، لا يجب ان ننسى ابداً ان هذا الخط يعتبر فذاً من ناحية هامة الا وهي بينما نرى الحضارة والتجارة تزدهران بأكثر مما كنا نتوقع ، فان الامور باتت تتطلب من الناحية الاخرى رقابة دائمة على طول الساحل القبلي العربي الذي تعود اهله منذ الازل ان يعيشوا ويد كل منهم مرفوعة للعدوان على جاره . وعملية المحافظة على السلم البحري بين الزعماء الاقوياء لهذه القبائل على الساحل عملية ليست لهواً ولا لعباً . فليس الامر ان مجرد ظهور رجل عسكري كفيل بانهاء الخلاف ، ان المطلوب دائماً هو عملية عنف وضغط موحد . ومكانة

المقيم كمحكم في هذه الخلافات البحرية اشبه شيء بمكانة قائد يقف للدفاع عن حدود بحضارة زاهرة في وجه بدو برابرة . ان مثل هؤلاء لا يمكن اعادتهم الى النظام والانضباط بعمل حامية متجولة ، او عمليات ثأرية عارضة ، ولكن يحتاجون لنقاط حدود ثابتة ضاغطة مستعدة في كل لحظة لوقف الغارات ، وشد ازر اصحاب النوايا الحسنة المحبين للسلام . وسيأتي وقت على القبائل التي تعامل بهذه الطريقة تؤمن فيه بأن هدف هذه الدولة المتحضرة ليس القمع والعدوان .. بل هدفها هو الصالح العام الذي يعني تحقيق السلم والتقدم . وسيأتي عليها وقت ايضاً تعرف فيه ان الغارات اوعمليات القرصنة محكوم عليها بالفشل مقدماً . ان قواربنا الخفيفة المسلحة قادرة على مراقبة وحراسة الشاطىء العربي ، وانا — باحترام —اوصي وصاية حارة بأن يتفضل الحاكم العام المعظم ، ويأمر بأن تبقى القوة البحرية الصغيرة المخصصة للخدمة في الخليج وخليج عمان تحت قيادة واحدة ، وان يسمح لهذه القيادة بأن تركز قوتها في مكان واحد ، او توزعها على مدى واسع حسب مقتضيات الضرورة . كما ان خطوط التلغراف الممتدة في هذه المنطقة سوف تتيح للمقيم معرفة كل ما يحصل في أي مكان .. وبشكل عام فان أقاليم مكران ومسقط هادئة تماماً والمنطقة الوحيدة التي تحتاج لاشراف متواصل هي الساحل العربي الممتد على شاطىء الخليج من رأس مسندم الى الكويت . لكن كل ما استطيع ان اقوله عن هذه الاتفاقية (هكذا في النص) يمكن ان تجدوه بشكل اوفى في مذكرات الجنرال الذي حاول لاول مرة ان ينعم النظر في مثل هذه المسائل الصغيرة،واني اشير الى كتابات المرحوم الكولونيل جون جاكوب) .

تقييد عمل المقيم السياسي في منطقة الخليج ١٨٦٢–١٨٧١ :

ومن قبل سبق ان اشرنا الى المشكلة الاولى التي وجد المقيم السياسي في الخليج نفسه فيها من سنة ١٨٦٢ الى ١٨٧١ ، وهي عدم وجود

قوة بحرية تحت امرته ، وواضح من النصوص التي سقناها ان كولونيل بيللي كان يحس بهذه المشكلة احساساً واضحاً وقد عبر عن هذا الاحساس غير مرة .. وكان هو المقيم الوحيد الذي واجهته هذه المشكلة . وفي رأيه انها زادت حدة نتيجة قرار صدر عن حكومة الهند سنة ١٨٦٥ في اعقاب تصرف عنيف من جانب بيللي في البحرين . وفحوى القرار المذكور انه لا يجوز للمقيم مستقبلا ان يصادر على مسئوليته سفن الاهالي . وبالاشارة الى هذا القرار كتب بيللي في ٢ ابريل سنة ١٨٦٦ التقرير التالي:

« ورغم انني عازف عن ان اثقل على الحكومة بهذه التفاصيل الصغيرة الا انني ساغامر بأن ارفق بعض نماذج للشكاوى التي تصل ممثلكم من اقاليم الساحل الممتدة بطول الخليج .. وانا لم اتعمد انتقاء هذه العينات التي ساقدمها .. انما اذكرها كما وردت لي يوماً بيوم .. وفي التقارير آلاف من مثل هذه الحالات .

ومن قبل ، كان بوسع المقيم ان يرسل سفينة من اسطول الخليج ، وعلى ظهرها وكيل او مساعد له ، ليحقق في مثل هذه القضايا ومعه تعليمات منه — اذا فشلت وساطته ولم يقبل احد تحكيمه — بحصار المكان او فرض الغرامة عليه او أي لون آخر من الوان العقاب . اما في ظل هذه الاراء الجديدة من جانب حكومة الهند ، فانا احس بأنه ليست لدي القدرة على اتخاذ اي اجراء تأديبي ، او فرض اية غرامة الا بتعليمات واضحة من الحكومة .

وفي نفس الوقت ، فانني بكل احترام ارجو تزويدي بالتعليمات بشأن الوسائل التي يجب علي اتخاذها ، والكيفية التي استخدمها بها بالنسبة للقضايا المعينة المرفوعة الي .

وعلى العموم ، فانني اخشى — على المدى الطويل — ان تجد الحكومة

من الضروري ان تعيد السلم في بحار الخليج ، وان تحمي اشخاص رعاياها وملكياتهم على ظهر السفن التي تقوم بالتجارة في اسواقه ، ولتحقيق هذا ، يبدو اساسياً ان يكون تحت يد ممثلكم في الخليج :

اولا : وسائل فرض قراره التحكيمي وتحقيق السلم .

ثانياً : إما حريته في العمل حسب مقتضى الحال او تعليمات صريحة واضحة بشأن الطريقة التي يستخدم بها الامكانات التي تحت يده .

ألوان من الشكاوى من ساحل الخليج

عن ترجمة فحوى خطاب مقدم من خميس بن عيسى السيهاتي الى المقيم في الخليج ، سلم في بوشهر بتاريخ ٢٨ مارس ١٨٦٦ :

« ارجو ان ابلغكم ان قارباً مملوكاً لي قد دمر في البحر بين البحرين والقطيف وقتل سبعة رجال كانوا على ظهره .. وهم يتهمون فيصل بارتكاب هذا العمل ، فقد وجد قلع القارب في حيازته ، وقد انكر فيصل قيامه بهذا العمل ، واتهم عبدالله العماني بارتكابه . وطلب عبدالله العماني – الذي كان مع فيصل وسمع اتهامه له – طلب حماية مشايخ البحرين ، والآن يطالب هؤلاء المشايخ بدية الرجال القتلى . وقد ارتكب هذا العمل في اعالي البحار ، وعلى هذا فتحصيل التعويضات عنه امر موكول اليكم ، وانا اطالب بدية هؤلاء الرجال السبعة ، واطالب بثمن القارب والشراع وهو يساوي ٥٥ دولاراً . كان من واجبي ان ابلغكم بهذه الحادثة ، لان عليكم تحصيل التعويض عن الحادث ولا عذر لكم في هذا الامر .. وانا صاحب هذا القارب خميس بن عيسى السيهاتي » ..

عن ترجمة خطاب من خالد بن سلطان — شيخ الشارقة — مؤرخ في ٢ رمضان سنة ١٢٨٢ (٢٠ يناير ١٨٦٦) ، سلم في بوشهر بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٦٦ :

« يقول ان سفينته من نوع (البغلة) هبت عليها عاصفة فيما هي قادمة من البصرة فاضطرت للذهاب الى عجمان للرسو هناك ولكنها ارتطمت بلسان صخري وقد نهبت حمولتها من قبل مجموعة من القوارب ولم يسترد منها الا القليل ، وحين اراد اصحاب البغلة تعويمها منعوا من ذلك ، فبقيت السفينة الى ان حطمها الموج ، وحاول اصحابها ايضاً انقاذ أجزاء منها فحيل بينهم وبين ذلك وهذا هو نظام البحر هذه الايام فان كان السركار يوافق على مثل ذلك العمل فليعلمنا واما ان كان يبغي انصافنا فنحن نطالب باسترداد كل ما اخذ من البغلة وكذلك بالتعويض عن كل خسارة اصابتنا منذ ارتطمت البغلة بالصخر » .

☘ ☘ ☘

من فحوى خطاب مترجم من محمود علي الى حاجي يعقوب وكيلنا في الشارقة غير مؤرخ وسلم في بوشهر في ٢٨ مارس ١٨٦٦ :

« ارجو ان ابلغكم ان آل بو سميط — وشيخهم سعد بن محمود قـــد هـــاجموا بعض رعاياي في ثلاثة قوارب على شاطىء اللؤلؤ ، وكسروا القوارب الثلاثة ، واعتدوا على بحارتها ، فكسروا فك واحد منهم . ونحن نعرف ان المقيم البريطاني (السركار) هنا هو سيد البحار . لا آل بو سميط . نرجو ان تبلغوا المقيم بهذا ، لاننا نستطيع ايضاً ان نفعل كما فعل آل بو سميط .. لكنها مسئولية السركار فقط ان يعيد لنا حقوقنا » .

من ترجمة خطاب محمود بشير — الذي يعمل وكيلا لنا في الشارقه — الى المقيم في الخليج مؤرخ في ١٣ شوال ١٢٨٢ (الموافق اول مارس ١٨٦٦) ، وصل في ٢٨ مارس ١٨٦٦ :

وفيه يذكر عجزه عن الحصول من شيخ عجمان على تعويض عن الاملاك التي نهبتها عصابة من عجمان من سفينة البغلة التابعة للشارقة وعجزه كذلك عن استرداد اجزاء السفينة نفسها وكذلك عن املاك بقيمة ٥٧٨٠,٥ قران لاهل لنجة و ٢١٠٠,٥ قران لرعايا انجلترا .

عن ترجمة خطاب من رئيس موجو الى الشيخ محمود بشير ، الوكيل في لنجة ، دون تاريخ ، وصل بوشهر في ٢٨ مارس ١٨٦٦ :

« هاجم آل بوسميط رجالي في البحر واطلقوا عليهم النار ، وأخذوا منهم أحد الغواصين بالقوة ، ومحمود بن نابر — الذي يحمل لكم هذا الخطاب — يستطيع ان يحكي لكم التفاصيل . »

☘ ☘ ☘

عن ترجمة لخطاب من محمود بشير — العامل كوكيل في الشارقة — الى شيخ لنجه مؤرخ في ١٣ شوال ١٢٨٢ (الموافق اول مارس ١٨٦٦) ، وصل في ٢٨ مارس ١٨٦٦ :

« طلب التعويض عن تحطيم أسنان احد رجاله ، وغواص واحد نقل بالقوة حين هاجم آل بو سميط هذا القارب ، ويقول انه قد قام بواجبه ، وابلغ المقيم .... ولا بد من ارسال سفينة حربية لتعيد الامن وتحصل على التعويض المطلوب » .

عن ترجمة خطاب من بني ياس المقيمين في جزيرة قشم ، مؤرخ في ٣ ابريل وسلم في بوشهر في ١٨ ابريل سنة ١٨٦٦ :

« ان هناك ٣٠ اسرة مستقرة في قشم تود بسبب سوء المعاملة ان تهاجر وتعود لبلادها ، ولكن شيخ قشم يرفض ان يسمح لها بالهجرة . فنرجو من المقيم ان يدبر امر السماح لها بالخروج من قشم ، فهي من رعايا بريطانيا » .

عن ترجمة خطاب من طرسو،بونيا مؤرخ في ٢٩ ذي القعدة سنة

١٢٨٢ (١٦ ابريل سنة ١٨٦٦) ، وصل بوشهر في ١٦ ابريل ١٨٦٦ :

« ابلاغ بأن سفينتهم – التي كانت تحمل بضائع للتلغراف اضرت بها العواصف فجنحت الى البحرين للاصلاح ، لكن الشيخ لم يسمح لهم باصلاحها في ميناء البحرين وارغمهم على الخروج الى البحر والسير حتى الفاو ، ولكن لدى عودتها من هناك ، ارغمت على ان ترسو على ساحل اشان ، حيث تحطمت هناك ، واستولت قبيلة عمير على ١٨٠ لوحاً من حطامها ، واخذت ثلاثة قوارب لقبيلة بوفلسه جزء من بقايا الحطام ، وما تبقى حمل الى الكويت . وقد استشهد على هذه المعلومات كل من الشيخ محمود المغبري من الكويت ، وعبدالله بن سلمان من القطيف ، وكلاهما الان في بوشهر » .

☘ ☘ ☘

ولا يبدو ان حكومة الهند وجدت من الضروري ان تعدل من تعليماتها القديمة ، او تصدر تعليمات جديدة .

استقلال الممثل البريطاني في طهران ١٨٧٠–١٨٧١ :

وفي سنة ١٨٧٠–١٨٧١ ، شكلت لجنة من مجلس العموم لدراسة التمثيل البريطاني الديبلوماسي والقنصلي ، واعادت النظر من جديد في حكاية استقلال ممثل بريطانيا في طهران الذي كان ما يزال من كل النواحي خاضعاً لوزارة الخارجية رغم ان معظم اعتماده مالياً كان على أموال حكومة الهند . .ومالت اللجنة الى الرأي القائل بأن تصبح البعثة السياسية في طهران تحت اشراف وزير الدولة لشئون الهند . واوصت – اذا ثبت ان هذا التغيير ليس عملياً – ان يختار اعضاؤها دائماً من مكتب الهند ، وان ينقص القدر الذي تدفعه حكومة الهند من نفقاتها المالية . غير ان هذا القرار لم تكن له أية نتائج عملية .

تعين مساعد للوكيل السياسي في جوادر ١٨٦٣ :

وفي سنة ١٨٦٣ ، وبالنظر لما كان جارياً من انشاء الخطوط التلغرافية وقتذاك بالاضافة الى نزاع الحدود بين قالات وايران ، عين مساعد بريطاني للوكيل السياسي على ان يكون مقره جوادر ، وظلت هذه الوظيفة موجودة طول ما بقي من هذه الفترة .

الشئون البريطانية السياسية والرسمية في العراق التركى ١٨٦٢ ـ ١٨٧٣

كان التطور الحضاري في منطقة الخليج يقابله تطور آخر — وان كان على مستوى اقل — في العراق التركي . وقد رأينا ان شركات تجارية بريطانية للملاحة كانت تتقدم هناك ، وربما لسرعة تعاظم المصالح البريطانية في العراق كان موقف المسئولين الاتراك — خاصة في الجزء الاول من هذه الفترة —موقفاً عدائياً الى ابعد الحدود .

مقر الوكالة البريطانية السياسية في بغداد ١٨٦٩—١٨٧٠ :

وفي سنة ١٨٦٩ ، تمت موافقة الباب العالي على انتقال مقر الوكالة السياسية البريطانية ، وكان مقرها سفينة قديمة من سفن اسطول ما بين النهرين ، لكن المسئولين البريطانيين فهموا ان وجود هذه السفينة امر غير مرغوب فيه من جانب السلطات التركية . وبدا ان حكومة الهند تميل الى الموافقة على الاذعان لذلك — ربما اعتباراً لخفض النفقات في المقام الاول . غير انه تقرر — بناء على نصيحة سفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية — انه يجب المحافظة على تلك المزية التي تتمتع بها بريطانيا ألا وهي بقاء سفينة بريطانية بحارية مسلحة داخل بغداد .

وصية اوض :

وفي سنة ١٨٤٩ اوصى ملك اوض الراحل بوقف نقدي ضخم على مدينتي كربلاء والنجف ــ حسب اتفاقية عقدها مع حكومة الهند ــ وامر بأن يوزع المال على فترات ، في هاتين المدينتين عن طريق المقيم في هذه الاماكن . واصبحت الوكالة السياسية البريطانية ــ من حيث هي ممثلة حكومة الهند في العراق التركي ــ هي التي يتم عن طريقها الدفع . وكانت هذه الوصية النقدية تبلغ مبلغاً ضخماً : حوالي ٧٣٣٤ روبية كل شهر ، أي ما يساوي ٧٥٠ جنيهاً استرلينياً كل شهر حسب سعر التبادل في ذلك الوقت . وكان محتملا ايضاً ان يزداد هذا المبلغ نتيجة ضمائم أخرى من عقارات لنفس الملك الراحل . وكانت ضخامة هذه الوصية تكسبها اهمية سياسية كبيرة . فقد كان ثمة خوف في اول الامر أن تؤدى هذه الاموال الطائلة المقتصر توزيعها على الشيعة الايرانيين والعراقيين فقط الى سخط حكومة تركيا السنية ، وا نيؤدى هذا بدوره الى التوتر بين الشيعة والسنية . لكن هذه المخاوف لم تتحقق .. فقد كلفت حكومة الهند الوكيل السياسي البريطاني في العراق التركي تجنباً لاثارة المشاكل السياسية بتوزيع تلك الاموال بروح الحكمة والحصافة .

وبمرور الزمن ظهرت مشكلات وارتباكات خطيرة في توزيع تلك الاموال ، اسهم فيها عدم وضوح الوصية الاصلية التي وقعها ملك اوض ، واتخذت الترتيبات لتخصيص جزء منها لفقراء الهنود في كربلاء والنجف والكاظمية ، واشتبكت هذه الاجراءات اشتباكاً مخلا باعمال بعض التجار الهنود غير المسئولين رسمياً .... وباجراءات حماية مصالح الهند البريطانية في كربلاء والنجف والكاظمية . ولما أصبح صرف تلك الاموال ، برغم التحفظات الموضوعة لصالح الهنود ، بايدي مجتهدي كربلاء والنجف اسيء صرفها او بددت . وفي سنة ١٨٦٦ اثار نواب اقبال الدولة وهو نبيل هندي من المشتغلين بالحياة العامة ومن عائلة اوض

ومقيم في بغداد – مشكلة اصلاح هذا الاضطراب والعبث في توزيع أموال الوصية .

وفي سنة ١٨٦٧ ، اوصى الوكيل السياسي ، بعد التشاور مع نواب اقبال الدولة ، بأن تصرف عوائد الهبه في المستقبل على مجتهدي الهنود فقط وتقصر عليهم ، ويتم توزيعها عن طريق لجنة من وجهاء الهنود المقيمين في المنطقة باشراف الوكيل السياسي . لكن حكومة الهند رفضت هذا الاقتراح استناداً الى كلمات الاتفاقية كما فهمتها آنذاك .

لورد نورثبروك نائب الملك في الهند
مايو ١٨٧٢ – ابريل ١٨٧٦

من هذه النقطة من التاريخ فصاعداً ، وقد اكتسبت اوضاع الخليج شكلها الذي نراها عليه اليوم ، فان افضل تقسيم للفترات الزمنية هو ما يتفق مع فترات حكم نواب الملك المتلاحقين كحكام عامين ونواب للملك في الهند .

انتقال ادارة المصالح السياسية البريطانية فى منطقة الخليج من حكومة بومباى الى حكومة الهند ١٨٧٢ ـ ١٨٧٣

أصبحت الوكالة السياسية البريطانية في العراق التركي خاضعة للاشراف المباشر من جانب حكومة الهند في سنة ١٨٤٣ . غير ان المقيمية السياسية البريطانية ظلت حوالي ثلاثين سنة بعدها خاضعة كما كانت في الماضي لحكومة بومباي . واخيراً في سنة ١٨٧٢ رغبت حكومة الهند في ان تتولى مستقبلا – بدل حكومة بومباي – توجيه « علاقات الحكومة البريطانية بالدول والقوى الاجنبية غربي الهند أي : مسقط وزنجبار ودول ساحل جزيرة العرب وساحل الخليج » . وفي طلب التصديق على هذا الاجراء من حكومة صاحبة الجلالة ، ذكرت حكومة الهند بتاريخ ١ آذار ١٨٧٢ ما يلي :

انه نتيجة لتزايد وسائل المواصلات ، وتوسع التجارة ، وازدياد التقارب في العلاقات بين الدول الاسيوية والاوربية ، ولاسباب اخرى ، فان علاقاتنا السياسية مع هذه البلاد قد اكتسبت موخراً اهمية لم تكن لها من قبل على الاطلاق ، وأدى هذا بدوره الى قيام مشكلات .. لعلها أصعب وادق ما يشغل اهتمامنا في وزارة الخارجية ، فالحروب والتمردات ووراثات الاسر الحاكمة تتابع وقوعها في بعض هذه البلاد بسرعة هائلة .

وفي كل هذه الحالات كان سير الاحداث ، يتطلب مقررات حازمة في مشكلات لها اهميتها الدولية الكبيرة . وفي الحقيقة ، لقد واجهتنا غير مرة مواقف تختص بامور كنا نظنها قد سويت في الظاهر ، واذا بنا نضطر لمواجهة قضايا تتعلق بسياسات الدولة في الماضي والحاضر والمستقبل يتوجب علينا الحسم السريع فيها مع الحزم ايضاً .

ان سائر هذه المشاكل تقريباً له طابع امبراطوري محض بحيث لا تستطيع اية سلطة ان تبت فيها غير السلطة الاعلى في الهند . ولقد نشأت بعض هذه المشاكل نتيجة موقف حكومتي تركيا وايران من جيرانهما في امور تؤثر تأثيراً مباشراً على اهم مصالح الامبراطورية البريطانية ومن بينها المراسلات مع الدول الاجنبية ، وتقييم اعمال وسياسات الدول في مؤتمرات اوربا ، وكذلك التصرف حيال المشاكل الدولية الهامة مما لا تستطيع اية حكومة محلية ان تعرف خفاياه او توجيهه وكلها امور ما كان يمكن ترك ازمة التصرف فيها او تسويتها الى سلطة اقل من حكومة صاحبة الجلالة في الهند .

وفي السنين الغابرة ، حين كان النقل بالبخار ما يزال في مراحله الاولى ولم يكن الاتصال التلغرافي معروفاً بالمرة — ربما كان من المرغوب فيه ان نترك جانباً هاماً من هذه المشاكل بيد السلطات الفرعية ، لان اتصالها بمثل تلك البلاد كان اسرع واكثر انتظاماً . لكن هذه الضرورة قد انقضت منذ زمن بعيد . فليس بين تلك البلاد ما لا يمكن الاتصال به بسرعة الاتصال البرقي ، او عن طريق البريد بنفس السرعة تقريباً ، سوأء كان هذا الاتصال من جانب حكومة الهند او حكومة بومباي . وانتهت بالتالي الاسباب التي كانت تحتم قيام النظام القديم ، ولذا يجب ان يكون الاشراف على العلاقات السياسية الخالصة مع الدول الاجنبية المستقلة تابعة للسلطة الاصولية المختصة والتي عن طريقها فقط يمكن ضمان امن ونمو المصالح الامبراطورية . والحقيقة ان مبررات هذا التغير كانت قائمة منذ زمن بعيد . . وذلك انه حين كانت تقوم مشكلة على جانب غير عادي من الاهمية ، او ضرورة طارئة ، مثل الحملة التركية على نجد ، فاننا لم نتردد في اصدار تعليماتنا مباشرة الى ممثل الحكومة البريطانية في المنطقة ، مرسلين نسخة لحكومة بومباي لإخطارها . وحتى في مثل هذه المناسبات . وبالاحرى طبعاً فيما هو اهم منها فاننا نجد ، حين تتولى الحكومات المحلية امر اتصالات برقية او سواها ، ان حسن

تفهم الوكلاء المحليين لخط السياسة التي ترغب حكومة الهند في تطبيقها ، ووصول المعلومات عن الشئون العامة الينا كل ذلك يتعرقل كثيراً بسبب مداخلة الحكومة المحلية » .

وذكرت حكومة الهند في خطابها هذا عدة احداث تصور الاضطراب والتأخير الذي نجم عن كون حكومة بومباي وسيطاً بين حكومة الهند ووكلائها السياسيين في هذه البلاد المعنية .

وفي اواخر السنة حين تغير حاكم بومباي ، ولم تكن حكومة صاحبة الجلالة قد ردت بعد على حكومة الهند ، اقترحت حكومة بومباي من جانبها ان ينقل الاشراف على المقيميات السياسية في منطقة الخليج ، والوكالة السياسية في زنجبار الى ادارة الشئون الخارجية بحكومة الهند ، وان تنقل كل المعلومات التي يرى انها هامة او ذات قيمة في المستقبل عن طريق المسئولين السياسيين المحليين .

وقبلت حكومة الهند هذا الاقتراح — بعد تصديق حكومة صاحبة الجلالة عليه — وامرت بأن ينفذ مباشرة ، واصدرت تعليماتها لكل من يعنيهم الامر . وفي نفس الوقت امرت بأن ترسل نسخ من كل المراسلات بين بوشهر وزنجبار وبينها او العكس الى حكومة بومباي — الى الحد الذي يقرره حاكمها — لمدّه بالمعلومات .. وللاستفادة بملاحظات الحاكم واقتراحاته على ما تتضمنه .

وافقت حكومة صاحبة الجلالة على سائر تلك الترتيبات ، وهكذا فانه الى جانب الاشراف السياسي على العلاقات مع الخليج وزنجبار ، انتقل الاشراف على جميع المراكز البريطانية السياسية في تلك المناطق نهائياً الى حكومة الهند .

الاحوال فى ايران ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

وفي ايران ، ظلت سلطة الحكومة المركزية او سلطة الشاه قائمة وثابته ، وفي سنة ١٨٧٥ استطاع الشاه ان يغامر بانتهاج بدعة مثيرة الا وهي تغيبه عن مملكته في رحلة لاوروبا .

وكانت السياسة الروسية تناصب المصالح البريطانية اشد العداء ، خاصة في اتجاه آسيا الوسطى ، كما كانت روسيا تدرس خططاً للتغلغل من جنوب ايران لمقاومة النفوذ البريطاني . ففي ١٨٧٥ ــ ١٨٧٦ قدم طلب باسم شركة بريطانية الى الحكومة الايرانية للتصريح لها بالملاحة البخارية في نهر قارون ، وكانت حكومة الهند تؤيد ذلك المشروع وتتهيأ لتقديم معونةمالية لدعمه ، لكن الحكومة الايرانية لم تسمح عندئذ لا بمنح الامتياز الخاص ولا حتى بفتح النهر للملاحة العامة ــ رغم أن هذا الاقتراح كانت تناقشه لجنة ايرانية شكلت خصيصاً لدراسته .

الاحوال في تركيا ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

وفي تركيا .. كانت الحالة السياسية تتابع تدهورها نتيجة سفه رجال البلاط والحكام في القسطنطينية وسوء الحكومة في اقاليم البلقان . وقد ثبت للاتراك ان اقليم الاحساء ــ الذي ضمه الباب العالي للدولة في العقد الاخير ــ تصعب السيطرة عليه وادارته..الى جانب انه لا يفيدهم شيئاً يذكر . فرأت الحكومة التركية ــ خلاصاً من المشاكل والنفقات التي وجدت نفسها متورطة فيها ــ ان تعين شيخاً وطنياً من اهل الاقليم حاكماً باسم تركيا وان تسحب معظم حاميتها . وخلال شهور قليلة بعدها قام قريب لامير الوهابيين بغزو الاقليم ، واطاح موقتاً بالحكم التركي . كما حاصر الشيخ الذي عينه الاتراك في حصن بعاصمة الاقليم .. لكن موقف تركيا امكن انقاذه بوصول ناصر باشا شيخ المنتفق من البصرة ومعه قوات كبيرة . وقد عاد الشيخ الى البصرة بعد ان سوى الامور في الاقليم المتمرد « تسوية لا ترحم » . وفي سنة ١٨٧٥ ، انشئت ولاية جديدة باسم ولاية البصرة ، وذلك باقتطاع بعض اقاليم ولاية بغداد ، وضم اقليم الاحساء اليها ، واصبح ناصر باشا ، رغم انه عربي المولد والقبيلة ، اول حاكم لهذه الولاية .

ولم يحل هذا الفشل بين الحكومة التركية القائمة وقتذاك وسياستها في التوسع الاقليمي . ففي سنة ١٨٧٢ استولوا على منطقة « جوف العامر » على حدود نجد بواسطة قوة صغيرة ارسلت من فلسطين ، ولكنهم لم يسيطروا على تلك الواحة سوى سنتين فقط ،وبدأ تآمر الاتراك على موقع عديد على حدود قطر في عمان المتصالحة . وخلال هذه الفترة كان العلم التركي يرتفع احياناً فوق العديد ويعتقد ايضاً ان اهلها كانوا يدفعون جزية موسمية لتركيا .. وحوالي هذا الوقت فقط بدأت الغيرة تساور الحكومة التركية من نفوذ بريطاني متوهم في قلب الجزيرة العربية .

العلاقات بين تركيا وايران ١٨٧٢ ـ ١٨٧٤

الفترة التي نحن الآن بصددها كانت فترة تجديد التقارب بين ايران وتركيا .

فقد أدى الشاه فريضة الحج ، على الارض التركية في سنة ١٨٧١ ، ثم عاد واكد هذا الاتجاه بأن قام بزيارة شخصية للسلطان في القسطنطينية سنة ١٨٧٣ ، وفي سنة ١٨٧٥ ، تم توقيع معاهدة بين البلدين سويت بمقتضاها مشكلات طالما ثار حولها الخلاف طويلا حول صلاحيات وحصانات القناصل الايرانيين في تركيا ، والاتراك في ايران وبشأن سوء معاملة الرعايا الايرانيين في تركيا .

ولكن ظلت مشكلة الحدود التركية ــ الايرانية قائمة تمنع التوصل الى اتفاق كامل بين البلدين ، وللخلاص من هذه المشكلة اجتمعت لجنة من ممثلين ايرانيين واتراك فقط بالقسطنطينية في شتاء ١٨٧٤ــ١٨٧٥ لكن اعضاءها لم يتفقوا على شيء . فتشكلت لجنة اخرى تضم ممثلين عن بريطانيا وروسيا هذه المرة اجتمعت بالقسطنطينية خلال ١٨٧٥ ــ ١٨٧٦ ، وكانت مهمتها ــ كمهمة اللجنة التي سبقتها ــ ان تتبع الحدود على الخريطة التي اعدتها لجنة وضع الحدود لسنة ١٨٤٨ــ١٨٥٢ ، لكن اعمالها تأخرت كثيراً نتيجة مغالاة الوفد التركي في مطالبه منذ البداية ، ثم أدى نشوب الحرب الروسية ــ التركية في ١٨٧٦ــ١٨٧٧ الى توقف اعمال اللجنة قبل انتهائها .

شئون وعلاقات الساحل الغربى للخليج
١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

على طول الساحل الغربي للخليج ظلت الامور هادئة بشكل عام ، وظل الاتراك مسيطرين على الحسا كما سبق ان بينا ، بينما لم يكن لبريطانيا سوى اتصالات قليلة ، كما لم تنشأ لها أية علاقات بأية سلطة محلية في المنطقة الا بشيخ البحرين . فقد بلغ وقوع البحرين تحت النفوذ البريطاني حداً جعل شيخها يتعود تنفيذ نصائح الحكومة البريطانية في الشئون الخارجية ، كما كان يعتمد عليها ايضاً في توفير الحماية له ضد أي هجوم من الخارج . وفي سنة ١٨٧٤ تهددت البحرين بغزو البدو من ناحية قطر ، لكن البحرية البريطانية قامت بمناورة رادعة صدت الهجوم ، وفي السنة التالية استجاب شيخ البحرين لنصح بريطانيا ، وفصل مصالحه عن مصالح سكان البر القطري ، وكان ما يزال يزعم لنفسه حق السيادة عليهم .

الحالة فى سلطنة عمان ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

وفي سلطنة عمان ــ كما في البحرين ــ ازداد نفوذ بريطانيا واصبحت علاقة ممثليها بالسلطة المحلية هناك علاقة وثيقة ، وقد كان وصول المدد البحري البريطاني للسلطان متأخراً فلم يحل دون اذعانه لمطالب قوة متمردة من البدو هددت مسقط في اوائل سنة ١٨٧٤ ، ولكن بعدها بشهر او شهرين ، قامت السفن الحربية البريطانية بصورة جدية بقمع ثورة حدثت في اقليم الباطنة ، وارغمت المتمردين على التراجع من مصنعة والسويق .

الدول الاجنبية ـ غير بريطانيا ـ فى الخليج
١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

كان النفوذ الروسي ومعارضته لاهداف المصالح البريطانية في ايران ابرز معالم الصورة السياسية العامة في المنطقة ، ولكن لم تبد ـ بعد ـ أية اعراض لنفوذ روسي في منطقة الخليج .

ولم تبرز مصالح فرنسا الا في محاولتها الحصول من الشاه على امتياز ضخم لاعمال زراعية ومشروع صناعي في اقليم عربستان . لكن هذه الحركة التي ارتبطت باسم دكتور تولوزان طبيب الشاه لاقت الفشل بسبب ادعاء أسبق منها لبريطانيا بحق التعويض عليها عن الغاء امتياز «رويتر» .

ترتيبات البحرية البريطانية فى الخليج
١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

في سنة ١٨٧٤ قررت السلطات البحرية البريطانية بصدد المحافظة على سفن البحرية البريطانية المخصصة للخدمة في حالة طيبة من الكفاءة بمداومة استبدال سفن الخدمة ، أن تتولى الواجبات المعتادة سفينتان من السفن الثلاث المخصصة للخليج في حين تظل السفينة الثالثة في سفر الى الهند ، وان يسمح لكل سفينة ـ اذا امكن ذلك ـ بأن تقضي عشرة ايام أو اسبوعين متواصلين في ميناء كراتشي او بومباي كل اربعة اشهر ، ولدى عودتها ـ وهذه قاعدة عامة ـ عليها ان تمر بميناء جوادر او شاهبار لتسجل وصولها وتتلقى الاوامر بالواجبات التي عليها اداؤها . وعلى المقيم العام ان يتابع عملية حركة السفن هذه . كذلك جاء في نفس تلك التعليمات البحرية « بالطبع يجب اطاعة اوامر المقيم العام والوكلاء

السياسيين بكل دقة ، اما اذا تعارضت تلك الاوامر مع نظام الراحة المشار اليه ، فعلى قواد السفن المعنية ان يوضحوا لهؤلاء المسئولين ما يعتقدون بأنه افضل السبل للتوفيق بين خدمات السفن لمطالبهم وحاجتها أيضاً للحركة والاستبدال ، حيث ان استبدال السفن لازم لحفظها في حالة عالية من الكفاءة ، وان تعاونهم في ذلك امر ضروري » .

وفي اواخر السنة ، ونظراً لتزايد تهديد قبائل العرب المحيطة بالبحرين لها ، ابرق المقيم العام في الخليج الى كبير ضباط البحرية بأن وجود سفينة حربية امر ضروري وعاجل ، ومرت عشرة ايام قبل ان ان تبحر السفينة — المقررة للمهمة — من كراتشي ، ومضت ثلاثة اسابيع أخرى قبل وصولها الى المكان المطلوب ، فكان على السلطات البريطانية الموجودة هناك ان تعالج الوضع بخير الوسائل المتاحة بتركيز سفينتين من سفن بحرية بومباي هما « هيو روز » و « ماي فرير » تجاه جزر البحرين . وبعدها مباشرة طلب المقيم العام تحديد حالات الضرورة التي توجب على السفينة المستريحة قطع راحتها بناء على اوامر السلطات السياسية . وردت حكومة الهند بأن على المقيم نفسه ان يقرر في كل مرة ما اذا كان نظام الراحة قد يؤدي الى مشاكل وطوارىء سياسية ام لا .. لكن عليه أيضاً ان يخطر حكومة الهند برقياً بكل حالة يضطر فيها الى التدخل في نظام راحة السفن ، وذلك كي تكتسب اعماله صفة المشروعية .

لقد كانت حكومة الهند تعبر راحة السفن اهمية خاصة ولذلك فقد اعتبرت تقدير المقيم لحالة البحرين مبالغاً فيه ، وتبين كذلك ان التأخير الذي حصل للسفينة الموجودة في كراتشي كان بسبب اضطرارها لانتظار وصول قوارب قادمة من بومباي لتتعوض بها عن قواربها التي خسرتها خلال اعصار بحري كان قد هب عليها .

وفي سنة ١٨٧٤ ، احتج والي بغداد على زيارة قامت بها الى القرنة سفينة حربية بريطانية ، وقال ان شط العرب — صعوداً بعد البصرة — انما يعتبر مياهاً تركية محلية .

الامن فى البحار ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

خلال هذه الفترة حدثت حادثة خرق واحده لأمن البحار وذلك في الجانب التركي من البصرة ، حين هجم القراصنة على سفينة البريد البخارية « كشمير » اثناء رسوها في احدى ليالي يونيو سنة ١٨٧٢ . وقد لقي واحد من البحارة الوطنيين مصرعه ، وجرح جنديان اوربيان جراحاً خطيرة ، وبلغت المسروقات من هذه السفينة ـ وكلها نقد ـ مبلغاً يتراوح بين ٤ و ٥ آلاف جنيه . وقد تابعت السلطات المحلية البريطانية في العراق التركي هذا الحادث باهتمام بالغ في كل من الاقليم التركي والاقليم الفارسي المجاور « عربستان » مما نتج عنه خلال سنة ١٨٧٢ـ١٨٧٣ القاء القبض على سبعة من هؤلاء المعتدين اعدموا في البصرة ، كما تم ايضاً استعادة حوالي ثلاثة ارباع المسروقات النقدية ، نصفها اكتشف في ايران .

قمع تجارة الرقيق ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

وقد اتمت الحكومة البريطانية عقد بعض المعاهدات ـ بهدف منع تجارة الرقيق ـ في اوقات مختلفة مع عديد من الدول المحيطة بالخليج في ايران وعمان على السواء . لكن السفن البريطانية لم تتمكن من ان تلقي القبض الا على سفن قليلة فقط تنقل الرقيق . ولم يتم الا سنة ١٨٧٣ اتخاذ اجراءات بحرية هامة في شرق افريقيا والخليج بهدف منع تجارة الرقيق بالقوة ، ولكن بحلول سنة ١٨٧٦ توقف تصدير الرقيق من افريقيا الى دول الخليج على المستوى الكبير الذي كان سائداً حتى تلك السنة .

عمليات المسح البحرية ، والتحريات البرية
١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

ظلت عملية مسح مياه البحرين وساحل الأحساء ، التي تقررت في سنة ١٨٧١ ، مستمرة خلال ١٨٧٢–١٨٧٤ باستخدام السفينة ذات الشراعين « كونستانس » ، وقد بدأت هذه العمليات فيما جاور البحرين وحين امتدت الى الارض القريبة منها ، ثارت بعض الاحتجاجات من جانب السلطات التركية المحلية .. لكنها انتهت بالاتصال بوالي بغداد وشرح الامر له ، وبعدها استمرت عمليات المسح دون توقف .

وفي سنة ١٨٧٥ خرج المقيم العام بالخليج في رحلة الى شيراز ، ورفع الى حكومة الهند وصفاً احصائياً واداريا قيماً لاقليم فارس الايراني .

المواصلات ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

انشأت الحكومة الايرانية في سنة ١٨٧٥ خدمة بريدية داخلية خاصة بها تابعة لها ، وفي السنوات الاخيرة اصبحت هذه الخدمة تدعم الخدمات البريطانية المماثلة او قد تحل محلها احياناً .

المصالح والشئون البريطانية الرسمية فى الخليج
والعراق التركى ١٨٧٢ ـ ١٨٧٦

لم تحدث تغيرات تذكر في المصالح او الترتيبات السياسية البريطانية .

في منطقة الخليج والعراق التركي اثناء هذه الفترة .

واستمر وصول الشكاوى بشأن الفوضى في توزيع هبة اوض لكن السلطات البريطانية ظلت على أساس المعلومات التي كانت لديها وقتذاك ترفض التدخل الفعلي في توزيع تلك الهبة التزاماً بنصوصها .

لورد لايتون نائبا للملك في الهند
ابريل ١٨٧٦ — يونيو ١٨٨٠

تميزت السنوات التالية لسنة ١٨٧٦ بانبعاث مشكلة افغانستان انبعاثاً حاداً أو بعبارة أخرى بتوتر خطير في علاقات بريطانيا وروسيا في آسيا الوسطى ، وقد جاءت هذه الأزمة في اعقاب حرب روسية تركية خرجت منها الدولة الاخيرة مهيضة الجناح لكنها في غير ذلك لم تترك كبير اثر على الموقف العام في الشرق الاوسط .

ولدى موت دست محمد خان ، موحد افغانستان وحاكم كابول ، سنة ١٨٦٣ ، انتقض اقليما هراة وقندهار مرة اخرى على السلطة المركزية في افغانستان ، ومضت خمس سنوات كاملة قبل ان يستطيع شير علي خان — ابن دست محمد خان وخليفته — ان يستعيد ضم هذين الاقليمين الى املاكه بمعونة بريطانيا . وفي نفس الوقت كانت روسيا تدفع حدودها في اواسط آسيا الى الامام خطوة بعد اخرى .. واخيراً قام الاتصال السياسي بين طشقند وكابول .

الحرب الافغانية الثانية ١٨٧٨ — ١٨٨٠ :

ولدى قطع العلاقات بين بريطانيا وامير الافغان في سنة ١٨٧٨ ، نتيجة رفض الاخير ان يستقبل بعثة موفدة اليه من الهند البريطانية برآسة

الكولونيل سير لويس بيللي – المقيم السياسي السابق في الخليج ، بدأت الحرب الافغانية الثانية ، التي استمرت من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٧٩ . وفر شير علي خان الى الجانب الشمالي من بلاده ، ومات في مزار الشريف في فبراير ١٨٧٩. فولى مكانه ابنه يعقوب خان بموجب معاهدة جاندامالك (مايو ١٨٧٩) ، واصبح سير لويس كافجنارى مبعوثاً لبريطانيا في كابول . لكن هذا التقارب المصطنع من جانب الحكومة البريطانية لكابول انتهى – كاحتلال سنة ١٨٣٩ – ١٨٤١ المشهور – بمجزرة للممثل البريطاني وحاشيته ومن معه ، وتبعت هذه الحادثة الحرب الافغانية الثالثة وانتهت بأسر يعقوب خان ونقله سجيناً الى الهند ، ووضع اقليمي كابول وقندهار موقتاً تحت الادارة البريطانية .

الحرب الافغانية الثالثة واتمام تفكيك دولة افغانستان١٨٧٩–١٨٨٠ :

وبعد نهاية الحرب الافغانية الثانية ، كانت سياسة حكومة الهند ما زالت تميل الى التمسك بوحده افغانستان ، لكن الحرب الافغانية الثالثة أدت الى تغيير موقفها بهذا الصدد ، فأصبحت الان تسعى الى تفكيك دولة افغانستان المتعبة . ونشأ تفكير بضم إقليمي هراة وسجستان الى ايران ، بل ان المفاوضات مع شاه ايران لضم الاقليم الاول الى ارضه على أساس شروط متشددة قطعت مرحلة متقدمة . وفي سنة ١٨٨٠ كانت هراة ما تزال تحت سيطرة ايوب خان – ابن الامير شير على خان ، واقتطعت قندهار عن كابول – بتصميم من السلطات البريطانية – ومنحت لحاكم من عائلة بركازي . وبدأ البحث من جديد يدور حول مشكلة مد خط حديدي من قندهار الى هراة ، وتقديم العون المالي لايران ، واخيراً وقبل اتخاذ اية خطوة لا يتيسر التراجع عنها .. اعادت السلطات البريطانية في افغانستان الامير عبدالرحمن وجعلته اميراً بعد ان وقعت معه اتفاقية خضوع للسيادة البريطانية ، وجعلته حاكماً لقندهار وهراة وما تبقى من افغانستان ايضاً .

الشئون والعلاقات الايرانية ١٨٧٦ ــ ١٨٨٠

الحالة الداخلية في ايران :

ظل العرش الايراني ثابتاً ، والنظام مستتباً في ارجاء ايران خلال هذه الفترة . وفي سنة ١٨٧٨ قام الشاه بزيارة اخرى لاوربا .

سياسة الحكومة البريطانية بالنسبة للمواصلات في ايران :

ولما كانت المصالح السياسية البريطانية في ايران مرتبطة اوثق ارتباط بمصالحها في افغانستان ، أصبح من اهداف السياسة البريطانية ان تسعى الى التمكن من جنوب ايران لا سيما عن طريق اقليم عربستان ، وذلك لمناوأة روسيا من منطلق آخر . وكان من رأي سير او. سانت جون (وكان عقيداً في ذلك الوقت) ــ حين أصبح المقيم السياسي في قندهار بافغانستان من ١٨٨٠ ــ ١٨٨١ ــ ان الحروب الافغانية قد ادت الى زيادة النفوذ البريطاني في ايران زيادة مطردة حملت الحكومة الايرانية على الاقتناع بأن بريطانيا حليف افضل لها من روسيا . وكان من رأي نفس المصدر ان افتتاح « طريق ششتار » ومد طرق داخلية جديدة من بوشهر سيؤدي الى جانب الانعاش المادي لجنوب ايران ــ الى ثبات نسبي في العلاقات الانجلو ــ ايرانية ، لانه سيمكن الحكومة البريطانية من ممارسة نفوذها على بلاط طهران في منطقة الخليج .

ويبدو ان روسيا كانت على وعي لكل احتمالات الموقف فعارضت مد الخطوط الحديدية البريطانية في جنوب ايران بعنف كعنف معارضة بريطانيا لمد الخطوط الروسية في شمال ايران .

١٨٧٧ ــ ١٨٧٩ :

وبين سنتي ١٨٧٧ ــ ١٨٧٩ بذلت الحكومة البريطانية جهوداً كبيرة عن طريق سفير صاحبة الجلالة في طهران للحصول على تصريح

بفتح نهر قارون للملاحة البخارية ، لكن موقف الشاه من هذا الامر كان المعارضة العنيدة ، ويبدو انه كان يخشى ان يزداد نفوذ « المحمرة » كميناء فيوٌدي هذا الى استيلاء بريطانيا عليها . ويرجح هذا الافتراض عند الشاه العلاقات الوثيقة بين شيخ المحمرة والممثل البريطاني في البصرة ، الى جانب بعض المقالات الخبيثة التي كانت تنشر في الصحف الاوروبية . اما بالنسبة لمشكلة الطرق ، فقد سمح اولا بمدها على نطاق ضيق ، غير أن مشروع الخط الحديدي الذي يربط عربستان بوسط ايران والذي استطاع ممثل بريطانيا السياسي في ايران اثارته الى حين لم ينتـه الى اية نتيجة عملية .

١٨٧٩ — ١٨٨٠ :

ونلاحظ ان هذه المفاوضات الفاشلة كلها حدثت قبل ان تتخذ بريطانيا اتجاهاً ودياً نحو ايران بالنسبة لمشكلة تقسيم افغانستان .

وبالتالي ، فحين نوقشت مشكلة هـراة ، كان الشاه يود — في مقابل الامتيازات التي قدمت اليه — ان يسمح بالملاحة في نهر قارون ويمد الخطوط الحديدية من بوشهر الى طهران ومن شوشتار الى اصفهان .

الحالة فى تركيا ١٨٧٦ — ١٨٨٠

طلب الدستور ومنحه في تركيا ، والحرب الروسية — التركية ١٨٧٦ — ١٨٨٠ :

وصلت تركيا في سنة ١٨٧٦ نهاية طريق الدمار الذي ظلت تسير فيه من سنوات عديدة مدفوعة بالاسراف المالي والمطامع الاقليمية وسوء الحكم في الداخل والاصلاحات المزيفة .. ففي مايو من نفس السنة قامت

جماعة من السياسيين بعزل السلطان ، وكان من اشهرهم مدحت باشا اول وال لبغداد ، ولم يدم حكم السلطان الذي خلفه أكثر من ثلاثة شهور . وفي نهاية سنة ١٨٧٦ أعلن السلطان فجأة منح دستور الحريات للشعب في جميع ارجاء الامبراطورية العثمانية ، وقد اعلنه فجأة ، ربما ليتخلص من مطالب المؤتمرات الاوربية المتتالية بضرورة اجراء اصلاحات ادارية مباشرة في تركيا الاوربية .

على ان روسيا ، وهي لم تأبه بالضمانات تلك التي انطوى عليها الدستور الجديد للحريات في البلقان ، قامت باعلان الحرب على تركيا في سنة ١٨٧٧ . وخلال اقل من سنة وصلت جيوشها ابواب القسطنطينية وفـي سنة ١٨٧٨ أقر مؤتمر دولي عقد في برلين فصل معظم تركيا الاوربية — كلياً او جزئياً — عن الامبراطورية العثمانية ، ووافقت بريطانيا مع تحفظات لم تلتزم بها تركيا لاحقاً على الدفاع عن ممتلكات السلطان الآسيوية ضد أي عدوان في المستقبل واخذت في المقابل جزيرة قبرص .

والغي الدستور التركي وظلت البـلاد — رغم مظاهر الاصلاح المالي والعسكري والاداري — تعاني مساوىء الحكم التي لم يقدر لها ان تتخلص منها ابداً . لقد بلغ عجز وفساد الموظفين اقصى الحدود، وذلك بعد أن أصبح هؤلاء يجيئون من أدنى الطبقات الاجتماعية ، وكانت كراهيتهم للاوربيين تتزايد يوماً بعد يوم في نفس الوقت الذي كانوا فيه — كجماعة — يقلدون مناهج العمل السياسية الاوربية ، وكأفراد يعيشون طرائق الحياة الاوربية الحديثة .

الاحوال في العراق التركي ١٨٧٦ — ١٨٨٠ :

وكانت الحالة السائدة في كل ارجاء الامبراطورية العثمانية متمثلة تمثيلا جيداً في العراق التركي . فقد اضطرب فيه مجرى الاحداث — كما اضطرب في غيره من البلاد — نتيجة الفساد السياسي في العاصمة

والحروب الخاسرة .

وقد حدث شيء من التقدم خلال العشرين سنة الاخيرة في كسر شوكة القبائل العربية ، وبدأت المجالس الادارية وبعضها كان مجالس منتخبة تؤدي عملها بالتعاون مع المسئولين الاكفياء ، ولم يكن هذا كله بلا جدوى . لكن الحالة على العموم لم تبلغ حداً يتيح القول بأن اراضي ما بين النهرين كانت تتمتع بمزايا حكومة عادية . ففي كربلاء والنجف حدثت تمردات في صيف سنة ١٨٧٧ ، وقد قمع التمرد في المدينة الاولى بحصار المدينة والقيام بعمليات عسكرية داخلها دون رحمة . وفي شتاء ١٨٧٧-١٨٧٨ حدثت اضطرابات خطيرة في بغداد نفسها بسبب المجاعة واستطاع الغوغاء اثبات وجودهم . وكانت قبيلة شمر الكبيرة منقسمة على نفسها بين زعماء متنافسين ، ولم يكن فيها غير قلائل ينصتون لصوت الحكومة التركية بالاستقرار في الارض وزراعتها . وفي ١٨٧٨-١٨٧٩ قامت حرب بين رؤساء قبيلة بني لام بعضهم بعضاً مما هدد الملاحة في دجلة واستعصى امرها على الحل ، كما كانت قبيلة آل بو محمد واقعة ايضاً في هذه الصراعات الداخلية . وقد قام اتباع واحد من شيوخها — وكان معارضاً للحكومة التركية — بارتكاب اعتداءات خطيرة في نهر دجلة ، وكان آخر وأخطر تمرد من جانب آل بو محمد هو ما حدث في سنة ١٨٨٠ — عقب نهاية هذه الفترة مباشرة — وتمثّل في الهجوم على باخرة البريد البريطانية « خليفة » ، وقد قتل في هذه الحادثة رجلان من اهل البلاد ، وجرح الضابط المسئول عن الباخرة جراحاً خطيرة .

وطبقت طريقة اعادة التنظيم التركية المشهورة ، واخذت هذه المرة شكل خلق ولاية جديدة هي ولاية الموصل ، وذلك بانقاص حدود ولاية بغداد عما كانت عليه في سنة ١٨٧٩ ، وتبعها في سنة ١٨٨٠ ضم ما تبقى من ولاية بغداد الى ولاية البصرة في وحدة واحدة .

وظلت الملاحة البخارية في دجلة على ما يرام ، وكان معظم سفن

الاسطول البخاري التركي بقيادة ضباط اوربيين .

الحالة في الأحساء ١٨٧٦–١٨٨٠ :

وفي صيف سنة ١٨٧٨ ، حدث تمرد خطير على الحكومة التركية في الأحساء،وكان يتزعمه عضو من الاسرة الوهابية الحاكمة ، وظل قائماً — واحرز بعض النجاح حتى نهاية السنة — حين استطاعت قوات من العراق التركي ان تخمده .

وفي نفس الوقت — ودون اعتبار لاضطراب وضع الاتراك في الأحساء — طالب الباب العالي رسمياً باحقيته في الاستيلاء على منطقة العديد من عمان المتصالحة .

العلاقات التركية الايرانية ١٨٧٦ — ١٨٨٠

لم يحدث ثمة تغيير يذكر في العلاقات خلال هذه الفترة .

الحالة فى الساحل الغربى للخليج والعلاقات فيه ١٨٧٦ — ١٨٨٠

كانت هذه الفترة فترة ركود سياسي على طول الساحل العربي من الخليج وربما صح ان ننسب ذلك لاستمرار تراجع الوهابيين عن الخط الساحلي للخليج امام نشاط الاتراك ، ولمصاعب الاتراك انفسهم في الأحساء.وأدى سقوط الزبارة في قطر في أيدي القبائل المعادية سنة ١٨٧٨

الى ان يفقد شيخ البحرين آخر قاعدة لنفوذه على البر القطري . وقد انتهى بذلك مصدر من اهم مصادر الاشكال والتعقيد لكنه أثار في الوقت نفسه سلسلة من المغامرات الهجومية على البحرين كان لا بد ان تتدخل البحرية البريطانية لاسكاتها .. وقد اصبحت البحرين أكثر تعرضاً لخطر غزو مفاجيء من البر .. فاضطربت الاحوال الداخلية فيها عندئذ اضطراباً خطيراً حتى ارسل ضابط بريطاني سياسي معزز بالحراسة ليقيم بعض الوقت في الجزيرة الكبرى بالبحرين .

الحالة فى سلطنة عمان ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

في سنة ١٨٧٧ احتل المتمردون على سلطان عمان مطرح وحاصروا مسقط ، لكن البحرية البريطانية ارغمتهم على التراجع دون ان يحصلوا على أية امتيازات ، لكنهم كانوا قد ارتكبوا اعمالا كثيرة اثناء احتلالهم مطرح ، حتى بدا الموقف ـ في وقت من الاوقات ـ على جانب من الخطورة حتم انتقال كل رعايا الهند البريطانية من ذلك المكان الى ظهور السفن .

الدول الاوربية ـ غير بريطانيا ـ فى منطقة الخليج ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

استمر التمثيل القنصلي الفرنسي الذي مضى عليه بضع سنوات في بغداد والبصرة ، وقد بدأ بعض العاملين في قنصليتها بالبصرة اعمال

حفريات هامة في منطقة تاللو سنة ١٨٧٧ . وباستثناء هذا لم يكن ثمة دليل على وجود مصالح فرنسية في منطقة اخرى من الخليج . وقد منح الشاه فرنسا امتياز المشروع الزراعي وملحقاته في اقليم عربستان الذي كان تقدم به دكتور تولوزان من وقت طويل قبل ذلك،وبعد زيارة قام بها الشاه لباريس في سنة ١٨٧٣.لكنه يبدو ان الحكومة الفرنسية لم تكن تعلق على ذلك الموضوع اهمية كبيرة ، وقد الغي الامتياز فور تقديم احتجاج ديبلوماسي بريطاني بموافقة صاحب الامتياز نفسه .

وقد بدأ تجار الرقيق في خليج عمان يستخدمون العلم الفرنسي للتغطية على عملياتهم . وكان هذا تطوراً خطيراً ، رغم انه لم يلاحظ بوضوح في البداية الا انه قد سبب اضطرابات ومشكلات خطيرة فيما بعد .

اجراءات البحرية البريطانية فى منطقة الخليج
١٨٧٦ - ١٨٨٠

ظلت اجراءات البحرية البريطانية في منطقة الخليج كما كانت عليه في السنوات الماضية ، غير انها برهنت على كونها غير وافية في بعض المناسبات . فخلال صيف سنة ١٨٧٩ لم تكن في منطقة الخليج كلها سفينة حربية بريطانية واحدة .

الامن البحرى فى الخليج ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

حدثت عمليات قرصنة في المياه المجاورة لساحل الأحساء وقطر في سنة ١٨٧٨ ، وسرعان ما اتسعت اتساعاً فادحاً .. فضاعت ارواح كثيرة ونهبت قوارب وممتلكات اخرى كبيرة . وكان معظم القراصنة من بني هاجر . ويبدو ان عملهم هذا كانت له في الاصل علاقة بتمرد العرب على الاتراك في الأحساء . وكان قمع القرصنة على شاطئ الأحساء عملاصعباً لان هذا الساحل كان اسمياً يخضع للسيادة التركية .. ولم يكن مدى الحدود التي يدعيها الباب العالي مؤكداً . وقد بذلت جهود محلية وفي القسطنطينية لاثارة الحكومة التركية للقيام بعمل حازم ضد القرصنة . لكن استجابتهم الضعيفة سرعان ما تلاشت وانتهى الامر . وفي سنة ١٨٧٨ استطاعت سفينة حربية بريطانية القاء القبض على بعض قوارب القراصنة خارج القطيف ، وسلمتها للسلطات التنفيذية التركية هناك . ولكن في سنة ١٨٧٩ ، وبسبب اعتبارات الموقف الدولي المتوتر ، صدر امر بامتناع السفن البريطانية عن القيام بأي عمل على شاطىء الأحساء . وهكذا استمرت هذه الحالة المضطربة زمناً طويلا ، ولم يكن ذلك نتيجة خطأ من جانب المسئول السياسي البريطاني او قائد البحرية . واستمر الاضطراب طوال الفترة التالية ايضاً .

وحدثت عملية قرصنة نهرية خطيرة في شط العرب سنة ١٨٨٠ ، وكان من ضحاياها المشرف على محطة التلغراف البريطانية في الفاو ، غير أن السلطات البريطانية تابعت هذه الحادثة متابعة متواصلة فتم تحصيل التعويضات والغرامة ، ونفذت عقوبات شديدة على بعض اهل الساحل الايراني عن طريق شيخ المحمرة .

وفي سنة ١٨٧٩ ، تم باشراف بريطانياتوقيع معاهدة بين مشايخ عمان لتبادل تسليم المدنيين الفارين . وأدت هذه المعاهدة الى انقاص

عدد الخلافات التي كان ينتج عنها دائماً هذا الاضطراب البحري على شواطىء اللؤلؤ وجنوب الخليج .

المسح البحرى وغير البحرى ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

في سنة ١٨٧٦ او ١٨٧٧ قامت سفينة من سفن صاحبة الجلالة بمسح خليج خور الحجر على ساحل سلطنة عمان .. ولكن لا يبدو ان اية عمليات مسح بحرية ذات بال تمت خلال هذه الفترة .

المواصلات فى منطقة الخليج ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

ظلت المواصلات داخل منطقة الخليج وبينها وبين الخارج تقريباً دون تغيير . وفي سنة ١٨٧٨—١٨٧٩ نوقش مشروع لمد سكة حديدية بريطانية تربط الخليج باوربا عبر الكويت وبغداد فالموصل وديار بكر . وقد اوصى دوق سوذرلاند بتنفيذ المشروع المذكور ، وايده في ذلك مستر اندرو الذي عرف بدفاعه القوي عن فكرة سكة حديد الفرات ، لكن الامر لم يسفر عن شيء شأنه شأن المشروع الذي سبقه وذلك للحاجة الى الضمان المالي من جانب الحكومة البريطانية .

وفي سنة ١٨٧٨ بدأت تتضح معارضة الحكومة التركية لوجود مكتب بريد بريطاني في العراق التركي .

وفي نهاية سنة ١٨٨٠ الغيت محطة التلغراف البريطانية في جزيرة هانجام ، وذلك لان التطور التكنولوجي في التلغراف جعل من الممكن الاستغناء عن محطة وسيطة بين جاشك وبوشهر .

الشئون الرسمية البريطانية فى الخليج
١٨٧٦ – ١٨٨٠

منذ الغاء البحرية الهندية في سنة ١٨٦٣ ، وضعت سفينة بخارية حكومية بشكل دائم تحت تصرف المقيم في الخليج لرحلاته السياسية ، وللعديد من المهمات الاخرى .

ولكن في اكتوبر سنة ١٨٧٦ ، سحبت آخر تلك السفن التي كان من بينها السفينة « بيرانيس » و السفينة « هيو روز » — فأصبح المقيم يعتمد على قارب مسلح من قوارب البحرية البريطانية كوسيلته الوحيدة للحركة في منطقة الخليج . وفي هذا الوقت اضيف لنش بخاري صغير للعمل في مقيمية بوشهر ، لكنه خصص لاعمال الحجر الصحي في الميناء . وفي مايو سنة ١٨٧٧ ، وبناء على طلب من المقيم المسئول — ارسلت باخرة الحكومة الهندية « دالهوزي » الى الخليج ، لكنها اعيدت الى مكانها مرة أخرى في اغسطس التالي نظراً للحاجة اليها في نقل الجنود ، وكانت حاجة المقيم الى سفينة تعرقل اداء واجباته السياسية . وفي سنة ١٨٧٨ اقترح ان تبدل احدى السفن الثلاث المخصصة للخدمة في منطقة الخليج بلنش بخاري .

وقد قامت الحكومة الهندية سنة ١٨٧٨ بدراسة دقيقة لوضع موقع باسيدو لكن تحرياتها في موضوع هذه الممتلكة البريطانية لم يسفر عن نتيجة حاسمة .

وفي سنة ١٨٧٨ ، زودت محطة التلغراف البريطانية في جاشك بحرس عسكري قليل ، وفي العام التالي نقل مقر القيادة العسكرية البريطانية في منطقة الخليج من باسيدو الى جاشك ، واصبح في هذه الاخيرة حامية من المدفعية الهندية قوامها ٩٠ جندياً .

وفي سنة ١٨٧٩ ، سحب مساعد الوكيل السياسي البريطاني في

جوادر ، وعين بدله وكيل من اهل البلاد ، وفي نفس السنة ، انتقل الاشراف على الامور في امارة ظفار العمانية المستقلة على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب من المقيم البريطاني في عدن الى المقيم في الخليج .

الامور البريطانية الرسمية فى العراق التركى ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠

في سنة ١٨٧٧ ، وبعد ان ظلت وظيفة نائب القنصل شاغرة لمدة خمس سنوات عين ضابط بريطاني للمرة الاولى نائباً للقنصل البريطاني في الموصل ، وفي سنة ١٨٧٩ ارتفعت درجة التمثيل البريطاني في البصرة من نائب للقنصل الى قنصل .

وفي سنة ١٨٧٧ صحح خطأ فني بسيط في الاشراف على هبة اوض بأن نقل رسمياً الى الوكالة السياسية البريطانية في بغداد توزيع حوالي ثلث الهبة على فقراء الهنود ، وظلت الامور تسير عل ذلك المنوال أكثر من عشرين سنة دون الحصول على تفويض كتابي من المجتهدين المسئولين عن ذلك التوزيع .

نيابة لورد ديبون للملك في الهند يونيو ١٨٨٠ ، ديسمبر ١٨٨٤

لم تتميز الاحداث في منطقة الخليج خلال السنوات الاربع التالية بشيء يذكر حيث ظلت تسير في مجرياتها التي تتبعناها من قبل .

الحالة فى ايران ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

كانت مشكلة المواصلات في جنوب ايران في سنة ١٨٨١–١٨٨٢ موضع دراسة طويلة من جانب الخبراء البريطانيين ، ولكن شيئاً لم يحدث بصددها . والنتيجة التي يبدو انهم وصلوا اليها هي ان فتح نهر قارون للملاحة كان امراً مرغوباً فيه الى ابعد الحدود ، وان مد خط حديدي من الساحل الجنوبي للداخل كان مشروعاً عملياً،لكن الامر الغامض كان الطريق الذي ينبغي ان يسلكه ذلك الخط وما اذا كان مده من عربستان شمالا ، على موازاة ديزفول وخرام اباد افضل تكتيكاً من أي طريق آخر . وفي سنة ١٨٨١ حين ذعرت الحكومة الايرانية من تسلل الى اراضيها عبر اراضي تركيا، ورغبة منها في ارضاء بريطانيا، لمحت الى موافقتها على فتح نهر قارون للملاحة وشق طريق من عربستان الى طهران ، ولكن حين انتهى خطر الغزو التركي المذكور ، وزال بذلك العامل الذي اغراها بالملاينة في الموضوع ، تغير موقفها حيال فتح نهر قارون للملاحة فاصبح موقفاً غير عملي .

الحالة فى تركيا ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

اما في الامبراطورية العثمانية ، فقد حدث شيء خطير هو انشاء الدين العام الذي وضع مالية تركيا تحت الاشراف الدولي الى حد كبير .

الحالة في العراق التركي :

وفي سنة ١٨٨١ ، حدث تمرد خطير ضد السلطة التركية من جانب

قبيلة المنتفق ، أكبر القبائل العربية واقواها في العراق التركي . ويبدو ان هذا التمرد همد دون ان تقمعه السلطات التركية . وفي سنة ١٨٨٣ اضطربت الامور على الشاطىء الشمالي لدجلة ، وظلت حرية الملاحة في هذا النهر مهددة لفترة من الوقت .

الحالة في الأحساء :

أما الادارة التركية في الأحساء – كما سيتضح لنا تالياً في حديثنا عن مشكلة الامن البحري – فقد تردت الى حال من الفوضى المطلقة .

وفي سنة ١٨٨٠ هاجمت قبيلة عجمان واحة الأحساء لكنهم صدوا على أعقابهم ، وبلغت الانقسامات بين المسئولين الاتراك في الأحساء قمتها ، فالقى القائد العسكري هناك القبض على الحاكم المدني وسجنه ، وكانت هذه الحادثة خروجاً صارخاً على العرف شجبته السلطات العليا فيما بعد .

العلاقات بين تركيا وايران ١٨٨٠ – ١٨٨٤

لم تحدث في العلاقات الايرانية – التركية اية تغييرات تذكر خلال هذه الفترة .

الحالة والعلاقات السياسية على الساحل الغربى للخليج
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

البحرين :

ظلت البحرين الامارة الوحيدة على الساحل الغربي من الخليج التي تتطلب مراقبة دائمة من جانب الحكومة البريطانية . وفي نهاية سنة ١٨٨٠ ، حين كانت تركيا ما تزال تبدي ميولا للتدخل في شئون البحرين تبنت باسلوب ضعيف قضية زعماء التمرد البحراني سنة١٨٦٩ ،حين كان احد اللاجئين البحرينيين المدعوم مالياً من تركيا يعد العدة لغزو البحرين. واستطاع هذا الرجل ان يجمع قوات كبيرة من البدو تحت قيادته على ساحل قطر ، لكنه عجز عن تأمين القوارب التي تنقلهم الى الجزر ، وقبل ان يمضي وقت طويل ، وصلت السفن الحربية البريطانية ، فانتهى التمرد وزال الخطر من الموقف . وانتهز المقيم العام في الخليج فرصة هذه الازمة فاستطاع الحصول من شيخ البحرين على اتفاقية تمنعه من عقد أية علاقات سياسية مع أية دولة اجنبية ما عدا الحكومة البريطانية .

قطــر :

وفي سنة ١٨٨٢ ، طرد شيخ الدوحة عدداً من التجار الهنود من رعايا بريطانيا.وكان الاتراك قد عينوه حاكماً لقطر باسمهم،لكن الحكومة البريطانية لم تكن تعترف به كمسئول تركي ، فقطر بالنسبة لها كانت تعد اقليماً مستقلا عن السيطرة التركية . وقد امرت الحكومة البريطانية باتخاذ عمل مباشر ضد الشيخ ، وكان من نتيجة ضغطها ان عاد فسمح لاولئك التجار بالرجوع الى الدوحة ، ودفع لهم مبالغ مالية كتعويض عما لحق بهم من خسائر . واعقب ذلك احتجاج من جانب تركيا ، واجيب الباب العالي على احتجاجه بان ادعاءاته في السيطرة على قطر امر غير معترف به ، وان الحكومة البريطانية ستواصل اتصالها المباشر بمشايخ الساحل العربي .

الحالة والعلاقات السياسية في سلطنة عمان
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

في سنة ١٨٨٣ حدث هجوم عنيف على مسقط من جانب المتمردين من داخل عمان ، لكن سلطان عمان استطاع ان يصدهم مستعيناً ببارجة حربية بريطانية في الميناء . وقد ارغم عدد كبير من رعايا الهند البريطانية في مسقط ومطرح على ان يتركوا مساكنهم الى ظهور السفن الى ان اتضح فشل الهجوم .

الدول الاجنبية ـ غير بريطانيا ـ في الخليج والعراق التركي ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

كانت فرنسا هي الدولة الاوربية الوحيدة ، الى جانب بريطانيا ، التي كانت ما تزال تدعي وجود نفوذ لها حتى ذلك الحين في منطقة الخليج . أما روسيا فقد بدا نفوذها يظهر للمرة الاولى في المنطقة على المستوى السياسي .

فرنسا :

ففي سنة ١٨٨١ انتعش مشروع دكتور تولوزان لاقامة مشروعات زراعية وصناعية في اقليم عربستان ، وربما كان متصلا بالمشروع قيام خط بخاري ملاحي فرنسي ــ بمعونة الحكومة الفرنسية ــ راح يعمل بين مارسيليا والبصرة . وبدأ الوكلاء التجاريون الفرنسيون ــ ولم يكونوا من قبل يهتمون بالتجارة ــ يستقرون في المحمرة ، وبدأوا الاشتغال بتجارة السلاح والذخيرة في هذا الميناء الى جانب عملهم كوسطاء في تجارة

الحبوب ، وكان ثمة اسباب تدعو للشك في أن اعمال فرنسا هذه كانت بتشجيع من روسيا التي كان يسرها لو استطاعت تحييد النفوذ البريطاني في عربستان بقيام اية وكالة اخرى كائنة ما كانت . ومرة أخرى في ١٨٨٣ — ١٨٨٤ ، قام مهندس فرنسي بمسح طريق شيراز — فيروزاباد— بوشهر لارتباط هذا المسح بمشروع مد خط حديدي من بحر قزوين الى الخليج . لكن مشروع الزراعة في عربستان لم يتمخض عن اية نتائج عملية تذكر ، وخلال السنوات القليلة التالية بدأت دلائل النفوذ الفرنسي تختفي شيئاً فشيئاً . واقفلت القنصلية الفرنسية في البصرة سنة١٨٨٣

روســيا :

أما الاشارة الاولى ، والاشارة الوحيدة الواضحة الى اتجاه اهتمام روسيا الى منطقة الخليج فقد كانت اقامة قنصلية روسية في بغداد سنة ١٨٨١ .



الترتيبات البحرية البريطانية في منطقة الخليج ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

قلة فعالية الفصيل البحري في الخليج :

ظل نظام الترتيبات البحرية الذي وضع سنة ١٨٧١–١٨٧٢ ساري المفعول ، ولكن ظهرت شكاوي عرضية بأن بعض السفن المخصصة للخدمة في منطقة الخليج لم تكن على درجة عالية من الكفاءة .

وهكذا فانه حين غرقت في يوليو سنة ١٨٨٣ سفينة بريطانية تجاه الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة ، ولزم ارسال سفينة حربية لانقاذها،لم يتيسر ارسال أي من السفينتين الموجودتين في الخليج لان كلتيهما كانت عاجزة عن السير في مواجهة الرياح الجنوبية ــ الغربية .

التحيات والاعلام ١٨٧٩ ــ ١٨٨٢ :

وفي سنة ١٨٧٩ تغيرت نظم البحرية في اطلاق مدفعية التحية في منطقة الخليج ، وكان هذا الاجراء الى حد ما نتيجة اتجاه دولي لانقاص طلقات التحية ،خاصة بعد اختراع المدفعية الجديدة ونتيجة ايضاً للرغبة في توحيد الاجراءات المتبعة في المنطقة . وفي نفس الوقت أثير موضوع حق المسئولين السياسيين في رفع الاعلام على سفنهم التي يتجولون بها . ويبدو انه قد تقرر اولا–وبعد استشارة الجهات المسئولة–ان من الضروري الغاء التحيات البحرية لتكريم المسئولين السياسيين البريطانيين والحكام المحليين او ممثلي السلطات المحلية ، لكنه سمح باستمرار رفع علم نائب ملك الهند على سفن المسئولين السياسيين اثناء قيامهم بتأدية مهمام عملهم . غير ان الاوامر الصادرة الى شركة الهند الشرقية سنة ١٨٨٢ توضح لنا ان هذه القيود العامة على التحية كانت موضع التسامح بالنسبة لبعض الرؤساء المحليين في منطقة الخليج .

وفي سنة ١٨٨٣ ، انتعشت مجدداً خطة الشاه لخلق قوة بحرية ايرانية مرة أخرى ، بعد سبات دام عدة سنوات وكانت بداية ذلك سفينتان المانيتان صغيرتان .

الامن البحرى فى منطقة الخليج ١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

القرصنة تجاه ساحل الأحساء :

لم تتوقف الاضطرابات البحرية على شاطىء الأحساء،وقد ظل هذا الشاطىء مصدراً دائماً للمشاكل خلال الفترة الاخيرة ، ووضح ان احتمال التعاون بين السلطات البريطانية والتركية للقضاء على ذلك الوضع كان امراً مستبعداً . وقد لجأ واحد من اولئك المسئولين الاتراك ــ وهو والي بغداد ومقره يبعد عن الساحل المضطرب مئات الاميال ــ الى التذرع بانكار وجود قرصنة على هذا الساحل . وبذلت محاولة للحصول على موافقة الباب العالي على الاجراءات التي تتخذها الحكومة البريطانية لتنظيم عمليات من البحرية البريطانية تقضي على ذلك الاضطراب ، لكن المفاوضات فشلت وتوقفت . واخيراً ، في سنة ١٨٨١ لم تجد الحكومة البريطانية امامها سوى ان تصدر لقائد بحريتها في الخليج امراً يعفيه من التقيد باحترام ثلاثة اميال المياه الاقليمية للساحل التركي لدى قيامه بعملياته ضد القرصنة . لكنها ايضاً اصدرت اليه تعليماتهـا بالا يخلق مشكلات لا ضرورة لها مع الباب العالي ، والا يمعن في اعتداءاته على حقوق السيادة التركية .

وبعد صدور تلك الاوامر الجديدة ، لوحظ نقص واضح في عدد عمليات القرصنة التي ارتكبها المعتدون على ساحل الأحساء .

تجارة السلاح في الخليج ۱۸۸۰ ـ ۱۸۸٤

بداية تجارة السلاح :

شهدت هذه الفترة بداية تجارة الاسلحة النارية والذخائر في منطقة الخليج ، وهي التجارة التي قدر لها فيما بعد ان تنتشر انتشاراً رهيباً وان تكون سبباً في اثارة مشكلات سياسية لا حصر لها . وقد بدأت حكومة الهند تولي هذا الموضوع اهتمامها — لاول مرة — قرب نهاية الحروب الافغانية ، واتخذت الخطوات العملية لمنع وجود طريق لها غير الموانىء الهندية . وفي سنة ۱۸۸۱ ، دفع الخوف شاه ايران الى اصدار امر يمنع دخول الاسلحة والذخائر الى ايران ، ورغم هذا الامر ، فقد ظل التجار الفرنسيون يمارسون هذه التجارة في المحمرة خلال نفس السنة .

مواصلات منطقة الخليج ۱۸۸۰ ـ ۱۸۸٤

غيرة الحكومة التركية من الخدمات البريدية البريطانية :

لم يطرأ تحسن بالفعل على وسائل المواصلات القائمة في منطقة الخليج من قبل ، لكن الحكومة التركية انشأت خطاً بريدياً برياً بين العراق التركي والشام ، تقليداً ومنافسة لخط البريد البريطاني المشابه ، واصبحت معارضة الحكومة التركية للخدمات البريدية البريطانية عبر العراق التركي أكثر وضوحاً وعناداً . وخلال هذه الفترة ظل الباب العالي يوالي الضغط من أجل الغاء مكاتب البريد البريطانية الموجودة في بغداد واالبصرة واحياناً كان مسئولو الحكومة المحليون يعمدون الى تعطيل اعمال البريد البريطاني تعطيلا يبدو انه غير مقصود ، لكن كل هذا لم يؤد الى شيء .

المسائل الرسمية البريطانية فى ايران
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

الجلاء عن باسيدو ١٨٨٣ :

في سنة ١٨٨٣ ، جلا البريطانيون عن قاعدتهم في باسيدو التي ظلوا يحتلونها لاهداف بحرية منذ سنة ١٨٢٣ ، ونشأ الجلاء عن رداءة المناخ ، وقد جعل رجل من اهل البلاد مسئولا عن وكالة الفحم في تلك القاعدة .

تزويد المقيمية السياسية في الخليج بسفينة ناقلة :

واخيراً تقرر في سنة ١٨٨٤ — اي بعد ثماني سنوات — تزويد المقيمية السياسية في بوشهر — مرة أخرى — بباخرة للنقل ، وواضح أن ذلك تم دون انقاص عدد سفن البحرية الملكية العاملة في الخليج ، غير أن بناء سفينة جديدة لتلك الغاية سبّب تأخر وصولها .



المصالح البريطانية والمسائل الرسمية في العراق التركى
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

شهدت هذه الفترة الحاق اضرار كثيرة بالمصالح البريطانية في العراق التركي ، وتميز اتجاه العداء لاوربا بين المسئولين الاتراك ، وبلغ درجة من الحدة والعنف لم يبلغها من قبل .

قتل مواطن بريطاني في بغداد وعدم ايقاع العقاب بالمجرمين ١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٨١ قتل مهندس بريطاني مسالم كان يعمل في بغداد في الطريق العام ، ووضع المسئولون الاتراك كل العقبات امام محاولة تقديم المجرمين للعدالة . وفشل الضغط العنيـــد والعنيف من السفارة البريطانية في القسطنطينية اخيراً في اتخاذ اية اجراءات للقبض على المجرمين ، الذين كانت المحاكم التركية المتعاقبة التي يقدمون اليها تطلق سراحهم .

الاتراك يحاولون ايقاف الملاحة البريطانية التجارية في دجلة ١٨٨٣ :

وفي ١٨٨٣ ، ونتيجة الخطوات التي اتخذتها شركة الملاحة البخارية في دجلة والفرات لزيادة سفينة الى اسطولها ، انكر والي بغداد ــ فجأة ــ حق هذه الشركة في الملاحة في نهر دجلة اصلا ، بالرغم من ملاحة البريطانيين في ذلك النهر بالذات منذ اكثر من عشرين سنة ، ورغم ما بذلوا من جهود كثيرة للحصول على امتياز يتيح لهم ذلك . ومنع البوليس التركي المسافرين والبضائع من استخدام البواخر البريطانية ، كما كانت عمليات انزال المسافرين والبضائع ــ بل والبريد ــ تمنع ايضاً . ومر شهر كامل قبل ان يكون بمقدور السفن البريطانية الخلاص من ذلك الحجر التعسفي مما اصاب الشركة بخسائر باهظة . ولم تمر هذه الحادثة دون نشاط عظيم من جانب التمثيل السياسي البريطاني في القسطنطينية يعززه ظهور قارب بريطاني مسلح امام البصرة ، وكان يظهر ان القنصل

الروسي في بغداد هو الذي شجع الوالي على اتخاذ تلك الاجراءات ضد المصالح التجارية البريطانية القائمة وقتذاك في العراق التركي .

هبـــة أوض :

وظلت الشكاوي من سوء توزيع هبة اوض على غير المستحقين تتوالى على السلطات البريطانية — كما كان الامر في الماضي — وكان معظم هذه الشكاوي على اساس سليم ، لكن السلطات لم تتخذ اية خطوة عملية او تقترح حلا ما .



مسائل بريطانية رسمية ذات أهمية عامة
١٨٨٠ ـ ١٨٨٤

نقل الاشراف على زنجبار من حكومة الهند الى حكومة صاحبة الجلالة ١٨٨٣ :

يبقى الان ان نشير الى تغير بريطاني رسمي هام كان تحقيقه يقترب تدريجياً في السنوات الماضية ، وكان له بعض الاثر في منطقة الخليج وان لم يكن ذلك الاثر مباشراً .

ونعني بهذا الاجراء نقل الاشراف على المصالح والعلاقات البريطانية في زنجبار من حكومة الهند الى حكومة صاحبة الجلالة .

وأصل اشراف حكومة الهند على المصالح البريطانية في زنجبار يرجع الى تبعية زنجبار اصلا لسلطنة عمان ، وكان آخر حاكم لدولة عمان زنجبار قبل انقسامها مقيماً في زنجبار ، والمعروف ان زنجبار ما فتئت ترتبط ارتباطاً طبيعياً بعدن والخليج . وفي سنة ١٨٨١ سمحت حكومة الهند رسمياً لممثليها في هذه المواقع الثلاثة ان يتبادلوا نسخاً من الخطابات الخاصة بالمشاكل المشتركة ، والتي يرفعون نسخها الاصلية الى المسئولين في الحكومة الهندية ، هذا الا اذا كانت خطابات مكتومة جداً .

ومع ان معظم تجارة زنجبار كان بأيدي التجار الهنود من رعايا بريطانيا ، الا ان سكنى الجالية الهندية الكبيرة من التجار في زنجبار سبق فَتْحَ مقيمية بريطانية فيها،وكانت المشكلة الاولى في زنجبار ، والتي تتفرع عنها بقية المشاكل — هي تجارة الرقيق ، التي لم تكن مشكلة هندية بقدر ما كانت مشكلة امبريالية ، تهم الامبراطورية كلها . وقد وجه سير بارتل فرير في سنة ١٨٧٣ او في ١٨٧٤ نقداً عنيفاً لما اسماه « بهذه النقيصة الكامنة في النظام الحالي ، وهي ان يعهد الى حكومة الهند بالاشراف على امور ومشكلات لا يكاد يعنى بها احد شرقي عدن» .

وقد ظلت حكومة الهند عدة سنين تعد العدة لترخي قبضتها عن المصالح البريطانية في زنجبار . وفي سنة ١٨٨٢ التفتت الانظار الى تكاليف التمثيل السياسي هناك ، الى جانب المعونة التي تضمن بريطانيا ان يدفعها سلطان زنجبار لسلطان مسقط ، والتي ظلت طوال المدة التي جرت فيها المفاوضات حول قمع تجارة الرقيق عبئاً على المدفوعات البريطانية ، فاقترحت وزارة الخارجية في لندن اجراء مناقلة السلطة على الشكل الموضح آنفاً . وكانت الخطوط العامة لهذا الانتقال هي ان تتولى حكومة الامبراطورية الاشراف العام ودفع تكاليف المنشآت البريطانية في زنجبار وما يتعلق بها من مصروفات عارضة وعوائد تقاعد مقابل دفع حكومة الهند معونة زنجبار فقط طوال المدة التي يستمر فيها دفع تلك المعونة . لكن مقترحات الخارجية هذه لم تلق موافقة من حكومة الهند التي اشارت الى ان اكثر من نصف تكاليف زنجبار – حسب المطبق انذاك – سيقع على عاتقها في ضوء التغيير المقترح ، كما رأت حكومة الهند ايضاً أن معونة زنجبار المشار اليها ليست بالشيء المخلد ، ولذلك فانه في حالة قطعها ينبغي على سلطان عمان ان يتعهد بالتخلي عن اية محاولات لاستعادة نفوذه في زنجبار بالقوة .

واخيراً ، على اية حال ، تم نقل ارتباط زنجبار بحكومة صاحبة الجلالة ابتداء من ١ سبتمبر سنة ١٨٨٣ ، على الاسس التي اقترحتها وزارة الخارجية . اما مشكلة استمرار المعونة ، والعمل في حالة انقطاعها فقد ارجيء البت فيها الى ما بعد وفاة سلطان عمان في ذلك الحين .

نيابة لورد دفرين للملك
ديسمبر ١٨٨٤ ــ ديسمبر ١٨٨٨

تميزت هذه الفترة بتجدد التوتر في العلاقات الانجلو ــ ايرانية نتيجة تقدم روسيا في آسيا الوسطى .

أزمة في العلاقات الروسية البريطانية ١٨٨٥ :

وفي فبراير سنة ١٨٨٤ احتلت روسيا مرو ، وفي مارس سنة ١٨٨٥ حين كان امير الافغان في زيارة للهند ترامت الاخبار عن عدوان روسي عنيف على الحدود الافغانية في منطقة بنجيده بالقرب من هراة ، الامر الذي وضع روسيا وبريطانيا على حافة الحرب . وكان من نتائج تلك الازمة زيادة ٣٠ الف جندي الى القوات الهندية ، وزيادة الميزانية العسكرية الهندية مبلغ ٢ مليون جنيه استرليني كل سنة ، وتكوين قوات خدمة الامبراطورية في ولايات الهند الوطنية ، وتعزيز الخطوط الحديدية ومد المزيد منها الى ما وراء كويتا في بلوجستان حيث ظلت قائمة بعد إخلاء قندهار سنة ١٨٨١ .

حركة ايوب خان :

وفي سنة ١٨٨٧ استطاع ايوب خان ، وهو عضو من عائلة باركزاي الحاكمة في افغانستان كان قد هزم جيشاً بريطانياً في مايواند سنة ١٨٨١ ، وظل سجيناً تحت المراقبة في ايران منذ ١٨٨٤ ، ان يهرب من سجنه . وبعد ان بذل آخر محاولة فاشلة من جانبه لتحقيق ادعاءاته في افغانستان ، اضطر الى طلب عفو الحكومة البريطانية في مشهد ، فالقى القبض عليه وارسل الى الهند حيث ظل مسجوناً سياسياً بها .

الشئون والعلاقات الايرانية ١٨٨٤ ــ ١٨٨٨

أدت غيرة روسيا من النفوذ البريطاني الى عرقلة تطوير المواصلات في منطقة جنوب ايران وتوقف الكلام عن شق طرق جديدة .

وكانت النتيجة الوحيدة للمشروع البريطاني الفج لمد خط حديدي من الاهواز الى طهران سنة ١٨٨٧ ، هي حصول روسيا من الشاه على وعد في نفس السنة باستشارة القيصر قبل ان يأذن لاية شركات اجنبية بمد خطوط حديدية او اتخاذ طرق مائية في ايران .

افتتاح نهر قارون للملاحة ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ انتصرت الديبلوماسية البريطانية اخيراً على المعارضة الروسية وغيرها من العقبات التي تعترضها ، بعد سنوات طويلة من الجهد الصبور المضني ، حيث لم تسمح الحكومة الايرانية بفتح نهر قارون للملاحة التجارية فقط ، بل وسمحت ايضاً بتشييد طريق للنقل بالعجلات فوراً ودون ابطاء بين نهاية الخط الملاحي في قارون والعاصمة الايرانية .

انشاء ادارة ايرانية في موانئ الخليج ١٨٨٧ :

وقامت حكومة الشاه باعادة التنظيم الاداري في جنوب ايران في ذلك الوقت تنظيماً كانت له بعض الفوائد العملية . فمنذ سنة ١٨٨٢ بدأ التحول في الاشراف على موانىء واقاليم الشاطىء الايراني من الحكومة العامة في اقليم فارس الى الاشراف الشخصي لامين السلطان ، وهو من رجالات البلاط المقربين . وفي سنة ١٨٨٧ تحول ما بقي من اقليم فارس الى نفس السلطة المسئولة ، ولكن في نفس الوقت استثنيت اهم مدن الساحل من سلطته ، مع الاقاليم والجزر التابعة لها ، وشكل لهذه جهاز حكومي جديد عرف بحكومة « موانى الخليج » . وعين لها حاكم خاص ،

كان في البداية واحداً عن اعضاء الاسرة الايرانية الحاكمة ، وفي العام التالي فصل ميناء واقليم جاسك من الحكومة العامة في كرمان ، والحق بحكومة موانئ الخليج .

نشاط ايران وتآمرها في منطقة الخليج ١٨٨٧ – ١٨٨٨ :

وقد صحب هذه التغيرات التي كان الباعث لها على أكبر الظن امين السلطان، اندفاع للنشاط السياسي الايراني في منطقة الخليج اندفاعاً لم تشهده المنطقة من قبل . وفي سنة ١٨٨٧ وضع ميناء لنجة العربي – وكانت تحكمه قبيلة في ذلك الوقت – تحت الادارة الايرانية المباشرة ، ورفع العلم الايراني في نفس الوقت على جزيرة صرّى التي كانت على علاقة وثيقة بلنجة ، ثم تلا ذلك سلسلة من التعديات والدسائس الايرانية ، وقد طلب انسحاب الحامية البريطانية من مركز التلغراف بجاشك ، واجيبت الحكومة الايرانية الى طلبها هذا بعد ان تم ضمان حصانة محطة التلغراف والعاملين فيها بموجب اتفاقية رسمية بين ممثلي الحكومتين البريطانية والايرانية . وقد جاء الدعم الرسمي الايراني بعد ذلك لاتهامات ومزاعم ضد ممثلي بريطانيا في بوشهر ولنجة وبعض الاثارات والتدابير المهينة للانجليز في دار الجمارك في بوشهر دلائل على سياسة موضوعة بضرب نفوذ بريطانيا ، ولكن ذلك قوبل باحتجاج بريطاني شديد اللهجة في طهران . وما بين سنة ١٨٨٧–١٨٨٨ ، بذلت جهود متواصلة لاقناع شيوخ عمان المتصالحة بأن يضعوا انفسهم تحت السيادة الايرانية ، لكنها فشلت ، وبدأ التآمر الايراني واضحاً حتى في قطر والبحرين . لكن هذه المظاهر المعادية لبريطانيا لم تدم طويلا ، ولم تخلف وراءها سوى آثار قليلة .

الحالة فى تركيا ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

لم يحدث تغير في الموقف العام لتركيا خلال هذه الفترة .

العراق التركي :

وفي العراق التركي قلّت الاضطرابات بين القبائل عما كانت عليه في الماضي ، رغم مـــا حصل سنة ١٨٨٦ من تمرد قبيلة الهماوند على الحكومة التركية ، وقطعهم الطرق التي حولهم ، وفي نفس الوقت تقريباً وقع قتال وحشي بين الاقليم وبني شمر على مسافة غير بعيدة من بغداد .

وسط الجزيرة :

وكانت الحكومة التركية ما تزال تحاول مد نفوذها في وسط الجزيرة، ففي سنة ١٨٨٦ زارت حائل بعثة تركية ، وكانت حائل وقتئذ هي عاصمة نجد الشمالية ، لكن البعثة فشلت في الحصول على موافقة امير حائل على اقامة مسجد ومدرسة للحكومة التركية هناك ، وبعدها بقليل ــ حين بدأت امور الحكم في وسط الجزيرة تصبح بين يدي ابن رشيد ــ بلغ تطور العلاقات الحسنة بينه وبين الباب العالي حداً أثار اشاعات بعزم ابن رشيد على غزو امارات الساحل المهادن لحساب تركيا .



العلاقات بين تركيا وايران ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

كان اهم ما حدث بين الحكومتين التركية والايرانية في هذه الفترة متعلقاً بشط العرب .

فلقد احتل الاتراك سنة ١٨٧٦ جزيرة الشلحة الصغيرة التي تقع قرب الساحل الايراني لهذا النهر ، ثم جلوا عنها في العام التالي نتيجة الضغط على الحكومة التركية ، وشغلها مزارعون من ايران عقب جلاء الاتراك ، ثم ثار الخلاف حاداً بشأن هذه المنطقة بين والي البصرة وشيخ المحمرة في سنة ١٨٨٤ ، وقد حاول الوالي الاستيلاء على الجزيرة لكن الشيخ كان متيقظاً لهذا ، وقبل ان يصل قارب تركي مسلح الى المنطقة كان المزارعون قد استعدوا استعداداً جماعياً مسلحاً .

الاتراك يشيدون قلعة في الفاو ١٨٨٥ — ١٨٨٨ :

وكان واضحاً ان هدف الحكومة التركية هو تأكيد سيطرتها على كل اتساع شط العرب ، ولما فشلت محاولتهم الاستيلاء على جزيرة الشلحة الصغيرة ، بدأوا — في نهاية سنة ١٨٨٥ — يقيمون لهم قلعة على الضفة التركية من النهر عند فاو ، اسفل الشلحة ، تسيطر على مدخل النهر من ناحية البحر . وكان عملهم هذا يتعارض « ان لم يكن مع نص اتفاقية ارضروم الثانية فهو يتعارض مع روحها ومع التفسيرات التي قدمها سفراء الدول الوسيطة ، والتي كانت تقضي بالا تقيم تركيا ولا ايران حصوناً على الضفتين المتقابلتين في شط العرب » ، كما ان الحكومة البريطانية ايضاً رأت في تشييد هذا الحصن عملا غير مرغوب فيه بشكل عام . وفي سنة ١٨٨٧ ، قدمت احتجاجات ضد ذلك التصرف الى الباب العالي على يد سفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية ، وكانت الاحتجاجات قائمة على أساسين : وجهة نظر بريطانيا في الاتفاقية ، ثم

اعتبارات المصالح البريطانية ايضاً . وفي سنة ١٨٨٨ ردت الحكومة التركية رداً غير مقنع ولولا ماكان حصل مؤخراً لروسيا من ازعاج بسبب افتتاح نهر قارون للملاحة ، لوقع هجوم بريطاني مسلح على جوار منطقة الفاو .

★ ★ ★

الحالة والعلاقات على الساحل الغربى من الخليج
١٨٨٤ – ١٨٨٨



حدث شيء من الاضطراب على الساحل الغربي للخليج خلال هذه الفترة ، وكان هذا يرجع بشكل اساسي الى سوء تصرف شيخ قطر الرئيسي ، ضخمته الدسائس التركية والايرانية .

سوء معاملة رعايا الهند البريطانية في قطر ١٨٨٦ – ١٨٨٧ :

ففي سنة ١٨٨٦ تغاضى شيخ قطر عن تعديات بدوية وقعت في ميناء الدوحة ، وكان يهدف بذلك بطريق غير مباشر الى ابعاد تجار الهند البريطانية القاطنين هناك ، وقبلت السلطات البريطانية دفع الشيخ تهمة التواطؤ ، وقبلت اعتذاره عما وقع واعتبرته ترضية مناسبة ، لكن الاضطراب تجدد مرة أخرى في الدوحة سنة ١٨٨٧ ، وكان شيخها مسئولا عنه ، وفي هذه المرة نقل الرعايا البريطانيون مؤقتاً من الدوحة الى مكان اكثر امناً ، وتم التحفظ على نفائس للشيخ كانت في البحرين مما أدى الى دفعه التعويضات للمتضررين . واثارت هذه الاعمال احتجاج الحكومة العثمانية ، ورفضت حكومة صاحبة الجلالة قبول الاحتجاج لانها لا تعترف بأية حقوق لتركيا في قطر .

وفي سنة ١٨٨٧–١٨٨٨ ، اظهرت كل من تركيا وايران اهتمامات غير اصولية للتدخل في شئون البحرين وعمان المتصالحة ، فجدد شاه ايران مزاعم سيادته على البحرين ربما بتحريض من روسيا ، وكاجراء احترازي حصلت السلطات البريطانية من كل المشايخ العرب المعنيين على اتفاقية التزموا فيها بالا يقيموا اية علاقات سياسية مع دول اجنبية باستثناء بريطانيا ، والا يمنحوا اية دولة من مثل تلك الدول امتيازات من اي نوع . وفي سنة ١٨٨٨ ، حين بدأ خطر التآمر الاجنبي يتضح أكثر واكثر ، ارسلت سفينة حربية بريطانية الى ساحل البحرين ، ومعها تعليمات بأن تضرب اية محاولة للنزول على الجزر سواء جاءت من ايران ام تركيا ام القبائل العربية . ووجهت الحكومة البريطانية انذاراً بهذا الصدد ايضاً الى الحكومة التركية ، لكن ايران التي لم تكن لديها وسائل للتدخل مباشرة في المشيخات لم تكن محتاجة لمثل ذلك الانذار .

عمان المتصالحة :

وفي اوائل نفس السنة قام الوالي التركي على البصرة بزيارة الدوحة واعقب زيارته وضع حامية عسكرية تركية ومخزن للفحم فيها ، وبعدها بقليل وفي اثناء الاشتباكات التي تكررت بين شيوخ قطر وابو ظبي ، قتل ابن شيخ قطر في المعركة . وتبعت ذلك فترة من التوتر كان يحتمل ان يقوم فيها شيخ قطر وامير نجد الشمالية بتشجيع الحكومة التركية ، بغزو عمان المتصالحة . ولكن ، رغم حدوث بعض الاشتباكات بين المشايخ المتصالحين ، الا ان عملية من ذلك النوع لم تحدث . وقد كان اتجاه السلطات التركية المحلية نحو البحرين في ذلك الوقت اتجاهاً مهيناً الى اقصى حد حيث ظلوا يوجهون رسائلهم الى شيخها كما لو كان تابعاً لهم تبعية مطلقة ، غير ان اوهامهم تلك لقيت الاهمال .

شئون سلطنة عمان وعلاقاتها ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

ضمان بريطاني مشروط وموقوت للعون من جانب الحكومة البريطانية في الدفاع عن مسقط ومطرح ١٨٨٦ :

وفي سنة ١٨٨٦ ، ولصد أي هجوم للمتمردين على مسقط على غرار ما حدث في الماضي واصاب المصالح البريطانية بضرر كبير الى جانب الإضرار بحكومة البلاد نفسها ، اعلنت الحكومة البريطانية انها قررت ان تقف الى جانب سلطان عمان في صد أي هجوم على عاصمته او على مطرح مينائها الهام . وقد اكد هذا الضمان وبلور مركز بريطانيا الممتاز في عمان ، على ان استمراره كان مشروطاً بحياة سلطان عمان وبالتزامه بالحكم وفق ما يشير به عليه البريطانيون .



الدول الاوروبية ـ غير بريطانيا ـ في منطقة الخليج ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

روســيا :

وضحت الآن اغراض اهتمام روسيا بمنطقة الخليج ، ففي ربيع سنة ١٨٨٧ قام الكابتن فونبلومر وهو ضابط روسي من القوقاز ، كان في خدمة الشاه ، بزيارة اصفهان وشيراز وبوشهر ضمن جولة تفتيشية ،

وفي شتاء سنة ١٨٨٧-١٨٨٨ ظهر في بوشهر ضابط روسي سابق من القوقاز ، واحدث ظهوره حالة من الهياج في الدوائر الايرانية حين ناقش صراحة سياسة بلاده المعادية للمصالح البريطانية وطلب عقد اتفاقية روسية - ايرانية لاتخاذ موقف موحد ضد بريطانيا في منطقة الخليج وقد اتفق ظهوره في بوشهر في فترة كان نشاط الحكومة الايرانية فيها في منطقة الخليج - كما رأينا - نشاطاً عظيماً يتسم بالعداء للمصالح البريطانية .

فرنســا :

أما فرنسا فكانت جهودها محدودة خلال هذه الفترة ، فكانت تقتصر على الدراسات الاثرية التي بدأت بالفعل في منطقة تاللو بالعراق التركي ، وعلى مواصلة التنقيب في منطقة شاش بعربستان في ١٨٨٥-١٨٨٦ ، ولكن لم يكتشف بها شيء الا ما اكتشفه الباحثون البريطانيون سنة ١٨٥٢ .

أمريكــا :

وبدأ علماء الاثار الامريكيون العمل في نيفار بالعراق التركي سنة ١٨٨٨ ، وفي العام التالي افتتحت قنصلية امريكية في بغداد .

وكان من الدلائل على زيادة اهتمام الدول الاوربية بشكل عام بمنطقة الخليج تعدد الزيارات التي قامت بها لكل هذه المنطقة بواخر امريكا وايطاليا والنمسا وهنغاريا ما بين سنتي ١٨٨٦ و ١٨٨٨ .

الترتيبات البحرية البريطانية ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

في سنة ١٨٨٤ دار البحث في امكان تخفيض عدد السفن الست التابعة للبحرية الملكية والمكرسة للخدمات الخاصة في حكومة الهند حسب ترتيبات سنة ١٨٦٠ ، ويبدو ان هذه المشكلة قد زادها تعقيداً كون القارب المسلح « سفنكس ، » التابع للبحرية الملكية والمصمم خصيصاً للعمل في منطقة الخليج ، وسفينة النقل « لورنس » المخصصة ايضاً لمقيمية الخليج ، لم يكن العمل في بنائهما قد انتهى بعد . وان سفن البحرية الملكية في الخليج كانت تعمل عادة اربعة أشهر في كل سنة لعمليات مكافحة تجارة الرقيق ، ولم تكن هذه مهمة الحكومة الهندية وحدها .

واضيف عامل آخر الى ذلك التشويش نتيجة خطأ في الفهم حول ما اذا كانت السفينة « لورنس » ستسلح ام لا . وكانت حكومة الهند ترى ـــ في بادىء الامر ـــ ان خمس سفن من البحرية الملكية ـــ الى جانب سفينة النقل التي ما زالت تبنى ـــ كافية لتأدية المهام الضرورية ، لكن غيرها من السلطات كانت ترى ان اقل من هذا العدد يكفي للخدمة في المنطقة .

واخيراً في سنة ١٨٨٧ ، حين تقرر ان تكون سفينة النقل بالخليج سفينة غير مسلحة(١) ، مع جعلها جاهزة للتسلح في حالة الحرب وتابعة للبحرية الملكية ، بموجب قانون الخدمة البحرية الهندية لسنة ١٨٨٤ ، تمسكت حكومة الهند بضرورة إنقاص السفن العاملة في الخليج الى اربع

(١) ارتأت حكومة صاحبة الجلالة بانه في حالة وقـــوع حرب في الخليج فذلك يجب أن تباشره بوارج بحرية صاحبة الجـلالة الراسية هناك ، وقالت انه مما يعقد الامور ان يتولى مقيم مدني تقرير أمر كالحرب وهو جالس في يخته الخاص . ومن الناحية الاخرى فمن المفيد تصميم السـفن التابعة للمقيمية بطريقة تجعلها قابلة للتحول الى سفن حربية عند الضرورة .

سفن فقط ، تقوم واحدة منها بتلبية مطالب العمل في الخليج .

انقاص اسطول الخدمة الخاصة للهند . والاعانة التي تدفعها حكومة الهند للامبرالية ١٨٨٨ :

وقبلت الامبرالية هذا الاقتراح في سنة ١٨٨٨ ، مع انقاص المعونة البحرية المعتادة التي تدفعها حكومة الهند من ٧٠ الف جنيه استرليني الى ٣٥ الف جنيه كل سنة ، لكن حكومة الهند اصبحت مسئولة عن دفع بعض الالتزامات المالية الصغيرة الى جانب هذه الاعانة المخفضة ، واعتبر هذا القرار موقتاً نظراً لاحتمال تزويد محطة شركة الهند الشرقية بعد فترة وجيزة بسفن احدث وذات تجهيزات افضل . وكان ما حصل فعلا هو ابدال القارب البخاري الجديد التابع للبحرية البريطانية (سفنكس) وسفينة النقل التابعة للمقيمية (لورنس) ، وكل منهما باخرة تبلغ سرعتها ١٢ عقدة لكل ساعة ، بثلاث قوارب مسلحة من نوع قديم كانت تابعة للبحرية الملكية ، وكان عجزها وبطوءها موضع شكوى دائمة .

البحرية الايرانية :

وبدأت قوة بحرية ايرانية في الظهور على مسرح الاحداث في الخليج سنة ١٨٨٥ بوصول السفينتين « برسبولبس » و « سويسا » اللتين امرت الحكومة الايرانية بصنعهما لحسابها في المانيا ، والسفينة الاخيرة منهما كانت معدة للخدمة في نهر قارون ، وكان امتلاك السفينة «برسبوليس» مفيداً لايران داخل حدودها فقط .

الامن البحرى ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨



ظلت القرصنة زمناً ما مستمرة على ساحل الأحساء،وتميزت سنة ١٨٨٧ بعدد كبير من الاعتداءات غير ذات الاهمية .

★ ★ ★

تجارة السلاح ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨



في سنة ١٨٨٤ ، كانت هناك شركة وطنية مشمولة بحماية بريطانية تمارس في بوشهر تجارة السلاح غير المشروعة متجاهلة تحذيراً سامياً لها ، وقد توسعت في اعمالها توسعاً خطيراً . وفي سنة ١٨٨٧ قامت وكالة ايرانية — بريطانية مشتركة بتقليد هذه الوكالة ، ففتحت فرعاً لها لتجارة السلاح في بوشهر .

★ ★ ★

أعمال المسح البحرية البريطانية ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

لم تتم خلال هذه الفترة اعمال مسح بحرية في الخليج بشكل منتظم او متماسك . ففي سنة ١٨٨٦ او ١٨٨٧ ، اكتشفت سفينة بريطانية مدخل خور بني علي ، وفي نهاية سنة ١٨٨٨ ونتيجة فتح نهر قارون للملاحة ، قامت سفينة المقيمية في الخليج « لورنس » بعملية مسح جزئي لمنطقة بهمان شير .

المواصلات ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

كان الجديد الوحيد في المواصلات خلال هذه الفترة هو القرار الذي اتخذ سنة ١٨٨٦ بالغاء الخط البريدي البري القديم بين بغداد ودمشق ، بعد ان انتهت قيمته العملية تماماً .

وقد توقفت الخدمات البريدية التابعة للحكومة التركية على نفس الطريق سنة ١٨٨٧ ، ولكن اعيد تشغيله مرة أخرى سنة ١٨٨٩ . اما خط المواصلات التركي بين بغداد والقسطنطينية فيبدو انه كان يتخذ طريق الموصل الى دياربكر في اوقات توقف المواصلات عن طريق سوريا.



الشئون الرسمية البريطانية فى ايران ١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

وصلت سفينة صاحبة الجلالة « لورنس » التي خصصت كسفينة نقل تابعة لمقيمية الخليج في سنة ١٨٨٧ ، فانهت صعوبة هامة كانت تعترض السفير في عمله خلال السنوات العشر الماضية .

وقد اشرنا من قبل الى نقل الحامية الهندية العسكرية في محطة التلغراف البريطانية في جاشك سنة ١٨٨٧ .

الشئون الرسمية البريطانية فى العراق التركى
١٨٨٤ – ١٨٨٨

استمر التعطيل الرسمي للمصالح البريطانية في العراق التركي لكن حدته قلت بعض الشيء .

عوائق تركية رسمية ١٨٨٥ – ١٨٨٦

وفي سنة ١٨٨٥ احتج الباب العالي ضد رحلة قام بها المقيم البريطاني في دجلة صعوداً بعد بغداد على يخت المقيمية « كوميت » . ولكن المقيم ذكر انه قد قام بمجرد زيارة استوجبها عمله القنصلي ، ولم تعاود الحكومة التركية احتجاجها . واخيراً في نفس السنة اعترضت الحكومة التركية على رحلة كان المقيم يعتزم القيام بها ، لاسباب رسمية ، الى كربلاء والنجف ، ولم تبدأ سنة ١٨٨٦ الا وقد سحبت الحكومة التركية اعتراضاتها ، واستعاد المقيم حريته في الحركة داخل اقليم عمله .

وفي سنة ١٨٨٧ الغيت وكالة القنصلية البريطانية في الموصل ، فقد قل عدد الرعايا وانكمشت المصالح الموجودة هناك .

الغاء شبه قنصلية الموصل ١٨٨٧ . هبة أوض :

وبعد موت اقبال الدولة – في نهاية سنة ١٨٨٧ – برز سوء تصرف المجتهدين القائمين على توزيع هبة أوض في كربلاء والنجف بعد ان زالت هيبة ذلك الرجل ونفوذه الروحي .

الشئون الرسمية البريطانية بشكل عام
١٨٨٤ ـ ١٨٨٨

الاحتفال بيوبيل صاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا ١٨٨٧ :

في سنة ١٨٨٧ تم الاحتفال بيوبيل صاحبة الجلالة الملكة الامبراطوره فيكتوريا في اماكن مختلفة من الخليج وسط مظاهر الفرح والابتهاج ، وحسن النية من جانب السلطات المحلية والسكان العرب او الايرانيين . الى جانب الحماسة والولاء من جانب البريطانيين ورعايا الهند البريطانية .



نيابة لورد لانسدون للملك
ديسمبر ١٨٨٨ ـ يناير ١٨٩٤

كانت الظاهرة البارزة في الشئون السياسية خلال هذه الفترة هي استمرار المعارضة بين بريطانيا وروسيا ، وقد انتقل مسرحها الرئيسي من منطقة افغانستان حيث قامت هناك حكومة قوية تحت قيادة الامير عبدالرحمن ، الى ايران .

الحالة في ايران ١٨٨٨ ــ ١٨٩٤

الصراع السياسي والاقتصادي بين بريطانيا وروسيا .:

في ايران تحول الاهتمام السياسي بشكل اساسي الى التنافس القائم بين النفوذ البريطاني والنفوذ الروسي ، وفي هذا المضمار كانت مشكلة مد السكك الحديدية وغيرها من الامور الاقتصادية ولا سيما الامتيازات التجارية تُستغل كأسباب للقتال . وكان التفوق في هذا الصراع ــ باستثناء مشكلة السكك الحديدية ــ الى جانب بريطانيا ، التي نجحت ايضاً قرب نهاية الفترة السابقة في أن تفرض رغبتها في فتح نهر قارون للملاحة .

وكان رد روسيا المباشر على هذا النجاح الذي احرزه البريطانيون في نهر قارون أن اكرهوا الشاه ــ في مارس ١٨٨٩ ــ على عقد اتفاقية معهم بتحويل كل عمليات انشاء خطوط السكك الحديدية في ايران بالكامل الى شركة روسية لمدة خمس سنوات . وردت حكومة صاحبة الجلالة بأن حصلت من الشاه على امتياز يمنح بريطانيا حقوقاً تفضيلية لمد السكك الحديدية في جنوب ايران ، وكان مؤرخاً ــ لاسباب لا تخفى ــ بتاريخ سبتمبر ١٨٨٨ . ولما قدم الممثل البريطاني في طهران للروس نسخة من هذه الاتفاقية في سنة ١٨٩٠ ، استطاع الوزير الروسي ان يغري الشاه ــ في الشهر التالي مباشرة ــ بعقد اتفاقية تحظر انشاء اية سكك حديدية في ايران لمدة عشر سنوات . وحتى هذا لم تتركه بريطانيا دون رد من جانبها ، فحصلت على امتياز بافضليتها على جميع الدول بالنسبة لخطوط الترام في جنوب ايران .

أما في الامور التجارية الصرفة ، فقد كان نجاح بريطانيا سريعاً وكاملا . ففي سنة ١٨٨٩ انشئ بنك بريطاني هو البنك الامبراطوري الايراني احتكر اصدار اوراق العملة ، وبعض الحقوق المتعلقة بصناعة

النقد الايراني بموجب امتياز مدته ستون سنة .

وحصل البنك في العام التالي على امتياز بشق واستغلال طريق بين طهران والاهواز ، وكان هذا ايضاً لمدة ستين سنة . كما استطاع الرأسماليون البريطانيون ان يسيطروا على تجارات اخرى كاوراق اليانصيب وتجارة التبغ في سنة ١٨٩١ ، لكن كلا من هذين الاحتكارين الغي بسرعة ، مع دفع تعويضات من جانب الحكومة الايرانية في الحالة الاولى ودون تعويضات في الثانية .

النظام العام في ايران :

وكان النظام في ايران مستتباً على نحو طيب ، ولكن في الفترة من ١٨٨٨ الى ١٨٩١ حصلت بعض الاضطرابات في شمال عربستان بتأثير الاضطراب السائد عندئذ في منطقة قبيلة بختياري المجاورة .

وفي سنة ١٨٩٢ — ١٨٩٣ قامت حالة من الحرب الفعلية بين اهالي الساحل الايراني واهل شبه جزيرة قطر على الساحل العربي من الخليج ، لكن ايران لم تلق لها بالا فانتهت وحدها .



الحالة فى تركيا ١٨٨٨ — ١٨٩٤

ظلت الامبراطورية التركية — على الرغم من انها اصبحت تحكم حكماً مركزياً مطلقاً على حالها من الانحدار الى التفكك . واصبحت أقاليم البانيا واليمن مصدراً للمصاعب الدائمة المتجددة ابتداء من سنة ١٨٩٢

في العراق التركي :

وفي العراق التركي ، في سنة ١٨٩٢ ، عادت قبيلة آل بو محمد الى التمرد مجدداً فاضطربت الملاحة ولم تصبح مأمونة اسفل نهر دجلة . ومع ذلك ازداد الاهتمام بالمسائل الاقتصادية .

وفي سنة ١٨٩٠ قام مهندس اجنبي موظف مع الحكومة التركية ببناء سد قصد به اعادة جزء من مجرى نهر الفرات الى مجرى الحلة الاصلي الذي كان النهر قد انزاح عنه الى مجرى الهندية . وتم هذا العمل وحقق هدفه الى حد كبير . ومرة أخرى في سنة ١٨٩٢ اعلن عن انشاء شركة عثمانية للملاحة البخارية في دجلة ، وظهرت ارادة سلطانية بهذا المشروع ، لكن العقبات ارجأت — بل ربما اوقفت تماماً — بدء عمل هذه الشركة .

الأحساء وقطر :

وفجأة تفاقمت مشاكل الادارة التركية في الأحساء، بعد فترة هدوء نسبي . حين تطورت حوالي سنة ١٨٩٠ ، المناوشات الصغيرة الى اشتباكات فعلية ، وفي ١٨٩٢ شن البدو هجوماً وحشياً على قافلة ثمينة كانت تتجه من الهفوف الى الساحل تحت حماية عسكرية تركية . وفي هذه العملية الاخيرة ، ضاعت ارواح كثيرة ، وفقدت املاك عزيزة . وفي خريف سنة ١٨٩٢ وصل والي البصرة الى الأحساء ليعيد النظام، لكن اعماله كلها —رغم مساعدة شيخ الكويت له — كانت فيما يبدو غير مثمرة .

وفي ربيع سنة ١٨٩٣ تحرك الوالي الى قطر ، حيث كان قد بدأ واضحاً ان قراراً قد اتخذ بارغام شيخها على المزيد من الاذعان للحكومة التركية ، لكن محاولة الاتراك خطف هذا الشيخ غدراً انتهت بكارثة لقواتهم ، التي ارغمت على الرجوع عن مدينة الدوحة متكبدة خسائر كثيرة ، وفر الوالي الى حيث وجد له ملجأ فوق سفينة حربية تركية

كانت في الميناء . وعرضت السلطات البريطانية وساطتها بين الاتراك والشيخ فرحب بها الطرف الاخير ، لكن السلطات التركية كانت تميل الى التخلص من هذه الوساطة . واخيراً عاد الوالي الى مقره في البصرة ، وترك وراءه شئون الأحساء وقطر في حالة اسوأ من ذي قبل،واخيراً نجحت شخصية تركية ذات نفوذ من البصرة في تسوية اتفاقية كان قبولها في غير صالح هيبة العثمانيين .



علاقات تركيا وايران ١٨٨٨ ــ ١٨٩٤

تدخل تركيا في الملاحة في نهر شط العرب ١٨٩١ــ١٨٩٣ :

تميزت السنوات ١٨٩١ــ١٨٩٣ حتى برغم الارباكات التي اثقلت كاهل تركيا في الأحساء، بانبعاث العدوانية التركية على ايران حول مشكلتي المحمرة وشط العرب ، او بعبارة اخرى مشكلة الحدود المشتركة بين الدولتين من ناحية الجنوب . وفي سنة ١٨٩١ بدت علامات تشير الى احتمال تجدد مطالب تركيا بالمحمرة ، ولكن لم يحدث الا في سنة ١٨٩٣ ان بدأ المسئولون الاتراك في الفاوــ فجأة ــ يجمعون العوائد عن شحنات السفن الداخلة في أعلى نهر المحمرة ، واعلنت السلطات التركية في البصرة ــ وهي ابعد ما تكون عن انكار هذا العمل من جانب اتباعها في الفاوــ بأنها تلقت اوامر بأن تعامل ميناء المحمرة كارض تركية . وبناء على طلب الشاه ــ وبالتشاور بالطبع مع روسيا ــ قام سفير حكومة صاحبة الجلالة بتقديم احتجاج شديد اللهجة الى الباب العالي في القسطنطينية . وكانت نتيجته ان توقف الاتراك فوراً ــ وبشكل نهائي ــ عن التدخل في حرية الملاحة .

الحصن التركي في الفاو ١٨٩٠ – ١٨٩٤ :

أما بشأن الحصن الذي كان الاتراك قد شرعوا في بنائه في الفاو قبل عدة سنوات ، فقد اوضح ان الباب العالي كان ما يزال اقل مرونة بصدده ، في حين احاطت الحكومة الايرانية الموضوع كله بفتور غير مفهوم . وفي سنة ١٨٨٩ – بعد فشل احتجاج قدمته بريطانيا في السنة السابقة لذلك ، وجه السفير الايراني الى الحكومة التركية حول هذا الموضوع احتجاجاً آخر قوبل بالاهمال . وفي سنة ١٨٩٠ ، حين كانت ثلاث سفن حربية بريطانية موجودة في الفاو ، اطلقت النيران من الحصن على جماعة بحرية بريطانية كان بينها بعض الضباط اثناء نزولهم الى البر . لكنه سمح للقائد البريطاني بعد ذلك بدخول الحصن . ويبدو ان العقاب قد اوقع فعلا بمرتكبي الحادث المذكور .

وفي سنة ١٨٩٢ – ١٨٩٣ ، وبعد هدنة قصيرة ، استأنفت السلطات العسكرية التركية العمل في القلعة ، وكان من نتيجة ذلك ان قدمت بريطانيا احتجاجاً شديد اللهجة الى الباب العالي ، وتسلمت بريطانيا ضمانات كافية رداً على احتجاجها ، لكن العمل في الحصن لم يتوقف فعلا الا في منتصف العام التالي .

وفي نفس الوقت ، في سنة ١٨٩١ او ١٨٩٢ ، عينت الحكومة التركية وكيلا قنصلياً لها في لنجة على الساحل الايراني ، لكن السلطات الايرانية لم تعترف بذلك الوكيل اعترافاً رسمياً .

دول أجنبية أخرى ـ غير بريطانيا ـ فى منطقة الخليج
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

النشاط الفرنسي الروسي المشترك :

انتعش النشاط الفرنسي انتعاشاً كبيراً مفاجئاً خلال هذه الفترة ، وكانت ثمة دلائل على وجود سياسة مشتركة بين فرنسا وروسيا مناهضة للمصالح البريطانية في منطقة الشرق الاوسط . وقد بدأت العلاقات الوثيقة تقوم بينهما ابتداء من سنة ١٨٩١ ، رغم ان هذا الاتجاه لم يوصف بأنه « تحالف » الا في سنة ١٨٩٥ . وكان تنفيذ هذه الخطة المشتركة المفترضة بين الدولتين في منطقة الخليج عبئاً على فرنسا وحدها في بداية الامر ، ولم يزد التدخل الروسي المباشر اكثر من هذا الحد خلال الفترة اياها .

وكان استخدام العلم الفرنسي في تجارة الرقيق قد زاد ذلك الوقت في الخليج وخليج عمان ، وكان اعفاء السفن الفرنسية من التفتيش الذي تجريه السفن الحربية البريطانية يدفع باصحاب السفن الى البحث المحموم عن ذلك العلم واستخدامه ، مما اتاح لفرنسا فرصة ثمينة كي توسع نفوذها المحلي . وافتتحت وكالة قنصلية فرنسية ايضاً في بوشهر .

امريكا :

وظل دور امريكا ــ الدولة الوحيدة الباقية التي كانت ما تزال بعدُ بلا مصالح ثابته وقوية في منطقة الخليج ــ دوراً سلمياً وبعيداً عن السياسة . وظل العمل قائماً في الحفريات الامريكية في منطقة نيفار في العراق التركي ، وفي سنة ١٨٩١ قامت البعثة المذكورة ــ وهي جماعة من البروتستانت يتبع افرادها الكنيسة الامريكية الاصلاحية ــ بفتح مركز لها في بوشهر ، ثم اتبعته بآخر في البحرين سنة ١٨٩٣ .

شئون وعلاقات امارات الساحل الغربي من الخليج
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

لقد أصبحت الامارات العربية في الخليج معرضة في هذه الفترة لتهديدات واغراءات استثنائية .. لكن النتيجة النهائية كانت ان اصبحت علاقات هذه الامارات بالحكومة البريطانية اوثق من ذي قبل .

الاعتداءات التركية ثم الاتفاقية الشاملة بين المشايخ المتصالحين ومشايخ البحرين مع بريطانيا :

في سنة ١٨٩٠ ، حاولت الحكومة التركية تركيز موظف لها في موقع العديد في عمان المتصالحة .. لكن جهودها في هذا الاتجاه لم تصب نجاحاً كاملا . وفي سنة ١٨٩١ تردد رجلان فرنسيان ـ احدهما معروف بدسائسه ـ عدة مرات على ساحل عمان المتصالحة ، ويبدو أنهما كانا يحبذان للشيوخ المتصالحين مزايا العلم الفرنسي للحصول منهم على امتيازات لفرنسا . وفي شتاء ١٨٩٢ ـ ١٨٩٣ ، في الوقت الذي ارتفعت فيه صيحات تركيا مطالبة بالمحمرة وبشط العرب ـ تردد أيضاً ان تركيا قد قررت ضم البحرين الى امبراطوريتها . وفي القطيف كان المسئولون الاتراك يعلنون رسمياً عزمهم على « استعادة » البحرين ، وعمان ايضاً ، وجعلها تحت السيادة التركية ، وكان الاتراك هناك يفرضون على اصحاب القوارب من اهل البحرين رفع العلم التركي ، لكن احتجاجات بريطانيا ادت الى سحب الاعلان المذكور وغيره من المضايقات.

وفي مناقشة دارت حول وضع البحرين بالنسبة للامبراطورية العثمانية ، ابلغ الباب العالي ان البحرين تابعة للحماية البريطانية ، وان رعاياها يكتسبون في تركيا حقوق الرعايا البريطانيين . غير ان النتيجة الاساسية لهذا التآمر من جانب تركيا كانت عقد اتفاقية شاملة مع الحكومة البريطانية وقعها مشايخ عمان المتصالحة والبحرين اصبح ممنوعاً على المشايخ بمقتضاها اقامة اية علاقات باية دول اجنبية .

حالة سلطنة عمان وعلاقاتها ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

حين بدأ النفوذ الفرنسي ينتعش في منطقة الخليج ، كما اشرنا آنفاً كانت سلطنة عمان هي المجال الاول لاظهار ذلك النفوذ ، ففي سنة ١٨٩١ شكت السفارة الفرنسية في لندن ــ نتيجة سوء فهم للحقائق ــ من أن بريطانيا قد قامت بضغط من أجل تعديل نظام وراثة العرش في عمان وفي ١٨٩٣ دفع النواب الاستعماريون الحكومة الفرنسية على التعهد بفتح قنصلية لها في مسقط . واشار صمت الوزراء المسؤلين الى ان العمل الملقى على القنصلية الجديدة هو التوسع في استخدام العلم الفرنسي والتعاون مع سياسة روسيا في منطقة الخليج . وفي سنة ١٨٩٣ ايضاً حاول واحد من المغامرين الفرنسيين ممن كان تكرار ظهورهم على ساحل عمان المتصالحة سبباً من الاسباب المؤدية لعقد الاتفاقية الشاملة مع بريطانيا ، ان يحصل على ترخيص اقامة موطيء قدم بجوار ميناء صور وفي نفس السنة ايضاً قام رحالة روسي بزيارة لمسقط . وبعدها مباشرة ترددت أقوال كثيرة عن مفاوضات سرية بين روسيا وسلطان عمان .

اتفاقية بين سلطان عمان وبريطانيا :

في هذا الوقت ، فكرت الحكومة البريطانية في اتخاذ الاجراءات الكفيلة بمنع تسلل ذلك النفوذ الاجنبي المعادي الى عمان . وكان محتملا أيضاً أن تعلن الحكومة البريطانية عمان محمية خاضعة للتاج البريطاني ، لولا ان الاعلان الانجلو ــ فرنسي المشترك لسنة ١٨٦٢ كان يمنعها من اتخاذ تلك الخطوة . وبدلا من ذلك اعدت الحكومة البريطانية في سنة ١٨٩١ اتفاقية وقعها سلطان عمان تنص على الا يسمح هو ولا من يخلفه بأية امتيازات في ارضه لاية دولة من الدول الاجنبية عدا بريطانيا .

الاجراءات البحرية البريطانية ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

وفي سنة ١٨٩٢ ، ورغم ان السفينة « لورنس » الناقلة الخاصة بمقيمية بوشهر لم تكن مخصصة منذ البداية كي تكون سفينة مسلحة الا انها أصبحت مزودة بمعظم التسليح المقرر لها . وكان قانون البحرية الهندية الصادر في سنة ١٨٨٧ بمثابة تفويض من حكومة الهند بتسليح السفينة « لورنس » لاداء واجبات خاصة ، ولكن يبدو ان استخدام هذه السفينة في القتال الفعلي ظل امراً معلقاً حتى سنة ١٨٩٢ . ففي هذه السنة كتب المقيم في الخليج ما يلي :

« ان اهم ميزة يحققها وجود السفينة « لورنس » في الخليج يظل معلقاً طالما ظلت تعد سفينة غير مقاتلة ، وهكذا لا يكون تحت تصرف المقيمية سوى بارجة حربية واحدة ، غالباً ما تظل فترات طويلة بعيدة عن منطقة الخليج ، مما لا يتيح القيام بالحراسة واعمال الامن على الوجه الاكمل خاصة في الاوقات التي تشتد فيها حرارة الجو وتكثر الحاجة الى الرقابة الامنية حين لا يواتي سفينة صاحبة الجلالة العمل في مثل ذلك المناخ . صحيح أن اعمال القرصنة التي ارتكبها بنو هاجر هينة ، لكنها تتطلب المراقبة الدقيقة والا تطورت الى شيء آخر خطير . ولا شك في أن مراقبة شواطيء البحرين تكبح جماحهم ،ولا بد ايضاً من ان يسمح للسفينة الحربية باعمال الردع الفعالة اذا دعت الضرورة ، وهو ما ليس مباحاً للسفينة « لورانس » في الظروف الحالية » .

وبعد مناقشة ظروف هذه القضية في ضوء الاوامر القائلة بأنه « ما من سفينة مسلحة تابعة للدول تستطيع مباشرة العمل العسكري الا بأمر من الامبرالية » صدرت اوامر حكومة صاحبة الجلالة بنزع سلاح السفينة « لورنس » ونفذ الامر فور صدوره .

الامن فى البحار ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

خلال هذه الفترة استمرت القرصنة الى حد ما على ساحل الأحساء. وفي سنة ١٨٨٨ ـ ١٨٩٠ اصبحت عملية الهجوم على السفن في نهر شط العرب تنذر بشر مستطير .



تجارة السلاح ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

حوالي سنة ١٨٩٠ انهمر فيض من الاسلحة والذخائر من زنجبار الى الخليج نتيجة للقيود التي تحظر تلك التجارة في شرق افريقيا ، كما نشطت التجارة المباشرة في الاسلحة النارية بين اوربا واقاليم سلطنة عمان، وكان هذا بداية تحول مسقط لتصبح اعظم سوق للسلاح في منطقة الشرق الاوسط ، ومنذ بداية الحركة كان يعاد تصدير قسم كبير من السلاح المصدر الى مسقط الى مختلف مناطق الخليج . ولم تكن هذه التجارة قد اكتسبت بعد أهميتها السياسية ، غير ان حكومة الهند ـ لاسباب خاصة ـ أقنعت السلطان بمنع تصدير السلاح الى جوادر في سنة ١٨٩١ . وفي السنة التالية حدد الشاه اوامره الصادرة سنة ١٨٨١ بمنع دخول السلاح والذخيرة الى اراضي ايران .

عمليات المسح البحرية البريطانية
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

في سنة ١٨٩٠ قامت البحرية البريطانية بمسح مدخلي شط العرب وبهمانشير من ناحية البحر ، متعاونة مع الحكومة الايرانية ، وفي نفس السنة تم بالفعل مسح منطقة بهمانشير واعدت الرسوم التوضيحية لها ، وشرح اهمية ذلك للسفن البخارية في المحيط . وباذن من الشاه ومن سلطان عمان اقامت بريطانيا مراكز لقياس مد وجزر البحر في بوشهر ومسقط سنة ١٨٩٢ و ١٨٩٣ .



الشئون والمصالح البريطانية الرسمية فى ايران
١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

المنشآت البريطانية على نهر قارون :

تركز معظم اهتمام الموظفين البريطانيين في الجنوب بمشكلة رعايا بلادهم الذين اقاموا في المنطقة بعد فتح نهر قارون للملاحة . وكانت المؤسسة البريطانية الوحيدة التي افادت فائدة عظمى من الامتياز هي شركة الملاحة في دجلة والفرات للسادة لينش فسفنها ، ظلت تمخر نهر دجلة اكثر من ربع قرن .. وقد دفعت معونة مالية لهذه الشركة من حكومة صاحبة الجلالة وحكومة الهند مناصفة دعماً للشركة في وجه الصعوبات التي كانت تجابهها ، وكان من هذه الصعوبات معارضة رسمية من حكومة ايران خاصة بفرض حظر تعسفي على تصدير القمح ، وعرقلة مساعي

الشركة لتأمين البيوت والوسائل اللازمة لموظفيها ، هذا الى جانب المنافسة غير العادلة مع التجار الوطنيين والسلطات المحلية ، كما فرضت الحكومة الايرانية باسم الشاه على الشركة تشغيل خط ملاحي يقع في أعالي نهر قارون ، لم تكن له جدوى اقتصادية ناهيك عن الكراهية الشعبية والتعصب العنصري ، لكن شركة لينش هذه لم تأبه للمصاعب التي كانت تواجهها كما ان تجارتها بالقمح حققت ارباحاً استطاعت ان تغطي بها خسائر عملياتها التجارية الاخرى رغم الدعم المالي الذي كانت تتلقاه لتغطيتها .

اجراءات قنصلية جديدة ..... الخ :

ويرتبط بنمو الملاحة والتجارة هنا افتتاح نيابة قنصلية بريطانية في المحمرة سنة ١٨٩٠ ، ومكتب بريد تابع لحكومة الهند سنة ١٨٩٢ .



شئون بريطانيا الرسمية فى العراق التركى ١٨٨٨ ـ ١٨٩٤

عداء الادارة التركية للمصالح البريطانية :

ظلت السلطات المحلية التركية تفصح عن عدائها للمصالح البريطانية في العراق التركي ، وفي سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٤ ، حين كان الباب العالي يبذل كل جهوده من اجل ضمان سيطرة مطلقة له على كل المجرى المائي لشط العرب ، توالت شكاوى ضباط سفن الهند البريطانية من تحرش هؤلاء المسئولين الاتراك بهم وابتزازهم ، بحجج او اخرى ولا سيما في الفاو . وكان لهذا السلوك ارتباط بمزاعم تركيا في ملكية المحمرة

لكنها لم تكن ناتجة عنها . لان هذه المضايقات لم تنته تماماً بعد ان توقفت تركيا عن مزاعمها المذكورة .

تعطيل حرية ملاحة سفينة صاحبة الجلالة « كوميت » . :

وبذلت المحاولات للتدخل في حركة باخرة مقيمية بغداد « كوميت » حتى في دجلة الادنى . وفي سنة ١٨٩٣ عقب نهاية هذه الفترة بزمن قليل ، قدم الباب العالي احتجاجاً رسمياً على رحلة قامت بها هذه السفينة الى سامراء في أعلى دجلة ، وانكرت الحكومة التركية هذه المرة رسمياً حق الملاحة في دجلة صعوداً بعد بغداد .

تعيينات قنصلية بريطانية :

وقد اضافت الحكومة البريطانية الى مؤسساتها القائمة في العراق فجددت فتح المكتب القنصلي الذي كان بالبصرة على شكل وكالة قنصلية ، في سنة ١٨٩٣ ، كما افتتحت وكالة قنصلية جديدة في كربلاء في نفس السنة لترعى مصالح رعايا الهند البريطانية المقيمين بها وبالنجف .

هبة أوض :

وكانت هذه فترة عاصفة فيما يتعلق بهبة أوض . فقد انكشفت مساءات كثيرة في ادارتها التي تتولاها جماعة المجتهدين ، وقد فشلت ، جهود مضنية من جانب غير مقيم بريطاني واحد في بغداد لتصحيح الامور . من هذه المحاولات الفاشلة محاولة توجيه اللوم والانذارات للمجتهدين وسحب الحسابات منهم ، واخيراً عينت لجنة لمراقبتهم ، ولكن هبة أوض ظلت بعيدة عن مستحقيها الفقراء ، ورفع هذا الامر الى الحكومة الهندية ، فقامت بفحص نصوص الوصية فحصاً دقيقاً ، وخرجت بنتيجة مفادها ان التدخل في ذلك الوقت على الاقل لم يكن أمراً عملياً او هو على الاقل غير مرغوب فيه ، لكنها اوقفت صرف ذلك الجزء من الهبة المكرس اصلا لفقراء الهنود .

نيابة لورد الجين للملك
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

شهدت الفترة التي نحن بصددها ميلاد الحركات التي ما فتيء تجمع قوتها ان جعل للخليج من الاهمية في السياسة الدولية ما لم يكن له من قبل. كان ابرز ذلك التفاهم الروسي ــ الفرنسي الذي سرعان ما تحول الى تحالف بين البلدين ادى الى توتر العلاقات بين انجلترا وفرنسا ، وكذلك محاولات الدول الاجنبية مد خطوط حديدية تربط البحر المتوسط بالخليج . وقرب نهاية الفترة اصبحت المشكلات القائمة في الهند ذاتها تحول دون تمكن حكومة الهند من ملاحقة تطورات الخليج ومعالجتها علماً بأن أمن المصالح البريطانية وسلامتها كانا متوقفين على يقظة الحكومة الهندية ومراقبتها ، وكان من مشكلات الهند المذكورة ظهور الطاعون الدملي وانتشاره بشكل وبائي رهيب سنة ١٨٩٦ ، وانتشار التمرد نتيجة الاجراءات الصحية الوقائية ضد انتشار ذلك الوباء هذا الى جانب تمرد قبلي خطير شب فجأة على الجبهة الشمالية الغربية سنة ١٨٩٧ .

ويحسن بنا ان نتناول تاريخ هذه الفترة بشكل تفصيلي اكثر مما فعلناه بالنسبة للفترات الهادئة السابقة من خلال الموضوعات التالية : الحالة في ايران وفي العراق التركي وعلاقة بريطانيا عموماً بهذين البلدين ونشاط الدول الاجنبية عدا بريطانيا في منطقة الخليج والحالة في الدول العربية وامارات الخليج كل على حده ، ثم العلاقات البريطانية بكل منها ، واخيراً المسائل الادارية والرسمية المتعلقة ببريطانيا بشكل اساسي .

الحالة فى ايران وعلاقاتها ببريطانيا ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

انحلال ايران تحت حكم مظفر الدين شاه :

بتولي شاه جديد عرش ايران في سنة ١٨٩٦ ، دخلت البلاد مرحلة من الانهيار تشابه ما وقعت فيه تركيا خلال الجيل الاخير وكان من اهم أسبابها الاسراف المالي . لقد كان الشاه الجديد مظفر الدين شاه يفتقر الى الالمعية وقوة الخلق مما استطاع بهما ابوه ان يحقق النظام في ارجاء ايران كلها ، وان يزيد دخل الدولة بدل ان يتورط في الدين العام ، وان يحقق توازناً مستقلا في وجه الدول الاجنبية المتربصة . كما اصبحت الخلافات والانقسامات بين كبار الوزراء والمسئولين ظاهرة خطيرة تهدد البلاد .

تناقض المصالح الروسية والبريطانية خاصة فيما يتعلق بالمواصلات والقروض والجمارك :

وفي مجال العلاقات الخارجية كان تعارض المصالح البريطانية والروسية في ايران اهم ما يميز هذه الفترة ، وكان الصراع يزداد اتساعاً كل يوم ، فقد تأجلت اعمال مد الخطوط الحديدية بتدخل روسيا كما سبق ان اشرنا ، لكن بريطانيا استطاعت ان تحرز بعض النجاح بهذا الشأن مؤخراً ، وذلك بحصولها على امتياز مد خط حديدي بين اهواز وأصفهان عبر اقليم بختياري ، وقد اضيف هذا الامتياز الى الامتيازات التي سبق أن حصلت عليها الشركة البريطانية في سنة ١٨٩٧ ، وحصلت روسيا بالطبع على امتياز مشابه لمد السكك الحديدية في شمال ايران .

لكن مشكلة القروض المالية كانت مشكلة جديدة تماماً . فقد سبق ان اقترض ناصر الدين شاه ـ قبل اغتياله ـ مالا من السوق الاوربية . لكنه لم يحصل الا في سنة ١٨٩٥ ان اجبرت طلبات الشاه وزراء ايران

على البحث له عن مبالغ ضخمة من أموال القروض من اي مصدر كان . لقد جاءت مشكلة القروض بمشكلة الضمانات لدفعها ، وبالتالي بدأ التحرى عن امكانات الجمارك الايرانية ، ثم انتدب خبراء بلجيكيون لاعادة تنظيم تلك المديرية في سنة ١٨٩٣ ، وكان مما يتصل اتصالا وثيقاً بالقروض وضمانات دفعها موضوع استغلال عوائد جنوب ايران كرهون القروض ، وكانت بريطانيا من جانبها لا تود ان تنتقل ملكية تلك العوائد الى روسيا بأية حال . فقامت باتخاذ كل الخطوات العملية لدرء ذلك الخطر منذ وقت مبكر سنة ١٨٩٢ أي منذ لاح ان روسيا على وشك تقديم اول قرض لايران . وفي سنة ١٨٩٨ حين سحبت ايران سلفة على قرض بريطاني في ذلك العام ، وضعت دائرة جمارك بوشهر تحت اشراف بريطانيا . وفي خلال هذه الفترة تبودلت الجولات في الصراع القائم بين المصالح البريطانية والروسية في مختلف اقاليم ايران ، في خراسان وسجستان بل وحتى في ايران الوسطى والغربية مما سنفصل الكلام فيه لاحقاً.

بعد هذه الخطوط العريضة عن رؤوس المشكلات نتعرض الان للشئون المحلية في الاقاليم الايرانية على الخليج .

شمال عربستان :

في شمال عربستان اضطرب النظام العام اضطراباً طفيفاً قبل موت ناصر الدين شاه وبعده،وفي بداية حكم خلفه ازدادت امور المقاطعة سوءً . فانغلقت في سنة ١٨٩٤ طريق دزفول ــ خرم اباد ، وفي ١٨٩٥ــ١٨٩٦ اضطربت الحالة فيما حول مدينة دزفول نفسها . ومن سنة ١٨٩٦ــ١٨٩٨ ــ وباستثناء فترة قصيرة ــ كانت اقاليم عربستان الشمالية تحت رحمة قبائل العرب وقبيلة بختياري وحتى في مدينتي دزفول وشوشتار اصبح الحكم بأيدي عناصر مسلحة فوضوية .

جنوب عربستان :

وتميز جنوب عربستان في هذه الفترة باختفاء مشيخة بني كعب في منطقة الفلاحية اختفاء تاماً باندماجها في مشيخة المحيسن في المحمرة ، وهكذا ازداد امتداد هذا الاقليم الاخير اتساعاً . وكان موقف شيخ المحمرة لاسباب عديدة معادياً للحكومة البريطانية منذ افتتاح نهر قارون للملاحة في سنة ١٨٨٨ ، ولكن في سنة ١٨٩٧ تغيرت الامور عقب اغتيال الشيخ مزعل وتولى الشيخ خزعل مشيخة تلك الامارة . ولم يبد على الشيخ الجديد انه كان يكتفي بتأييد المصالح البريطانية وممثلي بريطانيا وحسب ، ولكنه تقدم سراً لوضع نفسه تحت الحماية البريطانية عندما زادت مخاوفه من سير الاحداث في ايران ولا سيما بعد ان ظهرت دلائل على ان الحكومة المركزية في طهران كانت تزمع الغاء استقلاله الذاتي . ورداً على سعيه هذا اجابته الحكومة البريطانية بأنها لا تستطيع أن تضمن له استقلاله عن ايران في الوقت الحالي ، ولا في حالة تفكك الدولة المركزية ، لكنها وعدته بعلاقات العون والصداقة .

الساحل الايراني وجزره :

وامتد ضعف الدولة العام في انحاء ايران الى ساحل الخليج وجزره . ففي سنة ١٨٩٧ — ١٨٩٨ توالي على حكم اقليم مواني الخليج تسعة حكام مختلفون خلال ١٥ شهراً فقط .

وفي سنة ١٨٩٧ حدث شغب بسبب امر خرافي فأدى الى تحطيم اجهزة المسح البريطانية في بوشهر ، وفي العام التالي وقع في نفس المكان حادث قتل شنيع من قبل اتباع شيخ تانجستان راح ضحيته احد اتباع بريطانيا في تلك المنطقة . وحتمت هذه الاحداث اتخاذ اجراءات خاصة لحماية الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم في بوشهر ، غير انه لا يبدو ان البريطانيين استطاعوا الحصول على تعويض كاف في اي من الحالات المذكورة . وفي سنة ١٨٩٨ قام عضو من الاسرة الحاكمة السابقة في

لنجة باعلان نفسه حاكماً لذلك البلد متحدياً الحكومة الايرانية ، التي كانت تدير الميناء والاقليم حوله عن طريق مسئولين تابعين لها ، لكن الرجل طرد من لنجة مرة أخرى سنة ١٨٩٩ بعيد نهاية الفترة التي نحن بصددها .

اقليم مكران الايراني :

ومن كل الاقاليم التي تهمنا دراستها في ايران كان اقليم مكران أشدها اضطراباً . فقد سادت الفوضى فيه سيادة مطلقة لا يحدها شيء ، وفي نهاية سنة ١٨٩٧ ارتكبت سلسلة خطيرة من جرائم اعتداء الاشخاص على الرعايا البريطانيين وصلت ذروتها بمصرع مستر جريفز رئيس مكتب التلغراف البريطاني على يد جماعة من اللصوص البلوش واعقبت هذه الاعتداءات حملة تأديبية يقودها ضابط ايراني وقوة ايرانية باشراف ضباط بريطانيين ، وبحراسة اسطول بحري صغير وقوة من الجنود الهنود لكن ايهما لم يقم بدور ناشط في هذه العمليات ، ولم يحدث قتال جدي ، لكن اخيراً تم قتل الرجل الذي قتل مستر جريفز ، وقبض على رجلين من اعوانه ، اوقع العقاب باحدهما .



الحالة فى تركيا وعلاقاتها ببريطانيا ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

وفي تركيا ، راح التفكك الاداري بتواصل بخطى حثيثة ، فقد بدأ اضطراب ومذابح الارمن من رعايا السلطان ، ووصلت قمتها في السنوات ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ ، ثم تمردت كريت ، وادى تطور الامور الى حرب سافرة بين تركيا واليونان انتصرت فيها تركيا بسهولة لكنها لم تجن فائدة مباشرة من هذا الانتصار .

العلاقات بين تركيا وايران ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

ظلت العلاقات بين تركيا وايران ثابتة كما هي.

★ ★ ★

نشاط الدول الاجنبية ـ غير بريطانيا ـ في منطقة الخليج ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩



حين تمكن الشلل السياسي تدريجياً من ايران وتركيا،أصبح نشاط الدول الاجنبية ــ الى جانب بريطانيا ــ نشاطاً محموماً في منطقة الخليج ولاسيما فرنسا وروسيا .

ففي نوفمبر سنة ١٨٩٤ ، افتتحت نيابة قنصلية فرنسية في مسقط ، وكانت مهمة القنصل الجديد واضحة وهي معارضة تقدم النفوذ البريطاني في سلطنة عمان ، وخلق مصالح فرنسية هناك لا يكون في مقدور الحاكم الوطني الاشراف عليها . وكانت ابرز وسائل ذلك السماح برفع العلم الفرنسي على سفن رعايا السلطان ، وكانت السلطات الفرنسية تعتبر كل سفينة ترفع علمها وجميع من فيها مشمولين بالحماية الفرنسية حتى ضد سلطان عمان . وفي ١٨٩٤ تجاوز عدد السفن التي ترفع العلم الفرنسي عشرين سفينة ، واصبحت صور ــ الميناء الذي تتبعه هذه السفن ــ بؤرة للنفوذ الفرنسي . وفي سنة ١٨٩٧ نجح وكيل القنصل الفرنسي في مسقط في ان يفرض على سلطان عمان الحقوق المتطرفة التي كان يزعمها للذين يرفعون العلم الفرنسي .

وفي سنة ١٨٩٥ ، بدأت السفن الحربية الفرنسية تظهر في مياه الخليج وكانت اول سفينة دخلت المنطقة هي السفينة « تروود» التي زارت مسقط.

واستغلت المشروعات التجارية ايضاً لدفع النفوذ الفرنسي الى الامام، لكنها لم تحقق في ذلك نجاحاً كبيراً . وفي سنة ١٨٩٦ افتتحت شركة « المساجيري ماريتيم » للملاحة خطاً ملاحياً مدعوماً بمعونة حكومية بين بومباي وموانى الخليج ، لكن هذا الخط لم ينجح بسبب استخدام سفن ذات غاطس غير مناسب . وفي ١٨٩٨ زار المحمرة نائب القنصل الفرنسي في بوشهر ، ويبدو انه اعاد دراسة افتتاح خط ملاحي فرنسي الى ذلك الميناء بدعم من الحكومة الفرنسية ، وكان هذا المشروع قد سحب منذ اكثر من خمسة عشر عاماً لكن شيئاً لم يحدث عملياً للبدء في تنفيذه .

وفي سنة ١٨٩٥ ، حصلت فرنسا على احتكار الحفائر الاثرية في ايران ، وفي ظل هذا الامتياز جددت عمليات حفرها في شوش سنة١٨٩٧ .

اما نشاط روسيا في منطقة الخليج وما جاورها فكان ما يزال نشاطاً تجريبياً وان كان واسع النطاق . وفي سنة ١٨٩٨ عين ضابط كفء يدعى كروجلوف قنصلا روسياً في بغداد حيث كان لروسيا قنصلية ثم الغتها واستعاضت بتمثيل القنصلية الفرنسية سنة ١٨٨٦ ثم اعيدت الآن . وفي سنة ١٨٩٧ عين قنصل روسي عام في اصفهان حيث لم تكن لروسيا مصالح بحرية .

وظهر اول دليل على اهتمام روسيا الاستراتيجي بالمضايق الموصلة الى مدخلي الخليج بزيارة ضابط مهندس روسي لهرمز — عن طريق كرمان وبندر عباس — في ربيع سنة ١٨٩٥ حيث بقي يومين قام خلالهما بمسح للجزيرة ، وقبل عودته فهم منه ان روسيا ستقيم مخزناً للفحم على تلك الجزيرة .

وبعد سنة ١٨٩٦ ، هيأ انتشار الطاعون الدملي في الهند حجة

جديدة تذرعت بها روسيا للتدخل في شئون الخليج . وفي سنة ١٨٩٧ — وبناء على تخطيط لا يمكن لاحد ان يشك في وجوده ، او في ارتباطه بمخططات مناطق اخرى من ايران لمعارضة النفوذ البريطاني — ارسل خبيران طبيان روسيان هما ، اوست ومير ، وكان الاخير يشغل منصب طبيب البعثة الدبلوماسية الروسية في طهران ، لدراسة مرض الطاعون في بوشهر ، التي لم يكن الوبأ قد انتشر فيها ذلك الوقت والتي لم تعرفه الا بعد سنتين من ذلك التاريخ . وفي سنة ١٨٩٨ لحق بهذين طبيبان آخران هما رودزفيتس وكورناجفسكي ، ثم لحق بالأخيرين الطبيب باتشوكوفسكي الذي كان قد اتخذ من بوشهر مقراً له خلال سنتي ١٨٩٨ و ١٨٩٩ ، وقام بنشاط طبي عظيم في ثاني تينك السنتين عندما انتشرت موجة خفيفة من الطاعون هناك .

ومن الحقائق الهامة المرتبطة بتخطيط روسيا لنشاطها في مدخل الخليج ان كل هؤلاء الاطباء قاموا طبعاً بزيارة بندر عباس الى جانب بوشهر ، كما قام مستر رود زفيتش ومستر كورناجفسكي بزيارة البصرة . والحقيقة ان هذه الاحتياطات الطبية ضد انتشار الطاعون على الساحل الجنوبي لايران اثارت شكوك الحكومة الايرانية التي نقلتها رسمياً للوكالة البريطانية ، هذا الى جانب ان قصر المدة وقلة انتشار الوباء في بوشهر قد رجحا ان لهذه البعثة الطبية الروسية عملا آخر تؤديه . وفي سنة ١٨٩٩ اصدر السفير الروسي في طهران انذاراً — لم ينفذ — بأن روسيا سترسل جنداً من القوزاق لضرب حصار صحي حول بوشهر كما فعلت في سجستان من قبل .

أما العمل الذي تم في بغداد سنة ١٨٩٨ فكان مرتبطاً بخطة لاقامة ميناء روسي في الخليج حيث طلبت روسيا من قنصلها في بغداد تقريراً عنه . وفي سنة ١٨٩٨ تقدم الكونت كابنت ، وهو مسئول روسي من عائلة عريقة ، الى الباب العالي ملتمساً الحصول على امتياز مد خط حديدي يربط طرابلس في الشام وميناء الكويت . ويشير هذا الالتماس

الى ان الكويت كانت هي المنطقة التي تنظر اليها روسيا كهدف لميناء على الخليج .

وخلال هذه الفترة ، ظهرت المانيا للمرة الاولى في شئون منطقة الخليج ، فقد كان لها مشروعات لم تعلن عنها خارج المانيا لمد خط سكة حديدية تربط البحر المتوسط بالخليج ، وفي سنة ١٨٩٤ ، وهي نفس السنة التي زارت فيها البارجة الالمانية « كورموران » مسقط ، افتتحت قنصلية المانية في بغداد بمجهودات احد الرعايا الالمان الاغنياء وعين نائب قنصل الماني ايضاً في بوشهر سنة ١٨٩٧ ، وكان عدد الرعايا الالمان في موانئ الخليج كلها في ذلك الوقت لا يتجاوز ستة اشخاص .

وانشئت وكالة بحرية المانية ايضاً ، غير ان بواخرها لم تحقق نجاحاً يذكر في بوشهر .

وفي سنة ١٨٩٨ تمت الموافقة الرسمية من جانب الباب العالي على منح امتياز لشركة سكة حديد الاناضول (الالمانية) بأن تمد خطاً حديدياً من آسيا الصغرى الى الخليج ، غير ان هذه الحقيقة لم تعرف فور حدوثها .

أما النشاط الامريكي في المنطقة ، فقد ظل ذا طابع غير سياسي .

★ ★ ★

الحالة فى سلطنة عمان وعلاقاتها ببريطانيا
١٨٩٤ ــ ١٨٩٩



تميزت هذه الفترة في سلطنة عمان ببداية ازمة بين السلطنة والحكومة البريطانية . وكان هذا يرجع الى الاحداث الداخلية من ناحية والى عدم

تجديد ضمان الحماية البريطانية العسكرية للحاكم الجديد وفق ما كانت عليه السلطة من سنة ١٨٨٦ الى ١٨٨٨ من ناحية اخرى، يضاف الى ذلك دسائس الفرنسيين واثرها في الموقف .

احتلال المتمردين لمسقط ، وتباعد السلطان عن الحكومة البريطانية ١٨٩٥ :

في فبراير سنة ١٨٩٥ استطاع المتمردون على السلطان — بطريق الغدر والخيانة — ان يحتلوا عاصمته مسقط ، وظلت في قبضتهم ثلاثة أسابيع . واتخذ الممثل البريطاني من هذا الصراع موقفاً حيادياً كاملا ، لكن المتمردين طردوا بعد ذلك بالقتال والمفاوضات ثم أخيراً بالتنازل . وأدت هذه الحادثة التعسة الى حقد السلطان على الحكومة البريطانية التي اعتبرها قد تخلت عنه في ساعة الازمة . ولهذا نظر الى مطالبتها بالتعويض للرعايا البريطانيين عن الاضرار التي لحقت بهم اثناء فترة التمرد كمطلب كيدي ، وكان هذا من العوامل التي أدت الى اضعاف سلطته على اقاليم بلاده نفسها . ولم يكن في استمرار دفع معونة زنجبار له ، التي لم تتوقف كما كان يجب ما دام قد مارس الحكم بطريقة لا ترضى عنها بريطانيا ، ولا في تقديم هدية صغيرة من الاسلحة اليه ، ولا في عروض العون البحري من جانب بريطانيا لاستعادة الاقاليم المتمردة عليه في ظفار بجنوب الجزيرة ، لم يكن فيها جميعاً ما يكفي لتهدئة ثائرة سخطه على بريطانيا . والحقيقة ان الموقف بعد تمرد سنة ١٨٩٥ قد ساء الى درجة جعلت الحكومة البريطانية تناقش احتمالا من احتمالات ثلاثة : (١) ضم مسقط ومطرح رسمياً الى املاكها او (٢) اعلان الحكومة البريطانية حمايتها على سلطنة عمان كلها ، او (٣) التلميح للمشايخ القادة في البلاد كلها بأن الحكومة البريطانية لن تسمح لهم ، لأي سبب من الاسباب ، بمهاجمة مسقط او مطرح ، وايدت حكومة صاحبة الجلالة الاقتراح الثالث الا وهو تقديم ضمان معتدل بالمساعدة لا يحوي اي مبدأ يتعارض

مع البيان الانجلو – فرنسي لسنة ١٨٦٢ .

وفي سنة ١٨٩٦ بدأت بريطانيا تبحث الاجراءات اللازمة لتعديل البيان الانجلو – فرنسي لسنة ١٨٦٢ بما يتفق مع نية انشاء نظام للحماية البريطانية على عمان لكن حكومة صاحبة الجلالة اعتبرت الوقت غير مناسب لاجراء مفاوضات مع فرنسا حول ذلك الموضوع .

وفي سنة ١٨٩٥ – ١٨٩٧ قدمت حكومة الهند قروضاً للسلطان بضمان معونة زنجبار ، ذلك بأن وضع جمارك السلطنة تحت الاشراف البريطاني يتضمن خرقاً لاتفاقية ١٨٦٢ .

امتياز من السلطان لفرنسا باتخاذ محطة تموين لنفسها ١٨٩٨ :

وفي سنة ١٨٩٨ قام القاربان المسلحان الفرنسيان « قابس » و « سكوربيون » بزيارة لمسقط على التوالي . وخلال نفس السنة ، ودون اعتبار من جانب السلطان لاتفاقيته التي وقعها مع بريطانيا في سنة ١٨٩١ اصدر امتيازاً لفرنسا بأن تقيم محطة لتموين سفنها بالفحم ، دون تحديد مكان لذلك بعينه ، وان كان الموقع المحتمل هو بندر جصّه – وهو ميناء ليس بعيداً عن مسقط – واتخذت الاجراءات من جانب الحكومة البريطانية هناك لتستبق اية عملية احتلال من جانب فرنسا للمكان . ولم يكن النفوذ الفرنسي قوياً في سلطنة عمان ، وكان ميناء صور مركزاً من أهم مراكزه ، أما موقف السلطان من مصالح الرعايا البريطانيين ومن الممثل البريطاني ايضاً – فكان يقارب حد الاحتقار .

الحالة في عمان المتصالحة وعلاقاتها ببريطانيا ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

ظلت امور سلطنة عمان خلال هذه الفترة مستقرة بفضل الاتفاقية الشاملة التي عقدتها بريطانيا مع مشايخ عمان المتصالحة في سنة ١٨٩٢ ، ونتيجة سيادة النفوذ البريطاني القائم ، وبسبب بعد هذه المنطقة عن الاهتمامات السياسية .



الحالة فى قطر وعلاقتها ببريطانيا ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

لم يقع في قطر اي تطور جدير بالذكر ، اذا استثنينا محاولة لغزو جزيرة البحرين عن طريق الزبارة ، احبطتها البحرية البريطانية على نحو ما ذكرنا في حديثنا عن شئون البحرين . وقد انتهى احترام السيادة التركية التي كانت تمارس نفوذها في شبه الجزيرة هذه بشكل شاذ فقد انتهى تماماً عقب نجاح تمرد سنة ١٨٩٣ . وفي سنة ١٨٩٤ قتل ممثل تركيا في الدوحة . وفي سنة ١٨٩٨ حدثت ثورة في نفس المدينة لقي فيها عدد من الاتراك مصرعهم .

وفي سنة ١٨٩٨ ايضاً لمح شيوخ قطر عن رغبتهم في ان تشملهم الدائرة السياسية التي تضم شيوخ عمان المتصالحة الذين كانت لهم علاقات تعاقدية مع الحكومة البريطانية .. ولكن لم تتخذ اية اجراءات في صدد ذلك الطلب .

الحالة فى البحرين وعلاقاتها ببريطانيا
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

البريطانيون يحبطون محاولة لغزو البحرين من البر ١٨٩٥ :

كان الموقف العام خلال هذه الفترة في البحرين هو استمرار تركيا في محاولات تنفيذ خططها العدائية هناك ، واستمرار بريطانيا في اتخاذ موقف الحماية تجاه شيخ البحرين . وقد ادت هجرة قبيلة ساخطة من البحرين الى الزبارة في قطر الى اقامة قاعدة معادية للبحرين هناك ، يساندها عون فعال من جانب رئيس مشايخ قطر والسلطات التركية في الأحساء . وفي سنة ١٨٩٥ اتخذت اجراءات ــعلى مستوى كبيرــ لغزو البحرين بدأت في الزبارة ، وتقدمت هذه الاجراءات بنشاط تحت قيادة مسئول تركي وصل اليها فجأة ، ووصل قارب تركي مسلح ايضاً الى الشاطيء ليحمي عملية الغزو القبلي حينئذ ، كما تركزت قوة بحرية بريطانية في مياه البحرين ، وبعد ان اصدرت هذه القوة غير انذار واحد للباب العالي ، بدأت العمل ، فتم تحطيم او تعطيل أكثر من ٤٠ سفينة من السفن المعدة للغزو ، وتم اسر ١٢٠ سفينة اخرى نقلت الى البحرين ، وقد احرق معظم هذه السفن هناك لان اصحابها رفضوا ان يدفعوا غرامة عنها ليستلموها . وضمنت هذه الضربة القاضية امن البحرين ، وقدمت الحكومة التركية احتجاجات لم تؤد لشيء الا اتاحة الفرصة لحكومة صاحبة الجلالة كي تعبر للباب العالي عن موقفها من المزاعم التركية في قطر والبحرين .

خطط تركيا في البحرين ١٨٩٧ ــ ١٨٩٨ :

وفي سنة ١٨٩٧ رفض بايعاز من حكومة صاحبة الجلالة اقتراح بافتتاح مركز تابع للمكتب الصحي للقسطنطينية في جزر البحرين . وفي سنة ١٨٩٨ رفضت الحكومة البريطانية ايضاً طلب الباب العالي ان يقدم كل ممثل للسياسة البريطانية في البحرين اوراق اعتماده له .

الحالة في الكويت وعلاقاتها ببريطانيا
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

محاولات فرض سيطرة تركية على الكويت ١٨٩٦–١٨٩٧ :

أدت عدة اسباب الى ان تحتل الكويت مكانة سياسية هامة خلال هذه الفترة .

ففي سنة ١٨٩٦ حدثت ثورة داخلية في الكويت انتهت بأن تولى الشيخ مبارك ـ وهو شيخ جديد وقتذاك ـ الحكم فيها . وقد ادت الظروف القائمة في الكويت الى عداء حاد بينه وبين افراد من عائلته بحيث لم يكن وضعه مستقراً بأية حال . وكان موقف السلطات التركية التي تعتبر الكويت من الاملاك العثمانية من الشيخ مبارك موقفاً محايداً او متشككاً ، ثم اذعنوا وتغاضوا عن عملية اغتصاب مبارك المشيخة ، واعترفوا بالحاكم الجديد وان ظلوا على ارتيابهم بأن الامر كله كان نتيجة تدبير بريطاني ، لكن تركيا عادت اخيراً تحاول الاستفادة من ضعف هذا الشيخ لتفرض عليه وصايتها الادارية المباشرة في مكان النفوذ الاسمي الذي كان كل ما لتركيا في الكويت من قبل . وفي سنة ١٨٩٧ عين مسئول طبي يمثل مكتب الصحة العامة في القسطنطينية في الكويت ، وتقدم الشيخ فجأة يطلب الحماية البريطانية ، لكن طلبه رفض .

قرار الحكومة البريطانية بالدخول في علاقات سياسية مع شيخ الكويت الجديد ١٨٩٨ :

ولم تكن شكوك الباب العالي في قيام تفاهم بين البريطانيين والشيخ الجديد في الكويت قائمة على اساس على الاطلاق. وما كان إلا بطلب من جانب الشيخ ان بدأت بريطانيا تناقش احتمال قيام علاقة سياسية به ، ومناقشة مدى رغبتها في ذلك . وحتى ذلك الوقت ، هذا ان كانت

حكومة صاحبة الجلالة قد فكرت كلية في الامر ، فانها كانت تعتبر الكويت تابعة للامبراطورية العثمانية ، ويبدو ان سفيرها في القسطنطينية قد اعترف بهذه الحقيقة في سنة ١٨٩٣ ، لكن الحكومة وجدت لزاماً عليها ان تعيد النظر في موقفها هذا لاعتبارين :

أولا : ان بعض رعايا ذلك الشيخ متهمون بالمشاركة في اعمال القرصنة في شط العرب .

ثانياً : وجود تخطيط روسي يشمل الكويت بصدد مد خط حديدي يصل من البحر المتوسط الى الكويت .

وقد عجل بالاسراع في قرار بريطانيا بذلك الصدد بوادر استعدادات تركية للقيام بعمل عسكري في الكويت لم يكن احد يعرف شيئاً عنه بالتفصيل ، وتقرر ان تعقد حكومة صاحبة الجلالة مع الشيخ مبارك في الكويت اتفاقية كهذه التي عقدتها مع سلطان عمان في سنة ١٨٩١ ، والتي تحتم عليه الا يقدم تنازلات في ارضه لاية دولة اجنبية دون موافقة بريطانيا .



الاجراءات البحرية البريطانية ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

تعديل الاجراءات البحرية بين حكومة الهند والامبرالية البحرية البريطانية ١٨٩٦ :

في سنة ١٨٩٥ تجدد النظر في الاتفاقية التي كانت معقودة بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند بشأن السفن التي تضعها امبرالية البحر الملكية تحت تصرف حكومة الهند ، حيث اقتصر عدد السفن العاملة على

اربع سفن فقط ، بينما زيدت معونة الهند لخدمة هذه السفن الى مبلغ ١٠٠ الف جنيه استرليني . وبالاضافة الى هذه المعونة فقد تقرر ضم نفقات وقود وتصليح سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » التي كانت تعمل دائماً في الخليج الى حكومة الهند . كما اصبح على تلك الحكومة ان تدفع ثمن الفحم لاية سفن اخرى قد تقوم بخدمات خاصة لها . وكانت السفن المخصصة للخدمة في حكومة الهند هي سفن صاحبة الجلالة : « ماراثون » وحمولتها ٢٩٥٠ طناً و « بريسك » وحمولتها ١٧٧٠ طناً و « بيجبن » وحمولتها ٧٧٥ طناً ، و « سفنكس » وحمولتها ١١٣٠ طناً . ومن هذه السفن جميعها كانت السفينة الاولى فقط هي المسلحة تسليحاً ثقيلا .

وفي سنة ١٨٩٥ امر القائد بيكر قائد سفينة صاحبة الجلالة «سفنكس» بانزال قوة من الجنود على شاطىء مكران اثناء عمليات عسكرية ايرانية هناك دون استئذان من الممثل السياسي سالبريطاني ، وفي نفس السنة حاول نفس الضابط ان يمضي في تعقب تجار الرقيق الذين اشتبه فيهم على البر في ساحل عمان ، فاحتج السلطان على توغله في الارض العمانية . وفي البداية وافقت الامبرالية على اعمال القائد بيكر ، لكن حكومة صاحبة الجلالة اصدرت اوامرها بالا يقوم ضباط البحرية بأي عمل على البر دون موافقة مسبقة من المسئولين السياسيين .

تقييد عمل السلطات البحرية على البر ١٨٩٨ :

كما يجب عليهم الا في الحالات الاستثنائية عدم اجراء أي اتصال مع الشيوخ او الرؤساء على البر ، الا عن طريق المسئولين السياسيين او بعلم منهم .

التحيـــات :

وفي سنة ١٨٩٦ اعيد بحث مشكلة التحية التي تطلقها السفن لتكريم الحكام المحليين . واعيد تأكيد القانون العام بأن يقتصر اطلاق التحية

على السفن المخصصة لذلك ، ومن بين كل السفن التابعة لحكومة الهند أصبح اطلاق التحية مقتصراً على السفينتين « ماراثون » و « بريسك » ، لكن اضيف استثناءان الى تلك القاعدة ، كاجراء خاص بمنطقة الخليج هما ان يسمح للسفن الاصغر من هذه باطلاق التحية اذا طلب منها المسئول السياسي ذلك ، ثم امكانية اطلاق تحية لا تزيد على خمس طلقات فقط دون امر من احد .



الامن فى البحار ١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

القرصنة في شط العرب ، واتخاذ اجراءات حازمة ضدها ١٨٩٥ – ١٨٩٧ :

توقفت الآن تماماً عمليات القرصنة في البحر ، حتى على شاطىء الأحساء، كما توقفت الاضطرابات البحرية في منطقة الخليج كلها ولكن في سنة ١٨٩٥ ، حدثت بعض اعتداءات لها طابع القرصنة قرب مصب نهر شط العرب . وفي سنة ١٨٩٦ قام المسئول السياسي البريطاني في منطقتي المحمرة والبصرة بتنبيه السلطات الايرانية والتركية في هاتين المنطقتين للقيام باجراء يصون امن الملاحة في ذلك النهر . واعقب ذلك تحسن سريع ومباشر في حالة الامور هناك ، وفي سنة ١٨٩٧ عاد الامن مرة اخرى الى الاضطراب ، ووالى البريطانيون ضغطهم الى ان قامت السلطات المحلية بتشكيل قوة خفر سواحل على شاطىء النهر للقضاء على الاضطراب . ورسا قارب بريطاني مسلح على هذا النهر خلال شتاء ١٨٩٨ – ١٨٩٩ مما كانت له آثار ملموسة .

تجارة السلاح ١٨٩٤ ــ ١٨٩٩

واصلت تجارة الاسلحة والذخائر اتساعها حتى اصبح الخليج كله سوقاً تفد اليها القبائل من افغانستان ومن الحدود الشمالية الغربية للهند للتزود بكل ما تريد من سلاح لقتال بعضها بعضاً ، او لتقف في وجه نظم الحكم القائمة . وقد توطدت هذه الظاهرة تماماً في سنة ١٨٩٨ .

زيادة تجارة السلاح زياده عظيمة ابتداء من سنة ١٨٩٦ :

وحوالي سنة ١٨٩٦ أصبح التطور الذي حققته تلك التجارة مخيفاً ، ففي ١٨٩٥ ــ ١٨٩٦ قدر عدد البنادق التي وصلت الى مسقط فقط حوالي ٤٥٠٠ بندقية ، وفي سنة ١٨٩٦ ــ ١٨٩٧ وصل العدد الى اكثر من ٢٠ الف بندقية ، وفي سنة ١٨٩٧ لم يكن عدد البنادق التي وصلت بوشهر وحدها يقل عن ٣٠ الف بندقية . وكانت جميع الاسلحة التي ترد الى الخليج مزودة بذخيرتها . واصبح كل الذكور الراشدين في منطقة جنوب ايران بشكل خاص مسلحين بأسلحة حديثة يستخدمونها كيفما شاءوا . وقد تأكد في سنة ١٨٩٦ ان نسبة الاسلحة والذخائر التي تدخل منطقة الخليج ، وتستخدمها ايران فقط بلغت حوالي ثلاثة أخماس التجارة كلها ، اما الاقاليم التابعة للسيادة التركية فكانت تشارك بربع الكمية والباقي كان من نصيب الدول والامارات العربية ، وكان معظم الاسلحة من صناعة بريطانية .

اجراءات القمع البريطانية ١٨٩٧ ــ ١٨٩٨ :

وفي سنة ١٨٩٧ ، بدأت الحكومة البريطانية تستعد لمعالجة ذلك الشر فحصلت على التشريع الذي خولها صلاحية التفتيش البحري عن الاسلحة في السفن المتجهة لايران وهي ترفع علم ايران او علم سلطنة عمان ، وان تصادر الشحنات المضبوطة في اي منها . وفي اوائل سنة ١٨٩٩

ـ وبناء على هذه الاتفاقية ـ اوقفت السفن البحرية باخرة بريطانية بالقرب من مسقط ، وصادرت منها كمية كبيرة من الاسلحة النارية والذخائر ، وقد احتجت الوكالة البريطانية صاحبة الصفقة في محكمة العدل بالمملكة المتحدة على هذا الاجراء دون جدوى . وفي نفس الوقت تقريباً قام شيخ البحرين بحجز شحنة من الاسلحة والذخائر تابعة لنفس الوكالة بالقرب من جزيرة البحرين . وايدت السلطات البريطانية ذلك العمل ، وان كانت لم توح به . وفشلت الوكالة ايضاً في الحصول على التعويض الذي طالبت به ، وبعد تسويف طويل اعاد شيخ البحرين تلك الاسلحة للوكالة ـ تطوعاً من جانبه ـ لكنها كانت في حالة سيئة . واخيراً أفلست هذه الوكالة .

وفي ١٨٩٨ ـ وبعد الحادثة التي اشرنا اليها ـ دفعت السلطات البريطانية شيخ البحرين الى ان يمنع تجارة الاسلحة من جزره تماماً ، ويصادر الشحنات التي يقع عليها ، الى جانب السماح للسفن البريطانية بتفتيش سفن البحرين التي تشك في أنها تحمل الاسلحة .



التنظيمات الصحية فى منطقة الخليج
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

نتائج مؤتمر الصحة الدولي في البندقية سنة ١٨٩٧ :

أدى ظهور الطاعون الدملي في الهند سنة ١٨٩٦ ، والذي تسبب في عقد المؤتمر الصحي الدولي في مدينة البندقية سنة ١٨٩٧ ، لتأكيد انشاء مراكز للحجر الصحي في منطقة الخليج ، الى اتخاذ بعض الاجراءات هناك . لكن الدول المتنافسة استغلتها لمآرب . ولقد نادى ميثاق البندقية الذي صدقت على مقرراته بريطانيا وايران دون تركيا بضرورة اقامة

مركز صحي في مدخل الخليج وآخر في البصرة ، وحاولت تركيا عبثاً أن تجعل الكويت المركز الصحي لمدخل الخليج ، لكن مناورتها فشلت ، واقترح مكتب الصحة العامة في القسطنطينية ــ عقب المؤتمر مباشرة ــ مخططاً لانشاء عدد من المراكز الصحية التابعة له في البحرين وقطر والكويت والقطيف والعقير . وكان من المعترف به ان هذه المراكز الثلاثة الاخيرة من املاك تركيا ، وقد سعت تركيا ايضاً لنقل مركز البصرة ــ لاغراض سياسية ــ الى الفاو لكنها فشلت في هذا ايضاً . وفي سنة ١٨٩٩ رفض للمرة الثانية مشروع تركيا لاقامة مركز صحي تشرف عليه القسطنطينية في البحرين .

الحكومة الايرانية تعهد بالاجراءات الصحية الى وكالة بريطانية :

أما الحكومة الايرانية فانها عهدت بمقتضى اتفاقية عقدتها مع بريطانيا الى وكالة بريطانية باتخاذ جميع اجراءات الحجر الصحي في موانيها ، وافتتحت فوراً مراكز طبية بريطانية في بندر عباس ولنجة والمحمرة . ولما كان في بوشهر ــ من قبل ــ مسئول صحي مرخص فقد عهد اليه بادارة الحجر الصحي في تلك المنطقة الى جانب الاشراف على باقي الاجراءات الصحية التي تتخذ على الساحل الايراني كله.وقد اثارت البعثة الطبية البريطانية في بوشهر سنة ١٨٩٩ بعض القلق لدى الاهالي .

الاتفاق مع سلطنة عمان والبحرين :

وقد رفض سلطان عمان وشيخ البحرين في بداية الامر عرض المساعدات من الحكومة البريطانية ، وحاولا ان يقيما اجراءات حجر صحي خاصة بهما .

عمليات المسح البحرى البريطانى
١٨٩٤ – ١٨٩٩

في سنة ١٨٩٤ ، اجريت بعض التجارب التلغرافية من مركز تلغراف بوشهر وجاشك لتحديد خطوط الطول .



مصالح بريطانيا وشئونها الرسمية فى ايران
١٨٩٤ – ١٨٩٩

صعوبات امام المشروعات البريطانية في عربستان :

ظلت المشروعات البريطانية تتعثر في عربستان بسبب حالة الاضطراب والفوضى السائدة هناك . ففي سنة ١٨٩٥ ، هاجم الجنود الايرانيون ممثلي شركة لنش في الناصري . وفي سنة ١٨٩٦ وقع احد موظفيها في شوشتار ضحية اعتداء وحشي من جانب مواطن ايراني ، وفي سنة ١٨٩٧ قام الغوغاء – بعد ان نهبوا قافلة تملكها الشركة – بنهب مكاتب وكالة هولندية كانت مشمولة بالحماية البريطانية ، ولم يحصل أي من الذين وقعت عليهم اضرار في هذه الحوادث على تعويض ما . وظلت ارباح السفن البريطانية تتأثر بعمليات الفساد والتدخل المخرب في تصدير الحبوب وكذلك بالمنافسة غير الشريفة من جانب التجار الايرانيين ، وفي سنة ١٨٩٤ ، تجددت المعونة التي تدفعها الحكومة البريطانية وحكومة الهند لشركة دجلة والفرات للملاحة البخارية ، فقد اعلنت الشركة

المذكورة انها بغير الحصول على مثل تلك المعونة قد تضطر الى وقف عملياتها الملاحية في نهر قارون .

وقد اشرنا من قبل — تحت عنوان علاقات ايران مع بريطانيا — الى حادثة قتل احد موظفي التلغراف البريطاني في مكران وما نتج عنها . ونتيجة اضطراب الامور في هذا الاقليم ، اعيدت الى جاشك سنة ١٨٩٥ الحامية الهندية التي كانت قد سحبت منها سنة ١٨٨٧ ووضعت حامية اخرى في شاهبار .



مصالح بريطانيا وشئونها الرسمية فى العراق التركى
١٨٩٤ — ١٨٩٩

تدخل الاتراك في الملاحة البريطانية بمنطقة شط العرب :

أصبح موقف الحكومة التركية من موضوع التدخل في السفن البريطانية المبحرة في منطقة الفاو معنتاً جداً . وحيال رفض الباب العالي كل احتجاجات المسئولين البريطانيين وتجاهل اتصالاتهم في الموضوع اتخذت حكومة صاحبة الجلالة اجراءاتها لتعيين ممثل بريطاني قنصلي في الفاو ، لكن الباب العالي الح الى انه لن يعترف بمثل ذلك القنصل ، لذلك ارسلت سفينة حربية بريطانية الى الفاو ، أدى وجودها هناك الى توقف اعتداءات تركيا التي كانت موضع الشكوى ثم وافقت الحكومة التركية بتردد على مبدأ عدم التدخل من جانبها في ملاحة السفن البريطانية المتجهة من عرض البحر الى المحمرة او غيرها من المناطق الاخرى في الخليج سالكة طريق الفاو . لكن هذا التفاهم الذي استقر عليه الامر

خرقته السلطات التركية المحلية في سنة ١٨٩٨ . غير ان تهديد بريطانيا بتعيين ممثل قنصلي لها في الفاو ارغم الباب العالي على اصدار اوامره لوقف المضايقات المشار اليها بحجج تتصل بالامور الصحية .

نقل مسؤولية القنصلية البريطانية في البصرة من حكومة الهند الى حكومة صاحبة الجلالة فيما يتعلق بالموظفين :

في سنة ١٨٩٨ ، وبالنظر للصعوبات التي واجهت حكومة الهند في تعيين ممثل دائم لها في البصرة ، حولت امر الاشراف على تلك الوظيفة باختيارها الى حكومة صاحبة الجلالة ، لكن الحكومة الهندية ظلت تغطي نفقات هذه الوظيفة .

هبـــة أوض :

واختفت مشكلة هبة أوض موقتاً خلال هذه الفترة ، اذ تم في بدايتها وضع نظام تشرف عليه حكومة الهند يقضي بتوكيل المقيم العام في بغداد لتعيين مشرفين على توزيع الهبة تحوطاً من اعمال المجتهدين الذين كانوا يوزعونها على هواهم .



الشئون الرسمية البريطانية بشكل عام
١٨٩٤ ـ ١٨٩٩

احتفل المسئولون والرعايا البريطانيون في بوشهر وشيراز والمحمرة ومسقط وغيرها من بلاد الخليج باليوبيل الماسي لصاحبة الجلالة الملكة الامبراطورة فكتوريا ، وذلك في ٢٢ يونيو سنة ١٨٩٧ .

نيابة لورد كيرزون للملك فى الهند مرتين
من يناير ١٨٩٩ الى نوفمبر ١٩٠٥
تخللتهما فترة نيابة لورد أمثيل
من أبريل الى ديسمبر سنة ١٩٠٤

الطبيعة الحرجة لهذه الفترة :

بدأت فترة حرجة من تاريخ الخليج في سنة ١٨٩٩ واكبت تقريباً نيابة لورد كيرزون للملك وفترته كحاكم عام للهند حيث استمر في المنصبين حتى وقت متأخر من سنة ١٩٠٥ باستثناء فترة انقطاع دامت اربعة اشهر في سنة ١٩٠٤ .

لقد استفاد نشاط ومطامع كل من فرنسا وروسيا، الذي كان قد بدأ يتعاظم خلال السنوات الماضية تشجيعاً واضحاً من ارتباك الديبلوماسية البريطانية وحروب بريطانيا المتعثرة في جنوب افريقيا من ١٨٩٩ حتى ١٩٠٢ .

اراء لورد كيرزون :

وجاء موعد الازمة مواتياً للمصالح البريطانية ، لان لورد كيرزون حين عين نائباً للملكة في الهند . كان قد اصبح خبيراً في شئون الخليج . وقد طوف في ايران ، وتوفر على دراسة مشكلة الخليج دراسة مستفيضة حتى عرفها حق المعرفة . وكان للرجل شخصية عنيفة يقابل بها المشكلات بالتحدي دون الخوف ، ويجابهها باجراءات سريعة حازمة . وفي كتاب صدر بعنوان : « ايران والمشكلة الايرانية » سنة ١٨٩٢ كان لورد كيرزون وهو عضو موقر في البرلمان قد شرح اراءه في موضوع الخليج ملخصاً اياها على النحو التالي :

« قد فرغت الآن من وصفي التفصيلي لمنطقة الخليج ، واوضحت كيف

أضحت الحكومة الايرانية تمارس لوناً من السيادة والحكم الوطيدين على سواحلها الشمالية أكثر عنفاً مما عرفته البلاد من ايام الشاه عباس، اما على ساحلها الجنوبي فان الاتراك يحاولون مد نفوذهم المتقلب على الجزيرة العربية وعلى الدويلات العربية الصغيرة التي ما تزال تحتفظ كلياً او جزئياً باستقلالها الاصلي . ووسط الجميع تقف بريطانيا العظمى شاهرة سيفها وممسكة بميزان الامور بيد حازمة وعادلة . وليس من قبيل المبالغة القول بأن ارواح وممتلكات مئات الالوف من الناس في الخليج تستند الى ضمانة الحماية البريطانية للخليج . ولا ريب في أنه لو انسحبت أو تحطمت تلك الحماية لانتكست احوال البر والبحر الى حال الفوضى الغامرة التي كانت تتردى فيها . اما ان الحكومة الايرانية قد استطاعت أن تفرض حكمها على سواحلها الشمالية ، وان القراصنة من الساحل المقابل قد تعلموا ان السلب والنهب شيء غير مأمون العواقب ، وان هؤلاء الذين ملأوا البحر يوماً بسفن الرقيق أصبحوا اليوم يغوصون بحثاً عن عن اللؤلؤ فقط ، وان القبائل العربية- بدل ان تكون خاضعة للعنة الباشوات - قد استعادت حريتها التي تقدرها حق قدرها . فذلك كله انما تحقق بفضل عمل الحكومة البريطانية وحدها . بل ان عمليات مسح الأنهار والقنوات والشواطئ التي سهلت الملاحة لسفن العالم كله ، قد اضطلع بها ضباط البحرية الهندية ، ثم انتقلت هذه الخرائط-دون اقرار بفضل واضعيها - الى ملكية دول أخرى تمخر سفنها الان عباب هذه البحار . ان هذه الاعتبارات التي الفت اليها نظراً خاصاً ، لاعتقادي بانها لا تحظى بالمعرفة اللازمة حتى في انجلترا نفسها لازمة لزوماً ماساً لفهم موقف بريطانيا من موضوع الاشراف على الخليج ، ولمقاومتها لاحتمالات تسلل دولة عدوة الى مياهه بعد ان انفقت بريطانيا من اجل تأمين الملاحة فيها الكثير من الدم والمال .

ان كل ادعاء تقدمه روسيا لتبرير سيطرتها المطلقة على بحر قزوين تستطيع بريطانيا ان تقدم مقابله عشر حجج بدل كل حجة لتبرير

سيطرتها على الخليج . فقد ضاعت حياة مئات البريطانيين ، وانفقت ملايين من اموالهم لحفظ السلم في تلك المياه المضطربة . وحيث استطاعت روسيا في الشمال ان ترهب حفنات من اللصوص دمرت بريطانيا في الجنوب تجمعات اسطول كامل كان يستخدم في القرصنة معيدة بذلك ذكرى حملات الجمهورية الرومانية وانتصارات بومباي على القراصنة . لقد حفظت بريطانيا وضاعفت تجارة ان تكن نافعة لبريطانيا العظمى والهند ، فانها كذلك مصدر اثراء عظيم ، بل مصدر ثراء واسع ، وربما سبب معيشة ايران والجزيرة العربية وتركيا . ان الافا من الرعايا البريطانيين يمارسون عملهم التجاري امنين في ظل العلم البريطاني . ومع ذلك فان بريطانيا لا تتبجح بمثل المزاعم التي اعلنتها روسيا في حادثة بحيرة الشمال . انها لا تطلب جعل الخليج بحراً موصداً . ثم هي ايضاً لا تملي اية معاهدات مذلة على اتبـــاعها فتمنعهم من حقهم في رفع أعلامهم الخاصة فوق مياههم . ان اساطيل العالم التجارية حرة في التنقل فوق مياه الخليج وفي ملء سفنها ببضائع واردة او صادرة . غير ان بريطانيا اخيراً تدعي لنفسها في مقابل التضحيات التي قدمتها ، ورأس المال الذي انفقته ومن اجل السلام الذي تقوم على حمايته بالا تسمح لنفوذ سياسي معاد لها بأن يظهر قسمات وجهه الكريه هناك . ان وجود ميناء روسي في الخليج ، لذلك الحلم العزيز لكثير من غيارى الوطنيين من سكان حوض النافا او الفولجا لا شك يستطيع ان يجلب الى هذه المنطقة ، حتى في اوقات السلم ، عنصراً من الاضطراب يؤدي الى اخلال التوازن الدقيق الذي قام على جهود مضنية ، كما انه يؤدي الى تدمير تجارة تقدر بمئات ملايين من الجنيهات كما سيترك الحبل على الغارب للقوميات المتنازعة لتطبق كل على رقبة الاخرى . الا فلتنقل بريطانيا وروسيا معركتهما او تسويا صراعهما في مكان آخر .. ولا يغرسا الفوضى في منطقة آمنة ذات تجارة تحققت بشق الانفس . انني ارى ان أي امتياز تحصل عليه روسيا من أي من دول الخليج لتقيم لها ميناء عليه

اهانة مقصودة لبريطانيا العظمى واخلالا طائشاً بحالة الامر الواقع وتحريضاً صارخاً لقيام حرب دولية ، كذلك فاني اتهم أي وزير بريطاني يجرم بالاذعان لمثل هذا الخذلان خائناً لبلاده » .

وخلال السنة الاولى من تعيينه نائباً للملكة في الهند ، وفي مذكرة تاريخية منه مؤرخة في ٢١ سبتمبر ١٨٩٠ مقتصرة على تفاصيل المشكلة الايرانية كلها ، قدم لورد كيرزون ، بعد ان وصف مصالح بريطانيا ومكانتها في الخليج بعبارات كالتي وردت في كتابه المذكور ، اقتراحات الى حكومة صاحبة الجلالة بصدد السياسة التي يجب ان تشترك في اتباعها حكومة بريطانيا ، وحكومة الهند بالنسبة لايران ، ولا سيما في المنطقة الجنوبية وفي الخليج . وواضح من توصياته ان اتصاله المسئول الوثيق بالمشكلة ، وخبراته الواسعة فيها قد اكدا رأيه السابق في ان سيطرة بريطانيا السياسية في منطقة الخليج كانت امراً بالغ الاهمية لحياة الامبراطورية البريطانية .

تقسيم الموضوع :

وفي رواية الاحداث خلال السنوات السبع التالية سنتناول بالتفصيل المسائل الآتية : الشئون الداخلية ، العامة والمحلية لتركيا وايران ، وطبيعة النشاط الاجنبي واهدافه في الخليج ، ولا سيما نشاط روسيا وفرنسا والمانيا ، والقوى الاسلامية وتحركاتها ، والحالة في الامارات العربية والخط الساحلي للخليج وخليج عمان مع الاشارة بشكل خاص الى المصالح والعلاقات البريطانية والاجنبية ، وردود الفعل البريطانية من النواحي العسكرية والديبلوماسية المحضة ، واخيراً الاجراءات والتعهدات البريطانية الرسمية في منطقة الخليج ، التي تأثر الكثير منها ، او اثارته او اوحت به منافسة الدول الاجنبية ومثل هذا التقسيم للموضوع يبدو اكثر ملاءمة للتنظيم والعرض المنطقي .

الشئون الداخلية الايرانية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

الانحلال السياسي المتزايد لايران :

لقد تفاقم انهيار ايران خلال حكم خلف ضعيف لناصرالدين شاه ، وكان يحكم البلاد فعلا من ١٨٩٨ ـ ١٩٠٣ وزير كفء هو امين السلطان اتابك اعظم ، غير ان مركز هذا الرجل اصبح قلقاً منذ البداية نتيجة تحالف مجموعة من مراكز القوى السياسية ضده ، وقد نفاه عن البلاد في نهاية المطاف دسائس المغرضين في البلاط ، والمعارضة الدينية والسخط الشعبي ضده . وفي عام سقوطه ١٩٠٣ ، انتشرت الفوضى في ايران مع اجراءات معينة ضد البهائيين وهم جماعة كانت احوال الاضطراب السائد في البلاد تغذي حركتهم . ثم ان المشكلات المالية التي نجمت عن اسراف الشاه اسرافاً شديداً اصبحت هي العامل السياسي الاول في ايران . ففي سنة ١٩٠٠ ، وفي سنة ١٩٠٢ ، ثم مرة اخرى في سنة ١٩٠٥ زار الشاه اوروبا ، وقد ادت القروض التي طلب من وزيره عقدها له الى اغراق ايران في حالة من العجز المالي والديون . لا سيما لروسيا والى حد ما لبريطانيا ايضاً اعتباراً من سنة ١٩٠٠ . وقرب نهاية هذه الفترة اخذت مبادىء الحكومة الديموقراطية النيابية تغزو ايران وتجد فيها انصاراً ، ومهما كانت هذه الافكار طيبة في حد ذاتها الا انها ساهمت في اكمال فوضى الحياة السياسية في البلاد .

تحسن جهاز العوائد في ايران :

وفي الوقت الذي كانت فيه معظم الاجهزة الادارية تنهار ، هذا ان جاز ان نصف بالانهيار ما كان مهدماً ، فان ادارة الجمارك ، وقد وضعت تحت اشراف خبراء بلجيكيين . في سنة ١٨٩٩ اخذت بسرعة

تتطور وتتقدم والواقع ان الامال المعقودة على بعث حياة جديدة في اوصال ايران كانت تتركز في تلك الدائرة بالذات ، وقد اصبحت بعد طول فساد وسوء ادارة تتمتع باشراف البلجيكيين في سنة ١٩٠٠ . لكن عملية الانتقال لم تكتمل الا بعد سنتين من هذا التاريخ . ولم تخل حركة اصلاح الجمارك من عوامل سلبية ومصاعب ، فالتنفيذ من جانب وكالة اجنبية .. وهي الطريقة الوحيدة التي كانت ممكنة ، جعلتها لا تلقى شعبية من الايرانيين . ثم ان وضع الادارة على اسس مركزية وموحدة بعد اعادة تنظيمها اخاف المسئولين والحكام المحليين واثار شكوكهم لانه هدد سلطتهم تهديداً مباشراً وجعلهم ينظرون الى حكومة طهران نظرة غير الواثق . واخيراً .. وليس آخراً ، فان اصلاح الجمارك هذا أثار موضوعات جديدة للصراع بين الدول الاجنبية في ايران . وكان سلوك المسئولين البلجيكيين سلوكاً متحكماً متعجرفاً ، كما ان نقل مسئولية الوظائف الادارية الجمركية غير ذات الطابع الفني اليهم جعلهم يفهمون ان دائرة الجمارك ستتطور لتصبح جهازاً قوياً ، بل وقد يبتلع سائر الصلاحيات التنفيذية للحكومة اذا صح الاخذ بهذه الفكرة المتطرفة .

عربستان :

وفي اقاليم عربستان الشمالية ، ظلت الاضطرابات التي بدأت في نهاية الفترة السابقة قائمة كما هي ، حتى استطاع حاكم قوي تولى الامور في سنة ١٩٠٥ ، هو سالاري مكرم ، ان يضع لها حداً . وقد وقع هجوم على السفينة البخارية البريطانية « شوشان » التي كانت تعمل في أعلى نهر قارون لحساب الحكومة الايرانية . في سنة ١٩٠٢ و ١٩٠٣ ثم مرة أخرى في سنة ١٩٠٤ ، وبفضل جهود حاكم المحمرة فقط — الذي دفعته حكومة ايران المركزية الى التدخل — ظلت الملاحة قائمة في النهر حتى ظهور سالارى مكرم على مسرح الاحداث .

أما اقليم حويزه – وهو يقع في مساحة غير محدودة بين شمال وجنوب عربستان ، فقد ظل متمرداً على سلطة الشاه حتى سنة ١٩٠٤ حين استطاع شيخ المحمرة اخضاعه ، ثم تمت اعادته في العام التالي بالتعاون مع سالار .

وظل جنوب عربستان – وكان يحكمه الشيخ خزعل من المحمرة – بعيداً عن الاضطراب ، لكن المشاكل كانت تهدده من حين لاخر بسبب الصراع بين رئيسه القوي وزعماء قبيلة بختياري المجاورة له .

الساحل الايراني وجزره :

وخلال هذه الفترة ظلت حكومة اقليم فارس وحكومات موانى الخليج تتناوبان المسئولية ، حيث ما فتىء الوضع غير المستقر على الساحل الايراني وجزره يعكس بحساسية حالة القلق العام في ايران كلها . وفي اوائل سنة ١٨٩٩ ، وقبل ان تصل الادارة الايرانية الى ذلك الحد من الضعف الذي وصلت اليه فيما بعد ، طرد الشيخ العربي الذي كان قد استعاد ملك ابائه على لنجة مرة أخرى وحل محله مسئول ايراني ، اما في غيرها من الاقاليم فقد تراخت السلطة الايرانية وسادت الفوضى الى ابعد الحدود خاصة في اقاليم تنجستان وشامل وميناب وبيابان وفيها ظل الرؤساء المحليون يتنازعون الحكم ويتصارعون عليه .

مكران الفارسي :

وكانت حالة اقليم مكران الفارسي اسوأ من حالة الشاطىء الايراني وجزره .. وكانت الصراعات بين الحكام الصغار ، والثورات والتمردات الداخلية ، والقحط ، وفرض مزيد من الضرائب وهجر كثير من السكان ديارهم ، هي السمات المميزة للحياة هناك في تلك الفترة .

الحالة الداخلية في تركيا ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

سوء الحكم واقتراب الثورة في تركيا :

ظل مجرى الاحداث السياسية في تركيا يتابع انهياره ، وبحلول سنة ١٩٠٣ اصبحت مقدونيا في حالة حرجة. وفي كل ارجاء الامبراطورية العثمانيـــة ساد السخط على سوء الادارة . وكانت كل هذه المفاسد تُعزى بشكل عام الى اساليب السلطان عبد الحميد في الحكم ، ووسائله الاستبدادية والسرية .

وقرب نهاية الفترة بدأ حزب سياسي يتكون في تركيا بهدف اقامة حكومة دستورية نيابية ، ولم يكن واضحاً وقتها ـ كما كشفت الاحداث فيما بعد ـ ان اسباب انهيار الامبراطورية التركية انما هي اعمق من مجرد الادارة الاستبدادية .

العراق التركي :

وفي العراق التركي ، تجددت الاضطرابات القبلية التي كانت قد توقفت ـ ودون سبب ظاهر ـ خلال الفترة الماضية . وفي ١٨٩٩ـ ١٩٠٠ اضطربت الملاحة في اسفل دجلة نتيجة غارات بني اسد . وفي ١٩٠٣ نشب صراع بين قبيلة آل بو محمد ـ في نفس المنطقة ـ وبين الحكومة ، فانزلت القوات التركية مذبحة مروعة بهم . ومن سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٥ ظل الشيخ سعدون شيخ قبيلة المنتفق القوية في اسفل الفرات يتحدى الباب العالي بنجاح مستمر . وقد جرد الباب العالي ثلاث حملات ضده بلا جدوى ، كما تعرضت في احداها واحدة من فصائل الجيش التركي لعاقبة وخيمة . على ان الحالة الاقتصادية في ذلك الاقليم ظلت على تحسن ، نتيجة ما تستطيعه المصالح التجارية من فرض وجودها وتقدمها عبر عملية تطور بطيئة وطبيعية وفي وسط الاحوال العسكرية والسياسية

المضطربة . والحقيقة ان بعض الموظفين كانوا يبذلون جهوداً مخلصة في سبيل الاصلاح . فقد تقدمت الملاحة في نهر دجلة تقدماً كبيراً باستيلاء ادارة الخدمات المدنية السلطانية على سائر السفن التركية في أنهار العراق وظهرت دائرة جديدة تسمى مكتب الملاحة الحميدية . وقامت منافسة بين هذا المكتب والشركة البريطانية للملاحة في دجلة والفرات ادت الى تنشيط التجارة . وخلال هذه الفترة تولى سير ويليام ديلوك — وهو مهندس ري بريطاني حقق سمعة طيبة اثناء عمله في مصر — دراسة مشكلة مياه الري في.ا بين النهرين ، ووضع مشروعاً مفصلا رفعه الى الحكومة التركية في سنة ١٩٠٥ ، لكنه لم يحظ بتأييد عملي سريع ، وكانت الحاجة الى ضرورة تطوير نظم الري قد فرضها واكدها فشل مشروع سد الهندية الاول الذي خرب خراباً مفجعاً مساحة كبيرة من الارض سنة ١٩٠٣ .

الأحســاء :

ولم تبد في الأحساءاية اشارات تدل على تقدم سواء من حيث الامن او التطور الحضاري ، رغم انها بقيت تحت الادارة التركية أكثر من ثلاثين عاماً . وفي سنة ١٩٠٢ استولى البدو على قافلة ضخمة كانت متجهة من داخل الاقليم الى ميناء على الساحل قبل ان تبلغ هدفها بمسيرة قصيرة ، وقد ابيدت حملة عسكرية صغيرة كانت تصحب القافلة عن آخرها . وقدرت قيمة ما كانت تحمله القافلة ووقع في ايدي المغيرين بالاف الجنيهات وبدأت بالتالي حملة ثأرية ضد العرب .

وعززت الحامية التركية في الاقليم غير ان هذا لم يجد شيئاً . وفي سنة ١٩٠٦ — بعد نهاية هذه الفترة — اخذ رجال القبائل يقومون بهجمات مروعة على القوافل التجارية كانت تنتهي دائماً باستيلائهم على معظم ما في القافلة وقتل بعض حراسها ، كما ان العرب داهموا العاصمة الاقليمية موقعين خسائر كبيرة بحاميتها ، وقد تقلصت تجارة رعايا

بريطانيا في الأحساء وهي التي كانت مزدهرة في هذا الاقليم قبل احتلال الاتراك له ، وذلك بسبب فقدان الامن الى جانب التدخل الرسمي من جانب المسئولين .

تركيا والكويت :

أما حالة تركيا في نجد والكويت ، وقد كان واضحاً انها اضحت اموراً خارجة عن نطاق الامبراطورية العثمانية ، فسنشير اليها فيما بعد .



نشاط روسيا فى منطقة الخليج ١٨٩٩ ــ ١٩٠٥

السياسة الروسية في ايران بوجه عام :

نقترب الآن من موضوع النشاط الاجنبي في منطقة الخليج . ونشير منذ البداية الى ان روسيا ، رغم انها كانت منذ زمن بعيد هي المنافسة القوية لبريطانيا في منطقة الشرق الاوسط ، الا ان معارضتها كانت تقتصر على بعض المراكز النائية في اطراف ايران . فاصبحت نشاطاتها الآن تهدد تهديداً واضحاً مركز بريطانيا الوطيد في البحار .

ولكن من الضروري ان ننظر اولا في الموقف العام بين بريطانيا وروسيا في ايران ككل . حين بدأت ايران تنزلق الى المشاكل المالية في أوائل حكم مظفر الدين شاه ، بدأت المفاوضات بين روسيا وبريطانيا لتقديم قرض مشترك لحكومة الشاه ، لكن روسيا سنة ١٩٠٠ احبطت تلك المفاوضات بتقديمها المفاجيء لايران قرضاً روسياً ضخماً ، قبلته الحكومة الايرانية بشروط تحررها من التزاماتها للدول الدائنة ، ولكنها تضعها تحت عبودية مالية صارمة لروسيا وحدها .. وتتابعت

بعد هذا القرض قروض روسية اخرى كانت هي الوسيلة التي استطاعت بها ضمان الامتياز على البريطانيين في كثير من المشكلات السياسية القائمة بينها وبين بريطانيا في ايران . وفي ١٩٠٣ قدرت الديون المستحقة لروسيا على ايران باربعة ملايين جنيه استرليني . ومع ان ايران اقنعت بقبول سلفات مالية من بريطانيا خلال ١٩٠٣ و ١٩٠٤ ولكن روسيا ظلت على وجه الاجمال متفوقة تفوقاً واضحاً في ميدان الالتزامات المالية في ايران .

وفي سنة ١٨٩٩ حصلت روسيا على تجديد للاتفاقية التي كانت تتولى بمقتضاها مد الخطوط الحديدية في ايران عشر سنوات اخرى وفي نفس الوقت راحت تمد خطوطها هي نحو حدودها المشتركة مع ايران حتى بلغتها اخيراً عند جلفة ١٩٠٤ .

وكان النفوذ الروسي يتدعم ايضاً او يمتد الى مناطق جديدة في مختلف أجزاء ايران .

فأنشأت روسيا حجراً صحياً في خراسان سنة ١٨٩٧ ، بحجة مقاومة الطاعون المنتشر في الهند ، وكان هذا عذراً لدخول المسئولين الطبيين من روسيا ، بل والقوات العسكرية ايضاً الى ذلك الاقليم ، وهكذا زاد نفوذ روسيا نفوذاً كبيراً في مشهد . وفي سنة ١٩٠٠ انشئت نيابة قنصلية روسية في سجستان تبعتها جهود ضخمة من جانب روسيا للاطاحة بالنفوذ البريطاني في تلك المنطقة ذات الاهمية الحيوية لأمن الهند . لكن هذه الجهود التي استمرت سنوات طويلة لم تنته الا للفشل الكامل . وعلى الحدود بين خراسان وافغانستان ، وبين سجستان وافغانستان ، بل وايضاً على الحدود بين ايران ودويلة كالات عملت روسيا طوال الفترة من ١٩٠٢ الى ١٩٠٥ لخلق المشاكل لبريطانيا باثارة الخلافات حول الحدود لكنها لم تنجح في شيء من ذلك ابداً .

بل وحتى في وسط وغرب ايران ، كان يجري دفع النفوذ الروسي الى الامام لمناوأة النفوذ البريطاني بالطبع وذلك من قواعد قنصلية في أصفهان وكرمان شاه .

وفي سنة ١٩٠١ حاولت روسيا محاولة جريئة ببيان تجاري اعلنته ان تضمن لتجارتها امتيازاً على تجارة كل الدول الاخرى المنافسة . فاعدت مع الحكومة الايرانية تعريفة جمارك ايرانية ، لسنا بحاجة الى القول بأنها كانت في مصلحة التجارة الروسية ، وانها وضعت بمشاورة روسيا ودون معرفة بريطانيا . ولولا ان بريطانيا وضعت بالاتفاق مع ايران بياناً مضاداً في سنة ١٩٠٣ لكان ممكناً الاستمرار في تعديل التعرفات الجمركية الايرانية لصالح روسيا وحدها .

أهداف روسيا في منطقة الخليج :

أما في منطقة الخليج — وعلينا الآن ان نعود اليها — فقد كانت أهداف السياسة الروسية هي خلق قاعدة بحرية لها في الخليج ، ومد خط حديدي عبر ايران لنقل المعدات واللوازم العسكرية من الامبراطورية الروسية لتعزيز مثل تلك القاعدة . وكانت الامتيازات التي ستحققها روسيا لو حصلت على قاعدة قوية في المنطقة واضحة تماماً . فالى جانب تعزيز نفوذها ، وفتح معبر لها الى محيط جديد ، فان ذلك كله سيسفر عن مد وتقوية نفوذها في ايران ، وزيادة طاقتها العدوانية ضد الامبراطورية البريطانية في الشرق . وكانت خطتها جريئة وجديدة تماماً ، خطة تمضي لتحقيق اهداف ابعد مما خطر ببال روسيا من قبل في تاريخها كله ، وبدا ان الوقت مناسب لتنفيذ الخطة ، فقد كان وضع روسيا في منشوريا يبدو مأموناً ، كذلك كانت بريطانيا في الوقت نفسه منهمكة في حرب جنوب افريقيا مما شد من عزيمة دعاة سياسة التقدم الروسي باتجاه ايران ، واعطاهم حججاً قوية للدعوة الى سرعة العمل ، وانتهاز الفرصة .

مطالبة روسيا بقاعدة بحرية على الخليج :

و خلال سنة ١٨٩٩ ، وصلت الى الحكومة البريطانية انذارات بالخطر المحدق ببريطانيا من مصادر متنوعة .

ففي شهر مارس نشرت صحيفة « سيرفت » في القسطنطينية ان

روسيا في سبيلها لان تسبق بريطانيا وتسيطر على جزيرة قشم ، وفي أغسطس تحدث تقرير وزير حكومة صاحبة الجلالة المفوض في طهران عن وجود اسباب تدعو للاعتقاد بأن روسيا قد حصلت على بعض الامتيازات بشأن خطتها لاقامة ميناء على الخليج ، لكنها لا تجد الوقت مناسباً لاستخدامها فور الحصول عليها . وفي اكتوبر ابلغ وزير الخارجية التركية السفير البريطاني في القسطنطينية انه واثق من ان مفاوضات تدور بين الحكومة الروسية والحكومة الايرانية بشأن حصول روسيا على ميناء على الخليج يصبح هو نهاية لخط حديدي ايراني — روسي ، بل وهو واثق ايضاً ان الحكومتين قد تفاهمتا حول الموضوع . وفي نفس الوقت تقريباً ظهرت مقالة هامة في جريدة « فيدو موستي » التي تصدر في سان بطرسبيرج بقلم الامير اختومسكي ، تطالب صراحة بالحصول على ميناء بندر عباس الى جانب جزر قشم وهانجام ولاراك وهرمز لتكون نهاية خط حديدي من روسيا عبر ايران . واشار كاتب المقال بشكل خاص الى المزايا الكامنة في مرسى ممتاز غير معروف خارج لافت على جزيرة قشم ، مما يكشف عن ان المقال كان يستند الى معلومات محلية جيدة . وفي نفس المقال وردت اشارة ايضاً الى خط حديدي عبر ايران يصل الى خليج شاهبار ، لكنه لم يكن موضوع المقال ، وانكرت الحكومة الايرانية وجود اية مفاوضات بينها وبين الحكومة الروسية حول موضوع ميناء على الخليج ، لكن الاحداث التالية — كما سنرى — تجعلنا في شك من تصديق تلك التأكيدات من جانب الحكومة الايرانية .

وفي سنة ١٩٠٠ قام الطراد الروسي « جيلياك » بزيارة للخليج ، ووضح من الظروف التي احاطت بزيارته ان الحكومة الروسية تنوي أن تقيم مخزن فحم لها في بندر عباس . وبارح الطراد الذي كان في طريقه الى محطة الصين ميناء عدن متجهاً الى الخليج في ٧ فبراير سنة ١٩٠٠ بعد أن اجرى اتصالات برقية مطولة بين قائده والحكومة الروسية فوصل بندر عباس في ١٤ فبراير ، في وقت وصول السفينة البريطانية التجارية

« وادون » التي كانت قد استؤجرت في السويس لتحمل الفحم للطراد الى بندر عباس، وقد خرجت من ميناء عدن بعد الطراد الروسي بيومين . ويمكننا ان نفهم هدف تلك الترتيبات الغريبة التي كان يمكن اخفاؤها لو تزود الطراد بالفحم من بومباي او كراتشي . فلقد كانت السفينة « وادون » تحمل ٣٠٠ طن من الفحم ، أي أكثر مما يستطيع مخزن الطراد الروسي ان يتسع له . وحصل انه بعد تكويم جزء كبير من فائض الفحم على ظهر الطراد بقي حوالي ١٦ طناً من الكمية — التي لا تهمنا في ذاتها بقدر ما تهمنا دلالتها — فقد كانت كافية لتبرير طلب من قائد الطراد « جيلياك » من نائب الحاكم في بندر عباس السماح له بانزالها الى البر ، وبمجرد السماح له .. تكون روسيا قد انشأت نواة مخزن فحم لها في بندر عباس . لكن الحكومة البريطانية ، وقد كانت تعرف نوايا الطراد الروسي من قبل ، اعدت عدتها للامر ، فامرت بأن تسبق الطراد سفينة حربية بريطانية اقوى منه الى اي مكان يذهب اليه في الخليج ثم تسير أمامه دون استفزاز او عداء . وصدرت الاوامر للسفينة الحربية « بومون» بتنفيذ تلك المهمة ، فرست في بندر عباس ، وظلت بها حتى اقلع منها الطراد الروسي . وكانت الامبرالية الملكية قد اصدرت ايضاً اوامرها السرية الى قائد الاسطول البريطاني في منطقة الخليج عن كيفية التصرف لو حدثت الازمة التي كانت محتملة الوقوع .

على ان وجود سفينة حربية في بندر عباس ادى الى تطور الامور بشكل ربما ما كان ليقع لولا وجودها . فقد عمد الروس بدلا من انزال الفحم الزائد الى البر الى تحميله على قاربين للاهالي . وهكذا امكن تلافي الخطر الاكبر في الموقف . ولم يضطر قائد البحرية في الخليج لاستخدام الاوامر السرية الصادرة له ، وفي ٢٤ فبراير وصل الطراد الروسي من بندر عباس الى بو شهر ، فانتهت اوامر تتبعه من جانب السفينة الحربية البريطانية . وفي ٢٣ فبراير أكد مستر مورافييف للسفير البريطاني في سان بطرسبرج ان الحكومة الروسية لم يكن لديها

النية او الرغبة في ان تكون لها قاعدة فحم او غيرها على الخليج ، واضاف أن تحذيراً كان صدر لقائد الطراد « جيلياك » بأن لا يحاول تنفيذ خطة من ذلك القبيل . وكشفت هذه الملاحظةعن وجود خطة مسبقة في الموضوع وعلى اية حال فاننا لا نستطيع ان نعلق اهمية كبيرة على تلك التأكيدات التي صدرت عقب احباط خطة الفحم . ومهما يكن من شيء فان الطراد « جيلياك » لم يزر بندر عباس في رحلة العودة . اما الفحم نفسه، فبعد فترة نقله نائب الحاكم الايراني الى مخزن صغير ملحق «كولاهي افرنجي » مقره الرسمي .

المظاهرات البحرية الروسية في الخليج :

وكانت رحلة الطراد « جيلياك » هي بداية ما لا يمكن ان يسمى بغير سلسلة من المظاهرات البحرية الروسية التي تستهدف اغراضاً سياسية ، فروسيا لم تكن لها مصالح مباشرة في منطقة الخليج ، كما ان الخليج لا يقع في طريق سفنها الحربية المتجهة الى الشرق الاقصى .

عاد الطراد « جيلياك » – وكان سفينة حربية بغاطس مناسب يبلغ عمقه ١٠ أقدام لكنه مسلح تسليحاً ثقيلا – فقام برحلة من بوشهر الى البصرة وظل بها من ٥ الى ١٧ مارس . وفي المحمرة كان في استقباله قنصل روسيا قادماً من بغداد ، وقد حصل له على استثناء باجتياز الحجر الصحي في ميناء البصرة ، واعد احتفالا لاستقباله في الميناء . ولدى عودته رسا في الكويت ، ثم وصل بوشهر مرة أخرى في ١٩ مارس وتركها في ٢١ متجهاً الى الصين .

وفي كل من البصرة والكويت كانت في انتظاره سفينة حربية بريطانية ، وبعد ان ابحر من بوشهر ، لم يرس في أي مكان آخر على الخليج .

أماالمظاهرة الثانية فقامت بها المدمرة الروسية «فارياج» وهي مدمرة حسنة التسليح ومن الطراز الاول ، صنعت في امريكا وتبلغ حمولتها

٦٤٦٠ طناً . وفي طريقها الى الخليج ، رست في عدن واثارت الاضطراب بانوارها الكاشفة في الميناء بطريقة غير عادية . وفي ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠١ وصلت « فارياج » الى مسقط . وفي اليومين التاليين اقيمت الاحتفالات لاستقبالها – باشراف القنصل الفرنسي ، وتم تبادل الزيارات بين ضباطها والسلطان . وبعد ان غادرت مسقط ضاع خط تتبعها مؤقتاً ، وقيل انها عائدة الى عدن ، لكنها حين تركت مسقط اتجهت شمالا وظهرت في ١٦ ديسمبر في بوشهر . وفي ٢١ ديسمبر غادرت بوشهر متجهة الى الشمال تحمل القنصل الروسي العام ، ومرت بلنجة وبندر عباس وبقيت في الميناء الاول ليلة ٢٦–٢٧ ديسمبر ، وفي الثاني من ٢٨ الى ٣١ ديسمبر .

وارتفع العلم الروسي في منطقة الخليج للمرة الثالثة على سارية المدمرة الروسية « اسكولد » ، وهي ايضاً مدمرة مسلحة من الطراز السابق ، تصل حمولتها الى ٥٩٠٥ طناً . وكان الاهالي في منطقة الخليج يقدرون قوة السفينة بعدد المداخن المتصاعدة فوقها ، ولما كان لهذه المدمرة الروسية خمس مداخن ، فقد اثار ظهورها هناك دهشة الناس وانبهارهم ، وصلت المدمرة الى مسقط في ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٢ وابحرت منها الى الخليج في اليوم التالي ، وكان مستر اداموف القنصل الروسي في البصرة على ظهر المدمرة خلال قسم من جولتها ، وفي ١٤ ديسمبر وصلت اسكولد الى الكويت ، وفي ١٧ ديسمبر وصلت لنجة وتركتها في نفس اليوم الى بندر عباس .

أماالرحلة الرابعة فقام بها طراد روسي مسلح –من الدرجة الثانية– هو الطراد « بويارين » الذي تبلغ حمولته ٣٢٠٠ طن ، تصحبه السفينة الفرنسية « ايفيريت » وحمولتها ٢٤٥٢ طناً . وكان الهدف من هذه المظاهرة هو اظهار اتفاق سياسي فرنسا وروسيا تجاه منطقة الخليج . ووصلت السفينتان مسقط قادمتين من جيبوتي لكن كلا منهما وصلت الميناء وحدها : « انفيرنيه » في ٢١ فبراير ، و « بويارين » في ٢٢

منه . وخلال بقائهما في مسقط قابل قائدا السفينتين السلطان . وتركتا مسقط معاً في ٢٤ فبراير ، فوصلتا الى بوشهر في ٢٨ ، وفي بوشهر ، صعد الى السفينة القنصل الروسي العام م. باسيك بعد تبادل التحيات والمجاملات مع الحكام الايرانيين المحليين ، ومن بوشهر قطعت السفينتان الخليج الى الكويت ، وظلتا هناك من ٥ الى ٨ مارس ، وفي ١٤ مارس ، وبعد زيارة لنجة ، عادت السفينتان الى مسقط ، والقنصل الروسي ما يزال على ظهر الطراد ، وقام السلطان بزيارة السفينتين في الميناء يوم ١٦ مارس ، وبعدها راحت كل سفينة في طريقها .

استطلاعات روسية لانشاء السكك الحديدية في جنوب ايران ١٩٠٠ :

وكان يميز زيارات هذه السفن المتتابعة لموانئ الخليج حفاوات زائدة ، وتحيات رسمية وبحرية ، ومجاملات واسعة ، بل واحياناً كانت السفن نفسها تسمح للدهماء من العرب والايرانيين بالصعود اليها ومشاهدتها ، وقد كتب القنصل البريطاني في البصرة معلقاً على ذلك يقول « لو قد أُظهرَ شيء أكبر من الرزانة لاثر ذلك تأثيراً أبلغ في نفوس الشرقيين » .

وفي سنة ١٩٠٠ انتقلت الاستطلاعات لمد خطوط حديدية من وسط ايران الى الجنوب في عدة مواقع على ساحل الخليج ، وهو اجراء يدل في ذاته على طبيعة الخطط الروسية في جنوب ايران ، والطريقة التي كانت روسيا تأمل اتباعها لتعزيز الموقع البحري الذي تبحث عنه . وكانت البعثة التي تقوم بالمعاينة والاستطلاع مكونة من ١٢ روسياً الى جانب بعض الخدم وبعض الذين يتكلمون الروسية ، ومعها ستون من الحرس القوقازي ، وقد وصلت الى طهران في مارس سنة ١٩٠٠ وتركتها الى اصفهان في حوالي ٦ ابريل ومعها سكرتير السفارة الروسية في طهران . وقد لوحظ ان عدد افرادها قل كثيراً لدى دخولها اصفهان في ١٨ ابريل ، وواضح ان بعض افرادها انشغلوا في معاينة الطرق الفرعية. ومن هؤلاء الذين وصلوا الى اصفهان بقي واحد فقط وغادرها الباقون

في اتجاه شيراز ، وبعدها غادر اصفهان ذلك العضو الوحيد وهو مستر توميلوف فاتجه بمفرده الى شوشتار عبر بختياري في اليوم التالي .

ووصلت هذه الجماعة المتفرقة الى الخليج في اربعة مواقع مختلفة . وصل اولا مستر ساخانسكي المسئول عن البعثة كاهلا الى بوشهر قبل نهاية مايو ، ثم وصل مستر توميلوف الى المحمرة عن طريق الناصري في ١٨ من نفس الشهر ، وبقي مستر ساخانسكي في بوشهر حتى ٣ يونيو ثم عاد الى اوربا بطريق البحر ، وسار مستر توسيلوف بحراً من المحمرة الى بوشهر ، ومنها براً الى شيراز ثم عاد فوصل بوشهر في ١٢ يونيو ، ومنها حملته السفينة الايرانية « برسيبوليس » الى المحمرة مرة أخرى ليتجه شمالا الى الناصري . ووصلت الفرقة الثالثة التي اتمت عملها الى بندر عباس في ٧ يونيو وكانت قد سافرت من شيراز عن طريق فيروز اباد ، وكانت لدى وصولها تتكون من ثلاثة روسيين احدهم دكتور ساخانسكي ابن شقيق قائد البعثة ، ورجل روسي آخر كان قد انضم اليهم في أصفهان ، لكنه اطلق النار على نفسه خطأ ، فنقل أثناء الرحلة من كميشه الى طهران ليعالج بها . وكانت الفرقة الاخيرة المكونة من ثلاثة اوربيين هي آخر فرقة تصل الى الساحل بعد ان قاست اهوال الحر الشديد .

فقد غادرت هذه الفرقة كرمان في حوالي ١٢ يونيو ، وسارت الى شاهبار عن طريق بامبور وكسرى كاند ودشتياري . والى شاهبار وصل اثنان من الفرقة هما الكابتن ريتش ومستر بالمجرين في ٢٧ يونيو ، وسبقهما الى الوصول يوم ٢٧ رفيقاهما وهما مستر الون ، ومستر بالجرام وهو رجل مسن من اصل سويدي ، وقد قام باسعاف هذين التعيسين موظفو مركز التلغراف البريطاني في شاهبار ، واخيراً وصلا مسقط سالمين في قارب للاهالي .

وقد وصف المسئولون القنصليون الروس البعثة التي قامت بهذا

العمل الكبير بانها « بعثة جغرافية » لكن الصحف الروسية كانت تصف رئيس البعثة ساخانسكي بأنه « مدير السكك الحديدية الايرانية » ، وقد حامت بعض الشكوك في بداية الامر حول ارتباط الحكومة الروسية الفعلي بالمشروع لكنها تبددت بالمعلومات التي استطاعت حكومة صاحبة الجلالة التوصل اليها في سنة ١٩٠٣. حيث ثبت ان البعثة ربما كانت لجنة من رجال السكك الحديدية مهمتها اختيار افضل الطرق لمد خط حديدي عبر القوقاز يقطع ايران الى البحر . وتبين ايضاً ان رئيس فرقة شاهبار — وهو الكابتن ب. أ. ريتش ، من موظفي الخدمة المدنية العامة — وهو مؤلف نشرة بعنوان «الخطوط الحديدية في ايران» كانت قد أثارت اهتماماً كبيراً في أوائل سنة ١٩٠٠ حين كانت الصحف الروسية تسهب في الكلام عن مشروعات السكك الحديدية في ايران ، وتبدي تخوفها من أن يحجب المعبر الروسي الى البحر بتقاطع الخط الحديدي الالماني في بغداد ، مع شبكة السكك الحديدية الهندية . ووضح ان هذه البعثة — او على الاقل كابتن ريتش — قد اعترضت او اعترض على طريق بوشهر وبندر عباس لانتهائها عند الخليج حيث القوة البحرية البريطانية ذات نفوذ كبير هناك ، فضلا عن ان الاماكن المقترحة لا تصلح لاقامة الموانىء . ويبدو ان كابتن ريتش قد اقترح ان يمتد الخط الحديدي عن طريق راشت ماراً بقزوين ثم على التوالي ، طهران ، قم ، كاشان ، يزد ، كرمان ، بام وبامبور الى خليج شاهبار مقدراً التكاليف بمبلغ ١٩,٦٩٦,٠٠٠ جنيه انجليزي منها ١,٥٧٥,٠٠٠ جنيه لتشييد وتسليح ميناء في شاهبار . وقد ادرك الجميع بوضوح أن موارد النقل الدولية دون الموارد المحلية هي التي تقوم بمثل السكك الحديدية المقترحة . وقد اقتُرِح فرض ضرائب جمركية خاصة في ايران لمنع خطوط السكك الحديدية من ان تصبح خاضعة للمصالح التجارية البريطانية وذلك بعد تأسيس نفوذ روسي مطلق هناك .

الشركة الروسية للملاحة البخارية والشركة التجارية وغيرها من المؤسسات التجارية الروسية في منطقة الخليج سنة ١٩٠٠ :

وقد قررت روسيا أخيراً دعم المشروعات التجارية مدفوعة طبعاً بالرغبة في خلق مصالح ثابتة ومستقرة في الخليج وربما ايضاً بهدف اقامة اسس مختلفة للتدخل السياسي هناك . وجاءت اول اشارة الى بدء تنفيذ العمليات التجارية الروسية المدعومة بالعون الحكومي الرسمي في خطاب طبيب روسي في بوشهر في بداية يوليو سنة ١٩٠٠ ذكر فيه ان خطاً روسياً من البواخر الملاحية سيبدأ السير في الخليج ابتداء من الخريف التالي .

وقبل بداية العمل في هذه الخطة ، بدأت جولة للمعاينة قام بها سيرومياتنيكوف وبيلنبرج اللذان وصلا من بومباي الى بوشهر في ١٩ يونيو سنة ١٩٠٠ وربما منهما استمد الطبيب الروسي في بوشهر تلك التصريحات التي ادلى بها . وتبين فيما بعد ان سيرومياتنيكوف كان أحد المسئولين عن تحرير صحيفة « نوفو — فريميا » التي تصدر في سان بطرسبرج . وقد واصل مستر بيلنبرج سفره من بوشهر عن طريق بندر ديلم وفلاحية فقناة فلاحية الى المحمرة فوصلها في ١٨ يوليو ثم سار منها الى الاهواز . وفي نفس الوقت كان سيروميانتيكوف قد زار البصرة وبغداد ، ثم — وكما فعل مستر بيلنبرج قبله — اغرق نفسه في البحث التجاري الخالص ، واعد مستر سيرومياتنيكوف عدته — اثناء هذه الجولة — لزيارة الكويت وعرض خدماته على الشيخ مبارك في مقابل الحصول على امتياز باسم روسيا ، غير ان خطته قد فشلت في نهاية الامر . وحوالي نهاية اغسطس التقى الرحالتان مرة أخرى في بوشهر ، ثم قضيا اسبوعاً في بندر عباس ثم سارا الى لنجة وابحرا منها الى اوربا في نهاية سبتمبر .

وبعد عودة مستر سيروميتاتنيكوف الى سان بطرسبرج صدر اليه أمر من الدوق الكسندر ميخالوفتش الكبير باعداد تقرير عن رحلته ، وقد فعل . ورفع التقرير الى مستر دي ويت وزير المالية الروسي وفيه

ذكر ، سيرومياتنيكوف ان ثمة مجالا لتصريف المنتجات الروسية في جنوب ايران ، ولا سيما السكر ، وبمدى اصغر لتصريف البضائع الصوفية والحبوب والمشروبات الروحية وغيرها من المنتجات ، ولكن كان من رأيه ان مثل تلك التجارة بحاجة الى خط بواخر روسي يجب أن يكون معانا رسمياً من جانب الحكومة ليستطيع منافسة التجارة البريطانية المزدهرة ، كما يمكن رجوع السفن الى روسيا محملة بالارز والتمر . واقترح سيرومياتنيكوف فتح مصرف روسي في احدى موانئ الخليج ، واقامة مخازن للفحم في بوشهر والبصرة ، وافتتاح قنصلية ونيابة قنصلية في ذينك الموقعين على التتالي . وان تحرسا بقوة كبيرة من جنود القوقاز . واقترح ايضاً ان تبقى على الاقل سفينة حربية روسية بشكل دائم في منطقة الخليج . وعين وزير المالية الروسية لجنة خاصة لدراسة التقرير تضم ممثلين عن مختلف الاجهزة الادارية والهيئات التجارية واجتمعت لاول مرة في سان بطرسبيرج في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ . وقد اقرت اللجنة اقتراحات سيرومياتنيكوف دون ان تعدل فيها شيئاً . واوصت بأن يبدأ خط ملاحي بخاري تقدم له الدولة معونة بواقع ٣ روبلات عن كل ميل بحري ،وان يُشغَّل على فترات شهرين من ميناء اوديسا الى البصرة وبوشهر ، وان يعهد الى شركة البحر الإسود الروسية للملاحة البخارية بالاشراف عليه . ويجب ان تشرع هذه الشركة في اقامة مستودعات فحم لها في بوشهر والبصرة ، كما يجب خفض الضرائب الجمركية الروسية على الارز المستورد من ايران عن طريق الخليج ، وكذلك افتتاح بنك روسي وقنصلية روسية في بوشهر ، ووكالة قنصلية في البصرة . واخيراً على وزير الحربية ان يقدم حرساً عسكرياً الى كل من هذين الميناءين لحماية القنصلية والوكالة ، وعلى وزير البحرية ان يخصص سفينة حربية للخدمة في منطقة الخليج بشكل دائم . ويبدو ان توصيات هذه اللجنة قد لقيت موافقة مباشرة . وان كانت جزئية فقط ، حيث اعلن في نشرة « وقائع التبادل » الصادرة في ١٥

(٢٨)(١) ديسمبر سنة ١٩٠٠ ان باخرة تابعة « للشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارية » ستقوم برحلة تجريبية من ميناء اوديسا الى الخليج في اوائل الشهر التالي ، وان اسعاراً مخفضة قد قررت لنقل البضائع الى الخط الجديد عند نقلها بالسكك الحديدية من مختلف مراكز الانتاج في روسيا ، كما تم ايضاً تخفيض اسعار نقل البضائع بالسكك الحديدية لـ « الرحلة الرسمية » التي ستقوم في ١٢ (٢٥) يناير سنة ١٩٠١ .

وكانت الباخرة « كورنيلوف » هي اول باخرة عاملة على الخط الجديد تزور الخليج . وكانت باخرة قديمة بنيت في سنة ١٨٦٩ ، حمولتها محدودة ، وغاطسها غير صالح للعمل في مياه الخليج . ولدى رحلتها الاولى في الخليج كانت مسلّحة بستة مدافع ماكينة « للدفاع ضد القراصنة » وقيل ان بحارة الباخرة كانت لديهم تعليمات باستعمالها ، وبعد المرور بمسقط وبجاشك وبندر عباس ولنجة وصلت « كورنيلوف » الى بوشهر في ٢١ مارس سنة ١٩٠١ . وفي مسقط حيّت السفينة علم السـلطان باطلاق ثلاث طلقات من مدافعها ، واطلقت هذه التحية طلقة بعد اخرى كما لو كانت سفينة تجارية . ولم يتكرر هذا العمل من جانبها في أية مناسبة تالية . وفي بوشهر التقى بها الامير دابيجا القنصل الروسي العام في أصفهان ، الذي كان وصل الى بوشهر في ٤ مارس وبقي فيها ينتظر وصول الباخرة ، واستقبله الحاكم الايراني استقبالا رسمياً تنفيذاً لتعليمات صدرت له من طهران ، واحتفي بدخوله المدينة احتفاء كبيراً . ومن بوشهر أبحرت الباخرة « كورنيلوف » الى البصرة ، فوصلتها في ٤ ابريل وظلت بها الى ١٥ من نفس الشهر . ثم بدأت رحلة العودة هابطة في الخليج . وفي بداية ابريل قامت الشركة الهولندية التي يمتلكها السادة هوتز وولده في بوشهر — وكانت تحت الحماية البريطانية لمدة ١٥ عاماً — بنقل نفسها الى الحماية الروسية واصبح اصحابها هم وكلاء

(١) الفرق هو بين الحسابين الغربى والشرقى الميلاديين .

الخط الروسي الجديد .

وكانت حمولة الباخرة « كورنيلوف » تتألف هذه المرة من حوالي ١٠٠٠ طن من البضائع المختلفة الى جانب ١٠ مسافرين من اوربا . وافرغت في بندر عباس ٦٠٠ جوالا من السكر ، وافرغت في بوشهر ٧٥٠٠ صفيحة من الكيروسين ، الى جانب كميات من السكر والقطن والحرير وغيرها .. وبقي وكيلان روسيان على الشاطىء لتصريف هذه البضاعة ، وانزلت الباخرة في البصرة حوالي ٥٠٠٠ صفيحة ، وخشباً يكفي لخمسين الف صندوق من التمر ، كما انزلت سكراً وبضائع مختلفة لكنها لم تلق رواجاً . وكان في وسع « كورنيلوف » ان تأخذ حمولة العودة من قمح البصرة شحنة الى جدة ، لكنها نظراً لغاطسها الضخم ، منعت بذلك من الابحـار في شط العرب واستدعى قائد الباخرة مستر كلاسنج لدى عودته الى اوربا كي يقدم تقريراً عن رحلته الى السلطات المسئولة في سان بطرسبرج . ولا شك في ان النتائج التي حصل عليها لم تكن حاسمة لان العقد الذي كان مفروضاً ابرامه بين الشركة والحكومة قد تأجل ، ودفعت الحكومة معونة الرحلة — كما نعتقد — بواقع ٤ روبلات عن كل ميل بحري . وفي يوليو سنة ١٩٠١ لفتت نشرة « مركز تصنيع السكر » في كييف النظر الى سوق التصريف الجديدة في الخليج وأعلن ان وزارة المالية ستقوم قريباً بنشر مرشد عملي للخليج من اعداد شخص كان قد اوفد خصيصاً لدراسة احوال التجارة على الطبيعة .

وابحرت الباخرة « كورنيلو ف » للمرة الثانية من ميناء اوديسا في ١١ سبتمبر سنة ١٩٠١ فوصلت مسقط في ٤ اكتوبر . وهنا — ورغم تلميحات من السلطان في المرة السابقة — اطلقت الباخرة تسع طلقات من مدافعها للتحية ، وطلبت ان تقابل بمثلها من مدفعية البر لانها « سفينة حكومية » . ومال السلطان الى الرفض ، لكنه عندما اطلقت السفينة الروسية الثانية ٢١ طلقة ، وارسلت العلم الروسي الى البر طلباً لرد التحايا

سويت المسألة بالشكل الذي رضي عنه القائد الروسي ، فرفع مراسيه وترك مسقط دون ان يفرغ فيها اية حمولة، ثم رست « كورنيلوف » في بندر عباس ولنجة وبوشهر وفايليه (بالقرب من المحمرة) وغادرت لنجة في طريقها الى بلادهم يوم ٢٣ نوفمبر . وفي بوشهر ، كانت القنصلية الروسية العامة التي كان الدافع الاساسي لانشائها حديثاً الشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارة حقيقة قائمة الان ، وقد افتتحت في سبتمبر سنة ١٩٠١ . واستطاعت ان تمد يد العون للباخرة في عملياتها . وقد قامت « كورنيلوف » بالرحلة الثانية وعليها حمولة كاملة من اوديسا لهذا اضطرت الى رفض عروض اخرى قدمت اليها في القسطنطينية وبور سعيد .

وكانت الباخرة تحمل ستة مسافرين بالاضافة الى حمولتها التي بلغت ٦٥٠ طناً من الاخشاب والصفائح الى جانب ١٠٠٠ طن من الكيروسين والسكر والدقيق والمصنوعات المختلفة . وقد افرغت في بندر عباس حوالي ٥٠٠٠ صفيحة من الكيروسين ، وفي لنجة كمية من البضائع الوطنية ، وفي بوشهر افرغت ١٢,٠٠٠ صفيحة كيروسين و ١٠٠ صندوق من الاواني الزجاجية . وفي البصرة افرغت ١٦,٥٠٠ صفيحة من الزيت ، وبما قيمته حوالي ١٥٠٠ جنيه انجليزي من الاخشاب ولا سيما الاعمدة الخشبية المستعملة في الانشاءات والمقصود بها منافسة الاخشاب الجاوية التي كانت تستورد لاغراض البناء من سنغافورة الى البصرة . وفي هذه المرة حملت الباخرة حمولة طيبة من البصرة لرحلة عودتها وكانت مكونة في غالبها من التمر المعبأ في الاكياس والصناديق ، والمعدة للتصدير الى الشام والقسطنطينية . وفي بوشهر استطاعت ان تحمل ٤٦٠٠ كيساً من التبغ لبيروت و ٦٠ كيساً من الصمغ للندن واوديسا ، وبعض بالات القطن الخام لاوديسا ، وكمية صغيرة من الافيون للاسكندرية . واضيف الى هذه الحمولة في لنجة ٣٥٠٠ كيساً من التبغ لجدة ، و ٢٠ بالة من السجاد الفارسي . ومن البصرة حملت الرسائل

التي تكدست هناك متجهة الى مصر والقسطنطينية ، وبلغ دخل الباخرة من الرسائل فقط أكثر من ٢٣٠ جنيهاً ، كما نقلت الباخرة أكثر من ٣٠ حاجاً مسلماً من لنجة .

وربما لم يصل دخل الباخرة « كورنيلوف » من رحلتها هذه ما يغطي تكاليفها لكن معونة الحكومة الروسية التي تحددت عندئذ بمبلغ ٥٠ الف روبل عن كل رحلة كانت تمثل ربحاً لا شك فيه لاصحاب الباخرة . وهكذا كانت الرحلة مربحة لكن وقتاً طويلا جداً ضاع ما بين شحن الحمولات وتفريغها .

وحين كانت الباخرة « كورنيلوف » تقوم برحلتها الثانية في الخليج كانت ثمة باخرة روسية أخرى — يبدو الا علاقة لها بالشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارة — منهمكة ايضاً في العمل بالخليج . وهي الباخرة « سيجريد » من باطوم ، والمصنوعة في انجلترا لحمولة ١٣٠٠ طن وبغاطس ١٦,٥ قدماً . وكان مفهوماً أنها لشركة تملك ١٣ باخرة مثلها لا تتلقى معونة من الحكومة الروسية وان كانت الحكومة تدفع عنها رسوم المرور في قنال السويس . وافرغت السفينة « سيجريد » ١٨,٠٠٠ صفيحة من زيت الكيروسين في بوشهر و ٤٥ الف في البصرة ، وقد نقلت حوالي ٣٠٠٠ طن من الحبوب من البصرة باجر منخفض ، وحمولة أخرى أقل من هذه حملتها من بوشهر بأجر أفضل ، واكملت حمولتها بحمولة قدرها ٦٢٠ طناً من الاوكسيد حملتها من جزيرة بوموسى الى لندن . وقد بدا وكأنما السفينة كانت مؤجرة على الاقل لجزء من رحلتها للحاج علانا ، وهو تاجر كبير من بومباي . وقد قبل تاجر ارمني في بوشهر ان يعمل وكيلا للشركة مالكة السفينة ، لكن اياً من سفن هذه الشركة لم تقم بزيارة اخرى للخليج .

وقد تعرضنا للرحلة الاولى التي قام بها الطراد « كورنيلوف » بشيء من التفصيل بالنظر لما كان لها من اهمية خاصة ، لكن رحلاتها التالية هي والسفن « ازوف » و « تروفور » التي تبعتها كلها لم تكن على جانب

من الاهمية يستحق الذكر .

لقد أمن هذا الخط الحديد نقل التمور والمسافرين ما بين موانيء الخليج وموانيء الشام والبحر الاسود دون مشقة لانه لم يكن له منافس من أية شركة اخرى . لكن التجارة فيه بشكل عام كانت محدودة وقاصرة على فصول معينة من السنة . اما في تجارة النقل العام بين اوربا والخليج فلم يحقق هذا الخط تقدماً يذكر ، ووضحت بعد ذلك صعوبة تجميع حمولات كاملة للرحلات الخارجية . وظل اهم ما نقلته البواخر الروسية الاخشاب والكيروسين والسكر ، وكان البيع قليلا بالنسبة لهذه الحمولات ، فالمصنوعات القطنية الروسية تفوقها الصناعة الهندية في الرخص والجودة والشيت الملون الذي كانت تجلبه معها كانت هناك اصناف كثيرة افضل منه . وفي يناير ١٩٠٣ لم يبرم عقد واضح بين الشركة والحكومة الروسية ، ولكن حسب اتفاقية رسمية عقدت مع مستر دي ويت استمرت الشركة ترسل اربع سفن كل سنة وتتلقى عنها معونة قدرها ٢٠٠ الف روبل (٢١ الف جنيه) . وفي هذا الوقت كانت المفاوضات دائرة لابرام عقد دائم مدته عشرون عاماً ، ورفع الموضوع الى قسم التجارة البحرية الذي انشيء برئاسة الدوق الكسندر ميخالوفيتش الكبير . واخيراً وفي نهاية مارس سنة ١٩٠٣ عرف ان عقداً محدداً قد وقع يحدد العلاقة بين الشركة والحكومة الروسية ، وبموجبه تدفع الحكومة الروسية كل سنة مبلغ ٢٠٠ الف روبل — لمدة ١٢ سنة . في مقابل تسيير الشركة ٤ بواخر كل سنة الى الخليج ، وتتحمل الحكومة ايضاً الرسوم المستحقة عن بواخر الشركة في قنال السويس ، كما تحتفظ لنفسها بحق الاشراف على اختيار كبار ممثلي الشركة في الخليج . ولما وافق المجلس الامبراطوري على ذلك العقد ، صدق عليه القيصر في ابريل سنة ١٩٠٣ ، وبعد ذلك بقليل نشر في مجلة « اوديسكي لستوك » الصادرة في ٢٥ نيسان (٨ مايو) ان الاحواض الروسية ستبنى سفينتين تخصصان

لخدمات الخليج . ووصلت مذكرة من الضابط المسئول عن الشركة الروسية للتجارة والملاحة البخارية الى بوشهر في يونيو سنة ١٩٠٣ تشرح التنظيم المحلي للشركة وطريقة عملها . وعين مركزها الرئيسي لمنطقة الخليج في بوشهر ، وعهد به الى مستر بافلوف ، وفتحت ، او اعلن عن نية فتح ،وكالات مساعدة في كل من مسقط وجاشك وبندر عباس ولنجة والمحمرة والبصرة . وكان المسافرون والبضائع ينقلون عن طريق هذا الخط من والى تلك الموانئ ، الى جانب موانئ عدن وجيبوتي وجدة والسويس وبور سعيد ويافا وبيروت وازمير والدردنيل والقسطنطينية . هذا ايضاً الى جانب انه كان مسموحاً لبواخر هذا الخط بنقل البضائع والمسافرين الى مناطق اخرى في البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود . ونتيجة هذه التنظيمات الاخيرة فقدت شركة السادة هوتز وابنائه المكانة التي كانت لها في تجارة الخليج .

وترددت معلومات بعد ذلك تفيد ان كل ممثلي الشركة في الخليج سيكونون من المواطنين الروس . وفي سنة ١٩٠٣ نظمت بعض وكالات باطوم رحلات الى الخليج ، واتخذت الخطوات لاقامة معارض للصناعة والمنتجات الروسية في بوشهر والبصرة . وفي نوفمبر سنة ١٩٠٣ قررت الحكومة الروسية ان تضع سفينة حربية بشكل دائم في منطقة الخليج ، ووضعت خطة انشاء قارب مسلح خصيصاً لذلك الغرض في برنامج البحرية الروسية لسنة ١٩٠٦ . وقرب نهاية سنة ١٩٠٤ اتخذت الحكومة الروسية اجراءات لتعزيز عمليات الشركة ، فأعلنت الغاء الحظر على المتاجرة بين اوربا وايران ، عن طريق باطوم – باكو ، بانواع معينة من التجارة البريطانية ، خاصة الشاي الهندي ، شريطة نقل هذه البضائع على بواخر الشركة الروسية للتجارة والملاحة البخارية من اوديسا الى باطوم . كما اصدرت اوامرها ايضاً بتخفيض بعض العوائد الجمركية لمصلحة الشركة .

وقدمت الحكومة عوناً آخر للتجارة الروسية في جنوب ايران بأن ارسلت بعثتين تجاريتين في ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، كانت الثانية منهما تحت اشراف قسم التجارة البحرية في الحكومة الروسية . وكانت الاولى تضم ٥ أعضاء ، وكلا البعثتين كان يرئسها الامير اناتوني وهو ارمني قوقازي من عائلة طيبة . وارسل اعضاء البعثة الاولى الى شيراز وبوشهر والمحمرة وششتار وغيرها من الاماكن ، وزار الامير بنفسه الميناءين الاخيرين في أغسطس سنة ١٩٠٤ ، وكان الهدف الرئيسي – كما وضح آنذاك – هو العمل على انشاء مصارف روسية في بوشهر وشيراز ، وفي البعثة الثانية ايضاً وصف الامير اناتوني بأنه « سكرتير البنك الروسي » لكنه كان ايضاً مكلفاً بالتفتيش على العاملين في الشركة الروسية للتجارة والملاحة البخارية التي كان جهاز موظفيها مكوناً من رئيس وسبعة مساعدين منتشرين في مختلف موانئ الخليج منذ سنة ١٩٠٣ . ولم يستطع الامير ان يؤدي هذه المهمة بدقة ، فقد وصل الى بوشهر في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٠٥ على باخرة الشركة « تروفور » ، وغادرها في بداية اكتوبر الى شيراز ، وظل بها الى نهاية الشهر ثم رحل الى اصفهان وطهران .

زيادة التمثيل القنصلي الروسي في منطقة الخليج :

وفي نفس الوقت الذي كانت تتطور فيه خطة روسيا البحرية والعسكرية والتجارية كما وصفنا ، كان ثمة اهتمام مبذول من جانب الحكومة الروسية لتحسين الجهاز القنصلي الروسي في البلاد المتاخمة للخليج وسنشير الى هذا التحسن في مكانه الصحيح حين نتحدث بالتفصيل عن التاريخ السياسي لمنطقة الخليج .

سياسة روسيا الصحية ووكلاؤها في منطقة الخليج :

لكن روسيا لم تستطع ان تحقق سوى فائدة سياسية ضئيلة عن طريق « بعثة الطاعون » التي ارسلت فجأة الى بوشهر وذكرنا اخبارها في

الفترة السابقة .

ان حقيقة كون الحكومة الايرانية قد عهدت من قبل بالاجراءات الصحية في موانيها لادارة بريطانية ، الى جانب ضآلة انتشار الوبأ وقصر المدة التي انتشر فيها في بوشهر قد افشلت جميعها مهمة البعثة الروسية الطبية ، ولذلك ظل تهديد ممثل روسيا في طهران سنة ١٨٩٩ بأرسال القوزاق الى بوشهر كما سبق ان ارسلوا الى سجستان لاقامة حجر ضد الطاعون مجرد تهديد كلامي . وحين وضحت محاولات للتدخل في سلطة المسئول البريطاني عن الصحة في ١٩٠٣ و ١٩٠٤ ظهر ان الحكومة الايرانية وطبيب الوكالة القنصلية الفرنسية في بوشهر كانا وراء هذه المحاولات ، حيث لا يتوفر أي دليل واحد على ان ممثل روسيا في طهران او سواها كان وراء تلك المحاولات ، لكن روسيا ظلت على أي حال تعتبر التنظيمات الصحية مجالا للنفوذ البريطاني يجب معارضته . وفي سنة ١٩٠٥ قدم المندوب الروسي في مكتب الصحة بالقسطنطينية اقتراحاً بانشاء مركز صحي ، تحت اشراف المكتب ، بالقرب من مضيق هرمز . وكان قد سبق تقديم هذا المشروع في مؤتمر باريس لسنة ١٩٠٣ وقبلته بريطانيا حينئذ بشروط . لكنها رفضته هذه المرة ، وهكذا فشل المندوب الروسي في محاولته .

النشاط الفرنسى فى الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

التناسق بين نشاط فرنسا وروسيا :

وفيما كانت روسيا تناضل لتخلق لنفسها قاعدة بحرية وتجارة في الخليج كانت الجمهورية الفرنسية ايضاً منشغلة بالامر نفسه وان كانت خططها اقل ضخامة .

وقد اكتشف سفير صاحبة الجلالة في طهران وجود تفاهم محلي بين فرنسا وايران ، وقام يوم ٧ يونيو سنة ١٨٩٩ بابلاغ المقيم العام في بوشهر — برقياً — بآرائه في الموضوع ، وقد اوصى بالتعاون الروسي الفرنسي في الخليج مقال نشرته صحيفة « نوفوى فريميا » الصادرة في سان بطرسبرج في ١٣ (٢٦) سبتمبر ١٩٠١ . كما اشارت علاقات الود المتبادلة بين ضباط السفن الحربية الفرنسية والروسية في منطقة الخليج غير مرة الى وجود سياسة مشتركة . كذلك كانت الرحلة المشتركة التي قام بها الطراد الروسي « بويارين » والطراد الفرنسي « انفيرنيه » الى مسقط وبوشهر والكويت ولنجة في سنة ١٩٠٣ اعلاناً واضحاً مقصوداً عن هذا الاتحاد الفرنسي — الروسي .

مشروع قاعدة بحرية فرنسية في خليج عمان ، وتوزيع العلم الفرنسي دون تمييز على السفن الوطنية :

ولكن من الخطأ في نفس الوقت ان نفترض ان فرنسا لم تكن لها اطماعها الخاصة في منطقة الخليج . بل ان الامر على العكس ، فالحقائق تشير الى انها كانت تهدف الى انشاء محمية او شبه محمية لها في مكان ما من شرق عمان . وانها كانت تبحث عن موقع يصلح كمخزن بحري لها في المنطقة .

وظلت الجهود مستمرة — كما كانت في الماضي — في توزيع العلم الفرنسي لإعداد طبقة من العرب المشتغلين بالبحر من المعتمدين على الحماية الفرنسية الخاضعة للسلطة الفرنسية خاصة بين اهل صور . وبذلت فرنسا محاولات ايضاً للحصول على الميناء الهام في بندر جَصّه بالقرب من مسقط ونجحت هذه المحاولات تقريباً . وقد تحدثنا عن كل هذه المشاكل تفصيلا في مكان آخر ، وتكفي هنا الإشارة الى ان مشكلة العلم الفرنسي قد بلغت أقصى حدتها في سنة ١٩٠٣ ووضعت فرنسا وبريطانيا على حافة القطيعة . ومن حسن الحظ ان ذلك النزاع ظل مخفياً عن الرأي العام ، ولم يكن هناك ما يدعو للشك في انه كان لفرنسا خططها الخاصة غير المرتبطة بسياسة روسيا في المنطقة لا سيما على ساحل عمان ما بين مسقط ورأس الحد ، وربما في داخل عمان ايضاً ، لان وكيل القنصل الفرنسي حافظ لعدة سنوات على علاقة وثيقة بقبائل بني بو علي وبني جنابه في صور ، ممن لهم منازل في جزء كبير من داخل عمان .

المظاهرات البحرية الفرنسية في الخليج :

وقد اسرفت فرنسا في استخدام السفن الحربية خلال هذه الفترة التي بلغ فيها نشاطها السياسي حده الاقصى ، ففي ١٩٠٠ — ١٩٠١ شوهدت السفن الفرنسية الحربية « دروم » و « كاتينا » و « اشيرون » ، وفي ١٩٠١ — ١٩٠٢ « كاتينا » و « انفيرنيه » و « جان بارت » و « شاسيلوب لوبا » ، وفي ١٩٠٢ — ١٩٠٣ كانت السفن « انفيرنيه » و « فريان » ، وفي ١٩٠٤ كانت السفينة « انفيرنيه » .. كانت هذه السفن كلها تشاهد في خليج عمان ، واحياناً تقوم بزيارة الخليج . وقام الملازم جول فيو — المشهور باسم « بيير لوتي » . وهو دارس اكاديمي ، وسياسي محترف ، ومؤلف كتاب « هند بغير انجليز » بزيارة للخليج في ابريل سنة ١٩٠٠ ، وقضى يوماً في مسقط بدعوة من السلطان ثم سار منها الى بوشهر .

حملات صحفية موعز بها من فرنسا ضد أعمال بريطانيا في منطقة الخليج :

وكانت الحملة الصحفية العنيفة المعادية للمصالح البريطانية في الصحف العربية والفرنسية والروسية مظهراً فذاً صاحَبَ الصراع -الانجلو-فرنسي .

ففي اوائل سنة ١٨٩٩ كان يعيش في مسقط رجل فرنسي يسمى انطوان جوجوير ، وهو رجل ذو طاقة ونشاط عظيمين .. ولا بد من كشف مناوراته هناك ، فقد كانت اعمال مسيو جوجوير - الذي كان يتحدث العربية كأبنائها - تتم دائماً في الخفاء . وكان تاجراً محنكاً قامت سابقاً مشكلة بينه وبين وزارة الخارجية الفرنسية وقد ابعد من تونس لسوء اعماله هناك ، ومرة اخرى امر مسيو لاجارد الممثل الفرنسي في الحبشة بحبسه ، وما كان ذلك ليكون بغير اسباب وجيهة . وقد ورد الحديث آنفاً عن اعمال مسيو جوجوير وصلاته بتجارة السلاح ،وانما هناك الجانب السياسي من عمله .

لم يقض مسيوجوجوير طويل وقت في مسقط قبل ان يشرع في حملة صحفية في الصحف الفرنسية على بريطانيا ، وكانت الصحيفة المفضلة لديه هي « ديباش كولونيال » التي كتب فيها مقالا باسمه ، ثم ظهرت حملات اخرى في الصحف الروسية ، والصحف العربية في القاهرة كان يمكن ردها الى هذا الاصل دون سواه .

وقد كشفت كتابات مسيو جوجوير عن عداء حاد، وتجاهل صريح للحقائق .. لكنها كانت مكتوبة بطريقة لاذعة ساخرة ، وكان بعضها يحمل روحاً فكاهية لا شك فيها ، وكانت مقالاته موجهة بشكل اساسي ضد السياسة البريطانية كما يمثلها الوكيل السياسي البريطاني في مسقط ، لكن سلطان عمان ايضاً نال قدراً من السخافات والشتائم . كذلك هوجمت بنفس الطريقة الحملتان البريطانيتان اللتان خرجتا من صور للبحث عن أماكن لمستودعات الفحم في سنة ١٩٠١ وخطاب لورد كيرزون الذي

القاه في دربار بالشارقة في ١٩٠٣ . كل هذه الامور كانت مادة لهجوم قاس وعنيف في الصحف الفرنسية . وكشفت مقالة نشرت في صحيفة « الاهرام » القاهرية في سبتمبر سنة ١٩٠٤ عن ان مسيوجوجوير لم ينس الحصول على معلومات جديدة اثناء زيارة مؤخرة قام بها للكويت وقبلها ظهرت مقالة اخرى في نفس الصحيفة سنة ١٩٠٢ وكانت تدور حول عنجهية البريطانيين « وعبيدهم » الهندوس في مسقط . وكان هدف الكاتب واضحاً وهو محاولة خلق شعور عدائي في فرنسا ليغل به يد وزارة الخارجية الفرنسية . وفي هذه الظروف لم يكن غريباً ما وقع سنة ١٩٠٣ بعد ان ظل مسيوجوجوير يعمل لمدة ثلاث سنوات ، من هياج في الدوائر الفرنسية ، قدمت بشأنه استجوابات عديدة في مجلس النواب الفرنسي ، بسبب تقرير يظهر عزم بريطانيا على ضم مسقط اليها .

ولم يترك سلطان عمان ليظل على جهل بحملات مسيوجوجوير ، فقد كانت ترسل اليه دائماً ترجمات لتلك المقالات او نسخ منها عن طريق مراسل مجهول في اوربا . وفي بداية سنة ١٩٠١ استشار سلطان عمان الممثل البريطاني في مسقط حول ما يمكن اتخاذه من عمل ضد مسيو جوجوير ، ورفعت المسألة الى حكومة صاحبة الجلالة التي سألت اولا عما اذا كانت لمسيوجوجوير هذا اية صفة رسمية في مسقط . وكان رد السفارة الفرنسية غامضاً بعض الشيء ، فقد ردت بأن « مسيوجوجوير يعتقد فيه بأنه ممثل وكالة ملاحية» وانه لا مبرر للاعتقاد بأنه يشغل اية وظيفة رسمية وان كان محتملا ان يكون موظفاً ككاتب القنصلية الفرنسية » . وفي سنة ١٩٠٢ استطاع الوكيل السياسي البريطاني في مسقط اقناع مسيو لارونس الذي خلف مسيو اوتافي كوكيل للقنصل الفرنسي في مسقط ، وكان من المعجبين بكتابات مسيوجوجوير اللاذعة ، بأن يسأل حكومته عن امكانية موافقتها على اجراء قد يتخذه سلطان عمان لابعاد مسيوجوجوير عن مسقط . وجاء رد الخارجية الفرنسية بعدم

الموافقة ، لكنها سمحت بتحذير مسيو جوجوير بأن يتحرى الدقة فيما يكتبه مستقبلا .

وقد رفض مسيو جوجوير هذا التوبيخ الهادىء بتحد مكشوف لسلطة نائب القنصل ، مقترحاً أن يرفع العلم التجاري الروسي على دارته على اساس علاقته بالشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارية . غير أن مسيو لارونس صده عن ذلك العمل .

وفي نفس هذا الوقت حدثت حادثة بين مسيوجوجوير وتاجر عربي يدعى عبدالله بن علي من بندر جَصّه .. فقد طالبه مسيو جوجوير بمبلغ ٢٠ الف روبيه لحساب صفقة مشتركة بينهما في السلاح ، ورفع نائب القنصل الفرنسي الامر لسلطان عمان .. وفي النهاية – وبظهور الطراد الفرنسي « فرياند » في مياه مسقط قبل نهاية اكتوبر سنة ١٩٠٢ – سوّى الامر كما يهوى الفرنسيون .. ودفعت الاموال المطلوبة . وبعدها تبين ان مسيو جوجوير تلقى بهذه الطريقة مبلغ ٨٦٠٠ روبية اكثر من استحقاقه ، فطلب منه مسيو لارونس – حسب قرار المحكمة الفرنسية في البوربون – ان يرد ذلك المبلغ ، ورفض مسيوجوجوير في بداية الامر ولم يرضخ الا بعد مضي اكثر من شهر ، وبعد ان وضع نائب القنصل يده على جزء كبير من تجارته .

وفي ابريل سنة ١٩٠٤ – والحملات الصحفية التي يدبجها مسيو جوجوير ما تزال مستمرة – كتب سلطان عمان الى مسيو دلكاس وزير الخارجية الفرنسية – بموافقة مسيو لارونس يطلب منه اراحة مسقط من وجود مسيو جوجير بها . ووصل رد مسيو ديلكاسيه مؤرخاً في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٤ وجاء فيه ان مسيو جوجوير ليس رجل عنف بل هو تاجر شريف ، وان له رؤساء ذوي نفوذ سبق من قبل ان سئلوا عن مسلكه ، واضاف انه في المستقبل سيبتعد في كتاباته عن مهاجمة سلطان عمان ، وسيكف عن الاهتمام بالامور الداخلية في عمان . ولم يمض

مسيو ديلكاسيه ابعد من هذا .. وظل مسيو جوجوير مقيماً بمسقط .. على عدائه الصريح لبريطانيا .

وظاهرة خرى ليست ابداً في صالح فرنسا ، وهي قيامها بنشر دعاية منتظمة في العالم الاسلامي وبث اراء سياسية ضارة ببريطانيا العظمى عن طريق صحيفة عربية يفترض ان محرريها مسلمون يكتبون للمسلمين وكان اسم تلك الصحيفة « فتح البصائر » ، وتغير اسمها بعد سنة ١٩٠٢ ليصبح « مرشد الألباب » .

وحوالي ابريل سنة ١٩٠٠ بدت هذه الصحيفة المشار اليها تصل الى مسقط ، حيث كانت توزع مجاناً وترسل الى عدد من كبار العرب المقيمين في مسقط ، كما كانت ترسل منها نسخ الى المشايخ المشهورين في داخل عمان مما يشير الى وجود معلومات محلية لا بأس بها لدى المشرفين على نشرها .

وفي مايو سنة ١٩٠٠ اصبحت النسخ توزع ايضاً على اهل عدن من المسلمين ، وكان في البريد الذي وصل بومباي يوم ٧ يوليو اعداد من هذه الصحيفة مرسلة الى لنجة وبوشهر والبحرين ، وتبين في اواخر سنة ١٩٠٥ ان تسع نسخ من نفس الصحيفة كانت ترسل باستمرار الى الممتلكات الفرنسية في الكاميرون ومدغشقر ، و ٢١ نسخة لشرق افريقيا ، ٢٠ لمسقط ، ٢ للكويت ، ٣ للبصرة ، ٧ لطهران ، ٦ لبوشهر ٢ لبندر عباس ، ٧ للنجة ، ١٧ للهند البريطانية ، منها ٤ نسخ خاصة بعدن . وكان من بين عناوين من ترسل اليهم في مسقط السلطان وابنه الاكبر ، وبعض كبار مسئوليه ، واعضاء اسرة متمردة في اقليم الشرقية ومن بين من توزع عليهم في دبي شيخ دبي ، والى البحرين كانت ترسل نسختان : واحدة للشيخ والاخرى لمحمد بن عبد الوهاب ، والذي كان احد معارف مسيوجوجوير ، والنسخ الخاصة بالكويت كانت ترسل الى الشيخ مبارك زعيم الكويت وابن سعود زعيم وسط الجزيرة ، وفي البصرة كانت ترسل نسختان الى نقيب البصرة ، وفي طهران كانت

توزع على كبار المسئولين الرسميين في الحكومة الايرانية ، ومن بين من توزع عليهم النسخ في بوشهر الحاكم والخازندار ، وفي لنجة وبندر عباس كان نائبا الحاكم بين من توزع عليهم . وكانت طوابع البريد على هذه النسخ جميعاً لا تتغير ، وهي ختم مكتب البريد الفرنسي في بيروت الشام ، لكن عدداً من هذه الجريدة وصل بومباي في ١٤ يوليو سنة ١٩٠٠ بخاتم مكتب بريد طنجة .

وكانت النغمة السائدة في « فتح البصائر » تهدف الى إلهاب مشاعر المسلمين ضد بريطانيا في كل مكان من العالم الاسلامي بعرض سياستها في اطار كريه . وكانت تتردد بين اعمدتها عبارات مثل : ان الانجليز هم اكبر تجار للفتنة » و « شياطين هذا الزمان هم الانجليز » . وكانت الصحيفة تضخم باستمرار هزائم الانجليز او صور فشلهم في أية قضية او حالة وقدمت لها حرب جنوب‌افريقيا — طوال مدة نشوبها — موضوعاً دسماً لهذه التعليقات . كما كانت بعض اعداد من نشرات اخرى مماثلة « لفتح البصائر » اقل منها شهرة تصل الى منطقة الخليج من حين لحين .

وفي يونيو سنة ١٩٠٠ أفصح سلطان عمان عن رغبته في عدم توزيع تلك الصحيفة في بلاده . وبعدها مباشرة اتخذت حكومة الهند اجراءات بحجزها في بومباي عن بريد مسقط . واخيراً في سنة ١٩٠١ فوض البريطانيون في التعامل مع « فتح البصائر » في عدن كما يشاءون . وفي ١٩٠٣ اتخذت الاجراءات في عدن وبومباي معاً لاحتجاز كل النسخ التي تصل في البريد لهذه الاماكن او غيرها من الموانئ الهندية ، لكن استخدام ظروف مغلقة في سبتمبر سنة ١٩٠٠ من جانب مديري الصحيفة ، وارسالها احياناً عن طريق البواخر الايطالية او الفرنسية سنة ١٩٠١ ، وتغيير اسمها نهائياً في سنة ١٩٠٢ كانت كلها عقبات امام تنفيذ الحظر وحتى سنة ١٩٠٤ كانت بعض النسخ تجد طريقها الى مسقط .

واكتشف مصدر جريدة «البصائر » في سنة ١٩٠٢ ، بفضل تجارب غريبة عاناها شاب عربي اسمه سالم قمري ، وهو ابن تاجر من زنجبار . فقد عمل سالم قمري ، وكان انذاك في الثلاثين من عمره ، وقتاً ما كاتباً في خدمة سلطان زنجبار ، وقام لاحقا بزيارات لجيبوتي والحديدية والخليج على نفقته الخاصة . واخيرا استقر سنة ١٩٠٠ في لحج بالقرب من عدن ، في حماية سلطانها . وفي سنة ١٩٠١ بدأ الدراسة في مدرسة الكنيسة الحرة المتحدة التابعة للبعثة الاسكتلندية في عمان ، وبعدها اعتنق المسيحية وتم تعميده في سنة ١٩٠٢ . وتلقى في مارس سنة ١٩٠٢ عرضاً من القنصل الفرنسي في عدن بوظيفة ممتازة له في باريس ، وقبل العرض الذي كان موعزاً به من مسيوبيات القنصل الفرنسي السابق في بوشهر . ووصل سالم قمري الى باريس حوالي منتصف يونيو ، وهناك تبين انه سيعمل محرراً في « فتح البصائر » تحت اشراف مسيو بيات الذي كان يعمل حينئذ في مكتب المخابرات الفرنسي ، وكانت المعلومات التي قدمها فيما بعد عن الصحيفة وسياستها ومحتواها وتوزيعها — والتي جاءت مطابقة لما كان معروفاً من مصادر اخرى لا تترك مجالا للشك في صدق روايته . وبعد ان استسلم سالم قمري لرغبات رؤسائه — الذين وضعوه تحت مراقبة دقيقة — زمناً ما ، توقف عن العمل بوازع من ضميره ، ورفض الاستمرار في التعاون لاصدار تلك الجريدة ، وحين اصر سالم على رفضه احيل الى الكشف الطبي الذي قرر انه مختل القوى العقلية ، وحول الى مستشفى سانت ان للامراض العقلية في باريس حوالي منتصف يوليو ، لكنه استطاع — عن طريق البريد — الاتصال بالاب دكتور يونج رئيس الارسالية الاسكتلندية في عدن ، وفي الاتصال بالأب مستر بريشن ، من رجال الدين الاسكتلنديين في باريس ، ثم قدم في شهر اغسطس مناشدة الى السفارة البريطانية في باريس لتمد له يد العون ، واخيراً استطاع دكتور يونج — الذي قدم الى

باريس من أجل قضيته — وبمعاونة بعض المسئولين اطلاق سراح سالم قمري من مستشفى الامراض العقلية الذي كان محجوزاً به لاصابته « بانهيار عصبي واكتئاب » وعاد به الى عدن .

وأضاف الاقرار الرسمي الذي وقعه القمري امام حاكم صلح عدن بتاريخ ١٥ و ١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٢ شيئاً الى ما كان معروفاً عن صحيفة « فتح البصائر » وحسب ما ذكره فقد ارسل خطاباً الى الملا الصومالي باسمه وباسم «جميع المسلمين وعلمائهم» يعده بتقديم الاسلحة والذخائر اليه من جيبوتي للاستعانة بها في نضاله ضد الانجليز . كما ارسل خطاب آخر من « جميع علماء الاسلام » الى شيخ الكويت يطالبونه فيه بقطع علاقاته مع بريطانيا واعلان الخضوع لسلطان تركيا ، ووجه خطاب الى نجم الدين « ادا ملا » افغانستان « من كل المسلمين » يعده بالعون في حربه ضد الانجليز ويشير عليه بالوقوف الى جانب روسيا .

وتوالت دلائل اخرى تؤيد حكاية سالم قمري ، لان ظروف مغلفا ت جريدة « فتح البصائر » التي كان يصادرها مكتب البريد الهندي كانت تحمل علامة تجارية خاصة بمستر ج. بولتون ٣٩ سان جورج بالاس ، نايتسبريدج . وافاد مستر ج. بولتون بأن هذه المغلفات قد صنعت بناء على طلب السفارة الفرنسية في لندن ومنها نقلت الى باريس . ونشير ايضاً الى انه جاء في الاوراق الرسمية لوزارة الخارجية الفرنسية فيما يتعلق بمسيو بيات انه « مكلف بتأدية مهام خاصة » . وثمة رأي لسير أ. مونسون السفير البريطاني في باريس في مشكلة سالم قمري يستحق ان نذكره هنا : « من التحريات التي امرت باجرائها في القنصلية العامة حول الظروف التي استطاع بها مستر اتلي ان يستدرج صاحبنا سيء الحظ ، استطعت ان استنتج ان قصته مهما يبدو فيها من رومانسية وغرابة الا انها ليست نسجا من الخيال او الهلوسة ، وبالمعلومات المتوفرة لدى حكومة صاحبة الجلالة على سوء اخلاق الكثيرين من العاملين في سياسة فرنسا الخارجية في الشرق ، لا نستبعد ان يقوم مسيو بيات بهذا العمل ، ولا

نشك ايضاً في ان ضحيته المسكينة لا تبالغ في وصف ما حدث .

وانا في نفس الوقت مستعد تماماً للاعتقاد بأن بعض كبار المسئولين في وزارة الخارجية الفرنسية مستعدون لاغلاق عيونهم عن بعض امور خطيرة تحدث ضد المصالح البريطانية في الشرق » .

ولكن من الواضح ان اعمال مسيو جوجيير او مسيو بيات لم تؤد الى تقدم النفوذ الفرنسي او سيادته على النفوذ البريطاني في منطقة الخليج وكان لحملاتهم الصحفية تلك السمة التي تميز كل حملات من هذا النوع في ظروف مماثلة . وهي ان تأثيرها يقل كلما طالت مدتها . لكننا نوردها لنظهر الى اي حد انحدرت فرنسا في استخدام هذه الاسلحة في صراعها مع بريطانيا . وفي سنة ١٩٠٥ ظلت جريدة « مرشد الالباب » تصدر رغم تحسن في العلاقات بين انجلترا وفرنسا محا تماماً في ١٩٠٤ ذكرى حادثة فاشوده المؤلمة التي كانت دافع السياسة الفرنسية في بداية هذه الفترة .

مؤسسة فرنسية تجارية في الخليج :

ونشير ايضاً الى بعض الجهود التي بذلها عدد من المسئولين الفرنسيين لاقامة تجارة فرنسية مزدهرة في الخليج ، لكنها على أي حال ذات قيمة ضئيلة . وفي مقالة كتبها مسيو اوثاني نائب القنصل الفرنسي في مسقط في النشرة الرسمية للتجارة بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٠٠ اقترح اقامة مؤسسة تجارية فرنسية في مسقط . على ان تكون « محلا كبيراً لبيع الثياب والخردوات في السوق » ، مرتبطاً بفرع في باريس او مارسيليا ، وكان هدف الاقتراح هو اقامة تجارة مباشرة بين فرنسا والخليج تستطيع — كما ذكر الكاتب في اقتراحه — ان تنافس التجارة البريطانية القادمة من بومباي ، ما دامت رحلتها البحرية ستكون اقصر ، وانها تستطيع تفادي دفع الجمارك واجور الوسطاء في بومباي ، لكن شيئاً لم يتخذ لتنفيذ هذا الاقتراح على اية حال . وفي مارس سنة ١٩٠٣ وصل إلى

البحرين مسيو دوماس ومسيو كاستلين ، واولهما شريك في مؤسسة تجارية في مرسيليا ، ومعهما خطابات توصية من وزيري التجارة والخارجية الفرنسيين ، واتخذا عدتهما للاستقرار في البحرين ، لكنهما اسرعا بمغادرة المكان عقب انتشار الطاعون فيه في مايو التالي . وكانا قد جلبا معهما عينات عديدة ومختلفة للمصنوعات الفرنسية . وقد حاول مسيو دوماس اثناء جولته الحصول على امتياز بصيد اللؤلؤ من شيخ البحرين لكنه فشل . ومرة اخرى في بداية اغسطس سنة ١٩٠٣ وصل مسيو جوانين — السكرتير العام لرابطة تجار اسيا الفرنسيين — الى مسقط ومعه مساعد له ، وبقي فيها قرابة شهر يقوم بتنظيم عروض تجارية ويجري مختلف الابحاث .

وفي بداية سبتمبر زار مسيو جوانين البحرين وظل فيها حوالي ثلاثة اسابيع ، وعمل فيها مثل ما عمل بمسقط ، وحاول اثناء اقامته احياء مشروع اقامة مصرف فرنسي فيها ، لكن الشيخ رفض مشروعاته جميعاً ، وبعد محاولة فاشلة لتنظيم رحلة الى وسط الجزيرة العربية غادر مسيو جوانين البحرين الى البصرة وبغداد . ولم تكن للزيارة التي قامت بها مدام ساتان وهي ارملة صائغ فرنسي — الى البحرين في اغسطس وسبتمبر ١٩٠٥ بصحبة ابنتها وابن اخيها اي طابع سياسي ، وكان يصحب هذه الجماعة ابن مسيو جوجيير — عدو الانجليز المشهور بسلاطة لسانه — ثم لحق بهم مسيو جوجيير بنفسه .. ولكن ثبت انه ليس لهذه الرحلة من اهداف سوى عقد صفقة لؤلؤ .

وتوقفت الحفائر الاثرية التي كان يقوم بها الفرنسيون في منطقة تاللو بالعراق التركي في سنة ١٩٠٠ ، لكن حفائرهم الموجودة في منطقة شاش بعربستان ظل العمل فيها قائماً طوال هذه الفترة .

نشاط ألمانيا فى الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

حوالي هذا الوقت انضمت الامبراطورية الالمانية ايضاً الى دائرة الدول الاوربية ذات النشاط في منطقة الخليج . وكان لألمانيا نفوذ عظيم في القسطنطينية تعزى بعض اسبابه الى ان المانيا لم تكن من بين الدول التي واصلت الاحتجاجات لدى تركيا ضد مذابح الارمن في سنة ١٨٩٥ ،وبعض السبب ايضاً تلك الزيارةالتي قام بها امبراطور المانيا ويلهلم الثاني للارض التركية والعاصمة التركية في سنة ١٨٩٨ ، وبعدها زاد النفوذ الالماني في مختلف دوائر الحكومة العثمانية ذات الاهمية .

خط حديد بغداد :

وحصلت المانيا في سنة ١٨٩٩ على امتياز مد خط حديدي تركي من قونيه في آسيا الصغرى الى الخليج مروراً ببغداد ، وفي سنة ١٩٠٠ قامت بعثة فنية المانية يرئسها القنصل الالماني العام في القسطنطينية برحلة على طول الخط المقترح في العراق التركي ، ثم وضعت تقريرها عن كل المشكلات المتصلة بهذا الخط . وكانت الفكرة الاساسية عند اصحاب الامتياز هي الامتداد بالخط حتى خليج الكويت ، ولكن اخيراً تأجل تعيين محطة نهاية الخط في منطقة الخليج ، لان بريطانيا عارضت في جعل الكويت نهاية الخط ، ذلك بأن مصالحها كانت تحتم عليها معارضة المشروع كله ، وعرقلة تنفيذه الى ان تحصل لنفسها على نصيب بارز فيه . وذلك فضلا عن انه ما كان لانجلترا ان تسمح بانشاء سكة حديدية في منطقة الخليج الا بحيث تضمن عدم استخدام مثل هذا المشروع حربياً ضدها في المستقبل . واخيراً وقع اتفاق لانشاء خط حديد قونية ــ الخليج في سنة ١٩٠٣ من قبل « شركة سكة حديد بغداد » ، وهي شركة كونتها شركة خطوط الاناضول الموجودة بالفعل . لكن شيئاً عملياً

لم يحدث من جانبها حتى نهاية هذه الفترة .

وربما كان صدور الاوامر للسفينة الحربية الالمانية « ارونا » بأن تزور البصرة اثناء عودتها من الشرق الاقصى سنة ١٨٩٩ مرتبطاً بمشروع سكة حديد بغداد . وقد رست السفينة في مسقط ولنجة وبوشهر ، ووصلت هذا الميناء الاخير في نهاية مارس . لكن ضباطها عرفوا وهم هناك ان غاطس السفينة اضخم من ان يستطيع اجتياز مضيق شط العرب ، فعادت السفينة ادارجها واتجهت غرباً دون ان تكمل طوافها.

بداية التجارة الالمانية في الخليج :

ويمكننا القول بأن التجارة الالمانية مع منطقة الخليج وفيها قد بدأت خلال هذه الفترة . وفي سنة ١٨٩٩ قامت جماعة من الالمان بزيارة لبندر عباس ودراسة الموقف التجاري فيها . وقد شوهد تاجر الماني يدعى تووين في عدة مناطق من الخليج من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٤ وتووين هذا قد تحول الى الاسلام فيما بعد ، ويقول عنه البعض انه متآمر سياسي لكن الذي لا شك فيه انه كان مغامراً تجارياً . ولما كان ممثلا لمؤسسة في همبورج تتعاطى تجارة اللؤلؤ في لنجة منذ سنوات فقد افتتح له فرعاً في البحرين سنة ١٩٠١ ، وكانت له علاقات عملية بعمان المتصالحة ، كما كانت اعماله التجارية مع المشايخ المتصالحين ذات طابع سياسي . وفي سنة ١٩٠٦ بدت بواخر خط هامبورج — امريكا الملاحي (وهو خط الماني) تصل بين اوربا والخليج ، وعين هذا التاجر الالماني وكيلا للخط في البحرين .

وفي العراق التركي احتكرت المانيا بالفعل عملية التنقيب عن الآثار ، وقد تواصل طوال هذه الفترة عمل بعثة الآثار الالمانية في بابل الذي كان قد بدأ سنة ١٨٩٨ .

وكانت المصالح الالمانية في منطقة الخليج كما سنرى صغيرة حتى

ذلك الوقت ، لكن مصالحها المرتقبة في مد خط حديد بغداد وتوسيع التجارة كانت جديرة بالاهتمام .



نشاط بلجيكا في منطقة الخليج ١٨٩٩ - ١٩٠٥

اتحاد اصحاب رؤوس الاموال البلجيكي المقترح :

كان لبلجيكا مشروع في الخليج يستإهل الاهتمام لما يحمل من دلالة على استعداد كل الدول للمشاركة في اية عمليات ما دامت مربحة . ولا شك في ان مستر سيمايس الملحق التجاري السابق في سفارة بلجيكا في طهران ، والمدير العام لعوائد جنوب ايران في سنة ١٩٠١ كانت له مصالح في الخليج .. وكانت عنده افكار عن مشروع لاتحاد من اصحاب رؤوس الاموال البلجيكية لافتتاح مصرف في ايران وخط بحاري في الخليج لمنافسة المؤسسات البريطانية هناك .

وبدأ اصدقاء مستر سيمايس التفكير في اتخاذ الخطوات العملية لهذا المشروع . ووصل يخت بلجيكي صغير هو «سيليكا » يقوده مستر ودرين دي جيرلاش الذي سبق له ان قاد حملة استكشافية بلجيكية في المناطق الجنوبية ، وكان على اليخت ضابط عسكري وفنان وطبيب وعالمان ، قيل ان احدهما فرنسي الجنسية . وبعد ان غادر اليخت مسقط التي وصلها في ٧ مارس ، طاف بساحل رأس الجبل ، ولم يشاهد بعدها حتى ظهر في البحرين في ١١ ابريل . وحسب ما ذكر المسافرون على السفينة فهي رست في دبي ، حيث احتجزت هناك اسبوعين لعطب اصاب آلاتها في جزيرة ارزنة ، ثم قضت يومين بعد ذلك في الدوحة ، لكن طول المدة التي قضتها بجوار شاطيء اللؤلؤ كانت مثيرة للشكوك ،

خاصة وان بقية جولتها كانت قصيرة ، وان مستر سيمايس ذكر انها جاءت لامر يتعلق بامتيـاز لصيد اللـؤلؤ كانت الحكومة الايرانية قد ضمنته قبل عامين . وفي ٢١ ابريل غادر البيخت « سسيليكا » البحرين الى القطيف ، ووصل بوشهر في ٢٣ ابريل ، ومنها ابحر الى بومباي . وتأكد بعد ذلك ان المسافرين على اليخت قد اشتروا صفقة من اللآلىء الصغيرة بما قيمته ثلاثة آلاف فرنك ، ثم باعوها بعد ذلك بارباح مرتفعة اثناء عودتهم لاوربا .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠١ عاد دي جيرلاش الى الظهور في البحرين ، بدون اليخت « سيليكا » هذه المرة لكن صفقاته في اللؤلؤ لم تحقق نجاحاً يذكر . وبعدها مات مستر سيمايس وتوقف مشروع اتحاد رؤوس الاموال البلجيكية ، وبيع اليخت « سيليكا » في العام التالي للحكومة الايرانية في اوربا وخصصته هذه للخدمة في الجمارك واطلقت عليه اسم « المظفري » .



نشاط أمريكا فى منطقة الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

ظل طابع النشاط الامريكي في منطقة الخليج على حاله . وقد نفذت أعمال التنقيب عن الاثار في منطقة نيفار في العراق التركي واستمرت حتى سنة ١٩٠٠ ، وفي نفس السنة عين وكيل قنصلي امريكي في بوشهر ، وحدث مرة أن سببت امور هذه البعثة الامريكية المسماة بـ « البعثة العربية » في البحرين بعض المضايقات للسلطات البريطانية ، التي كانت مسئولة عن سلامة مثل هذه البعثات ... وكانت حكومة الهند تتمنى لو ارتاحت من وجود هذه البعثة من البحرين .. لكن المضايقات بسبب تلك البعثة ما فتئت ان توقفت على كل حال .

القوى والحركات الاسلامية في منطقة الخليج
١٨٩٩ ــ ١٩٠٥

المجتهدون في كربلاء والنجف :

تستحق بعض الحركات والقوى الاسلامية ــ ومعظمها حركات دينية وصحفية ــ بعض الاهتمام هنا بسبب ما حصل بينها وبين سياسة بريطانيا في الخليج من صدام .

كانت اهم هذه الحركات هي ما قام به « الاخوان المجتهدون » في كربلاء والنجف ، وكان المجتهدون هناك كما ظلوا لفترة طويلة عاملا قوياً من عوامل الحياة السياسية . وقد انضم جماعة منهم عندئذ الى صفوف منتقدي الحكومة الايرانية حين بدأت حالتها في الاضطراب اعتباراً من سنة ١٩٠٣ ، واثارت انتقاداتهم ــ الى حد ما ــ معارضة للشاه ووزيره الاكبر الاتابك الاعظم . وكان التقدير العظيم الذي تلقاه أقوال المجتهدين من الجماهير سواء أكانت متعلقة بالسياسة ام الدين تثير قلق الحكومة الايرانية . واتخذت الحكومة في البداية اجراءات لاسترضائهم دون جدوى ، واخيراً قام الباب العالي في سنة ١٩٠٤ بقمع نشاطهم بقسوة بتحريض من الحكومة الايرانية .

وكانت الحكومة البريطانية على علاقة بالمجتهدين من خلال هبة أوض التي كان بعضهم مشرفين على توزيعها . وظن وزير صاحبة الجلالة في طهران ان الظروف قد تتحول ليصبحوا أكثر اعتدالا فيما يتعلق بالتدخل في سياسة حكومة ايران واقل عداء للمسيحيين والاوربيين مما كانوا عليه ، بل وليتحالفوا ايضاً مع الحكومة البريطانية ــ بشكل من الاشكال ــ لصد النفوذ الروسي في ايران . واتخذت خطوات في سنة ١٩٠٣ لتنفيذ هذا الاتجاه المقترح . لكنها لم تؤد لنتيجة ، فقد رفض المجتهدون ان يدخلوا في علاقات ودية وثيقة مع ممثل الحكومة

البريطانية واستغلت الحكومة الايرانية في العام التالي هذه المفاوضات البريطانية لتوغر صدر الباب العالي على المجتهدين باعتبارهم ممن ينشئون علاقات بدولة اوروبية ... وهكذا نفذ الاتراك خطة القمع المذكورة للمجتهدين سنة ١٩٠٤ .

الصحافة العربية والايرانية :

وكانت ظواهر العداء للسياسة البريطانية في منطقة الخليج تبدو من حين لآخر في صحافة غير دولة اسلامية واحدة ، وكان بعض تلك المعارضة اصيلاً حقيقياً تمليه مشاعر دينية او ثورية صادقة لكن هذه كان من الصعب معرفتها وسط ركام ما يقذفه المكتب الاسلامي في وزارة الخارجية الفرنسية . وتمثلت هذه الصعوبة بشكل خاص في نشرة كانت تحمل اختام بريد القاهرة وصلت الى بومباي في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٣ وكان مرسلا منها نسخ الى مسقط ودبي والكويت والبصرة والمحمرة وبوشهر ولنجة . وفوض مكتب البريد الهندي مصادرة تلك النسخ . كان البيان مكتوباً بقلم رجل سمي بـ «عبد...محمد بن عبدالله» ، وكان يتناول الجولة التي قام بها لورد كيرزون نائب الملكة في الخليج ، ويعلق عليها محرضاً اهل الخليج على عدم الاكتراث للمظاهرات البحرية البريطانية وعدم تصديق وعود الحكومة البريطانية .

وكانت بعض الصحف التي تصدر في مصر مثل « اللواء » و المؤيد» قد تخصصت خلال ١٩٠٤ — ١٩٠٥ في ترويج روايات عن اعمال بريطانيا في منطقة الخليج وشمال شرقي شبه الجزيرة . ولان هذه الصحف كانت ذات نفوذ بين الجماهير فقد سببت لسوء الحظ متاعب للبريطانيين ويظن ان هذه الصحف هي المسئولة الى حد كبير عن مواقف العداء لبريطانيا مما ساد بين المسئولين الاتراك في ولاية البصرة سنة ١٩٠٥ ، ومن الناحية الاخرى .. كان يشك في ان هؤلاء الصحفيين المصريين كانت تحرضهم سلطات القسطنطينية مباشرة .

أما الصحيفة الايرانية « الحبل المتين » التي كانت تصدر في كالكتا فكانت من طراز مختلف قليلا عن سابقاتها فهي كانت كثيراً ما تستفيد من حرية الصحافة في الهند البريطانية لتهاجم الحكومة التي تتمتع بحمايتها، وقد نشرت في سنة ١٩٠٤ رواية خاطئة ومعادية لبريطانيا عن ازمة في البحرين مما جعل من الضروري نشر تكذيب لها في احدى صحف طهران المحترمة ، وصدر عن « الحبل المتين » .. عدة مساءات اخرى لبريطانيا في مناسبات عديدة .. لكنها على وجه العموم لم تكن تتمتع بمثل نفوذ الصحف القاهرية .



شئون سلطنة عمان وعلاقاتها الخارجية ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

القطيعة بين السلطان وبريطانيا ومشكلة القاعدة البحرية الفرنسية :

سنأتي بعد الحديث عن عمان الى الحالة العامة والعلاقات الخارجية في كل مناطق الخليج .

تميزت هذه الفترة بقطيعة خطيرة في العلاقات بين الحكومة البريطانية وسلطان عمان وكانت الاسباب العامة لها ، رغم وجود اسباب خاصة ايضاً ، تتمثل في موقف السلطان العدائي العنيف من بريطانيا ، وفي ازدياد التقارب بينه وبين فرنسا ، وقد تم تقديم انذار له من جانب الحكومة البريطانية لاجابة بعض مطالب الرعايا البريطانيين ، وتبرير بعض امور اخرى ، وذلك على اثر ما تبين ، كما جاء في تاريخ الفترة الاخيرة ، من اخلاله بنصوص اتفاقية مع بريطانيا لسنة ١٨٩١ ومنحه فرنسا امتياز اقامة مستودع للفحم على ارضه ، وطلب منه ايضاً سحب

ذلك الامتياز ضمن المطالب الاخرى في نفس الانذار . وبعد تقديم الانذار باسبوع انقضى في مفاوضات فاشلة ، خضع السلطان في ١٦ فبراير سنة ١٨٩٩ . لكنه لم يفعل الا بعد ان اتخذت الاستعدادات فعلا لضرب قصره وقلاعه بمدافع سفينة حربية بريطانية ، وحصل الفرنسيون اخيراً على مستودع للفحم في مسقط نفسها بعد اقتراح من جانب الحكومة البريطانية بقسمة المكان الذي يشغله مخزن تموين السفن بالفحم الى قسمين تختار السلطات الفرنسية احدهما . وكانت هذه هي نهاية مشروع فرنسا لاتخاذ قاعدة بحرية لها في خليج عمان .

تسوية مشكلة العلم الفرنسي :

وظلت مشكلة العلم الفرنسي في سلطنة عمان ، برغم ما فقدت من اهميتها باحباط مشروع حصول فرنسا على قاعدة بحرية ، مصدر مضايقة للانجليز لسنوات طويلة . وبتشجيع منهم ظل السلطان يرفض بعناد — منذ سنة ١٨٩٩ فصاعداً — ان يعترف بأي حق للفرنسيين بمنح حماية علمهم لرعاياه دون اذن منه لكن السلطات الفرنسية ظلت بوقاحة تتمسك بآراء مغايرة لذلك . وفي سنة ١٩٠٣ تطورت الامور تطوراً خطيراً بعد مهاجمة سفينة ترفع العلم الفرنسي في صور ، وكذلك اثر معاقبة السلطان بعض الافراد من سفينة اخرى ترفع العلم كانوا قد ارتكبوا اعتداء في منطقة الحجر الصحي ، واجتمعت في ميناء مسقط سفينتان من سفن صاحبة الجلالة وسفينة حربية فرنسية ، وفي الوقت الذي كانت الحكومة البريطانية فيه تناصر تصرف السلطان ، كانت فرنسا تعمل ضده وتطورت الامور الى ازمة خطيرة انتهت باتفاقية بين فرنسا وبريطانيا على رفع هذه المشكلة الى محكمة دولية في لاهاي للتحكيم في هذا النزاع . ووصلت المحكمة في سنة ١٩٠٥ الى قرار بفرض بعض القيود على منح وتوزيع الاعلام الفرنسية الامر الذي ازال عن علم فرنسا المثلث قيمته كأداة للعدوان الفرنسي في عمان .

تحسين العلاقات بين السلطان وبريطانيا :

وبعد قطيعة سنة ١٨٩٩ هذه ، أصبحت علاقة السلطان بالحكومة البريطانية مرضية ، ولم يضطرب مجرى هذه العلاقات الهادئة بعد ذلك . وفي سنة ١٩٠٢ تعهد السلطان بالا يتيح لاية دولة او شركة اجنبية تولى العمل في بعض مناطق الفحم فيما جاور صور الا بعد ترك الخيار اولا للحكومة البريطانية لمشاركة السلطان في ذلك المشروع . وفي سنة ١٩٠٥ — وبعد سنتين من التفكير — قررت الحكومة البريطانية بدء المفاوضات لعقد اتفاقية تجارية جديدة مع حكومة مسقط تحل محل اتفاقية سنة ١٨٩١.

وفي سنة ١٩٠٤ ، وخلال التسوية العامة لكل المشكلات المعلقة بين بريطانيا وفرنسا ، تجدد البحث في مشروع بريطانيا فرض الحماية على عمان ، لكن فرنسا لم تشأ ان تتنازل عن اي حق من حقوقها بمقتضى بيان سنة ١٨٦٢ .

الوكلاء الروس :

أما روسيا فيبدو انها كانت مقتنعة بأنها لا تستطيع ان تقيم لها مصالح مزدهرة في سلطنة عمان ، وبالتالي تركت لحليفتها فرنسا ان تمارس نشاطها السياسي هناك بتأييد منها . وفي ٩ مارس سنة ١٩٠١ وصل رجلان روسيان الى مسقط واقاما فيها اسبوعاً . كان احدهما شقيق الكونت ليونتييف المشهور برحلته الى الحبشة ، والذي قام برحلة من مارسيليا الى عدن مع قريبه الاكبر منه شهرة ، وكان رفيقه في مسقط هو مستر ارمتير . وقضى الرجلان وقتهما في زيارات عديدة للقنصلية الفرنسية وقابلا السلطان غير مرة ، لكن حديثهما معه كان غامضاً حتى أنه لم يستطع ، وهو الرجل المشهور بالذكاء ، ان يفهم عنهما شيئاً ، لكنهما طلبا منه ، في اليوم السابق لسفرهما مباشرة ، ان يمنحهما ترخيصاً بتجارة السلاح في مسقط ، لكنه اجابهما بأن هذه التجارة حرة ومسموحة ممارستها للجميع دون حاجة الى تصريح خاص .

وبعدها بأشهر قليلة تناثرت اشاعة سبق ان ترددت سنة ١٨٩٩ بأن روسيا تنوي فتح قنصلية لها في مسقط ، واوصت حكومة الهند بضرورة اصدار تعليمات محددة للوكيل السياسي البريطاني هناك بالموقف الواجب أتخاذه حيال تلك القنصلية .. واوصت حكومة صاحبة الجلالة بناء على ذلك تعليماتها بالنصح للسلطان إن هو طلب النصيحة ، برفض الاقتراح متعللا باسباب تجارية .

ووصل الطراد الروسي « فارياج » الى مسقط في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٠١ . وفي اليوم التالي تم تبادل الزيارات الودية بين ضباطه وبين السلطان ... وكان القنصل الفرنسي وسيطاً في هذا العمل ، وقد انبهر السلطان لرؤية الطراد « فارياج » وصرح بأنه اعظم سفينة حربية رآها في الخليج . وفي الزيارة التوديعية التي قام بها الطراد « بومارين » الى مسقط حوالي منتصف مارس سنة ١٩٠٣ اثار مستر باسك القنصل الروسي العام في بوشهر خلال محادثة مع السلطان موضوع تعيين قنصل روسي في مسقط ، لكن السلطان تجاهل تلك الاشارة ولم يعد مستر باسك الى الحديث في الموضوع .



شئون عمان المتصالحة وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

خلال هذه الفترة تأكد حق البريطانيين وتدعم غير مرة واحدة في تمثيلهم لمشايخ عمان المتصالحة في شئون علاقاتهم الخارجية .

فرنسا وتمثيل بريطانيا للامارات في شئون علاقاتها الخارجية :

ففي سنة ١٩٠٣ غرقت سفينة وطنية ترفع العلم الفرنسي في دبي ، وفي بداية الامر اتخذ الممثل الفرنسي في مسقط الاجراءات الاولى لتسوية الحادث مطالباً بالتعويض من شيخ دبي مباشرة . لكن فرنسا عندما شرحت السلطات البريطانية لفرنسا طبيعة العلاقات الخاصة بين بريطانيا ومشايخ عمان المتصالحين ، ونقلت اليها صورة عن المعاهدة الشاملة معهم والموقعة في سنة ١٨٩٢ ، وافقت أي فرنسا في سنة ١٩٠٤ بأن تشرف سلطات الحماية البريطانية على مصالح رعاياها في منطقة الخليج ،واتخذت الاجراءات فيما بعد على ذلك الاساس .

ايران ونفس الموقف :

غير ان قضايا الامارات مع ايران هي التي ابرزت موضوع السيادة البريطانية رسمياً على عمان المتصالحة ، وفي سنة ١٨٩٩ طلبت الحكومة الايرانية ، في وقت كانت تخشى ان يغير العرب من موانىء عمان المتصالحة على لنجة ، من الحكومة البريطانية ان تمنع مثل تلك الحركة . وبدأت السلطات البريطانية تتخذ من الاجراءات ما يكفل تحقيق رغبة ايران . لكن هذا لم يمنع الحكومة الايرانية من التآمر مع شيخ ابو ظبي في ١٩٠٠ـ١٩٠١ وان كان هدف مساعيها هو تأمين لنجة . وفي سنة ١٩٠٣ أكد الوزير البريطاني المفوض في طهران حق بريطانيا في تبني شكاوي مشايخ عمان المتصالحة ومطالبهم من الحكومة الايرانية فيما

يتعلق بالساحل المواجه لهم ، ويبدو ان الحكومة الايرانية – بالتالي – اعترفت بوجودالاتفاقية الشاملة بين بريطانيا وهؤلاء المشايخ لدى اطلاعها على تلك الاتفاقية .

محاولات ايران لضم جزيرتي بو موسى وطنب اليها :

على ان اهم مثال على تدخل بريطانيا مع دولة اجنبية لمصلحة شيخ من الشيوخ المتصالحين حدث سنة ١٩٠٤ حين قامت ايران بمحاولة لضم جزيرتي بو موسى وطنب اليها ، وكانت التجارة قد تدهورت في لنجة عقب انشاء مركز للجمارك الايرانية التي كان قد اعيد تنظيمها سنة ١٩٠٢ ، وأدى هذا الكساد الى ان يقترح التجار اقامة ميناء داخلي للتجارة في جزيرة بو موسى ، فراحت الحكومة الايرانية تنظر باهتمام الى جزيرة بو موسى وجزيرة طنب ايضاً . ويبدو ان تحريض روسيا كان وراء تصرفات ايران لان روسيا كانت تخشى بعد الزيارة التي قام بها نائب الملك في الهند لمنطقة الخليج سنة ١٩٠٣ – ان تقوم بريطانيا بانشاء قاعدة – او قواعد – بحرية لها في مدخل الخليج . وفي ربيع سنة ١٩٠٤ قام موظف بلجيكي في الجمارك الايرانية بزيارة جزيرتي بوموسى وطنب ، وانزل اعلام امارة الشارقة التي رفعت هناك بناء على نصيحة من حكومة الهند ، ووضع بدلها الاعلام الايرانية ، ثم وضع على الجزيرتين حراسة جمركية ايرانية . وادت احتجاجات سفير صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا في طهران الى انزال الاعلام الايرانية ورفع اعلام الشارقة مرة أخرى ، ومن ضمن ما ذكره السفير البريطاني في طهران حول هذا الموضوع ان مشكلة ملكية جزيرة سيري – التي كانت ضمتها ايران اليها رغم مطالبة شيخ الشارقة بها – ستثار ان لم تنزل ايران اعلامها عن جزيرتي بو موسى وطنب .

شئون قطر وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

ظل الوضع السياسي لشبه جزيرة قطر غير محدد تحديداً تاماً خلال هذه الفترة ، فالاتراك ظلوا يحاولون ان يعاملوها كما لو كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، على حين ظلت الحكومة البريطانية تنظر اليها على انها امارة عربية مستقلة ، وبالتالي فللسلطات البريطانية الحق في ان تحتفظ باتصالات مباشرة مع شيوخها .

العلاقات بين تركيا وقطر :

وفي نهاية سنة ١٩٠٢ حاول الباب العالي تأكيد سيطرته على قطر فأمر بتعيين مسئولين اداريين من الاتراك في الوكرة والزبارة وايضاً في العديد، وهو مكان رغم وجوده في ارض عمان المتصالحة ظل الباب العالي يصر على اعتباره تابعاً لقطر . وجاء تعيين هؤلاء المسئولين الاداريين الى جانب وجود ممثل للحكومة التركية مقيم بالفعل في الدوحة . وظهر بالفعل مدير تركي في الوكرة في ربيع سنة ١٩٠٣ .

لكنه بسبب احتجاجات قدمها سفير صاحب الجلالة البريطانية في القسطنطينية تعهد الباب العالي بابقاء الأمور على ما هي عليه في قطر ، فسحبت تعيين موظفيها هؤلاء واوقفت ايضاً بعض مشروعاتها المماثلة هناك.

علاقات بريطانيا بقطر :

وفي نفس الوقت ، ومنذ سنة ١٩٠٠ ، كان الشيخ احمد ، احد شيوخ قطر ، على اتصال منتظم مع ممثل بريطانيا في البحرين ، وكان هدفه الحصول على حماية بريطانيا في مقابل ان يتعهد من جانبه بضمان الامن البحري على السواحل القريبة والتعاون مع الحكومة البريطانية بوجه عام .

وفي سنة ١٩٠٣ اعتبر تعهـد من الباب العالي بعدم التدخل في « الامر الواقع » في قطر منطوياً على تعهد مماثل من جانب الحكومة البريطانية ، بالا تدخل في أية اتفاقية جديدة مع أي شيخ من شيوخ قطر ، وهكذا توقفت المفاوضات بشأن مصير قطر ولم تفض الى شيء ما .

★ ★ ★

شئون البحرين وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥



كانت اهم الاحداث في البحرين خلال هذه الفترة هي القطيعة التي حدثت بين الشيخ هناك وبين الحكومة البريطانية ، والتي ساهمت أسباب كثيرة في وقوعها .

سوء ادارة الجمارك في البحرين :

وفي سنة ١٨٩٩ تبين ان تجارة البحرين قد زادت ، خلال اقل من عشر سنوات ، تحت الحماية البريطانية بنسبة قدرها ٤٠٪ ، لكن شيخ البحرين بسبب من سوء ادارة الجمارك التي كان يعهد بها الى التجار لم يستفد الا قليلا من الرخاء التجاري للميناء . وقد نصح مراراً وبشدة بأن يضع نظاماً جديداً للجمارك لكنه كان يعاند في ذلك ويتهرب من التنفيذ ، وظلت الضائقة المالية التي كان شعبه يعاني منها أكثر منه باقية على ما هي عليه .

الاضطراب في البحرين وقطع العلاقات بين بريطانيا وشيخ البحرين :

وأدت هذه الخلافات الى اضطراب العلاقة بعض الشيء بين شيخ

البحرين وممثل بريطانيا فيها . غير ان الخلاف الصريح الذي حدث في سنة ١٩٠٤ لم تكن له علاقة بمشكلة العوائد . وانما كان الشيخ مدى سنين عديدة على علاقة سيئة بواحد من ابناء اخوته يسمى علي ، كان الشيخ يرهب جانبه ، فقد كان علي هذا سيء السلوك ، منهمكاً في امور مخلة بالامن العام . واخيراً ، في سبتمبر سنة ١٩٠٤ ، قام علي باعتداء صارخ على موسسة المانية في البحرين ، وفي نوفمبر حدث اضطراب في المنامة وهجوم عام على الايرانيين في المدينة ، وكان خدم علي واتباعه هم المتسببين فيما حصل بينما يتحمل الشيخ المسئولية الاولى عن مثل تلك الاحداث . وفي حالة الاعتداء على المؤسسة الالمانية امكن التوصل الى اتفاقية تعويض مرضية دون صعوبة ، اما في حالة العدوان على الايرانيين فبدا من مسلك الشيخ انه ليس مصمماً على ان تأخذ العدالة مجراها . واخيراً ، في ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٥ ، قدم ممثل بريطانيا انذاراً لشيخ البحرين معززاً بوجود ثلاث سفن حربية بريطانية في الميناء ، ومطالباً اتخاذ الاجراءات اللازمة لايقاع العقوبات بالمعتدين ، ولدفع تعويضات مرضية ، عدا مطالب اخرى من بينها تسليم علي للسلطات البريطانية لتنفيه من البلاد ، وفي اليوم التالي قبل الشيخ معظم تلك المطالب ، لكن علياً استطاع الهرب ، سواء بمساعدة الشيخ ام بدون ذلك ، فلم يسلم للسلطات البريطانية التي اعتبرت ان خضوع الشيخ كان كافياً ، كما اعتبرت المسألة منتهية عند هذا الحد ، وعادت العلاقات الى مجراها الطبيعي ، وبعدها عاد علي طائعاً الى البحرين ، ومنها نفي الى بومباي حيث ظل بها عدة سنين .

تحسين العلاقات بين بريطانيا وشيخ البحرين ، وازدهار التجارة في البحرين :

وبعد هذه الازمة اصبحت علاقات الشيخ بالحكومة البريطانية اوثق من أي وقت مضى رغم ان شئونه الداخلية ظلت غير مرضية الى حد بعيد . وازدهرت التجارة ازدهاراً غير عادي ، حتى بلغت قيمتها في

سنة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٦ اكثر من ثلاثة ملايين جنيه استرليني .

وعين ضابط بريطاني مساعد للوكيل السياسي في البحرين سنة ١٩٠٠ . وفي سنة ١٩٠٤ استبدل الوكيل السياسي هناك بممثل للحكومة البريطانية .

تركيا والبحرين :

وكانت تركيا من بين الدول التي لها علاقة ومصالح بالبحرين . إن هذه الدولة ــ من حيث قربها من البحرين الى جانب مزاعمها باحقيتها في تملكها ــ هي اولى الدول الجديرة بالاشارة هنا . وقد حدث في سنة ١٩٠٠ ان قام البدو في البر بذبح احد اعضاء الاسرة الحاكمة في البحرين وعدد من الرجال كانوا في صحبته ، ولما كان مرتكبو العمل ولو اسمياً من رعايا تركيا ، فقد رفعت الحكومة البريطانية مطالب شيخ البحرين بالتعويض الى الباب العالي ، ولكن سرعان ما وضح ان السلطات التركية المحلية في الحسا لا تستطيع ، او ربما كانت لا تريد ان تقوم بعمل ما ضد القبيلة العربية المعتدية لتسوية الامور معها . واخيراً نام الموضوع ودأبت الحكومة التركية ــ على سبيل التذكير بمزاعمها في السيادة على البحرين ــ تطلب من بريطانيا الكثير من المعلومات بشأن الازمات التي حدثت بين الشيخ وبريطانيا في ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ ، وفي النهاية لمحت الحكومة البريطانية الى انها غير مستعدة للاستمرار في مناقشة الموضوع .

ايران والبحرين :

كذلك فان الحكومة الايرانية ، رغم موافقتها على الخطوات التي اتخذتها السلطات البريطانية في البحرين للحصول على تعويضات عن الاضرار التي اصابت رعاياها سنة ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ بحيث قدمت الشكر على ذلك ، سرعان ما جددت مزاعمها بملكية جزر البحرين . وظلت المناقشات دائرة حول الموضوع حتى بعد انتهاء هذه الفترة والى ان اعلن سفير صاحب الجلالة في طهران صراحة ان المزاعم الايرانية في تملك

البحرين غير صحيحة ، ورفض جميع الحجج التي قدمت لتبريرها .

المصالح الالمانية في البحرين :

وكانت المانيا هي الدولة الاوربية الثانية صاحبة المصالح الثابته في البحرين . وكانت المؤسسة الوحيدة التي تمثل تجارتها وكالة المانية بدأت عمالها في سنة ١٩٠١ ، وقد اشرنا الى هذه المؤسسة من قبل من حيث علاقتها بازمات سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ حيث استطاعت السلطات السياسية الحصول على تعويض عن الاضرار التي اوقعت بها . وبعدها في سنة ١٩٠٥ فاتح القنصل الالماني العام في بوشهر المقيم هناك في موضوع التمثيل الالماني في البحرين وقال انه يفهم ان العلاقات الخارجية للبحرين بين ايدي الانجليز ، وان الاتصال المباشر بينه وبين الشيخ سيكون موضع اعتراض من جانبهم ، واجيب بأن هذه هي حقائق الامور بالفعل، وانه يمكن للمسئولين البريطانيين هناك تقديم كل المعاملة الحسنة الممكنة لرعايا المانيا .. بل ويمكن ايضاً مد الحماية البريطانية لتشملهم . وقبل ذلك في سنة ١٩٠٢ ، حين اقترحت الوكالة الالمانية الحصول على بعض العقارات في البحرين ، أكدت حكومة الهند ان الاتفاقية الشاملة لسنة ١٨٩٢ لا تحول دون ذلك ، لكن الأمر فسّر للوكالة ولشيخ البحرين ايضاً بأن عملية تملك اشياء غير منقولة في البحرين لا يعني بالطبع أية امتيازات اقليمية ، ولا يعني ايضاً أي تدخل في التمثيل القنصلي لغير البريطانيين هناك .

فرنسا والبحرين :

وقد اشرنا من قبل الى زيارة التجار الفرنسيين للبحرين ، لكن فرنسا لم تظهر أي اهتمام سياسي في البحرين . وفي سنة ١٩٠٤ ، وبمناسبة مشروع لبعض الفرنسيين للاشتغال بصيد اللؤلؤ في الخليج ، تساءلت الحكومة الفرنسية لدى حكومة بريطانيا عما اذا كانت البحرين تُعد واقعة في نطاق تمثيل وكالة القنصلية الاقليمية الفرنسية في بوشهر ام لا ...

لكن سوألها ظل بلا جواب ، فيما يبدو لان الحكومة الفرنسية لم تلاحقه .

روسيا والبحرين :

وكان بعض المسافرين الروس يقومون احياناً بزيارات للبحرين ، ولكن وضح ان مصالح الحكومة الروسية هنا كانت اقل من مصالحها في مسقط . وفي اكتوبر ١٨٩٩ قام مسافران روسيان بزيارة للبحرين ، وامتدت اقامتهما فيها الى شهر ديسمبر ، وفي مايو سنة ١٩٠٢ زار البحرين عالم روسي متخصص في الاحياء المائية ، وقضى حوالي اسبوعين يجمع منها العينات ، والتقى بشيخ البحرين في زيارة عادية قبل رحيله ، وقدم اليه خطاب توصية من القنصل الروسي العام في بوشهر ، ويبدو ان هذا العالم – واسمه مستر بوجويا فليفاكي كان بالفعل عالماً لا شأن له بالمصالح السياسية ، وقد قام ايضاً بزيارة للكويت وبعدها بحوالي سنة قدم المجمع الامبراطوري للتاريخ الطبيعي في موسكو شكره لشيخ البحرين على المساعدات التي لقيها مندوبه هناك ، وقام بتقديم هذا الشكر القنصل الروسي العام في بوشهر ، الذي ربما رحب بهذه الفرصة التي اتيحت له للدخول في مراسلات ودية مع شيخ البحرين .



شئون وسط الجزيرة وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

بدت أخيراً أحداث وسط جزيرة العرب التي ظلت منذ احتلال الاتراك للحسا في سنة ١٨٧١ لا تؤثر في شيء على سير الامور في الخليج ، تترك أثراً محسوساً في هذه المنطقة .

الحرب بين اميري جنوب وشمال نجد :

فحوالي سنة ١٨٩١ هبت ثورة داخلية شاملة في وسط الجزيرة أدت الى سيطرة ابن رشيد امير شمال شمر على سائر نجد بما في ذلك أقاليم ابن سعود ، أمير الوهابيين او امير الجنوب . وحوالي سنة ١٩٠٠ بدأت قوى الوهابيين في الانتعاش مرة أخرى ، وتبع ذلك صراع عنيف شمل شيخ الكويت والحكومة التركية واثر تأثيراً سيئاً على ساحل الخليج ، ففي اوائل سنة ١٩٠١ اشترك شيخ الكويت مع ابن سعود في غزو اقليم القصيم المختلف عليه بين نجد الشمالية والجنوبية ، والذي كان امير الوهابيين يحاول انتزاعه من منافسه امير شمر . وفشل هذا الغزو في النهاية ، لكن امير شمر ، الذي داخلته خشية من نجاح السعود يين ، طلب عون الباب العالي مدعياً ان شمر تابعة له ، كما طلب ايضاً حماية الحكومة البريطانية . وكان تدخل الحكومة التركية عنيفاً وطائشاً .. ذلك أنها راحت تغري شيخ الكويت بالتخلي عن تأييد ابن سعود والخضوع لها لكن محاولتهم هذه أفشلها عون البريطانيين للشيخ ووقوفهم الى جانبه ، واتخذت الاجراءات كي تقوم الحكومة التركية باقناع ابن رشيد بعدم قتال ابن سعود في مقابل ان تقوم الحكومة البريطانية من جانبها بارغام شيخ الكويت على التزام الهدوء .

الغزو التركي والاحتلال الذي لم يدم طويلا في القصيم :

وفي نفس الوقت كانت القوات الوهابية توالي تقدمها في نجد ، وفي نهاية مارس سنة ١٩٠٤ ، لم يكن ابن سعود قد استعاد املاكه القديمة وحسب ، بل واضاف اليها ايضاً اقليم القصيم .. وهنا تقدم الاتراك من العراق التركي لمعاونة ابن رشيد ، ولكن بعد وصولهم الى القصيم بقليل ، هزمهم الوهابيون وارغموهم على التقهقر شمالاً . وفي اوائل سنة ١٩٠٥ توغلت قوات تركية اكبر من الاولى من العراق التركي الى اقليم قصيم المجاور وكان الاتراك في نفس الوقت قد اتفقوا ودياً مع ابن سعود — بعد مفاوضات بين الجانبين في البصرة — على ان يحكم كل من الاميرين في المستقبل الارض التي ورث حكمها باسم السلطان ونائباً عنه . أما الاقليم الذي يدور حوله النزاع وهو اقليم القصيم فتحتله القوات التركية برضا كل الاطراف المعنية ويصبح تحت الادارة التركية المباشرة . ونفذ هذا المخطط بالفعل ، واقامت حامية تركية صغيرة في القصيم ، لكن ابن سعود ، وقد اصبح عندئذ اقوى من ابن رشيد ، لم يكن ليرضى ان يحول الاتراك دون تحقيقه مزيداً من الانتصارات . وبعد نهاية هذه الفترة التي نحن بصددها ، سقط ابن رشيد في معركة مع الوهابيين وانتهى احتلال الاتراك السلمي للقصيم ، الذي كان يعتمد على توازن القوى بين شمال نجد وجنوبها ، نهاية مشينة .

أمير جنوب نجد والمشايخ المتصالحون :

وفي صيف سنة ١٩٠٥ وحين كان الوهابيون هادئين عسكرياً ، ربما نتيجة احتلال الاتراك للقصيم ، ظهر ابن امير الوهابيين في صحراء الحسا وقطر ، وكتب من هناك لمشايخ عمان المتصالحة ينبئهم بعزمه على زيارة بلادهم في العام التالي . ويبدو ان رسائله هذه اليهم اهاجت احساساً بخطر ظل كامناً قرابة جيل كامل ، وفعلا اصيب بعض المشايخ المتصالحين بذهول ، لكن تحذيرات وجهت الى الامير الوهابي بطريق

غير مباشر من شيخ الكويت .. فلم تسفر مراسلاته المذكورة عن نتيجة تذكر .

بريطانيا ووسط الجزيرة :

ومن خلال انعكاس هذه الاحداث على الكويت بشكل خاص بدأت حكومة الهند تهتم بما يحدث في نجد للمرة الأولى خلال سنوات طويلة ، وفعلا شهدت هذه الفترة تجدد الاتصالات القديمة مع نجد بين فترة واخرى . وفي سنة ١٩٠١ قدم اقتراح بارسال وكلاء مسلمين من الهند الى وسط الجزيرة لدراسة الاحوال السياسية هناك ، لكن الوقت اعتبر غير مناسب لتنفيذ ذلك الاقتراح . وفي العام التالي حاول ابن سعود الدخول في مراسلات مع السلطات البريطانية لكن محاولته لم تقابل بالتشجيع . وفي سنة ١٩٠٤ ، ونتيجة امور متصلة بالسياسة في الكويت ، طلبت الحكومة البريطانية من الباب العالي التوقف عن تحريض امير شمر ضد الوهابيين لكن طلبها قوبل بالاهمال . وطلب ابن سعود مرة خرى حماية بريطانيا ، ودار التفكير في ارسال ضابط بريطاني الى عاصمة الوهابيين لمناقشة الحالة مع ابن سعود نفسه .. لكن الاقتراح رفض ، فحكومة صاحبة الجلالة كانت ترى بوضوح الى اي حد يستحسن عدم التدخل في سياسة وسط الجزيرة العربية .

ولم يبد على دولة أجنبية اخرى أي اهتمام بما يدور في نجد ، اذا استثنينا روسيا التي اجرى قنصلها العام في بوشهر مقابلة مع ابن امير الوهابيين في الكويت اثناء زيارته لهذا الميناء سنة ١٩٠٣ .

شئون الكويت وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ــ ١٩٠٥

الاتفاقية الشاملة بين بريطانيا والشيخ :

دخلت امارة الكويت ــ كما رأينا ــ نطاق السياسة البريطانية بسبب ما كان متوقعاً من جعلها نهاية الخط الحديدي الممتد من البحر المتوسط . وخلال هذه الفترة التي نتعرض لها ظلت اهمية الكويت بالنسبة للحكومة البريطانية كما هي ... وبدأ الاتراك يبذلون كل ما في وسعهم ليصبحوا هم السادة في هذا المكان سواء كان ذلك لقيمته في خط السكة الحديدية ام سواها . وفي بداية ١٨٩٩ ، وقع الشيخ مبارك حاكم الكويت اتفاقية شاملة تمنعه تماماً كشيوخ عمان المتصالحين من الاتصال بأية دولة اجنبية غير بريطانيا ، كما تمنعه ايضاً على غرار سلطان عمان من ان يجري اية تنازلات اقليمية في ارضه دون موافقة مسبقة من بريطانيا . وتلقى في مقابل ذلك تعهداً مكتوباً بأن تواصل بريطانيا مساعيها الحميدة لصالحه في الشئون الخارجية . وقد كتبت هاتان الوثيقتان بطريقة تلزم ورثة الشيخ وخلفاءه ، وتطبق عليهم ما ألزمه هو وطبق عليه .

التهديدات بالعدوان التركي على الكويت :

وما كاد يتم توقيع هذه الاتفاقية ، التي ظلت سرية في البداية ، حتى بدأت تركيا تحاول بشتى الوسائل فرض سيطرتها على الكويت . من ذلك ارسالها مديراً لميناء الكويت من البصرة ومعه قوة عسكرية صغيرة ليتولى الاشراف على الميناء ، لكن الشيخ لم يسمح له بالبقاء فيه . ودار الكلام حول احتمال لجوء تركيا الى العنف مع الكويت ، فقدمت الحكومة البريطانية تحذيراً عن طريق سفير صاحب الجلالة في القسطنطينية الى الباب العالي بشأن الكويت . ومع ان التحذير كان يلمح

الى انكار ادعاءات تركيا في الكويت الا انه احتوى تأكيدات بأن الكويت تابعة للسلطان . وبعد ذلك بعدة شهور وفي سنة ١٩٠٠ قامت السلطات البريطانية بشرح الامور بوضوح لا يقبل اللبس ، وأكدت ان الكويت ليست مستعدة لقبول اي تغيير في حالتها الراهنة ، ولا هي مستعدة لاجراء اية تنازلات اقليمية لاية دولة اجنبية في اراضيها . وفي سنة ١٩٠١ وبعد عودة شيخ الكويت من حملته الفاشلة على نجد ، قام والي البصرة بزيارته ، وحاول استدراج الشيخ اليائس وقتذاك لقبول اقامة حامية تركية في الكويت ،لكنه كان عند الشيخ من العزم الباقي ما يكفي لرفض الطلب . وتجددت المحاولة مرة أخرى في اواخر السنة عن طريق قائد قارب تركي مسلح .. ومرة اخرى فشلت بسبب وجود وجود سفينة حربية بريطانية راسية على الدوام في الميناء . وبعدها اتفقت الحكومة البريطانية والباب العالي على احترام الوضع القائم في الكويت والابقاء عليه كما هو ، ولكن قبل ان تنتهي السنة ، خرج الاتراك على الاتفاقية ووجهوا انذاراً لشيخ الكويت بضرورة استقبال قوات تركية في ارضه ، وتردد الشيخ هذه المرة ، لكن وجود السفن الحربية البريطانية في الميناء طمأنه وجعله يرفض الانذار ، وايقن الاتراك ان شيخ الكويت لم يرفض انذارهم وحده . وبعد عدة اسابيع بدت دلائل هجوم مشترك على الكويت يقوم به الاتراك وابن رشيد ، وقد كان ابن رشيد لبعض الوقت يهدد الكويت وهو بعيد عنها . وتبعاً لذلك تجمعت خمس سفن حربية بريطانية في خليج الكويت ، واتخذت الترتيبات لمعاونة الشيخ ، براً وبحراً ، في صد الهجوم المتوقع . لكن هذه الازمة – التي حدثت في بداية سنة ١٩٠٢ – مرت دون ان تنتج شيئاً .

تركيا تحاول اقتطاع اجزاء من اقليم الكويت :

وحين فشل الاتراك في خططهم للسيطرة على مدينة الكويت ، لجأوا الى اسلوب التحيف منها بالقطاعي ، فاقاموا في سنة ١٩٠٢ قواعد عسكرية لهم في صفوان وام قصر وجزيرة بوبيان ، وكان هدفهم واضحاً

وهو السيطرة على خور عبدالله وشعابه ، حيث لا يمكن اجبارهم على الانسحاب من هذه القاعدة . وفي صيف سنة ١٩٠٢ ، اتخذت الاجراءات في قاعدة بالارض التركية للقيام بعمليات اعتداء وقرصنة من البحر على مدينة الكويت لكن سر المؤامرة ذاع ، وقام قارب بريطاني مسلح بتشتيت تلك السفن في مدخل شط العرب . وفي صيف سنة ١٩٠٢—١٩٠٣ قام ابن رشيد بمظاهرة بحرية امام الكويت ، وبعدها توقفت الاخطار الخارجية وان ظل الشيخ معرضاً للاضطهاد من جانب الاتراك بسبب ضياعه الواسعة في العراق التركي .

تعيين ضابط بريطاني سياسي في الكويت

وفي سنة ١٩٠٤ ، وبعد زيارة قام بها نائب الملك في الهند للكويت في نهاية سنة ١٩٠٣ ، تقرر تعيين مسئول سياسي بريطاني في الكويت ليتابع تطور الاحداث في الكويت والعراق التركي والجزيرة العربية لكن تركيا اعترضت على هذا العمل الذي كان يشكل خرقاً لاتفاقية ابقاء الاحوال السياسية في الكويت كما هي ، فارجيء تنفيذ الامر لعدة شهور .

المصالح الالمانية في الكويت :

ويجب ان نلاحظ ان المانيا — بالنظر الى مشروع خطها الحديدي — كانت لها مصالح وثيقة في الكويت تماماً كتركيا . وكانت زيارة بعثة الخط الحديدي الالماني للكويت في سنة ١٩٠٠ مناسبة من المناسبات التي احتجت فيها بريطانيا على تدخل تركيا في شئون شيخ الكويت ، وابلغت السفير الالماني في القسطنطينية بوضوح في نفس الوقت ان الشيخ ليس حراً في التنازل عن ارض لشركة خط حديد بغداد دون اذن من الحكومة البريطانية .

ومرة اخرى ، في سنة ١٩٠١ ، قدم احتجاج الماني في لندن تعزيزاً

لاحتجاج من جانب تركيا حول موضوع التدخل البريطاني في الكويت ، وكان تحول بؤرة الاهتمام في العلاقات التركية – الكويتية من ميناء الكويت الى خور عبدالله بناء على نصيحة مقدمة من المانيا بشأن تغيير الموقع المقترح لنهاية الخط الحديدي .

المصالح الروسية في الكويت :

وفي بداية هذه الفترة ، كان يعتقد ان للحكومة الروسية مخططاً يهدف لاقامة معينا في الكويت . وفي اوائل ١٨٩٩ ارسل القنصل الروسي العام في بغداد بعض الارمن ممن يحملون جنسيات روسية الى الكويت .. وكان يبدو ان هذا القنصل كان الاداة المختارة لتنفيذ السياسة الروسية في ذلك الجزء من العالم . وبعدها بشهر قام مستر كروجلو بنفسه بزيارة للكويت على الباخرة « جيلاك » وقابل الشيخ وحاول التفاهم معه بهذا الشأن لكن الاتفاقية الشاملة التي عقدها الشيخ مع بريطانيا حالت دون تنفيذ تلك المطالب ، وركزت روسيا بعد ذلك معظم اهتمامها على الجانب الايراني المواجه من الخليج . وخلال الازمة التي حدثت بين شيخ الكويت والسلطات التركية في سنة ١٩٠١ ، اتصل الشيخ بممثل روسيا في بغداد ، في امر ظل مجهولا ، وفي نهاية السنة قامت السفينة الحربية الروسية « فارياج » بزيارة الكويت ، وعرضت على الشيخ عونها لتحقيق استقلاله –الذي كان مهدداً آنذاك– لكن عرضها رفض .

وفي سنة ١٩٠٢ جاء نائب القنصل الروسي في بوشهر الى الكويت على ظهر السفينة الحربية الروسية « اسكولد » . وفي سنة ١٩٠٣ حين زار الطراد الروسي « بويارين » والطراد الفرنسي « انفيرينت » هذا الميناء معاً كان القنصل العام فوق السفينة الاولى . لكن اهتمامات روسيا في الكويت كانت في ذلك الوقت أفلاطونية خيالية .

شئون العراق التركي وعلاقاته الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

قد تناولنا حالة العراق أثناء حديثنا عن الحالة الداخلية في تركيا كما اسلفنا ، وكانت العلاقات الخارجية للاقليم قاصرة على المسائل التجارية والعادية .

مزيد من اهتمام الدول الاوربية بالعراق التركي :

وقد توسع التمثيل القنصلي فيه بعض الشيء ، لكن اهم تغير حدث من جانب دولة من الدول الاجنبية كان ما فعلته روسيا ، حين انشأت وكالة قنصلية لها في البصرة سنة ١٨٩٩ ، لتحمي المصالح الفرنسية والروسية معاً . وفي بغداد رفعت درجة الممثل الروسي الى درجة القنصل العام . وعززت بريطانيا تمثيلها ولكن لاسباب اخرى لا لمجرد تقليد روسيا والسير وراءها .

وفي سنة ١٩٠٣ استبدل الوكيل القنصلي البريطاني في كربلاء بنائب قنصل ، وفي ١٩٠٥ اضيف الى موظفي المقيمية البريطانية في بغداد ملحق تجاري خاص ، وفي ١٩٠٥ ايضاً انتقلت المقيمية البريطانية الى المباني الجديدة التي انشأتها الحكومة البريطانية في بغداد .

شئون عربستان ، وعلاقاتها الخارجية
١٨٩٩ ــ ١٩٠٥

أشرنا الى بعض حوادث عربستان خلال هذه الفترة وذلك ضمن حديثنا عن الحالة الداخلية في ايران ، ويبقى علينا ان نشير فقط الى ما ارتبط منها بالسياسة الخارجية بشكل خاص .

شيخ المحمرة ، والعوائد الايرانية :

تركز معظم الاهتمام في محاولة بذلتها الحكومة المركزية الايرانية ربما بايعاز من روسيا ، للانتقاص من سلطة شيخ المحمرة ، وهي خطة أحبطها العون المقدم من بريطانيا للشيخ . وفي سنة ١٩٠١ اصبح معروفاً ان حكومة الشاه تنوي ان تضع جمارك عربستان ، التي كان الشيخ مسئولا عنها ، تحت الادارة المباشرة للجمارك الايرانية التي اعيد تنظيمها وخاف الشيخ من هذا المشروع خوفاً بالغاً ، لعل منشأه كان ما توقعه من زيادة تدخل الحكومة الايرانية في احواله الداخلية . وفي سنة ١٩٠١ تم بالفعل نقل العوائد ، لكن الشيخ خزعل نجح في الحصول على مهلة وارسل وكيلا عنه الى طهران ليفاوض المسئولين هناك باسمه وبالتشاور مع ممثل بريطانيا في طهران . واخيراً تم التوصل لاتفاقية استعاد شيخ المحمرة بمقتضاها الرياسة الرسمية للجمارك ، على ان يتولى الادارة الفنية بعض الخبراء البلجيكيين ، هذا الى جانب مزايا مالية استطاع الشيخ الحصول عليها كما تركت له بعض اعفاءاته التقليدية من الجمارك . وفي سنة ١٩٠٣ حاولت الحكومة الايرانية الانتقاص من المكانة الاقتصادية التي منحتها لشيخ المحمرة لكن الشيخ نجح في معارضتها بتشجيع من الدبلوماسية البريطانية .

عون بريطانيا لشيخ المحمرة ضد روسيا والحكومة المركزية في ايران:

لم تكن مشكلة الجمارك هذه سوى جانب واحد من مشكلة أكبر هي المركز السياسي للشيخ في مواجهة الحكومة المركزية الايرانية ، وفي هذا المجال الاوسع للصراع افاد الشيخ كثيراً من العون البريطاني . وفي نهاية ١٩٠٢ وبالنظر لاعتداءات طهران على شيخ المحمرة فوض سفير صاحب الجلالة في العاصمة الايرانية ابلاغ الشيخ الذي كان يخشى كل الخشية تدخل روسيا في الامور — بان بريطانيا تتعهد بحماية المحمرة من أي عدوان بحري خارجي يوجه لها ما دام يوالي حكومة الشاه ويستعد لتنفيذ النصيحة التي يقدمها له المسئولون البريطانيون . كما اتصل السفير البريطاني ايضاً بالحكومة الايرانية حول موضوع جنوب عربستان ، واوضح لها ان بريطانيا ، في حين تعترف تماماً بسيادة ايران على المحمرة وتوابعها ، فانها لا تستطيع ان تنظر بلا مبالاة الى اي تغير سياسي قد يحدث هناك ويوقع الضرر بالمصالح البريطانية، وهي ايضاً ليست مستعدة لان تتيح للدول الاجنبية فرصة التدخل في الشئون المحلية للبلاد . وتلقى السفير رداً طيباً على ذلك من الحكومة الايرانية في بداية سنة ١٩٠٣ ، وبعدها بقليل أعلن عن التوصل الى اتفاقية بشأن عوائد عربستان .. وبمقتضاها انتهت مخاوف شيخ المحمرة ، وتلقى ضماناً رسمياً من الشاه — له ولرعاياه — بحق الملكية في اقاليم المحمرة وفلاحية وهنديان ، وقد كان يخشى ان تحرمه الحكومة من هذا الحق ، وجدد سفير صاحب الجلالة في طهران ضمان العون لشيخ المحمرة .. بل وقام بزيارة المحمرة بنفسه فيما بعد .

سياسة روسيا في عربستان :

وكان موقف روسيا خلال هذا النزاع ، الذي انتهى نهاية سعيدة ، مناوئاً لموقف الشيخ . ففي سنة ١٨٩٩ ، وبعد انقضاء فترة قليلة على زيارة الباخرة الروسية « جلياك » لشط العرب ، جاء القنصل الروسي

العام في أصفهان الى المحمرة ، وبذل جهداً لاستمالة الشيخ اليه ، وابلغه ان روسيا بصدد ان تقيم لها ميناء في الخليج وتدخل في منافسة مع بريطانيا في ذلك الجزء من العالم . وفي سنة ١٩٠٢ وقف ممثل روسيا في طهران بشدة الى جانب استبدال سلطة الشيخ على العوائد الجمركية بهيئة الخبراء البلجيكيين . وخلال سير المفاوضات الدائرة بذلك الشأن في العاصمة ، ظل ممثل روسيا ينتهر مندوب الشيخ ويعامله معاملة جافة كي يوحي اليه بالعمل على تخويف شيخه ودفعه للرضوخ . وكان هذا هو السبب المباشر في تقديم الضمان بالعون البريطاني في نهاية السنة . وعين وكيل قنصل روسي في عربستان سنة ١٩٠٢ في شخص تاجر هولندي مقيم في الناصري (بالاهواز) . وفي سنة ١٩٠٤ قام بعض الرحالة الروس بجولة في جنوب عربستان ، وقامت بعثة روسية تجارية بزيارة المحمرة وقارون ، لكن السياسة الروسية في هذه الفترة هزمت هزيمة ساحقة .

الشيخ وتركيا :

أما علاقة الشيخ بتركيا التي كان له فيها املاك واسعة على الجانب الغربي من شط العرب فقد تميزت بالكرامة والتحفظ لكنها لم تكن ابداً ودية .

المصالح التجارية البريطانية في عربستان :

أما المصالح البريطانية في عربستان ، فقد ظلت نفس المصالح التي كانت في الماضي ممثلة في شركة دجلة والفرات للملاحة البخارية وشركة الساده لانش وشركاه ، كما تواصلت المعارضة المزعجة وحوادث الحظر التعسفي على شحنات القمح البريطانية . وقد حددت معونة الحكومة البريطانية للشركة بعد انتهاء فترة اعطائها السابقة في سنة ١٨٩٩ . لكن حكومة الهند قررت ان تسهم في هذه المعونة لمدة سنة واحدة فقط ، وكان قرارها ناشئاً عن تقسيم المسئوليات المالية في منطقة الشرق الاوسط بينها وبين حكومة صاحبة الجلالة ، لا استهانة بالمصالح البريطانية في نهر

قارون . وفي سنة ١٩٠٢ قامت الحكومة الايرانية باغلاق دور الجمارك في ناصري وشوشتار الامر الذي اضر كثيراً بمصالح بريطانيا ، واصبح مفروضاً باصرار دفع العوائد في المحمرة . لكن امكن سنة ١٩٠٣ اقناع الحكومة الايرانية باعادة النظر في الموضوع والعودة الى الترتيبات السابقة .

وفي نهاية سنة ١٨٩٩ ، افتتح الطريق الذي يربط بين الاهواز واصفهان ماراً باقليم بختياري — وكان العمل قد بدأ فيه خلال الفترة السابقة . وقد قدم هذا الطريق تسهيلات عملية للتجارة . وفي سنة ١٩٠٤ بذلت الجهود لاتخاذ اجراءات افتتاح طريق خرم اباد — الاهواز ، وكانت شركة بريطانية قد حصلت على حق امتيازه ، لكن هذه الجهود توقفت نتيجة اعتداء حدث في بلدة دراكواند لور على ضابطين بريطانيين كانا هناك يقومان بدراسة الظروف السياسية للمشروع على الطبيعة .

وفي سنة ١٩٠٥ تم وضع الترتيبات بين شركة مهمة من شركات الزيت البريطانية وبين خانات منطقة بختياري للتنقيب عن البترول في منطقة شمال عربستان .

مشكلة الري في حوض نهر قارون :

وفي سنة ١٩٠٣—١٩٠٤ اثار مهندس هولندي مشكلة ري جزء من عربستان من نهر قارون ، وهو مشروع لم يسمع احد عنه شيئاً منذ عدة سنين . وتابعت بريطانيا المشروع باهتمام كبير لانها كانت تخشى من من توقف الملاحة البريطانية في نهر قارون دون تعويض عن مصالحها هناك لو نفذته دولة اجنبية . واخير في سنة ١٩٠٥ وفد من الهند مهندس ري بريطاني لدراسة المشروع ، وبعد فحوص على الطبيعة قرر انه مشروع غير عملي ،وعهد اليه باعداد مشروع افضل للري فيما لو دعت الحاجة لتنفيذ مشروع ما .

شئون بريطانيا الرسمية في عربستان :

وقد اشرنا من قبل الى زيارة الوزير البريطاني المفوض في ايران لاقليم المحمرة سنة ١٩٠٣ ، كذلك كان سلفه قد زار من قبل شمال عربستان في سنة ١٨٩٩ . وفي سنة ١٩٠٤ رفعت درجة وكالة القنصلية البريطانية في المحمرة الى درجة القنصلية نظراً للحاجة الى تمثيل ديبلوماسي افضل في تلك المنطقة ، كما اقيمت وكالة قنصلية جديدة ، الحقت بها حامية من الجنود الهنود ، في ناصري (الاهواز) .



شئون الساحل والجزر الايرانية وعلاقاتها الخارجية ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

لقد تناولنا التاريخ العام ، لمنطقة الساحل الايراني وجزره ، من جوانبها المتعددة خلال هذه الفترة ، ويبقى فقط ان نشير الى قليل من المشكلات الخارجية الهامة المرتبطة بها .

تحركات روسيا على الساحل الايراني :

لقد اتجه اهتمام روسيا مدة من الزمن للمنطقة السفلى من ساحل الخليج وجزره : ففي سنة ١٩٠٠ وصل الى بندر عباس مستر سيرو مياتنيكوف الذي اثارت بعثته التجارية اهتماماً لاحقاً فيما بعد . وكان وصوله على قارب للاهالي من لنجة ومعه روسيون آخرون حيث طلب الفحم المتبقي من الباخرة الروسية « جاليك » ، لكن نائب الحاكم الايراني في بندر عباس ادعى الجهل بمكان ذلك الفحم الذي كان قد بقي في المكان الذي انزل فيه حتى سنة ١٩٠٤ . بالرغم من طلب مدير الجمارك

البلجيكي نقله الى مكان آخر . وكانت السلطات المحلية تعتبره بالفعل شيئاً تملكه روسيا .

وفي ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠١ رسا في لنجة الطراد الروسي « فارياج» اثناء عودته من جولة في الخليج ، وتبادل التحيات الرسمية مع مدفعية الميناء . وفي يوم ٢٧ ديسمبر نزل القنصل الروسي العام ، وكان على ظهر الطراد ، وقام بجولة تفتيشية في المدينة وضواحيها . وفي نفس المساء ابحر الطراد الى بندر عباس ، وهناك ايضاً تبودلت التحيات والزيارات الرسمية ، وسمح للجمهور بالصعود الى السفينة . وفي اليوم الاخير من السنة ابحرت « فارياج » من بندر عباس الى كراتشي ، لكن القنصل الروسي العام ظل هناك ، وانشغل بزيارة جزيرة قشم ، وبجمع المعلومات عن عوائد بندر عباس حتى جاء قارب البريد فمكنه من العودة الى بوشهر .

وفي فبراير سنة ١٩٠٢ ، وصل الى لنجة من بوشهر رجل روسي يدعى مستر ريتمان كان ضابطاً عسكرياً على الارجح . وكان واضحاً انه قطع الرحلة بينهما عن طريق البر ، ومن لنجة سار الى بندر عباس ، وزار في طريقه باسيدو ولافت وبلدة قشم وفي ١٩ مارس غادر بندر عباس الى كرمان . وفي مارس سنة ١٩٠٣ قام القنصل الروسي العام في بوشهر مرة أخرى بزيارة لنجة ، على ظهر الطراد الروسي «بويارين» هذه المرة ، وقام باستفسارات حول تمثيل الحكومة البريطانية في باسيدو ورفع العلم البريطاني عليها .

القضايا والمصالح البريطانية على الساحل الايراني :

وكانت طلبات التعويض من الرعايا البريطانيين ومن المتمتعين بالحماية البريطانية تتراكم لعدة سنوات حتى سنة ١٩٠٠ حين بدأ اتخاذ الاجراءات العلمية لتسويتها . وكان بعض هذه الحالات في عربستان

ومكران الفارسية ، وبعضها على الساحل الايراني وجزره ، وقد كان ثمة أكثر من مائة حالة يتراوح اجمالي تعويضاتها بين ٢٥ الف و ٣٠ الف جنيه انجليزي ، واستمرت المحادثات بشأنها دائرة بين السلطات الايرانية والبريطانية سنة ١٩٠٥ ولكن دون تقدم بسبب اصرار الحكومة الايرانية على التأخير والتسويف .

وكانت السلطات البريطانية تشرف اشرافاً دقيقاً على محطة الفحم والمنشأة البريطانية في باسيدو ، التي كان يلوذ بها احياناً بعض اللاجئين الايرانيين من الاقليم نفسه . وفي سنة ١٩٠٤ اعيد احتلال جزيرة هانجام للمواصلات التلغرافية في الظاهر وان كان الغرض الحقيقي من الاحتلال سياسياً . وفي العام التالي قامت الحكومة الايرانية بعمل افزع السكان العرب في البداية وكادوا ان يقاوموه ، وذلك حين امرت بتعزيز قواتها هناك . وفي سنة ١٩٠٥ قام بعض الغوغاء بتظاهرة ضد الوكالة البريطانية في لنجة ولكن امكن تفريقهم .

التمثيل القنصلي البريطاني والاجنبي على الساحل الايراني :

كان معظم نشاط الدول الاجنبية على الساحل الايراني يتمثل في ايجاد مراكز قنصلية جديدة : ففي سنة ١٩٠١ عين قنصل روسي عام في بوشهر ، وفي سنة ١٩٠٤ افتتحت في بندر عباس وكالة قنصلية رفعت في العام التالي مباشرة الى قنصلية . وقد كانت وكالة القنصلية الفرنسية التي افتتحت في بوشهر سنة ١٨٨٩ ما تزال قائمة ، كما كان هناك وكالة قنصلية المانية ايضاً في بوشهر منذ سنة ١٨٩٧ . وفي سنة ١٩٠٥ كان في لنجة وكالة قنصلية تمثل روسيا وفرنسا معاً ، وهي كمؤسسة فرنسية يرجع تاريخ تأسيسها الى ١٨٩٩ ، حين كانت المحاولات تبذل في لنجة للتوسع في توزيع الاعلام الفرنسية على السفن الوطنية .

كذلك حصل توسع مقابل في التمثيل السياسي البريطاني ، جاء

نتيجة حتمية للنشاط المتزايد من جانب الدول الاجنبية . وفي سنة ١٩٠٠ عين نائب قنصل بريطاني (ومساعد للمقيم) في بندر عباس ، وفي ١٩٠٤ رفعت درجته الى قنصل ، ووسعت حدود القنصلية ، والقى على عاتق القنصل ايضاً عبء الاشراف السياسي على اقاليم معينة من الجانب العربي للخليج . وفي ١٩٠٣ اقيمت قنصلية بريطانية في شيراز يرئسها مسئول بريطاني ، وفي ١٩٠٤ رفع بعض العاملين في المقيمية البريطانية في بوشهر الى درجة القناصل ، كما اضيف الى العاملين فيها مساعد تجاري في نفس الوقت ، وفي سنة ١٩٠٥ عزز المقيم بمساعد ثان ايضاً .



شئون اقليم مكران الفارسي وعلاقاته الخارجية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

خطط روسيا في مكران الفارسي :

سرى أثر الاحداث السياسية خلال هذه الفترة حتى الى اقليم مكران الفارسي ، ففي سنة ١٩٠٠ وفد عليه رجل روسي وصفته صحف بلاده بأنه « استاذ للعلوم الطبيعية بكلية الزراعة في موسكو » ، وهو رجل دفعه فضوله العلمي الى الاهتمام بالقضايا السياسية ، وقد سبق له ان زار بامبور وبلوخستان الايرانية ، لكنه لم يفعل هنا شيئاً . وبعد سنة ١٩٠٠ اصبحت شاهبار هي الهدف الرئيسي لخطوط السكة الحديدية الروسية ، وفي ١٩٠٤ كان ممثل روسيا في لنجة مشتغلا بجمع المعلومات عن العوائد في جوادر .

مشاكل بريطانيا في مكران :

واقيمت وكالة قنصلية بريطانية في بام سنة ١٩٠٥ لكنها لم تستمر طويلا وقد تحقق بعض التقدم في اقليم مكران خلال هذه الفترة بين المسئولين البريطانيين والايرانيين حول مشكلة تعويض الرعايا البريطانيين عن الاضرار والجرائم التي ارتكبت ضدهم . وكانت التسويات التي حدثت في سنة ١٩٠٤ و ١٩٠٥ مرضية غاية الارضاء .

رد الفعل البريطاني لنشاط الدول الاجنبية في منطقة الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

يتضح مما سبق ان الفترة من ١٨٩٩ الى ١٩٠٥ تميزت بما تهدّد سيادة بريطانيا على منطقة الخليج والمرتبطة بها من الهند البريطانية ارتباطاً وثيقاً ، من سياسات الدول الاجنبية ولا سيما روسيا وفرنسا والمانيا . فخطط روسيا البحرية ، ومشروعها لمد خط حديدي في ايران ومشروع فرنسا لاقامة قاعدة بحرية فرنسية في خليج عمان ، والقوى المتجمعة وراء المانيا ومشروع مد الخط الحديدي من البحر المتوسط الى الخليج .. كل هذه امور ذات اهمية فائقة ، رغم ان الدلالة الخطيرة لهذا العمل الاخير منها لم تكن واضحة بعد . وكان على بريطانيا ان تأخذ بمزيد من الحذر لمواجهة النتائج المحتملة لتلك التطورات ، وكان هذا الحذر على كل المستويات : الديبلوماسية والبرلمانية ، والبحرية او العسكرية .. مما سنشير اليه .

حقوق السكك الحديدية في جنوب ايران :

وكان اول اجراء ديبلوماسي قامت به حكومة صاحبة الجلالة هو أن قدمت الى الحكومة الايرانية مذكرة في ابريل سنة ١٩٠٠ تذكرها فيها باسبقية بريطانيا في مد الخطوط الحديدية في جنوب ايران حسب قرار الشاه الصادر في سنة ١٨٨٩ . وكان الدافع لذلك اجتماع عقدته بعثة المساحين الروس في طهران سنة ١٩٠٠ بعد ان قامت بعملية مسح يشامل لجنوب ايران ، وكان يرئسها مسئول روسي وصفته الصحف الروسية بأنه « مدير الخطوط الحديدية الايرانية » . وبناء على تعليمات من حكومة صاحبة الجلالة ، قدم سفيرها في طهران الى وزير الخارجية الايرانية النسخة الاصلية لخطاب الشاه ناصر الدين الذي اشرنا الى مضمونه ، وسنجد

له ترجمة مثبتة في مكان آخر من هذا الدليل . وقد اعترف بصحة هذه الوثيقة كل من الصدر الاعظم ووزير الخارجية . ولم يتمكن ممثل بريطانيا في طهران من رفع الامر الى مسامع الشاه الذي كان وقتئذ عليلا ولكن خطوات عديدة تم اتخاذها للتأكد من وصول العلم بوجود تلك الوثيقة الى الشاه . ولم يتوقف بذل الجهود الاحين تأكد تماماً ان مظفر الدين شاه قد رأى الوثيقة واعترف بالالتزام الناشيء عنها ، كذلك اعترف الوزير الروسي في طهران ، في حديث له مع القائم بالاعمال البريطاني بأنه على علم بوعد الشاه بشأن الخطوط الحديدية في جنوب ايران . ولو صح ان الروس كانوا في ذلك الوقت يسعون للانتقاص الفعلي من حقوق السكك الحديدية الممنوحة لبريطانيا العظمى في جنوب ايران ، فلا شك ان تقديم وثيقة ناصر الدين شاه ، واعتراف ابنه وخليفته بها قد كان رادعاً كافياً لهم .. وربما كان هو السبب الذي جعلهم يتجنبون القيام بعمل ما في الموضوع بعد ذلك .

الاشراف على جمارك جنوبي ايران :

أما الاجراء الديبلوماسي الثاني الذي اتخذته حكومة صاحبة الجلالة فكان بشأن جمارك جنوبي ايران التي كانت مهددة باحتمال وضع الحكومة الروسية يدها عليها ، وبدأت مناقشة الموضوع سنة ١٨٩٩ على أساس وعد كانت قدمته ايران لبريطانيا في سنة ١٨٩٧ بالا تضع عوائد الجنوب تحت أي اشراف او سيطرة اجنبية . واستمرت المباحثات حتى سنة ١٩٠٤ حين اعترفت الحكومة الايرانية اخيراً بعد تردد طويل بأنها حين وضعت جزءاً من عوائد الجنوب تحت اشراف روسيا ضماناً للوفاء بديونها منها في سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٢ فان ذلك لا يعتبر منافاة مقصودة لوعد سنة ١٨٩٧ . وبادرت الحكومة البريطانية لدى تلقيها هذا الرد الذي لم تعتبره كافياً ـ فأبلغت وزراء الشاه رسمياً انه لا بد من الاعتراف بصحة ضمان سنة ١٨٩٧ ، وانه في حالة اية محاولة من جانب

ايران للانتقاص من حقوق بريطانيا المكفولة فيه فستتخذ الحكومة البريطانية من الاجراءات ما تراه جديراً بحفظ احترامها . وقد كان لهذا الموقف الحازم الذي وقفته الحكومة البريطانية طوال مناقشة الموضوع آثاره المثمرة ولا شك ، ولم يكن مستحيلا ، لو انها وقفت موقفاً اقل من ذلك حزماً ان تنتقل عوائد جنوب ايران ، كلها او بعضها ، الى ايدي الحكومة الروسية او الدائنين الروس . وهكذا استبعدت عوائد « فارس والخليـــــج » من العوائد المرتهنة كضمانات للقروض الووسية ، لكن المشكلة التي بقيت هو تحديد المعنى الدقيق لعبارة « فارس والخليـــــج » ، وهو تعبير رأت حكومة صاحبة الجلالة ، انه يجب اعتباره بموجب تعهد سنة ١٨٩٧ مرادفاً لتعبير « جنوب ايران » الذي يشمل المحمرة .

البيان التجاري الانجلو – ايراني :

واتخذت حكومة صاحبة الجلالة اجراء ديبلوماسياً ثالثاً اشرنا اليه بالفعل من قبل وهو توقيع بيان تجاري بين بريطانيا وايران في اوائل سنة ١٩٠٣ أصبحت بمقتضاه التعديلات السرية التي تجريها روسيا في التعرفة الايرانية غير قابلة للتغيير دون موافقة بريطانيا ، وقد ادى ذلك الى وقف اجراءات لو تمت لادت الى خسائر متزايدة للتجارة البريطانية .

مناقشة في البرلمان تكشف سياسة بريطانيا في الخليج وتحمل انذاراً للدول الاجنبية :

أما الاجراء الديبلوماسي الرابع فكان ذا طابع برلماني ، تضمنه اعلان صدر في ٥ مايو سنة ١٩٠٣ عن لورد لانداون الناطق باسم وزير الدولة للشئون الخارجية رداً على سؤال من لورد لامنجتون ، وهذه هي الفقرة الخاصة بالخليـــــج من الاعلان كما ورد في عدد (٦) مايو من جريدة التايمز :

« والآن انتقل الى الموضوع المرتبط بما ذكرت اوثق ارتباط الا وهو

موضوع الخليج انني متأكد من ان اهتمام جناب اللورد بمشروع خط حديد بغداد راجع لارتباطه الوثيق بمصالحنا في الخليج ، وانا لا اسلم مع جناب اللورد من حيث دوافع الاهتمام الذي اوليه انا لموضوع الخليج ، او من حيث الاعتقاد بأن هذه البلاد تحتل في ملاحة الخليج مكانة تغاير مكانة اية دولة اخرى . وقد ابلغكم جناب اللورد بالحقيقة المجردة وهي انه بفضل اعمال بريطانيا ولقاء الدماء والاموال التي ضحت بها اصبحت الملاحة في الخليج الان مفتوحة للعالم كله . فسفننا نحن هي التي طهرت ذلك المكان من القراصنة ، وهي التي قضت على تجارة الرقيق ، وهي التي وضعت الارشادات والاشارات للملاحة في تلك المياه المضطربة . لا بأس ... والآن ، من مجموع التجارة في موانئ الخليج — والتي بلغت قيمتها حسب ارقام سنة ١٩٠١ — ٣ مليون و ٦٠٠ الف جنيه ... كان نصيب التجارة البريطانية ما لا يقل عن ٢ مليون و ٣٠٠ الف جنيه ، وهذه الارقام تدل على نجاحنا في الاحتفاظ بنصيب عادل لنا من تلك التجارة . لكنه ما من ريب في أننا نحس في الخليج كما نحس في سواه بوطأة المنافسة الاجنبية ، واخشى ان يكون هذا قدرنا لا في مياه الخليج وحده ولكن في كل البحار ، ولا احسب اننا سنستطيع الاحتفاظ بمثل التفوّق الذي نبدأ به لمجرد اننا كنا خلال تطور التجارة رواد العالم في هذا الحقل الحضاري . ولقد طلب الي اللورد النبيل ان اشرح سياستنا في الخليج وانا الخص ذلك في كلمات معدودات . انني ارى ان الواجب يقتضينا قبل كل شيء ان نصون ونحسن تجارة بريطانيا في هذه البحار . ثم اني لا ارى بعد ذلك ان اللورد المحترم يقترح ، او يستطيع أن يقترح ان علينا توجيه مجهوداتنا لطرد التجارات المشروعة للدول الاخرى ، « صياح اسمع .. اسمع » وثالثاً فاني اقولها بلا تردد بأن علينا ان نعتبر تأسيس قاعدة بحرية او ميناء محصن في الخليج من قبل اية دولة على انه تهديد خطير للمصالح البريطانية علينا ان نقاومه بكل ما اوتينا من الوسائل —(هتافات) وانا اقول هذا بغير لهجة التهديد لانه على

احسن ما اعلم ليست هناك الان مشروعات لاية دولة اجنبية لانشاء قواعد بحرية في الخليج . انني شخصياً لم أسمع عن مثل تلك الاقتراحات . ولا استطيع منع نفسي من ملاحظة شدة حماسة اللورد بشأن موضوع التدخل الاجنبي في حين انني متأكد تماماً انه لا يهددنا في الوقت الحاضر » ..

ومنذ اكثر من سنة . وفي لقاء غير رسمي بين لورد لانداون والسفير الفرنسي في لندن في ١٩ مايو سنة ١٩٠٢ اشار لورد لانداون الى انه فيما يتعلق بمنطقة الخليج فان « بريطانيا العظمى ستعارض معارضة قوية — وستقاوم اذا لزم الامر — اية محاولة من جانب دولة اخرى لخلق قواعد استراتيجية او اقامة موانىء محصنة على شواطئه » . وهكذا نستطيع ان نعتبر تصريحه هذا بتاريخ ٥ مايو سنة ١٩٠٣ لا مجرد اندفاع الى اتخاذ قرار مفاجىء .. لكنه تعبير عن السياسة المحدودة الواضحة لحكومة صاحب الجلالة . ولم يفت ملاحظة هذا التصريح الجهات التي كان موجهاً اليها بطبيعة الحال ففي ٦ مايو اشار السفير الروسي في حديث له مع لورد لانداون الى انه قرأ تصريحه باهتمام ، وهو لا يرى فيه شيئاً غير عادي ، واضاف يقول ان لورد لانداون ربما كان يتكلم وهو يعني روسيا لكن روسيا ليست لديها اية فكرة لاقامة قاعدة بحرية في الخليج .

اختيار قواعد بريطانية بحرية في منطقة الخليج بحيث تواجه اية ضرورة او احتمال طارىء :

وقد ارغمت نوايا روسيا الواضحة في سنة ١٨٩٩ لاقامة قاعدة بحرية في الخليج الى جانب اعمال فرنسا في بندر جيسا في نفس السنة الحكومة البريطانية على التفكير في الاجراءات المضادة لها في حالة ما اذا بدأت روسيا — او هي وحليفتها فرنسا — في تنفيذ خططهما .

وليس من الملائم الدخول في تفاصيل الابحاث التي دارت ، او المناقشات التي اعقبتها ، او القرارات التي تم اخيراً اتخاذها ، وحسبنا هنا القول بأن اهتمام الحكومة البريطانية اصبح كله موجهاً الى الموانى

والمرافىء والمواقع البرية بالقرب من مدخل الخليج ، خاصة مواقع معينة على الجزر المواجهة لبندر عباس وللرأس البحري المسمى بـ « رؤوس الجبال » على مضيق هرمز . وفي سنة ١٩٠٢ درست الجوانب الاستراتيجية للموضوع في مؤتمر عقد بلندن شهده ممثل البحرية البريطانية ووزارة الحرب ، ووزارة الخارجية ومكتب الهند . وفي تاريخ تال اقرت لجنة الدفاع الامبراطوري خطط حكومة صاحب الجلالة العسكرية لهذه المنطقة . وسنقصر حديثنا هنا على بعض الاجراءات البحرية الواضحة نوعاً ما والتي وكل تنفيذها لحكومة الهند خلال الفترة من ١٩٠٠ الى ١٩٠٥ :

في سنة ١٩٠٠ كلف القائد هـ. أ. فيليبس الضابط البحري الاول في منطقة الخليج برفع بعض التقارير المبدئية عن الموانى والمرافىء الرئيسية في الخليج ، وبعدها مباشرة بدأت القيادة البحرية بدراستها مع مكتب الهند . وفي سنة ١٩٠٣ تمت عملية مسح لكل الشاطىء الايراني من الخليج ولجزء من شاطىء اقليم مكران الفارسي ، وقد انجز هذا العمل هـ. ب. ت. سومرفيل الذي كان اوفد خصيصاً من بريطانيا لتلك المهمة ، يعاونه القائد ت. و. كيمب الضابط البحري الاول في الخليج . وكان الهدف من عملية المسح هو تحديد المواقع التي تتيح افضل المزايا لدولة اجنبية ذات قوات برية ضخمةأن تنشىء ميناء محصناً في شواطىء الخليج الشرقية . وقد اعير اهتمام خاص لتوافر التسهيلات في كل موقع مقترح لربط الميناء عند انشائه بالمناطق الداخلية بسكة حديدية . وفي نهاية سنة ١٩٠٣ ، وخلال جولة للورد كيرزون — نائب الملك في الهند — بمنطقة الخليج ، خصص هو ومرافقه القائد ج. ل. اتكنسون ويلز القائد العام للبحرية كثيراً من الوقت والجد لدراسة المشاكل الاستراتيجية على الطبيعة ، وقد ضمن الاميرال ملاحظاته في تقرير رفع سنة ١٩٠٤ مع ملاحظات حكومة الهند عليه الى حكومة صاحب الجلالة في بريد خاص . وكانت هذه

الاجراءات تتعلق بالاجراءات الدفاعية التي قد يكون من الضروري اتخاذها على مدخل الخليج . لكنهما قاما بزيارة اثناء هذه الجولة لخور موسى وخور عبدالله – وهما موقعان مهمان لاسباب اخرى ، ثم رفعت كل هذه الامور في تقارير منفصلة من حكومة الهند الى حكومة صاحب الجلالة . وقد قامت سفينة صاحب الجلالة « سفنكس » بعملية مسح مبدئي لخور موسى في مايو سنة ١٩٠٣ ، ومسحت خور عبدالله ايضاً بنفس الطريقة في يوليو من العام التالي دون انزال المساحين الى البر . وقد احتجت الحكومة التركية طبعاً على هذه الاعمال . واقترح قائد عام البحرية الملكية اجراء مسح دقيق لخور عبدالله ، واقرته حكومة صاحب الجلالة في نفس السنة ، ووضع في برنامج سفينة المسح التابعة للبحرية الملكية في الهند « انفستجيتور » لسنة ١٩٠٥ – ١٩٠٦ .

كما حدثت عملية مسح اخرى اقل اهمية كان الدافع لها سياسياً اكثر منه تجارياً ، شملت مياه البحرين والحسا وقطر وقامت بها السفينة « انفستجيتور » في ١٩٠١ – ١٩٠٢ . وخلال هذه العمليات كانت تدق الاعمدة على البر ، كما كانت تنزل اليه جماعات من المساحين لربط المسح هناك بمسح البحرين . وقد وصل امر هذا العمل الى الباب العالي ، واثار احتجاجاته .

القاعدة البريطانية في باسيدو :

وتجدد الاهتمام البريطاني بمستعمرة باسيدو وبجزيرة قشم بسبب الوضع الجديد ، وكشفت التحريات في سنة ١٩٠١ ان بقايا القاعدة العسكرية والبحرية البريطانية تتكون من انقاض منزلين كل ذو طابقين ، ومنزل للطبيب المساعد ، ومنزل ومخزن صغير للمقاول ، وثكنة عسكرية صغيرة ونزل صغير . وثلاثة خزانات للمياه ، لكن هذه الاشياء جميعها لم تكن صالحة للاستعمال ، ولم تكن كلها – باستثناء منزل واحد – قابلة للاصلاح . وتبين ان المسئول عن خزن الفحم ، كذلك المسئول عن

العلم البريطاني كانا يشغلان منزلين لهما في حي مجاور وليسا من املاك الحكومة ، فتقرر انه حيث لا حاجة لمنازل الحكومة فلا داعي بالتالي لاصلاحها . ولتأكيد وضع بريطانيا في باسيدو تقرر ان يبقى العلم البريطاني — الذي لم يكن يرفع الا في ايام الاحاد والعطلات ولدى مجيء سفينة بريطانية — مرفوعاً كل يوم من شروق الشمس الى غروبها .

وفي سنة ١٩٠٢ درست مشكلة حدود المستعمرة البريطانية في باسيدو وتبين انها لم تحدد من قبل على الاطلاق . وكان يعتقد ان القريتين المجاورتين ، سنجاو وباسيدو القديمة (والاولى لم يكن بها ساكن واحد ابتداء من سنة ١٨٨٣ ، وتعرف الاخرى ايضاً باسم نخلستان) كانتا ضمن القاعدة البريطانية في اول الامر ، لكنهما اعتبرتا مستقلتين عنها بعد ذلك : الاولى في سنة ١٨٦٤ ، وباسيدو القديمة في ١٨٧٤ على الاقل . وكان الضابط الايراني في قشم يتولى جباية الضرائب منهما باسم الحكومة الايرانية . وامرت حكومة الهند — بعد النظر في هذا الامر — بأن تعامل قرية سنجاو على انها ضمن القاعدة البريطانية ، وتهمل باسيدو القديمة لان السلطات الايرانية كانت ما تزال تجمع منها الضرائب في ذلك الوقت . لكن الحكومة الهندية اقترحت على وزير الدولة لشئون الهند امكان بل ومرغوبية الادعاء بحدود للمستعمرة البريطانية في باسيدو وعلى غرار حدود القاعدة البرتغالية القديمة ، اي بما فيها : نخلستان وقلعة حاجي كريم .

وفي سنة ١٩٠١ لفت النظر الى قناة كانت تؤدى من البحر الى باسيدو على طول السواحل الجنوبية لجزيرة قشم حيث ظن بأنها اعمق وأكثر صلاحية لملاحة السفن البخارية من الطريق المألوف ، لكن الوقت لم يسمح باستخدامها في خلال ١٩٠١ — ١٩٠٢ . ورغم ان سفينة البحرية الملكية الهندية « لورانس » قد تحرت هذا الامر الذي ناقشه لورد كيرزون في سنة ١٩٠٣ ، الا انها لم تدرج في برنامج عمليات المسح لسنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ . واخيراً تقرر ان تجرى هذه العملية خلال شتاء

١٩٠٥ – ١٩٠٦ ان لم تعوق ذلك اعمال اخرى أكثر اهمية . وبدأت عملية الهجرة الى باسيدو ، خاصة من لنجة حيث كانت العوائد الامبراطورية الايرانية ترهق التجارة والتجار هناك ، تصبح ظاهرة تستحق الاهتمام ابتداء من سنة ١٩٠٢ . وتقدم تاجر من مدينة قشم كان وكيلا لاحدى شركات تصدير الارز في كلكتا يطلب الى السلطات البريطانية السماح له بانزال عشرة آلاف جوال من الارز في باسيدو ، وبناء مخزن لها بالقرب من المرسى . وبمرور الوقت تكررت مثل هذه الطلبات من اهل لنجة وغيرهم مما اشار الى ان باسيدو يمكن – اذا ساعدت الحكومة البريطانية على ذلك – ان تتحول الى مركز للتوزيع التجاري معفى من العوائد وعلى درجة كبيرة من الاهمية ، غير ان مؤتمراً عقد بلندن سنة ١٩٠٢ لتدارس مشكلات باسيدو والقواعد الاخرى وشهده ممثلون عن البحرية الملكية ومكتب الهند ووزارة الخارجية اوصى بالا تشجع الهجرة الى باسيدو لما قد تسببه من مشكلات سياسية . وكانت الاوامر قد صدرت قبل ذلك بعدم الحيلولة دون الراغبين من البريطانيين بالهجرة الى باسيدو . وكان صدورها من الكولونيل كيمبول المقيم السياسي في الخليج ثم عززت باوامر مماثلة من حكومة الهند . لكنه حذر بعدم اقامة ابنية دائمية وبحصر البناء في المواقع التي يوافق عليها المقيم . وفي مايو سنة ١٩٠٥ امرت حكومة الهند بعدم تشجيع هجرة غير البريطانيين الى باسيدو كلما امكن ذلك ، وامرت ايضاً بأن يراقب المقيم جيداً قدوم مستوطنين جدد ، سواء كانوا بريطانيين او اجانب ممن يقيمون الاكواخ او يبدو عليهم انهم اكثر من مجرد زوار عابرين . وكانت هذه التعليمات كافية لصد تدفق التجار وغيرهم الى باسيدو .

وفي ابريل ومايو سنة ١٩٠١ زار باسيدو بعض المسئولين الرسميين الايرانيين ومن بينهم مسئول عن العوائد قرر ان يجعل في باسيدو القديمة موظفاً دائماً عن الجمارك لمنع تجارة السلاح . ولم يحدث شيء عقب هذه

الزيارة ، لكن السلطات البريطانية في الهند اصدرت تعليماتها بالا يقيم اي مسئول ايراني في قاعدة بريطانية في المستقبل دون موافقة صريحة من الحكومة البريطانية . وقد تكلمنا سابقاً عن زيارة المسيو رتمان الى باسيدو سنة ١٩٠٢ وكذلك الى تحريات باسيك سنة ١٩٠٣ عن المواقع البريطانية هناك كدليلين على اهتمام روسيا بمدخل الخليج .

تجدد العمل في مكتب التلغراف البريطاني بهانجام :

وفي ١٩٠٤ اعيد العمل في مكتب التلغراف البريطاني بجزيرة هانجام بعد ان كان قدتوقف منذ سنة ١٨٨٠ ، واتخذت ترتيبات لمد اتصال تلغرافي ، بعضه بواسطة الكوابل الارضية وبعضه الآخر تحت الماء ، عبر جزيرة قشم من هانجام الى بندر عباس . وفي وقت من الاوقات ، اقترحت السلطات البحرية وضع مكتب التلغراف الجديد في باسيدو ، لكن هانجام تم اختيارها اخيراً لذلك المركز .

بريطانيا واقليم رؤوس الجبال الساحلي :

وكان لا بد ان تهتم السلطات البريطانية — منذ بداية هذه المناقشات الاستراتيجية — بالخلجان الكبيرة في رأس « روس الجبال » ، وكانت المشكلة العملية بالنسبة لتلك المنطقة هي عدم وضوح الوضع السياسي لهذه الاقاليم حتى سنة ١٩٠٥ الامر الذي جعل الخطوات المتخذه بصددها قلقة غير واضحة .

ان اكبر فجوة في روس الجبال هي خور الشام او خليج الفينستون ، الذي يفتح من شبه الجزيرة الى الخليج ، وينقسم عند مدخل مالكولم ، فيمتد منه شكل ذراع حول خليج عمان عليه برزخ صغير هو المعروف باسم « مقلب » ، وخلال المدة من سنة ١٨٦٤ حتى ١٨٦٨ ، وبموجب اتفاقيات تلغراف مسقط لسنتي ١٨٦٤ و ١٨٦٥ ، مد خط ارضي لدائرة التلغراف الهندي — اوروبي عبر في برزخ مقلب ، كما اقيمت محطة تلغراف بريطانية في جزيرة صغيرة بخور الشام . وفي سنة ١٩٠٢ لم تكن

حكومة الهند على يقين مما اذا كانت منطقة روس الجبال هذه تابعة لسلطنة مسقط ام ملحقة بعمان المتصالحة ، ام ان اهلها الخشنين من قبيلتي الشموح والظاهرية مستقلون عن اي سواهم من الناحية القانونية كما هم في واقعهم . فلو كانت روس الجبال من اراضي سلطان عمان فيجب ان تخضع في معاملتها للاعلان البريطاني – الفرنسي لسنة ١٨٦٢ ، ويجب ان تتجنب بريطانيا اي عمل لا يتسق وهذا الاعلان . اما لو كانت تابعة لواحد او أكثر من المشايخ المتصالحين ، او كانت مستقلة تماماً .. فان الحكومة البريطانية سيكون لها مطلق الحرية في اتخاذ ما تشاء من اعمال دون ان تنتج عنها مشاكل دولية .

وكانت اولى توصيات حكومة الهند المقدمة في سنة ١٩٠٢ تتسق وكل وجهات النظر فيما يتعلق بملكية روس الجبال ، فقد جاء فيها انه يجب اعادة احتلال مركز التلغراف في خور الشام ، ورفع العلم البريطاني عليه ، وجعل وكيل وطني يقيم في باسيدو ، وان يعتبر الخط الساحلي الممتد من دبيه الى خور كلبه – على الحافة الشرقية لجبال عمان – تابعاً للشارقه ، وبالتالي خاضعاً للاتفاقية المبرمة بين شيخ الشارقة والحكومة البريطانية ، ووافقت حكومة صاحب الجلالة على هذه التوصيات .

وفي سنة ١٩٠٤ – عقب زيارة لورد كيرزون وجولته في الخليج وتفحصه للخلجان الموجودة في روس الجبال – اقترحت حكومة الهند ، التي كانت تميل في ذلك الوقت الى اعتبار هذا الاقليم غير تابع لسلطان عمان عقد اتفاق مع القبائل المجاورة يصبح للحكومة البريطانية بمقتضاه حق رفع علمها حين تشاء على برزخ مقلب وجزيرة غنم وخليج التلغراف . وقد وافقت حكومة صاحب الجلالة على هذا الاقتراح لاول وهلة وارسلت ساريات الاعلام المصنوعة من اعمدة حديدية يبلغ ارتفاع الواحد منها ٣٨ قدماً الى المواقع المختارة ، حيث قام جنود صاحب الجلالة برفع الاعلام البريطانية عليها في ٢١ و ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٠٤ .

وفي اوائل سنة ١٩٠٥ — وبالنظر الى عملية التحكيم في قضية العلم الفرنسي التي كانت تدور وقتذاك في لاهاي تجمعت معلومات جعلت من المستحيل اعتبار روس الجبال شيئاً سوى انها جزء من سلطنة عمان . وما كان هذا في حد ذاته يستوجب التخلي عن السواري لولا ان صعوبة اخرى نشأت بصدد نوع العلم الذي يرفع وذلك في سنة ١٩٠٤ وقد اعترضت امبرالية البحر البريطانية على ابقاء الاعلام مرفوعة، مدفوعة في رأيها هذا قبل كل شيء بكونها المسئولة عن المحافظة على هذه الاعلام التي لو ظلت موجودة دون اعلان نظام للحماية وضم رسمي لعدن اليها سوف تغري الدول الاخرى برفع اعلام لها هي الاخرى في مواقع مجاورة . ولم يسلم امر رفع الاعلام يوم رفعت بسرية تامة على جزيرة غنم من ملاحظة ضمن مقال في جريدة الاهرام القاهرية ربما كان كاتبه هو مستر جوجويير، وظهر في عدد الجريدة الصادر بتاريخ ٢١ يونيو سنة ١٩٠٥ . وهكذا تقرر انزال تلك الاعلام ، ولكن ارجىء التنفيذ حتى تنتهي اجراءات التحكيم في لاهاي واخيراً قامت سفينة التلغراف « باتريك ستيوارت » بالتنفيذ في ١٨ اكتوبر سنة ١٩٠٥ ، ووجد العلم في جزيرة غنم على ساريته كما هو ، اما في مقلب فقد قام عرب المناطق المجاورة بانزاله عن ساريته وتمزيقه وترك العلم في جزيرة التلغراف كما هو ريثما تعاد دراسة المسألة كلها .

مشروع اقامة فنار بريطاني :

وفي سنة ١٩٠٤ اقترحت حكومة الهند اقامة فنار (منارة) لخدمة الملاحة الانجليزية من ناحية . ولتعزيز مكانة الانجليز السياسية في اقليم روس الجبال من الناحية الاخرى ، واقترحت اقامته اما على نهاية الطرف الساحلي لروس الجبال ، او في جزيرة من الجزر الثلاث المعروفة باسم قوينيس (سلامة وبناتها) ، واتخذت الاجراءات بالفعل للبدء في هذا العمل ، لكن المشروع توقف ربما نتيجة تغير وجهة نظر الحكومة البريطانية فيما يتعلق بملكية روس الجبال ، وتوقف المشروع رغم ان الشركات الملاحية في الخليج ظلت تتبناه وتدافع عنه .

مظاهرات بحرية بريطانية

كانت البحرية البريطانية تقوم بين الحين والآخر بمبادرات من حكومة الهند بمناورات ترد بها على استعراضات القوة من جانب البحرية الفرنسية والروسية . من ذلك مثلا ارسال حكومة الهند بواخر ذات قوة عظيمة في الخليج ، ومنها ايضاً الجولة التي قام بها لورد كيرزون — نائب الملك في الهند — في نهاية سنة ١٩٠٣ ، وكانت مظاهرة واستعراضاً للقوة في منطقة الخليج لا تستطيع دولة اوربية اخرى ان ترقى الى مستواها .

وفي ١٩٠١ قامت سفينة صاحب الجلالة « هاى فلاير » ، وهي السفينة رافعة العلم التى تقل القائد البحري العام لاسطول شركة الهند الشرقية ، الاميرال بوسانكوست ، بجولة في الخليج فزارت صور ومسقط وبوشهر وبندر عباس . وكانت اضخم سفينة تحمل أضخم مدافع شهدتها مياه الخليج .

ورداً على زيارة الباخرة الروسية « فارياج » للخليج في ديسمبر سنة ١٩٠١ ، قامت باخرة صاحب الجلالة « امفيتريد » بزيارة مماثلة ، وهي سفينة من الدرجة الاولى تبلغ حمولتها ١١،٠٠٠ طن ، وقد كانت في طريقها من الصين الى انجلترا — يقودها كابتن ويندهام وصدرت لها الاوامر بتغيير خط سيرها فوصلت عدن في اول يونيو سنة ١٩٠٢ ، ثم رست في خليج بيسوت مساء ٤ يونيو ، وقامت باستخدام أضوائها الكهربية بعد هبوط الظلام . وفي ٥ يونيو سارت موازية لساحل اقليم ظفار ، وقضت الليل خارج جزيرة كوريا موريا . وفي ٦ يونيو توقفت خارج رأس مدركة وانزلت فرقة منها كي تقوم باستعراضات في الفروسية . وفي ٨ يونيو وصلت الباخرة مسقط واطلقت لتحية علم السلطان احدى وعشرين طلقة . وفي اليوم التالي قام ضباطها بزيارة السلطان ، وقام السلطان برد الزيارة في اليوم التالي حيث شهد كيفية

اطلاق مدافعها في البحر خارج الميناء . وكان اطلاق النار موفقاً وسر السلطان به سروراً عظيماً ، كما سمح لبعض اهالي مسقط بالصعود الى السفينة والفرجة عليها . وفي نفس اليوم — بعد ان نزل السلطان الى البر — واصلت السفينة مسيرتها الى صور تحمل ميجر كوكس الوكيل السياسي في مسقط الذي ظل على ظهر السفينة اثناء ما بقي من جولتها . ومن صور عادت الى مسقط — مروراً بسبب وبركة — وفي ١٣ يونيو وصلت الى بندر عباس . وفي الصباح قامت باطلاق ٢١ طلقة للتحية ، وتم تبادل الزيارات بين ضباطها ونائب الحاكم الايراني في المدينة . وفي مساء ١٤ رست السفينة في هانجام ، وفي ١٧ وصلت الى بوشهر ، وكان مفروضاً بعدها ان تقوم بزيارة البحرين غير انه رؤي العدول عن الزيارة لخطورة اقتراب سفينة لها مثل ذلك الغاطس من ساحل البحرين . وفي بوشهر — التي وصلتها يوم ١٨ — اطلقت السفينة مدافعها تحية للعلم الايراني وقام ضباطها بزيارة الحاكم ، ثم عبرت الخليج الى الكويت . وهناك استقبلها الشيخ جابر — الابن الاكبر للشيخ الحاكم نظراً لغياب والده — استقبالا حسناً ، ولدى هبوطها الخليج رست على مرمى النظر من الدوحة بقطر ، وزارت ساحل عمان المتصالحة في ٢٢ يونيو ، وطافت حول مسندم في مساء ٢٣ . وفي خليج عمان رست السفينة خارج بديه في اقليم الشمالية ، وختمت جولتها يوم ٢٥ بانزال ميجور كوكس في مسقط . والواقع ان مشهد هذه السفينة الرائعة قد ترك انطباعات عميقة في كل مكان زارته .

وكان الرد المباشر على جولة السفينة الروسية « اسكولد » في الخليج في ديسمبر سنة ١٩٠٢ هو اصدار الاوامر — في الشهر التالي — بزيارة الخليج لسفينة صاحب الجلالة « رناون » — وهي سفينة مقاتلة من الطراز الاول كان على ظهرها دوق كونوت قاصداً دلهي لحضور حفلات التتويج وكانت في ذلك الوقت غير مرتبطة بمهام اخرى . ولسنا مبالغين لو قلنا ان مياه الخليج لم تحمل من قبل سفينة كهذه . خرجت « رناون »

من بومباي في ٢٥ يناير سنة ١٩٠٣ فزارت مسقط وبوشهر ولنجة وبندر عباس وجاشك ، لكنها لم تستطع زيارة الكويت لاستحالة رسو غاطسها الضخم في مياهه ، واستقبل سلطان مسقط ونائب الحاكم الايراني في بندر عباس وغيرهما من كبار المسئولين على ظهرها .

أما التفاصيل الكاملة للجولة التاريخية التي قام بها لورد كيرزون في الخليج فسنذكرها في مكان تال .

★ ★ ★

البحرية البريطانية والاجراءات العسكرية
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥



تنظيمات البحرية البريطانية في منطقة الخليج :

حين كانت الحكومتان البريطانية والهندية تدرسان بعناية مشكلة الاستعدادات الدائمة التي يجب ان تكون عليها البحرية البريطانية في الخليج لمواجهة الطوارىء الضرورية ، ظهرت ايضاً مشكلة التنظيم العادى للامدادات والاشخاص ـ في زمن السلم ـ وكان لا بد من بحثها .

فحسب الاتفاقية المبرمة في ١٨٩٥ والتي تحددت مدتها بعشر سنوات تنتهي في ٣١ مارس سنة ١٩٠٦ ، وبالنظر الى اتفاقية المعونة التي كانت حكومة الهند تدفع بمقتضاها ضريبة سنوية قدرها ١٠٠ الف جنيه انجليزي ـ وضعت اربع سفن من البحرية الانجليزية تحت تصرف حكومة الهند لتنفيذ المهام الخاصة في المياه المحلية .. من هذه السفن الاربع قاربا مدفعية وطرادتان ، خصص منها قارب المدفعية « سفنكس » للخليج ، لتنفيذ الخدمات التي بني اصلا للقيام بمثلها . لكنه ثبت من الناحية العملية

ان سفينة واحدة لا تكفي اعمال الخليج .. وطوال المدة من ١٨٩٧ الى ١٩٠٢ كان عدد سفن صاحب الجلالة الموجودة في الخليج على مدار العام يتراوح بين سفينتين وثلاث . وفي سنة ١٩٠٢ وبالنظر الى رغبة الانجليز في إحكام سيطرتهم واشرافهم على خليج عمان منعاً لتصدير الاسلحة والذخائر من مسقط الى الساحل الايراني فقد اوصت حكومة الهند بتسليح سفينة الملاحة الهندية « لورانس » واعدادها للعمل حين الطلب الى جانب سفينة صاحب الجلالة « سفنكس » وغيرها من سفن البحرية البريطانية ، واوصت ايضاً بضرورة وضعها لاغراض القتال تحت اوامر سلطات الامبرالية ... ولكن حكومة صاحب الجلالة رأت أن مثل هذا العمل ينطوي على مشكلات قانونية ومصاعب أخرى لذلك لم ينفذ .

وفي سنة ١٩٠٣ قدمت الامبرالية في سبيل زيادة كفاية البحرية البريطانية بشكل عام اقتراحاً وافق عليه وزير الدولة لشئون الهند كما وافقت عليه حكومة الهند ايضاً لانه لم يكن يتضمن اية زيادة في المبلغ السنوي الذي تدفعه . كان هذا الاقتراح يرمي الى انشاء اسطول صغير مكون من ثلاثة قوارب مدفعية يكون قاصراً على الخدمة الدائمة في مياه الخليج واستثناء المراكب الكبرى من العمل المنتظم في الخليج نظراً لان غاطسها الضخم يحدد استخدامها ، وان يقوم اسطول شركة الهند الشرقية بجولة سنوية اثناء فترة برودة الجو في الخليج ، وبهذا يتيح لقوارب المدفعية الدائمة ان تعود للهند من اجل الصيانة واجازة بحارتها . وكان من نتائج هذا الاقتراح انقاص عدد السفن المخصصة لحكومة الهند من اربع ، اثنتين كبيرتين واثنتين صغيرتين ، الى ثلاث فقط كلها صغيره ، غير ان حكومة الهند كانت ترى ان حماية الخليج امر له من الاهمية بالنسبة لها بما يبرر الغاء سفن الخدمات الخاصة في المواقع الاخرى . وفي اكتوبر سنة ١٩٠٤ وضعت هذه الترتيبات موضع التنفيذ ، واصبح في الخليج ثلاث سفن مدفعية : « سفنكس » و حمولتها ١١٣٠ طناً ،

« لاب ونج » وحمولتها ٨٠٥ اطنان ، و « مارلين » وهي احتياطي موقت وبديل لسفينة صاحب الجلالة « ردبريست » وحمولتها ٨٠٥ اطنان . وسحبت من الخليج السفينتان « فوكس » وحمولتها ٤٣٦٠ طناً ، « بوسيوس » وحمولتها ٢١٣٥ طناً . وانقص عدد الضباط والبحارة الاوربيين العاملين على ظهر سفن الخليج الحربية من حوالي ٧١٦ رجلا الى حوالي ١٢٤ . وهو تخفيض يعزى في الدرجة الاولى الى ابدال الاوربيين بآسيويين ، وحددت المياه التي يمارس فيها هذا الاسطول عمله بخط تصوري يمتد من عدن جنوبي سوقطرة الى بومباي . ورتبت الامور بحيث تعود كل من السفن بدورها — خلال اشهر الصيف الخمسة — الى كولومبو للتغيير والتدريب . وكانت موافقة حكومة الهند على هذه الاقتراحات التي اقترحها القائد العام للبحرية موافقة موقتة فقط ، فرفعت الى وزير الدولة اقتراحاً باستبعاد خليج عدن (باستثناء سوقطرة) من مجال خدمة السفن الهندية ، وباضافة سفينة خاصة ذات غاطس مضيء للعمل فيما جاور جزر البحرين وفي الخلجان والمياه الضحلة على رأس الخليج ، تعويضا عن قارب المدفعية المستغنى عنه هناك . واكدت حكومة الهند بأن منطقة الخليج بحاجة دائمة لثلاث سفن : واحدة لمطاردة القراصنة في موسم التمور على رأس الخليج ، والاخرى لخفر شواطىء اللؤلؤ والضحلة حول جزر البحرين ، والثالثة لمراقبة المياه بين مسقط وبندر عباس .

وفي ابريل سنة ١٩٠٥ قدمت قيادة البحرية البريطانية مشروعاً جديداً . يقضي بانهاء الاجراءات المطبقة عندئذ والعود بالواجبات التي تقوم بها بحرية صاحب الجلالة في مياه الهند الى البحرية الملكية الهندية ، وتسليم السفن : « سفنكس » و « لاب ونج » و « ردبرست » الى البحرية الهندية لضمها الى سفنها . ولم تقبل حكومة الهند هذا المشروع ، برغم بعض مزاياه المتمثلة في زيادة اشرافها على جزء من القوة البحرية في المياه الهندية ، وتكوين جهاز من الضباط لهم كفاءات محلية ، ورفع

مكانة البحرية الهندية . اذ ان هذا كله لا يعادل فقدان مكانتها في الخليج ، التي تظهر فيه عادة سفن حربية لدول اوربية اخرى ، الى جانب انقاصه عموماً لفعالية القوة البحرية ، وما يؤدي اليه من تضحية ببعض المصالح الهندية التجارية ، واقلال من التعاون بين البحرية الملكية البريطانية والبحرية الهندية ، الى جانب مشاكل تنظيم اجازات البحارة الهنود والمحافظة على صحتهم ، واستيلاء البحرية الانجليزية على مصالحهم المباشرة في الخليج . لهذا كله تمسكت حكومة الهند بالرأي الذي سبق ان ابدته في سنة ١٩٠٢ بأن الحل الوحيد للمشاكل في الموقف كله هو تسليح سفن خاصة من البحرية الهندية تعتبر عند الضرورة سفناً ملحقة بالبحرية الانجليزية وليس بديلة عنها . وهكذا لم يقبل مشروع القيادة البريطانية ، وظل العمل باجراءات سنة ١٩٠٤ قائماً ، ولم تجهز السفينة ذات الغاطس المضيء التي اقترحتها حكومة الهند على اية حال .

وفي يونيو ١٩٠٣ كلفت القيادة البحرية الانجليزية ممثلي بريطانيا السياسيين في كل من بوشهر ومسقط وبندر عباس ولنجة بأن يخطروها تلغرافياً في المستقبل عن وصول ورسو واقلاع كل سفينة اجنبية تحمل مقاتلين او امدادات او ما يتعلق بذلك في موانيهم .

وتم حل مشكلة طلقات التحية التي تطلقها سفن البحرية البريطانية في الخليج في سنة ١٩٠٠ وصدقت حكومة صاحب الجلالة على الجدول التالي :

المناسبة	التوقيت	عدد الطلقات
عيد ميلاد صاحبة الجلالة الملكة (في كل مكان من الخليج)	ظهر يوم ٢٤ مايو من كل سنة	٣١
يوم اعلان جلالتها امبراطورة للهند (في كل مكان من الخليج)	ظهر يوم أول يناير من كل سنة	٣١
يوم ميلاد صاحب الجلالة شاه ايران (في الموانى الايرانية فقط)		٢١
زيارة رسمية يقوم بها صاحب السمو سلطان مسقط	لدى انتهاء الزيارة	٢١
زيارة رسمية يقوم بها صاحب العظمة حاكم بوشهر	» » »	١٧
زيارة رسمية يقوم بها المقيم السياسى في مسقط	» » »	١٣
زيارة رسمية يقوم بها الوكلاء والقناصل ورؤساء البعثات	» » »	١١
زيارة رسمية يقوم بها القنصل العام	» » »	١١
زيارة رسمية يقوم بها واحد من القناصل	» » »	٩
زيارة رسمية لشيخ الكويت	» » »	٧
زيارة رسمية لشيخ البحرين	» » »	٥
زيارة رسمية لشيخ أبو ظبى	» » »	٥
زيارة رسمية لشيخ دبى	» » »	٥
زيارة رسمية لشيخ الشارقة	» » »	٣
زيارة رسمية لشيخ عجمان	» » »	٣
زيارة رسمية لشيخ ام القوين	» » »	٣
زيارة رسمية لشيخ رأس الخيمة	» » »	٣

وبهذه المناسبة ايضاً حددت طلقات التحية التي تطلق لكل من الحاكم الايراني في المحمرة ولنجة وبندر عباس بخمس طلقات .

وفي سنة ١٩٠٢ تقرر ان تقوم مدافع البحرية باطلاق سبع طلقات تحية للمقيم البريطاني المساعد في بندر عباس ، فبرغم انه قنصل مساعد أي انه ليس واجب التحية الا ان هذا القرار اتخذ لاسباب محلية . وكانت تحية ممثل بريطانيا في مسقط — من حيث هو قنصل — سبع طلقات فقط ، لكنه — كوكيل سياسي لحكومة الهند كان يتلقى احدى عشرة طلقة ، وتقرر في سنة ١٩٠٣ بالرغم من بعض المصاعب التي اثارتها تقاليد التحية هذه مع بعض المسئولين الديبلوماسيين للدول الاجنبية ان لا يخفض عدد طلقات التحية المعتادة لهؤلاء .

القوات العسكرية والبحرية البريطانية في الخليج :

وسنجد في التذييل رقم ١ — الملحق بهذا الفصل — بياناً بمؤسسات الجيش الهندي والبحرية الهندية والقائمة في الخليج سنة ١٩٠٥ وتكاليفها . هذا وفي سنة ١٩٠٤ زيدت الحراسة للقنصلية البريطانية في ايران ، فكان هناك ١٣٠ فارساً هندياً موزعين على ١٢ قنصلية بريطانية ، الى جانب الحرس الهنود المشاة حول مختلف القواعد القنصلية والبرقية في الخليج .



الاعمال البريطانية الرسمية ذات الطابع العام أو التجارى فى الخليج ١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

المسح البحري البريطاني في الخليج :

اشرنا من قبل الى إعمال المسح البحري التي كان هدفها خدمة الاسطول الحربي أكثر من خدمة التجارة في منطقة الخليج ، غير ان أعمالا اخرى نفذت وكان لها طابع عادي ايضاً . لقد كانت المراكز التي رؤي انها مناسبة اكثر من غيرها للملاحة التجارية في منطقة الخليج هي بوشهر والكويت والبحرين ومدخل شط العرب ، كما ان مسح المدخل الجنوبي الى باسيدو ــ الذي اشرنا اليه تحت عنوان سابق ــ كان ذا هدف تجاري الى حد ما .

ميناء بوشهر :

ولقد أوصى المقيم العام في الخليج سنة ١٩٠٢ باعادة مسح ميناء بوشهر ، قاصداً بذلك اساساً التأكد من امكانية رسو البواخر الكبيرة على الميناء الداخلي في (خور الدايره) ، بسبب الحاجة للتزود بالفحم على مسافة سبعة اميال من البر . وفي سبتمبر ١٩٠٣ وافقت ايران على مشروع اعادة المسح بشرط ان يكون لها ممثل يراقب هذا الاجراءات وان يقوم موظفو الحكومة الايرانية بوضع العلامات التي يتطلب الامر وضعها على البر . وفي سبتمبر سنة ١٩٠٤ ، وقبل ان تبدأ هذه المشاريع استولت الهواجس على الحكومة الايرانية فراحت تسأل فجأة ما اذا كان هذا ينتظر منها المساهمة في نفقات المشروع ام لا . وتلقت رداً بالنفي ، لكنها عادت في الشهر التالي فأكدت انه مهما كانت نتيجة ذلك المسح ، فهي لن تقوم بتعميق ميناء بوشهر ، ولن تسمح لحكومة الهند ان تقوم بذلك ، واختيرت سفينة المسح « انفستجيتور » التابعة للبحرية الهندية بقيادة همنج

لتنفيذ المهمة . وغادرت السفينة بومباي في اكتوبر سنة ١٩٠٤ واتمت عملها في ٢٢ نوفمبر من نفس السنة . واوضحت النتائج ان ميناء بوشهر لم يكد يدخل على تصميمه اي تعديل منذ سنة ١٨٥٧ ، وان تعميق المرسى الداخلي والطريق المؤدية اليه من البحر لاستعمال السفن ذات الغاطس الثقيل امر لن تكون له قيمة كبيرة طالما ان حاجز شط العرب يحدد حجم السفن المستخدمة في الخليج ، كما اوضحت النتائج ان حفر قنال السفن ذات الحجم المتوسط من المرسى الداخلي حتى رصيف خور سلطاني امر مفيد وتنفيذه ليس بالغ الصعوبة في نفس الوقت . وقد تم مسح ذلك الجزء من الميناء بين خور دايره وخور سلطاني بدقة وتفصيل أكثر من الباقي ، غير انه لم ترسم للميناء خريطة تفصيلية كبيرة تلافياً لاثارة شكوك المندوب الايراني .

ميناء الكويت :

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ نصح القائد كمب (بكسر الكاف) باعادة مسح ميناء الكويت ، فوافقت حكومة الهند على اقتراحاته بهذا الصدد ثم صدقت عليها حكومة صاحب الجلالة . وفي صيف سنة ١٩٠٤ — وبموجب اتفاقية جديدة — بدأت البواخر البريطانية تفد الى ميناء الكويت . وفي نوفمبر من نفس السنة بدأت سفينة البحرية الهندية «انفستجيتور» عملها في مسح الميناء بعد ان فرغت لتوها من بوشهر ، لكن عملية المسح هذه اوقفها وباء خبيث ألمّ ببحارة السفينة واصاب ٣٤ رجلا من ٧٠ فتحتمت عودتها الى بومباي في ١٢ ديسمبر . ورجعت السفينة مرة أخرى الى الكويت في نهاية فبراير سنة ١٩٠٥ لكن عملية مسح الميناء كانت متعذرة التنفيذ قبل نهاية موسم العمل وعلى اية حال فهي لم تنته الا بعد عامين من ذلك التاريخ . واثناء عملية المسح اتخذت اجراءات للتأكد مما اذا كان يمكن تحسين مراسي القوارب في المدينة التي كانت تجف اثناء جزر المياه ، لكن وجد ان التحسين المطلوب غير ممكن بغير مد حاجز الامواج لمسافة ربع ميل داخل البحر ، وهي

عملية لم يكن احد يستطيع التنبوء عما اذا كانت نتائجها تبرر ما ينفق عليها . على ان هذه العملية ـ ادت الى حسن التعرف على مزايا ميناء الشويخ ، وهو ميناء جيد الحماية وصالح للملاحة يبعد ثلاثة اميال غربي المدينة ، وفي مايو سنة ١٩٠٥ شرعت حكومة الهند في اقامة منارة بحرية على نفقتها الخاصة في رأس الارض ليهدي السفن المتجهة الى خليج الكويت بدل المنارة القديمة التي كانت الشركة البريطانية للملاحة البخارية في الهند قد اقامتها هناك . ولم يسمح الاتراك لمسح الانجليز لميناء الكويت بالمرور دون اعتراض ، بل كان يصحب احتجاجاتهم هذه المرة تشويه مغلوط للحقائق واتهامات بالدسائس السياسية .

حاجز شط العرب :

وفي يوليو سنة ١٩٠٤ اقترح القائد العام للاسطول تعديل وضع عوامات ارشاد السفن التي كانت الشركة البريطانية للملاحة في الهند قد اقامتها لتحدد للسفن مدخل شط العرب على ان تتحمل حكومة الهند مستقبلا تكاليف العوامات الجديدة . ووفقاً لذلك ... قامت السفينة « انفستجيتور » بتعديل مكان العوامة الموجودة على الحاجز وعوامتين داخليتين ودفعتهما ناحية الشرق لتحدد مجرى القناة الاكثر عمقاً في الشط ، وودت حكومة الهند ـ لخشيتها من المشاكل الدولية ـ ان تستولي على هذه العوامات من الشركة البريطانية للملاحة ، وكانت الاخيرة متلهفة لتسليمها للحكومة بشروط خاصة .

خور القليعة بالبحرين :

واستخدمت سفينة صاحب الجلالة « ردبريست » بقيادة القائد هـ. ب. ت. سومرفيل في شتاء ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ لفحص خليج خور القليعة في جزيرة البحرين . وكان من المؤمل ان يكون به تسهيلات للملاحة اكثر من المتوفر منها في ميناء المنامة . وقد كشف هذا المسح عن صعوبة المدخل ورخاوة المرسى . ولم تتخذ اية خطوات لاستغلال

الخليج أكثر من اقامة منارة دائمة لتحديد مدخل الميناء . وقامت سفينة البحرية الهندية « انفستجيتور » باعادة مسح ميناء المنامة وما حوله في سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢ .

تأليف دليل الخليج :

أدى تزايد اهمية الخليج بعد سنة ١٨٩٩ الى ظهور الحاجة لوجود ملخص تاريخي وجغرافي لهذه المنطقة يستخدمه المسئولون السياسيون ، وأصدر لورد كيرزون اوامره بجمع مواد هذا الدليل التاريخي والجغرافي للخليج وعمان ووسط جزيرة العرب في سنة ١٩٠٣ — ، وبدأ العمل فيه في العام التالي . وفي شتاء ١٩٠٤—١٩٠٥ قام الكاتب يعاونه مستر ج. س. جاسكين الذي أصبح فيما بعد المقيم التجاري المساعد في بغداد ، والملازم س. ه. جابرييل الذي كان مرشحاً لوظيفة سياسية في حكومة الهند وتم تعيينه بها بعد ذلك ، قاموا معاً بجولة في الخليج من اجل جمع المعلومات لهذا الدليل . ومن الاماكن التي زارها الكاتب في ذلك الوقت مسقط وصحار والشارقة والبحرين والكويت والبصرة وبغداد وكربلاء والمحمرة وبوشهر وبندر عباس وجاشك ، وكان قد سبق للكاتب ان صحب لورد كيرزون في جولته بالخليج في نهاية سنة ١٩٠٣ . اما المسح التفصيلي لمختلف اقاليم الخليج لاغراض هذا الدليل فقد اتمته بعثة هندية برياسة شير جانج في شتاء ١٩٠٤ ، وقامت البعثة برسم خريطة تفصيلية كبيرة لجزر البحرين ، ولاقليم الكويت وما جاوره وما بينه وبين الحدود التركية ، ولشبه جزيرة بوشهر ، ولهذا الاقليم من عمان الذي يعبر حدود مدينتي مسقط ومطرح .

رحلات واستطلاعات يقوم بها ضباط بريطانيون من اجل هذاالدليل

كما قامت رحلات استكشافية اخرى عديدة ، بعضها كان مستقلا والآخر مرتبطاً بعمل هذا الدليل ، ففي ١٩٠١ قام كابتن ب. ز. كوكس وكان حينئذ الوكيل السياسي في مسقط ، يصحبه ضابط من قوة المخابرات

العسكرية في سيملا — هو الكاتب هـ. هـ. داودنج بجولة في وادي. طاعن في سلطنة عمان من البحر حتى رأس الوادي ، وعادا الى مسقط عن طريق وادي سمايل. وفي ١٩٠٢ قام ميجور كوكس — دون ان يصحبه اوربي واحد هذه المرة — بجولة طولها ٤٠٠ ميل عبر عرض عمان من أبو ظبي الى مسقط ، وحصل على معلومات جديدة عن اقليمي الظاهرة وعمان انفسها ... وكان ميجور برتون ، نائب قنصل صاحب الجلالة ملك بريطانيا في المحمرة هو اول من تعرف على نهر الجراحي في اقليم عربستان والذي كان مجهولا حتى ذلك الوقت (١٩٠٤) كما قام أيضاً بابحاث في جغرافية اقليم الفلاحية وطبيعة الارض المجاورة لخور موسى . وفي العام التالي سافر اثنان من علماء التاريخ الطبيعي الى اقليم عربستان .. هما كولونيل بيل وارد ومستر وورتام كما قام الملازم د. ل. ر. لوريمر ، نائب قنصل صاحب الجلالة في الاهواز ، باستطلاعات مفيدة ايضاً في عربستان في سنة ١٩٠٤ وما بعدها . وفي شتاء ١٩٠٥— ١٩٠٦ قام ميجور ب. ر. كوكس بعدة رحلات مفيدة وهو في منصب المقيم السياسي للخليج لحل مشكلات طبوغرافية تتعلق بالدليل وقد زار فيها ديلم بهبهان والنهر الهندي ومعشور ونهر الجراحي والبوزية والفلاحية والبهمنشير وقوبان ، وحدد في رحلاته هذه بدقة مجرى النهر الهندي والقى الضوء على ارتباط خليج خور موسى الهام بنهر قارون والبهمنشير ، وكانت هذه المواقع جميعاً غير مفهومة بوضوح قبل رحلته. كما قام براً برحلة من رأس الخيمة الى صحار عبر البريمي ، وصحبه في هذه الرحلة الملازم س. أ. سكوت من البحرية الهندية ، كي يحدد بدقة مكان واحة البوريمي التي نجدها موضوعة خطأ على كل الخرائط . وفي ١٩٠٥ قام كابتن نوكس ، الوكيل السياسي في الكويت ، بجولة طويلة جنوبي هذا المكان ، وفي العام التالي قام نفس الضابط برحلة وصل فيها الى حفار وهي معلم من المعالم الهامة على مبعدة ١٦٠ ميلا من الكويت ، ولم يسبقه الى هذا المكان رحالة اوربي رغم ان كثيرين تحدثوا عنه .

وبين سنة ١٩٠٣ و ١٩٠٥ استطاع المسئولون السياسيون بما جمعوه من معلومات من الاهالي ان يحققوا معرفة جغرافية كاملة بكثير من الاقاليم المجهولة الواسعة في شرقي جزيرة العرب ، وقد قام بدور ضخم في هذه المهمة الصعبة كابتن برايدكس الوكيل السياسي في البحرين ، وميجور كوكس المقيم السياسي في الخليج .

الاستطلاعات الجيولوجية في الخليج :

وقام مستر جي. بلجريم من مكتب الابحاث الجيولوجية الهندية بمسح جيولوجي شامل لساحلي الخليج ، كما قام بمزيد من الابحاث لتحديد أماكن وجود المعادن فيها ، وأتم هذا العمل خلال شتاء ١٩٠٤–١٩٠٥ وسنجد نتائجه ملخصة بقلم الباحث نفسه في احد ملاحق هذا الدليل . ويبدو ان دكتور فون كرافت ودكتور اولدهام من المكتب الجيولوجي الهندي كانا قد قاما بدراسة عملية للفحم في الأقليم الممتد في عمان وراء صحار سنة ١٩٠١ .

الابحاث الاثرية :

واهتمت حكومة الهند ايضاً بتكوينات عصور ما قبل التاريخ في جزر البحرين ، فاتخذت الترتيبات لاستخراج عينات من هذه التكوينات ودراستها ، كما قامت ايضاً بارسال بعثة للتنقيب عن الآثار القديمة بالقرب من جناوه على الساحل الايراني .

الملاحة البخارية البريطانية وما يتعلق بها من خدمات في الخليج :

ولقد كان الاسراع في تحسين خدمات البريد بالسفن البخارية سنة ١٩٠٤ من ابرز الانجازات الهامة لهذه الفترة ، وجاء هذا التحسين نتيجة زيادة الاعانة التي كانت تتلقاها شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية من اجل ايجاد خط سريع للبريد الى جانب خط الشحن البطيء . وقد بلغ قدرهذه الزيادة – التي تحملتها كلها حكومة الهند – مبلغ

٣٠٠ الف روبية في السنة ، وحدد متوسط السرعة للخط السريع بـ ١٣ عقدة في الساعة ، والبطيء بثماني عقد . واصبحت الكويت للمرة الاولى من الموانى التي تقف عليها بواخر الشركة ، كما ان بواخر الشركة أصبحت تزور دبي بانتظام مع انها لم تكن داخلة في جدول الرحلات .

وكانت حكومة الهند تدفع اعانة بريدية قدرها ٢٤ الف روبية في كل سنة لشركة دجلة والفرات الملاحية لتسيير خط بريدي منتظم كل اسبوع بين البصرة وبغداد وبالعكس وذلك لمدة عشر سنوات تبدأ من ١٩٠٤ .

التلغراف البريطاني في الخليج :

وتميزت هذه الفترة ايضاً بامتداد اول خطوط للبرق في الخليج ، على نطاق واسع لاول مرة منذ سنة ١٨٦٩ ، وقد املت ذلك اعتبارات سياسية واستراتيجية فضلا عن المزايا التجارية .

خط تلغرافي بين جاشك ومسقط :

وعولج النقص في اتصال مسقط بالعالم الخارجي باجراءات سريعة ، فمد اول خط تلغراني بين جاشك ومسقط بدأ العمل به في نوفمبر سنة ١٩٠١ . ورغم ان هذا المشروع قامت به اساساً حكومة صاحب الجلالة الا انها لم تدفع من ميزانيتها اية اعانة لحكومة الهند من اجل تنفيذه .

ربط بندر عباس تلغرافياً :

ومشروع آخر كان اهم من الاول واخطر بدأته حكومة الهند سنة ١٩٠٠ مع هذا الاول ، غير ان اجراءاته تلكأت قليلا بالنظر الى رفض حكومة صاحب الجلالة المساهمة في تكاليفه من ناحية ، ولبعض العقبات الفنية من الناحية الاخرى . وكان هذا المشروع يهدف الى ادخال بندر عباس ضمن شبكة الخطوط التلغرافية للخليج ، وكانت خطة المشروع ان يلتف خط من الخطوط الموجودة بين جاشك وبوشهر حول

خليج بندر عباس ، ولكن في ١٩٠٢ اقترح القائد العام للاسطول ان يمتد الاتصال التلغرافي الى باسيدو ، عن طريق كابل ارضي في هانجام التي كانت مركز تلغراف بريطاني من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٠ . ومن هانجام يمتد فرع الى بندر عباس ، واخيراً قبلت حكومة صاحب الجلالة هذا المشروع البديل بناء على نصيحة لورد كيرزون الذي زار هانجام في سنة ١٩٠٣ .

وفي ابريل سنة ١٩٠٤ مد احد خطوط بوشهر حول الجزيرة ، وأعيد تشغيل محطة التلغراف فيها دون ابلاغ الحكومة الايرانية حسب نصوص امتياز سابق منها كان ما يزال قائماً . وبعدها في مايو سنة ١٩٠٥ استطاع وزير صاحب الجلالة في طهران استصدار تصريح من الشاه بمد خط في هانجام يكون جزءمنه « هوائي » (عبر جزيرة قشم) والآخر تحت الماء الى بندر عباس . وكان المقرر ان يشغل الخط موظفون ايرانيون وان يعود الى ملكية ايران ، متى تممت الاخيرة دفع كامل اقساط تكاليفه.

خط التلغراف الايراني المركزي :

وبالاضافة الى وسائل الاتصال التلغرافي بين ايران والهند ، انشىء في سنة ١٩٠٢ خط تلغراف ايراني مركزي غير ان اثره على الخليج كان ضئيلا .

رسوم التلغراف البريطاني في اقليم مكران الايراني :

وفي ١٨٩٩ حدث تغيير هام فيما يتعلق بمعونات التلغراف التي كانت تدفع للرؤساء المحليين في اقليم مكران الايراني مقابل حماية الخطوط الممتدة في اراضيهم . وكان جوهر التغيير هو اعادة توزيع تلك الضرائب على قاعدة اوسع ، فبعض الرؤساء الصغار في المناطق الملاصقة للساحل كانت خدماتهم الآن مطلوبة ولذا اضيفوا الى قائمة المنتفعين بالاعانات ، ونقص بالتالي نصيب الرؤساء الكبار في الاقاليم الداخلية .

بعثات تجارية بريطانية الى منطقة الخليج :

ونظراً لتزايد النشاط التجاري من جانب الدول الأجنبية في ايران ومنطقة الخليج ، فقد وجهت حكومة صاحب الجلالة وحكومة الهند اهتماماً خاصاً للتجارة البريطانية والهندية في المنطقة ، وارسلت بعثتان تجاريتان لدراسة المشكلات التجارية على الطبيعة .

بعثة مستر ماكلين :

فاما البعثة الاولى فقد اوفدها من انجلترا المكتب الاستشاري للتجارة والمخابرات التجارية ، وكان يرئسها مستر ﮬ. و. ماكلين الذي كان منذ زمن غير بعيد مدير البنك الامبراطوري في ايران ، والذي شهدت له خبرته بايران ومعرفته الوثيقة باحوال التجارة فيها بكفاءة توءهله لرئاسة البعثة . وغادر مستر ماكلين انجلترا في بداية سنة ١٩٠٣ ، ونزل في بومباي في طريقه الى ايران ، وطلب الى حكومة الهند ان تقدم اليه كل العون الذي تستطيعه ، فاستجابت لهذا الطلب بحماسة واقترحت عليه ان يولي أعظم اهتمامه لتجارة الشاي والبن والنيلة والمصنوعات القطنية الهندية الى جانب المسائل العامة المتعلقة بالتعرفة الجمركية الايرانيه وآثارها على التجارة ، وان يعمل على ايجاد معدلات للتعرفة وفق القيم لمنتجات البلاد المختلفة ، اذ كان المطبق خطأ آنذاك وضع تعرفة واحدة على مختلف درجات النسيج وانواعه مثلا مما تختلف اثمانها اختلافاً واسعاً . وقام مستر ماكلين في نطاق التعليمات التي لديه بزيارة مراكز التجارة الرئيسية فيشبه جزيرة العرب التركية وايران بما فيها بندر عباس وبوشهر والبصرة وبغداد وكرمان شاه وهمدان وتبريز وطهران واصفهان .

وحين قارب العودة من اصفهان متجهاً الى لندن صدرت اليه اوامر جديدة بأن يتجه في طريق عودته الى مسقط حيث كانت تقيم بها منذ فترة طويلة بعثة تجارية من « اتحاد التجار الفرنسيين في آسيا » ، وكتب مستر ماكلين ثلاثة تقارير ضافية وقيمة . الاول بتاريخ ٥ ديسمبر سنة

١٩٠٣ من طهران ، وهو خاص بالتعرفة الجمركية الايرانية الجديدة ، والثاني أكمله في راشت بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٠٣ ويتناول فيه كل جوانب التجارة البريطانية في ايران ، والتقرير الثالث خاص بعمان وعمان المتصالحة والبحرين والكويت ، ويضم نتائج ابحاثه في هذه المناطق بعد توسيع نطاق بعثته ، وقد ارسل الى لندن بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٩٠٤.

بعثة مستر نيوكومن :

وارسلت البعثة التجارية البريطانية الثانية من الهند تحت اشراف الحكومة الهندية ، وكانت تابعة لبعثة مستر ماكلين ، واقتصر عملها على منطقة جنوب شرقي ايران التي كانت خارج نطاق بعثة ماكلين لكنها كانت ذات اهمية خاصة بالنسبة للتجارة الهندية .

وكان ميجور ب. م. سايكس ، قنصل صاحب الجلالة في كرمان ، هو الذي اقترح ارسال هذه البعثة ووضع بنفسه خطتها وقام بكل الترتيبات اللازمة لها في ايران وأجّل اجازة كانت مستحقة له ليحقق للبعثة أكبر نجاح ممكن . وتقاسمت نفقات هذه البعثة الحكومة الهندية بالاشتراك مع الغرفة التجارية للهند العليا والبنغال . وقد استشيرت الغرفة التجارية لبومباي وكراتشي ايضاً بشأن البعثة لكنهما اعتذرتا عن القيام بمشاركة ايجابية فيها ، واخيراً تم تشكيل البعثة برياسة مستر أ. كليد او نيكومن يعاونه مستر لوفمان ومستر ريان ، وكان نيكومن — الى جانب خبرته الطويلة لمدة سبع سنوات كواحد من اكبر مزارعي الشاي في الهند — يتمتع بخبرة أخرى بانواع التجارة الشرقية المختلفة ، وقد اعترفت به الحكومة الهندية في ٨ اكتوبر سنة ١٩٠٤ رئيساً للبعثة وممثلا لغرفة الهند العليا والبنغال التجارية ومندوباً عن اللجنة الهندية لمزارعي الشاي . وتمت الترتيبات المالية على اساس ان تتكفل الهيئات التجارية ذات المصلحة في ايفاد البعثة بدفع مرتب المبعوثين لمدة ستة أشهر الى جانب ثمن العينات التجارية التي سيأخذونها معهم ، كما كان على

حكومة الهند دفع تكاليف الانتقال من ايران واليها ، وتكاليف رحلتهم داخل الارض الايرانية مع ما يتكلفونه من خيام واثاث وخيل ... الخ .

وابحرت البعثة من بومباي في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠٤ ، ووصلت بندر عباس في ٢١ منه ، وهناك ظلوا في الحجر الصحي حتى مساء يوم ٢٤ . ورغم ان الترتيبات كانت قد اعدت مع الحكومة الايرانية لتقديم مختلف التسهيلات للبعثة ، الا ان افرادها لقوا معاملة سيئة ومهينة من مستر كاترسل مدير الجمارك البلجيكي في بندر عباس .. لكن هذه المعاملة لم تتكرر ابداً طوال رحلة البعثة في ايران ، وقد لاحظت الحكومة الايرانية تصرفات كاترسل ، وبعدها بقليل ، ونتيجة شكوى الوزير البريطاني امر الشاه بابعاده من بندر عباس وتعيينه في وظيفة اخرى . وقد استقبلهم في بندر عباس خان بهادور أصغر علي ، القنصل البريطاني المعين في بام ، وصحبهم في الطريق المساعد الطبي تفضّل علي — الذي وضعته حكومة الهند في خدمتهم ، وصحبتهم كوكبة من حرس الفرسان الهنود كانوا في سبيلهم لقضاء اجازتهم في كرمان ، كما رافقهم ايضاً حرس عسكري ايراني . ومن بندر عباس سافرت البعثة الى سعد اباد فوصلتها في ٢٥ نوفمبر ، واستقبلها ميرزا رضا خان الذي ارسلته الحكومة الايرانية للقائهم خارج طهران . وفي ٢٧ نوفمبر انضم اليهم ميجور سايكس ، وفي ١٦ ديسمبر وصل الجميع الى كرمان .

وكان مقرراً ان تسافر البعثة من كرمان الى سجستان ومنها تعود الى جوادر على الساحل عبر ماجس وكوهاك . ولكن تبين ان هذا الطريق لن يكون مريحاً فتعدّل سير الرحلة بعد موافقة حاكم الهند ، واقتصرت عمليات البعثة في اقليم بلوخستان على جولة من كرمان الى بام وجيروفت ، ثم وصلت البعثة بام في ١٤ يناير سنة ١٩٠٥ وعادت في ٢٠ يناير الى كرمان ، ومن كرمان سارت الى يزد فبلغتها في ١٦ مارس وشيراز في ١٨ ابريل ، ومن شيراز عادت البعثة بالطريق المألوف الى بوشهر ومنها ابحرت الى الهند في ١٩ مايو .

وفي كرمان مرض مستر لوفمان ومستر ريان بالحمى ، وفي يزد التوت قدم مستر نيوكومن ، وفي ٣١ مارس اطلقت النار على طليعة البعثة المتقدمة في مهر اباد بين يزد وشيراز وجرح احد الفرسان الايرانيين المرافقين لها جراحاً خطيرة .. وكانت هذه هي اهم العقبات التي واجهت مستر نيوكومن وبعثته .

واقتصر عمل البعثة على الشئون التجارية فقط ، وفي هذه لقيت عون المسئولين في القنصلية البريطانية . وكانت علاقات المسئولين الايرانيين بالبعثة ودية اينما حلت ، وفي غير مكان واحد استقبلت بجفاوة بالغة . لكن ممثلي روسيا في ايران بذلوا كل جهودهم للايهام بأنها بعثة سياسية وراءها أهداف خبيثة . وتلقى وزير صاحب الجلالة في طهران ذات مرة شكوى تزعم ان اعضاء البعثة كانوا يلتقطون الصور الفوتوغرافية ويرسمون الرسوم التخطيطية ، وانهم افصحوا عن اهتمام بالغ بقوة الجنود الايرانيين وتسليحهم ، وان اعضاء البعثة ليسوا الا ضباطاً عسكريين ، لكن ضمانات المسئولين البريطانيين انهت كل شيء بالنسبة للحكومة الايرانية .

كانت هذه البعثة ناجحة وفق كل مقاييس النجاح . فقد استطاعت تجميع قدر هائل من المعلومات التجارية المفيدة بفضل كفاية مستر نيوكومن وحماسته للعمل ، وعرضت السلع البريطانية — خاصة الشاي — واعلن عنها في اسواق جديدة كل الجدة .. ثم ان هذه الجولة الطويلة التي قطعت اكثر من ١٧٩٠ ميلا — قد القت الاضواء الكثيرة على حالة التجارة واوضاعها العامة في جنوب ايران .

أعمال مختلطة للبريطانيين في الخليج
١٨٩٩ ـ ١٩٠٥

الاجراءات البريطانية لضمان الامن البحري في الخليج :

لم تضطرب الحالة في البحار خلال هذه الفترة اضطرابا ملموساً الا على سواحل قطر والحسا وشط العرب ، اي في تلك المناطق من الخليج التي كانت تحت الحماية التركية او كانت تركيا تزعم انها تحت حمايتها .

خارج قطـــر :

فقد وقعت عدة غارات للقراصنة على الساحل المواجه لقطر حيث كان الهدوء قد ساد مدى عدة سنين وذلك في سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٠ ، لكن ضغط الانجليز على شيخ قطر ، رغم زعمه ألا حول له ولا قوة ما دام الاتراك يحتلون الدوحة ، قد أدى الى ايقاف مثل الاعمال المذكورة .

وعلى طول ساحل الحسا ، وبعد ان ظلت هذه المنطقة ايضاً هادئة سنين طويلة ، حدثت في سنة ١٨٩٩ غارة قرصنة رهيبة ، ومن يومها حتى نهاية هذه الفترة ظلت الامور في هذه المنطقة مضطربة اضطراباً شديداً . وكان زعيم القراصنة عضواً مطروداً من الاسرة الحاكمة في البحرين تربطه علاقة قرابة بقبيلة عربية قوية على الساحل . ولم تنفع احتجاجات السلطات البريطانية المسئولة ، فالمسئولون الاتراك في المنطقة كانوا إما يتجاهلونها او يردون على المتقدمين بها رداً متعجرفاً لا يبالي . وقامت سفينة صاحب الجلالة « سيفنكس » بزيارة القطيف سنة ١٩٠٢ لكنها لم تحقق نتائج مرضية ، وفي اواخر هذه السنة قبض الاتراك على القرصان الذي اشرنا اليه ، لكنهم مكنوه من الهرب ، سواء عن عمد او غير عمد ـــ وعاد نشاطه مرة اخرى يهدد المنطقة ، وفي سنة ١٩٠٥ قام

الوكيل السياسي البريطاني في البحرين بزيارة القطيف مرتين ، وقابل المسئول التركي هناك لكنه لم يستطع التوصل لاية نتائج .

في شط العرب :

أما في شط العرب ، فبعد عامين من الهدوء بدأت عمليات القرصنة تشتد في سنة ١٩٠٠ في النهر وقرب مصبه ، وحدثت عدة غارات بعضها بالغ الخطورة ، وكانت الضحايا في أغلب الاحوال سفناً انجليزية او هندية او بحرينية او ايرانية ، وبذل البريطانيون جهوداً كثيرة لحث الايرانيين والاتراك على القيام بعمل مشترك لوقف تلك القرصنة ، كما كانت السفن البريطانية تقوم في بعض الاحيان بعمل مباشر لقمعها . وابدى شيخ المحمرة بعض استجابة للمساعي البريطانية ، وفي سنة ١٩٠٥ بدأ يظهر بعض التحسن في الموقف نتيجة مجهودات الشيخ ،غير ان الرعايا البريطانيين لم يحصلوا على أية تعويضات عن الاضرار التي لحقت بسفنهم من جراء القرصنة التي وقعت لهم في اثناء ملاحتهم النهرية .

تجارة السلاح وقمع البريطانيين لها في الخليج :

وقد ازدادت تجارة الاسلحة والذخائر ازدياداً خطيراً ، وبدأت الاثار السيئة لتلك التجارة تظهر لا في منطقة الخليج فقط ، حيث كان حملة الاسلحة من رعايا تركيا وايران يسهمون في تقويض حكومتي بلادهم في الاقاليم ، بل وظهرت ايضا على الحدود الشمالية الغربية للهند البريطانية . فالى هناك كانت تنقل الاسلحة بكميات ضخمة من الخليج عن طريق القبائل التي تقيم في الهضاب ، وزاد هذا من صعوبة السيطرة على حدود هي صعبة بطبيعتها . ومن وقت لآخر كان تجار الاسلحة يغيرون الطرق التي يسلكونها ، لكنه مع مرور الوقت اصبحت طرقهم أقرب للثبات واكثر انكشافاً بحيث سهل تتبعها وفهمها بالتالي ، وكانت اهم مناطق تصدير السلاح هي مسقط ، حيث كانت المعاهدات العديدة

بينها وبين دول اوروبا وامريكا تجعل التجارة حرة ومباحة ، وكان امراً غير عملي ان يضمن قبول فرنسا — الدولة الاوربية الثانية بعد بريطانيا من حيث اتساع المصالح في مسقط ـ لاي تعديل من جانب سلطان عمان في ارتباطاته ومعاهداته التي قد تمكّن الحاكم من استبعاد تلك التجارة من اراضيه . وكانت القاعدة الثانية لنقل السلاح هي الكويت حيث اصدر شيخها حظراً اسمياً على تجارة السلاح حسب نصيحة الانجليز في سنة ١٩٠٠ لكن هذا الحظر ظل اسمياً فقط . وكانت الكويت هي السوق الرئيسية التي يحصل منها المتحاربون في وسط الجزيرة والعراق التركي على حاجاتهم من السلاح والذخيرة . وقد صدر قانون بحظر هذه التجارة في عمان المتصالحة سنة ١٩٠٢ ، الامر الذي حصر الصعوبة الباقية في الحيلولة دون تصدير الاسلحة من مسقط حيث لم يعد ممكناً ضمن القانون تنزيلها في أي ميناء في الخليج او خليج عمان ما عدا قطر التي لم تكن مهمة ولم يكن شيخها على علاقة بالحكومة البريطانية . واتخذت اجراءات — بمشورة سلطان عمان — لكبح تصديـر الاسلحـــة المصدرة من مسقط غير ان هذه المهمة كانت عملا ميئوساً منه كل اليأس.

اما على الساحل الايراني فلم تكن الاجراءات الرادعة مستحيلة تماماً ، وكانت الحكومة التركية في أحيان كثيرة تصادر السفن المحملة بالاسلحة والذخائر ، كما ان افتتاح قنصلية بريطانية في بندر عباس سنة ١٩٠٠ كانت له ايضاً اثاره في تثبيط تجار السلاح الافغانيين الذين كانوا قد بدأوا استخدام ذلك الميناء في تجارتهم . وحوالي سنة ١٩٠١ وضح ان هؤلاء التجار قد جعلوا من اقليم مكران الايراني مركزاً لنشاطهم ، وفي العام التالي تم التوصل الى ترتيبات بين الوكيل السياسي البريطاني والحاكم الايراني العام في كالات لمنع ادخال الاسلحة والذخائر الى اقليم مكران حيث كانت السوق هناك مغرقة بالاسلحة المكدسة ، الامر الذي كان يشير الى استمرار وصول الاسلحة الى هناك . كما كان يعني وجـــود تجارة بالاسلحة في الاقاليم الابعد من مكران . وكان تطور هذه التجارة

عبر مكران قد اصبح من الخطورة بمكان ، حيث ان قبائل الافغان على حدود الهند الشمالية الغربية كانوا من هذه السوق يتزودون بكميات هائلة من الاسلحة والذخائر . لهذا بحث سنة ١٩٠٥ اقتراح بقيام البحرية البريطانية بمنع تصدير السلاح من مسقط .. ولم يؤد هذا الاقتراح إلى نتيجة محددة خلال هذه الفترة التي نحن بصددها ، ولكن كان من نتيجته فيما بعد ضرب حصار بحري بريطاني على كل تجارة السلاح في خليج عمان .

تجارة الرقيق :

لقد وجهت لتجارة الرقيق ضربة قاصمة في هذه الفترة ، وكانت هذه التجارة ما تزال موجودة بضعف حتى قام البرتغاليون سنة ١٩٠٢ بعمليات واسعة ضد سفن الرقيق كان لها اثرها غير المباشر على منطقة الخليج . حيث كانت مدينة صور العمانية ما تزال تؤوى عدداً كبيراً من تجار الرقيق الذين قبض عليهم في شرق افريقيا ، فأصبحت صور ترتدي عليهم ثياب الحداد .

الاجراءات الصحية البريطانية في الخليج :

كان الطاعون الدملي ما يزال منتشراً في الهند . وكانت المسئولية الصحية عن منطقة الخليج ملقاة على عاتق السلطات البريطانية السياسية فيها لا سيما في إيران حيث عهدت الحكومة الايرانية هناك الى تلك السلطات بالسيطرة الكاملة على اجراءات الوقاية الصحية في البلاد .

في ايران :

وفي سنة ١٨٩٩ ارسل خبير طبي بريطاني من الهند الى ايران ليقاوم انتشاراً محدوداً للطاعون حدث في بوشهر ، لكن اقتراحاته استثارت ضوضاء كبيرة في صفوف الاهالي الجهلة الذين استبد بهم القلق ... فلم يمكن عمل شيء .. لكن الوباء لحسن الحظ سرعان ما خفت حدته ،

وفي سنة ١٩٠٣ وبتحريض من روسيا ، طلبت حكومة ايران فجأة نقل مسئولية الاجراءات الصحية في موانيها من ايدي الانجليز الى ايدي موظفي الجمارك الايرانيين . وفي سنة ١٩٠٤ — ونتيجة جهود طبيب في القنصلية الفرنسية ببوشهر — بذلت مساع لنسف صلاحيات طبيب المقيمية البريطانية في بوشهر لكن الاحتجاجات الشديدة المتكررة من جانب السلطات البريطانية في طهران ادت الى صدور امر الحكومة الايرانية بالا يتدخل موظفو الجمارك في عمل المسئولين البريطانيين عن الصحة في مختلف المواني .

في سلطنة عمان :

وقد كان موقف سلطان عمان فيما يتعلق بالمسائل الصحية في البداية موقفاً غير مرض ابداً بسبب صعوبات كثيرة كانت قائمة بينه وبين الحكومة البريطانية . لكنه اخيراً في خريف سنة ١٩٠٠ عهد بالادارة الصحية لميناء مسقط الى المسئول الطبي البريطاني هناك ووضع تحت امرته عدداً من المساعدين المؤهلين اتى بهم من الهند على نفقته .

في البحرين :

وظل شيخ البحرين يرفض ادخال الاجراءات الوقائية ضد الطاعون في بلاده . وفي سنة ١٩٠٠ بلغت مساوىء الجهاز الصحي الذي كان شيخ البحرين قد عينه حداً جعل حكومة الهند تصر على الغائه . وفي ١٩٠٥ وبمجرد ظهور وباء الطاعون في البحرين بادرت حكومة الهند الى اتخاذ الخطوات الضرورية لمكافحته عن طريق وكيلها هناك .

العيادات البريطانية في البحرين والكويت :

وفي سنة ١٩٠٤ افتتحت صيدلية وعيادة خارجية في الكويت تابعة للوكالة السياسية البريطانية هناك ، وفي ١٩٠٥ افتتحت حكومة الهند مستشفى الملكة فيكتوريا التذكاري في البحرين بتبرعات خاصة جمعت في سنة ١٩٠١ .

أمور بريطانية رسمية ١٨٩٩ ــ ١٩٠٥

موت صاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا وتتويج صاحب الجلالة الملك ادوارد السابع :

أثارت اخبار وفاة صاحبة الجلالة الامبراطورة الملكة فيكتوريا في ٢٢ يناير سنة ١٩٠١ موجة من الاسى والحزن شملت جميع القواعد في الخليج . وفي بوشهر قام كل الرعايا البريطانيين والاوربيين والهنود بزيارات خاصة لدار القنصلية لتقديم التعازي ، كذلك فعل ايضاً شيخ البحرين للتعبير عن حزنه واسفه ، اما في مسقط فقد امر السلطان بإعلان الحداد واغلاق المحلات العامة واطلاق ١٠١ طلقة من المدافع . كان الشعور العام يخيم عليه الحزن والاسى ، واحتفل الجميع بتتويج جلالة الملك الامبراطور أدوارد السابع في سائر الانحاء الداخلة ضمن مقيمية الخليج في اول يناير سنة ١٩٠٣ .

تقسيم النفقات والمسئوليات بين الحكومة الام وحكومة الهند :

وفي سنة ١٩٠٠ تمت تسوية العلاقات المالية بين حكومة صاحبة الجلالة وحكومة الهند بشأن نفقات التمثيل السياسي والقنصلي في ايران ، ووضع قانون يقضي باقتسام هذه النفقات مناصفة بين الحكومتين في المستقبل .

وفي سنة ١٩٠٤ تنحى سير مورتيمر دوراند من مكتب الخدمات المدنية في الهند عن مسئوليته كسفير لصاحب الجلالة في ايران ، بعد ست سنوات من الخدمة . وفيما يلي ١٨٩٩ الى ١٩٠١ ، ادمجت وظيفتا الملحق العسكري والسكرتير الشرقي للسفارة في وظيفة واحدة اصبح يتولاها ضابط بريطاني من الجيش الهندي ، اما بعد ١٩٠١ فقد اصبحت وظيفة الملحق العسكري هي الوظيفة الوحيدة في طهران التي يتولاها ضابط من الهند .

« خاتمـة »

تلخيصاً لما سبق نقول ان اول هجوم على سيادة بريطانيا في الخليج ابتدأ بزيارة اول مساح روسي لهرمز في سنة ١٨٩٥ ، لكن التهديد لم يصبح امراً خطراً الا في سنة ١٨٩٩ حين حاول الفرنسيون اتخاذ قاعدة بحرية لهم في عمان ، وقد اكتسب الهجوم الاجنبي ابعاداً كبيرة بسبب حرب جنوب افريقيا من ١٨٩٩ الى ١٩٠٢ خاصة في مراحلها الاولى حين توهم البعض ان نفوذ بريطانيا في سبيله للانكماش . وشهدت هذه الفترة ايضاً الاستعداد من جانب روسيا لاقامة قاعدة بحرية لها في الخليج ، ومد خط حديدي عبر ايران الى البحر ، وانشاء خط روسي للملاحة البحرية والتجارة يقوم بعملياته في منطقة الخليج ، وجهوداً موصولة من جانب فرنسا لزيادة نفوذها في عمان – كما ظهرت اعراض – لا يمكن انكارها – في نفس الوقت تشير الى وجود سياسة مشتركة بين روسيا وفرنسا في منطقة الخليج ، وصحبت هذا النفوذ الاجنبي الحاد استعراضات للقوة البحرية من جانب روسيا وفرنسا ، وزيادة التمثيل القنصلي لروسيا في منطقة الخليج .

وبالخروج التدريجي للامبراطورية البريطانية دون خسارة تذكر من مشكلات جنوب افريقيا ، حدث شيء من التغيير في مشاعر وسياسات بعض الدول الاجنبية ، فاوقفت روسيا تنفيذ اخطر مشروعاتها ولم يبق الا شيء قليل يميز الحالة الان عما كانت عليه قبل هذه الازمات ، فيما عدا النشاط التجاري الذي ظلت روسيا منغمسة فيه عن طريق تمثيلها القنصلي المتسع . وفي نهاية سنة ١٩٠٣ ، كان التوتر السياسي بين الدول الاوربية في منطقة الخليج قد وصل الى نهايته تماماً .

وقد صد البريطانيون بقوة سائر الهجمات التي سددت الى سيطرتهم ونفوذهم في سائر المواقع ولم يخسروا شيئاً حتى حين كانت كل الظروف

الدولية في صالح اعداء بريطانيا وظل النشاط البريطاني مستمراً في اندفاعه حتى بعد ان انتهت الاسباب التي ادت الى انبعاثه ، كما استطاع البريطانيون ان يضعوا عقبات فعالة ضد خطر روسيا الذي كان يتهددهم في ايران . اما دسائس فرنسا في عمان فقد احبطها الانجليز بالعمل الحاسم في مسقط ، وقد حسمت بالفعل قضية العلم الفرنسي في عمان حتى قبل ان تصدر هيئة التحكيم في لاهاي قرارها الذي كان في صالح البريطانيين الى ابعد الحدود . اما في البحرين فقد عززت سلطة الحكومة البريطانية باجراءات قوية وناجحة لحماية الرعايا الاجانب ، وازدهرت التجارة هناك الى حد لم يكن متوقعاً . وقد حمى الانجليز الكويت من الوقوع في ايدي الاتراك ، ودافعوا عنها ضد غزو أمير نجد الشمالية ، وأصبحت مؤقتاً محمية بريطانية الا بالاسم فقط . وفي عربستان اقام الانجليز علاقات وثيقة بشيخ المحمرة كفلت لهم السيطرة على ارضه . وعلى طول الساحل الايراني استطاع الانجليز المحافظة على مصالحهم . وكانت لهم قاعدة قوية في هانجام ، وفي مكران . ورغم الفوضى الداخلية ، استطاع الانجليز حماية رعاياهم وممتلكاتهم حماية شاملة ، وقد قامت الحكومتان البريطانية والهندية بدراسة الوضع الاستراتيجي ، واتخذتا العدة لمواجهة كل الطوارىء ، فاعيد تنظيم البحرية البريطانية في منطقة الخليج ، وتم تنفيذ عمليات مسح بحرية جديدة ، وقوبلت استعراضات القوة من جانب الدول الاجنبية باستعراضات اقوى واعظم ، وزيد عدد الممثلين السياسيين لبريطانيا في منطقة الخليج ، واتخذت الخطوات في نفس الوقت لتأكيد هيبتهم واحترامهم . وعزز من كفاءة عمل بريطانيا في الخليج تحسين وسائل النقل بالبواخر والخدمات البريدية والبرقية ، وتقدمت التجارة البريطانية والهندية بفضل ايفاد البعوث التجارية ، وشرع في دراسات دقيقة لتاريخ وجغرافية منطقة الخليج .

ولا يمكن — في اية عملية تحليلية — الفصل بين نتائج هذه الاعمال

جميعاً وبين نتائج العوامل الاخرى التي ادت لدحر العدوان على النفوذ البريطاني في المنطقة ، وليس من السهل تمييز سياسة الحكومة الهندية عن حكومة صاحب الجلالة ، فقد كانت الاولى مرتبطة بالثانية ومتمثلة فيها كل التمثيل . ولا شك في ان تغير الموقف الدولي في اوربا وفي غيرها كان من العوامل ذات الاهمية الاولى ، غير ان السياسة البريطانية في منطقة الخليج لو كانت سياسة ساكنة جامدة خلال الازمات لادت هذه التغييرات — خاصة وانها جاءت في وقت متأخر — الى إضرار مباشر وخطير بالمصالح البريطانية . وخلال الحملة الدفاعية التي حدثت في هذه الفترة العاصفة كان طبيعياً أن تقوم حكومة الهند بالاقتراح والتنفيذ وتقوم الحكومة البريطانية بالسيطرة والتوجيه ، لا سيما في شئون النشاط الديبلوماسي الذي كان يتم باسم حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ، على حين كان يتولى العمل السياسي في منطقة الخليج ضباط من مكتب الخدمات الهندي وبأموال حكومة الهند .

وكان من بداية الاعمال السياسية التي استهل بها لورد كيرزون عمله كنائب للملك في الهند توجيه ضربة قاسية للمصالح الفرنسية في منطقة الخليج ، وكانت جولته في هذه المنطقة — في اواخر سنة ١٩٠٣ — ايذاناً بنهاية تلك الفترة المضطربة العصيبة ، وحين ترك الهند في سنة ١٩٠٥ كان ينظر بعين الرضى الى هذا الصراع والى الدور الذي لعبته حكومته فيه ، فقد امكن تجنب الكارثة ، لكن احداً لا يستطيع الزعم مهما بلغت به الجرأة بأن هذا شيء ازلي او دائم .

الملحق رقم (١)

الجيش الهندى وعمارة البحرية الملكية الهندية فى الخليج (١٩٠٥)

المواقع : شاهبار ، جاشك ، مسقط ، البحرين ، بوشهر ، وبغداد .

: ثلاثة قادة فرق ، ثلاثة وكلاء ، ١١ نقيباً ، ١٥ عريفاً ، ٤ نافخ بوق ، ٢١٠ جنود هنود ، ٢ مساعد صحي ، ١٠ خدم ، المجموع ٢٥٨ .

توزيع الجنود : شاهبار ٤٥ جندياً ، جاشك ٤٥ ، مسقط ١٧ البحرين ٢٤ ، بوشهر ٤٩ ، بغداد ٣٠ .

النفقات : ٣٨٥٢٥ روبية الاجور ، ٢٢٦٦ روبية للثياب ، ٣٠٧٣٥ روبية للجراية (الطعام) ، ٦٢٥٨ روبية للامداد والتموين ، ٥٢١٩ لصيانة السلاح ، ٦٠٠ روبية للطب والعلاج ، ١٢٥ للبريد ، ١٩٦١ روبية لامدادات الماء ، ٤٨ روبية للنظافة ، ٤٥ روبية للاضاءة والتدفئة .

المبلغ الاجمالي : ٤٨,٧٨٢ روبية في السنة .

سفينة البحرية الملكية الهندية « لورانس » ، باخرة مجدافية (ذات عجلات تجديف من الصلب) دشنت في سنة ١٨٨٦ ، مرساها في بوشهر تحت تصرف المقيم السياسي في الخليج ، اقصى حمولة لها ٩٠٢ طن ، سرعتها ١٢ عقدة في الساعة ، تسليحها : ٤ مدافع بوصة غير ثابته في

قواعدها ، ٤ مدافع ٦ لنيه غير ثابتة في قواعداها ، ٤٥ مدفعاً صغيراً ثابتة في قواعدها .

طاقمها : ٤ ضباط ، ٢ مهندسين ، ٣ وكلاء ، ٨٠ صف ضابط وجندي ، متوسط تكاليفها على مدى ثلاث سنوات ١٤٥,٦٥٦ روبية في كل سنة .

سفينة البحرية الهندية الملكية « كوميت » : باخرة مجدافية (ذات عجلات تجديف من الصلب) دشنت في سنة ١٨٨٤ ، مرساها في بغداد تحت تصرف المقيم السياسي في بغداد ، اقصى حمولتها ١٨٢ طناً . سرعتها ٩ عقد في الساعة ، تسليحها : مدفعان عيار ٤٥ بوصة ، مثبتان في القواعد ، الطاقم العامل عليها : ١ ضابط ، ٤ وكلاء ، ٣٣ صف ضابط وجندي ، متوسط تكاليفها على مدى ثلاث سنوات : ٤٢,٤٢٣ روبية في السنة .

مخزن الفحم في مسقط : يشغل مكانين معفيين من الايجار ، العاملون فيه : ١ جندي اطفاء ووقاد ، ٢ عمال ، ١ خفير ليلي ، التكاليف ٦٢٠٠ روبية في السنة .

مخزن الفحم في باسيدو : بلا مبان ، العاملون فيه : ١ مسئول عن الفحم ، ١ عامل ، ١ جندي اطفاء ، التكاليف ٧٥٠ روبية في السنة .

مخزن الفحم في بوشهر : يشغل ١٥ مستودعاً يدفع لها ايجار سنوي قدره ١١٠٠٠ روبية ، العاملون فيه : ١ وقاد ، ٢ وزان ، ١ جندي اطفاء ، التكاليف بما فيها الايجار : ٩٧٢٨ روبية في السنة .

مخزن الفحم في بغداد : (الغي هذا المخزن ، واصبح الفحم اللازم للسفينة « كوميت » يخزن في مستودع تحت مبنى المفوضية) .

« نهاية الفصل الاول »

فهرست دليل الخليج ج ١

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضــــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

تم المجلد الأول بحمد الله تعالى

★ ★ ★

